موسوعة ولاية الفقيه
وأسس الدولة الإسلامية

دستورنا

تأليف

ميرزا حسين آل عصفور



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

موسوعة

ولاية الفقيه

وأسس الدولة الإسلامية

على ضوء الفقه الأمامي

بحث واستدلال

(Arab)
BP173
.6
.U83
Juzli majmulah 2

(RECAP)

****

* اسم الكتاب : موسوعة ولاية الفقيه (حريّتنا)
* اسم المؤلّف : الميرزا محسن آل عصفور
* النّاشـــر : مكتبة سيّد الشّهداء (ع)
* تاريخ الطّبع: رجب ١٤٠٦ هـ
* تنضيد الحروف: طابعة الاخلاص ـ قم
* عدد النّسـخ : ١٠٠٠ نسخة مطبعة أميـر ـ قـم

****

الميرزا محسن العصفور

حريتنا

اوّل دراسة من نوعها للحرّيّة تستوعب كافة مجالاتها

87-B46520-1

قال الامام الرضا عليه السلام:

رحم الله عبداً أحيا أمرنا ، قيل له : وكيف يُحيِي
أمركم؟ قال عليه السّلام : يتعلّم علومنا و
يعلّمها النّاس فإنّ النّاس لـــو
علموا محاسن كلامنـــــا
لاتّبعونـــا (١)

(١) جامع أحاديث الشّيعة ج ١ ص٢٣٨ .

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 015593674

الإهداء

أهدى هذا المجهود المتواضع لأكبر شعب عرفه التاريخ الحديث في سوح الشهادة والفداء والبطولة والفوز بالمدد الغيبي والتعطش لبذل المزيد من التضحية في سبيل الله عزّ وجل بلا فتورٍ أو مللٍ أو كللٍ شعب القرآن والولاء والانقطاع والتضحية والعطاء، شعب ايران الاسلام الثائر ولقائد ثورته الميمونة الظافرة المباركة نادرة الدهر، وفخر هذا العصر الامام روح الله الخميني دام ظله العالي.

المؤلف

منهجنا فى هذه الموسوعة

لمّا كانت هذه المحاولة المتواضعة تهدف الى اكمال المسيرة الفكريّة التى ابتدأها شهيدنا الصدر رضوان اللّه تعالى عليه على الرغم من علمى بالفارق الشاسع بينى و بينه و البون الواسع و شعورى بالحقارة و القصور عن التصدّى لمثل هذه المهام الجبّارة و الرائدة المجهدة فأين الثرى من الثريّا و النجم من الذرى لكنه فضول له أسبابه و مبرراته ودواعيه وعلى كل فلا يسقط الميسور بالمعسور لذا فاننى قد سعيت الى عنونة أجزاء هذه الموسوعة و دراساتها بما يتفق مع التسميات التى أطلقها شهيدنا العزيز على دراساته الأولى الرائدة و الثمينة مثل "فلسفتنا" و"اقتصادنا" و"مدرستنا".

هادفين من خلال ذلك كلّه الى التأكيد بالدليل و البرهان على ان فى الاسلام تطابقا مع الفعل السليم و فى مفاهيمه تفوّقا حضاريّا و فى قواعده دقّة تشريعية و فى تطبيقه سعادة و أمنا و استقرارا فهو عقيدة راسخة فى القلب و تشريع نموذجى للمجتمع و أخلاق مثالية رائعة بين الناس.

لقد حان الأوان لنقول كلمتنا التى نعلن فيها أمام تيّارات الكفر و الانحراف و الضلال بأننا قادرون انطلاقا من القناعة التامّة بمذهبنا وعقيدتنا و ديننا و الثقة المطلقة به على ملىء الفراغ فى الفكر البشرى و بناء انسان العصر كما يريده اللّه عز وجل وكما بنى الرسول الأعظم

صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام انسان المبدأ و العقيدة و الفداء و التضحية و الاستبسال و الجهاد و البذل و الاستقامة على امتداد الأجيال و العصور الى يومنا هذا و الى ما شاء الله عزّ و جل لهذه الدنيا من بقاء و استمرار.

و لذلك فقد تقرر أن تكون بهذه المنهجية و الترتيب :

(المجلّد الأول) نشأتنا : و تتناول الدراسة فيه بالدرجة الأولى كيفيّة ابتداء الخلق و ما قيل فى ذلك من النظريات و مقارنتها بالآثار المعصومية و النصوص القرآنية و موادّه التى تألف منها و طبائعه وخصائصه و ما أودع فيه من غريب الحكم والآيات وبديع النظام و النشأة و الصورة و أقسام الناس و اختلاف ملكاتهم و درجات استعدادهم و نحو ذلك و الامكانات التى تهيّئ له المجال للسيطرة على الطبيعة و ميادينها.

(المجلد الثانى) علماؤنا : دراسة للنصوص الواردة فى طلب العلم و فضله و أهميّته فى صنع الحضارات و القاء الضوء على مواصفات العلماء الروحية و السلوكية و الفكرية حسبما دلّت عليه النصوص الشرعية كما تتناول مضافا الى ذلك أقوال أساطين هذا الفن و ميدانه و ما قيل فى الموضوع نفسه من الحكم و الأمثال و المواعظ القيّمة.

(المجلد الثالث) خلافتنا : دراسة تتوفّر على استعراض طبيعة خلافة الانسان للّه عزّ و جل فوق هذه الأرض و الأسس التى تبتنى عليها هذه الخلافة و شروطها و مقتضياتها و موقع الفقيه من هذه الخلافة و بحوث متعدّدة أخرى تتّصل بالموضوع نفسه.

(المجلد الرابع) ديننا : دراسة تتوفّر على بيان حاجة الانسان الفطرية لاعتناق أى دين من الأديان مهما كانت جهته و خاتميّة الاسلام

وعالميته وعلوّه و شرفه على الأديان كلها و تعداد خصائصه العظيمة و ما يمتاز به و الرد على الشبهات التى أثيرت أو قد تثار على قداسته و اثبات شموخه فى نهاية المطاف و التنبيه على حاجة البشرية الماسة اليه و هى تعيش فى المرحلة الخاتمة لخلافة الانسان على وجه هذه الأرض .

(المجلد الخامس) عباداتنا : دراسة لمعنى العبادة و حاجة الانسان اليها و قيمتها فى سد الفراغ الروحى الذى يشكل جانبا مهمّا من كيانه ، و كذلك تتعرض فيه لفلسفة الدعاء كما أفصحت به النصوص الشريفة و الحج و الصيام و الصلاة و دور العلماء و الفقهاء و خاصّة فى صلاة الجمعة ، و قيمة هذه العبادة و معطياتها و آثارها الدينية و الدنيوية و غير ذلك .

(المجلد السادس و السابع و الثامن) حريّتنا : دراسة موسعة تعد الأولى من نوعها فى مسألة الحرية فى مختلف مجالاتها و ميادينها و هذا الكتاب الذى نقدمه بين يديك هو الجزء الأول من هذه الدراسة .

(المجلد التاسع) مسؤليتنا : دراسة تستوعب المسؤولية بمجالاتها و جهاتها تبدأ بتناول مسؤولية العبد تجاه خالقه و مبدئه ثم تجاه نفسه ثم الآخرين و تنتهى بالتركيز على موضوع مسؤولية الحكام و العلماء و الفقهاء التى تعبر عن طبيعة مؤثرة فى جذور الحياة الفكرية و السلوكية و العقائدية .

(المجلد العاشر) طهارتنا : بحث يتوفر على دراسة مفهوم الطهارة و أقسامه الظاهرية و الباطنية و المباحث و الشقوق التى تتفرع من كل واحد منهما و مواصفات الفقيه و كيف ينبغى له أن يكون أطهر ممن دونه قلبا و أزكى نفسا و أعلى همة و أقوم سلوكا و أعظم مثالا و أفضل قدوة

للآخرين و الطريقة التى تهيّئه لأن يكون ملاكا أرضيّا ·

(المجلد الحادى عشر) آدابنا : عرض و تحليل لنظام المعاشرة فى الاسلام و آداب العبادة و السلوك و آداب التعليم و التعلّم و المدارسة و آداب الملوك و آداب الفتوى و الفقيه و ما يتّصل بذلك ·

(المجلد الثانى عشر) تاريخنا : دراسة فريدة من نوعها تحاول القاء الضوء على التاريخ السياسى للأنبياء منذ عهد آدم عليه السلام الى عهد نبيّنا الخاتم للبعثات السماوية صلى اللّه عليه و آله و سلم ثم عرض لحياة الأئمة المعصومين عليهم السلام السياسية ·

(المجلد الثالث عشر) نهضتنا : دراسة تتناول الشروط الممهدة لعودة النهضة الاسلامية من جديد و انبعاثها فى ظل الحضارات المتمدّنة الحديثة واالسبل الكفيلة بذلك و موقع الفقيه منها ·

(المجلد الرابع عشر) أسرتنا : دراسة مسهبة للخلية البنائية الأولى للمجتمع و الدولة تجمع فى بحوثها أسسها و قواعدها و طبيعتها و تركيبها و معالمها و مفاهيمها و أخلاقيتها وفق نظرة مقارنة بين الاسلام و النظم المخترعة الحديثة على اختلاف مدارسها و مبادئها و أطروحاتها و أهدافها و مراميها ·

(المجلد الخامس عشر) مجتمعنا : دراسة لجوانب المجتمع وفق الرؤى الاسلامية و الذى يعد الصورة المصغّرة للدولة و تتناول بنيته و تركيبته الانسانية و الاقتصادية و نظام التكافل المطلوب فيه و كيفية سعى الاسلام لايجاد مظاهر تكامليّة تبعث على نموذجيّة فعّالة و مؤثّرة فى الحياة و السلوك العملى لأفراده و ما الى هنا لك من المطالب الضافية ·

(المجلد السادس عشر) حكومتنا : دراسة تتوفر على دراسة الشرعية التى تستمد منها الحكومة فى الاسلام شرعيتها و مبانى دعائمها ومعالمها و خطوطها العريضة و أهدافها مع البحث و المقارنة .

(المجلد السابع عشر و الثامن عشر) قانوننا : و هى الدراسة التى تعد مقدمة أولى لتركيبة الدولة الاسلامية و تساهم فى امدادها بالقواعد الشرعية الممهدة لوضع الحلول فى سائر الشؤون الواقعة فى حيّز ابتلاء المؤمن بما له من مقام العبودية و هى دراسة يعبر عنها على لسان الفقهاء بأصول الفقه و القواعد الفقهيّة .

(المجلد التاسع عشر و العشرون) علومنا :

دراسة تحاول القاء الضوء على مفهوم العلم و أنواعه و أقسامه الجائزة ، و المحرّمة ، و المكروهة ، و المستحبّة ، و المباحة ، و العلوم التى نشأت فى ظل الاسلام أو انبثقت عنه ، و العلوم التى ساهمت فى النهضة الاسلامية و أثرتها و ما الى هنالك .

و مقارنة للنصوص المعصومية مع سائر النظريات والكشوفات الحديثة المتعلقة بمجال العلوم التجريبيّة و النظرية و ما ينتفع به منها فى مجالات الأنشطة المختلفة فى تسيير شؤون الدولة و نحو ذلك .

(المجلد الحادى و العشرون) ولايتنا : دراسة تتناول الولاية بمعناها العام و تتدرّج بتفصيل و تقسيم مسهب لينصب ثقلها فى النهاية على موضوع ولاية الفقيه بصورة مركزة و استعراض الأدلّة على ثبوتها وتوجيه معناها الذى قلّ من استوعبه حتى الآن ، و قد كثر خلط و لغط عجيب بشأنها فى حين انها بحسب أدلّتها قد تصل الى مرحلة الضرورات المسلمة فى الشارع المقدّس كما سنبيّنه فن خلاف تفنيد المزاعم الوهنة

للنافين لها و المشككين لأدلتها و ما يدل ذلك عليه من بعد وغربة حقيقيين عن الانس بالأحكام الشرعية و أدلتها التفصيلة ·

(المجلد الثانى والعشرون) سياستنا :

دراسة للسياسة فى نشأتها كعلم على يد الفلاسفة الاغريق و اليونانيين و تطوّرها عبر مراحل التاريخ و دور الاسلام فى صياغة مبانى السياسة النموذجيّة المثالية مقارنة مع السياسة المعاصرة فى المفاهيم الغربيّة و الشرقيّة فى الدول التى تدين بغير الاسلام وغير ذلك مما يمت للموضوع بصلة ·

(المجلد الثالث و العشرون) دولتنا :

دراسة تتوفر على القاء مزيد من الأضواء على تركيبة أجهزتها التشريعية و القضائية و التنفيذية و وظائف كل واحد منها و الدوائر المنبثقة و المتفرعة عنها بحسب الشريعة الاسلامية مع التعرض للجوانب المناقضة فيها مع القوانين الوضعية و اجلاء و اماطة اللثام عن عظمة الاسلام و تجربته الرائدة فى هذا المجال وغير ذلك مما يقع بصدد الموضوع ·

و بعد الفراغ من تلك الدراسات مجتمعة نتناول الوزارات التى تشكل مراكز مياد ين الاشراف و التوجيه فى الدولة بكاملها و امكانيّة أسلمتها وفق المذهب الامامى الاثنى عشرى بأسلوب يستوعب أغلب الكتب المدوّنة فى الفقه الشيعى الامامى ، مضافا الى استغلال ثروة طائلة من النصوص المعصومية التى ظلت مهملة الجانب طيلة العصور الماضية أو أدرجت فى أبواب متشتّتة متفرّقة من دون استفادة و استغلال تامّين صحيحين ·

الاسباب التى دعت الى التفكير باصدارها

١ ــ انحسار هجمات التمادى الشرسة التى تحكمت فى العالم الاسلامى على نحو الخصوص و فى الساحة العالمية بوجه عام بفضل الجهود المثمرة التى أسدتها الثورة الاسلامية المباركة فى ايران من خدمات مشكورة و مساهمات جليلة كبرى فى قلب موازين القوى فى العالم و التى أدّت بدورها الى انهاء تلك الأجواء الخانقة و المليئة بالانحطاط و التخلّف وغلبة قوى الشيطان و مظاهر الانغماس فى تاريخ دامس استولت عليه قدرات الانحراف و الضلال و جسدت فيه غاية ما كانت تطمح اليه.

٢ ــ ظهور تيّارات منافقة شعواء فى داخل ايران الاسلام وخارجها تتقمص لباس علماء الدين و رداء المرجعية المصطنعة الزائفة تدار من قبل دوائر المخابرات المركزية فى الشرق و الغرب تعمل على اضعاف الثورة الاسلامية و ضعضعة أنشطتها و فعالياتها و الحيلولة دون اتساعها وغلبتها فى معترك الصراع مع ارادات قوى الكفر و الجبروت التى تتقاسم العالم.

و قد حفل التاريخ بأمثال هؤلاء منذ عصر الرسالة و امتد على طول الحقبة الزمنية المتآخمة لزماننا هذا، و ليس ذلك من الأمور الملفتة للنظر أو التى تبعث على الغرابة لكى نتعجّب من وجود مظاهرها فى عالمنا هذا فهى أشبه شئ بسنة طبيعية تمثل جوهر الصراع بين الحق

و الباطل و الخير و الشرّ و السعادة و الشقاء بامتداد تاريخ الانسان.

و قد ظهر فى الأسواق أخيرا كتاب يحمل اسم الرشاد الى ولاية الفقيه ظن مؤلّفه انه قد أتى بما لم يسبقه اليه سابق، و نشر اعلانات فى الشوارع يتحدى فيها كل من يجرأ على مخالفته و يدعوه للمناقشة و المجادلة و بعد اطلاعى عليه وجدته كتابا قابلا للنقض و المناقشة و دحض بعض الايرادات و الاستدلالات بأدلّة أقوى و أساليب علمية أرقى و بعبارة اخرى نودّ الالتفات الى اننا سنجيب على شبهاته فى محلّها المناسب ان شاء اللّه تعالى بما يليق بمقامه.

٣ ـ خلوّ المكتبة الاسلامية من أغلب هذه الدراسات الحيوية المهمة و حاجة الساحة الفكرية الماسة و الملحة الى الاستنارة بها فى عصر طغت فيه القيم و الأفكار الملحدة الفاسدة الكاسدة و قد كان للفراغ الذى يعيشه عشاق الفكر و المعرفة أثر كبير فى تأثّرهم بها وانجرافهم فى تيّاراتها و ذلك بعد عدم عثورهم على بدائل مطروحة بين أيديهم تساهم فى جذبهم الى عقيدتهم العظيمة و تشدهم الى سبيل الحق بصورة تتناسب مع منطقهم و ثقافتهم التى درجوا عليها.

٤ ـ الدعوة المتكررة من قبل الحكومة الاسلامية الكريمة فى ايران الاسلام لاستنهاض للهمم و الطاقات الفكرية لتقديم دراسات تعالج النقاط الحساسة فى ميادين التركيبة الرئيسية للدولة على ضوء التشريع الاسلامى، و ذلك عن طريق خطب الجمع و البيانات و المؤتمرات التى تعقدها لخصوص ذلك.

٥ ـ الفهم المغلوط و الخاطئ عن ولاية الفقيه بحسب الطرح المعاصر لها على يد مؤسس الجمهورية الاسلامية فى ايران القائد

العظيم و المصلح الفذ الامام الخمينى دام ظله الوارف على رؤوس الأنام و بالخصوص من قبل من يشار اليهم بالبنان فى ميدان الفكر الاسلامى الحديث ، سواء من قبل العناصر المتواجدة على الساحة اللبنانية أو غيرها و أخص الأولى بالذكر و أقول بأن الساحة هناك باتت رهن تصوراتهم القاصرة و المغلوطة و البعيدة عن صلب واقع مصادر التشريع الاسلامى الأصيلة فترى بعضهم يطرح مفاهيما لا تمت للدين بصلة و لا لجوهره برابطة من أمثال التشدق بضرورة طرح ديمقراطية عددية ونحوها من سفاسط الكلام على الرغم من الحالة التى يعايشها التفاعل العارم و المتأجج فى نفوس المسلمين هناك و الالحاح بضرورة التوجه الى تشكيل حكومة اسلامية و قدرتهم على ذلك و اعتماد أولئك على استنتاجات لا تتجاوز نطاق حدود المادة و فلسفة السياسات الحديثة و لا تحاول التسامى عنها الى مراتب الاتصال بالغيب و طلب المدد و العون من قبل البارى جلّ وعلا و المعايشة الروحية للحياة بالنحو المطلوب وخاصة من أفراد نهلوا علومهم من الاسلام الثائر على مظاهر البغى و الفساد و الانحطاط و الذلّ و المهانة و الاستكانة و التخلّف و تُربوا فى كنفه و نهلوا من نميره الصافى .

٦ ـ فتح باب للرد على من زعم لنفسه الحق و الصواب و الاستقامة فى معارضته لولىّ اللّه الصالح الامام الخمينى دام ظله العالى وتفنيد مزاعمه التى يجاهر بها من تفسيق و طعن و تجاوز عن الحدود الشرعية وايقاف كل منحرف عند حدّه و متحرف للمناهضة و المنابذة للحق و السعى ان أمكن الى ارجاعه لرشده و الاّ بيان حكم اللّه عز وجل فى شأنه وخصوصه و كذلك التعرض لنقض كثير من الأطروحات التى تخالف الشريعة

الاسلامية فى مجالات تشكيل جهاز الدولة على ضوء نظرية ولاية الفقيه المقترحة و التى سيأتى تفصيل الدليل بخصوصها كما لا ننسى ضرورة الارشاد الى العشوائية التى تعايشها أرضية الساحة الاسلامية فى لبنان و ارتباك القرارات المصيرية و تناسى معطيات التجربة الرائدة التى طبقت فى ايران الاسلام و محاولة الاعتزاز بالذات و انكار استفادة الثورة اللبنانية من الثورة الاسلامية الأم فى ايران و السعى للانفراد بتجربة مغايرة تنبع من قرار رجالات الفكر الاسلامى هناك و لا ندرى الى أىّ مدى ستقود أولئك هذه العجرفة و التزمت و المكابرة و التمادى الأعمى فى ساحة تعيش فيها أوبئة الأمراض الحزبية و التكتلات السياسية المختلفة الاتجاهات و العقائد و المذاهب و التى تحتاج لقيادة حكيمة و صارمة و متضلعة بأصول الشريعة قد ذابت فى مراد اللّه عز و جل و انفنت ذاتها فى أمره بالرياضات و المجاهدات النفسية و الانطلاق على ضوء هذا الاتّصال حيث لا يرى معها قوّة أعظم من قوّة اللّه سبحانه و تعالى و لا سدود و لا قيود أو حدود ، و كيف يكون ذلك و قد اتّصل بمدده تعالى الغيبى و القدرة المطلقة و الارادة الأزلية و مشيئة كن الوجودية .

ثم انه كيف تفوت هذه الفرصة السانحة اليوم و التى ربما لا تسمح بمثلها أيام المستقبل القريب فتكون اضاعتها حينئذ غصة و ندامة لا ينفع معها الأسف و التأوّه و الحسرة و العضّ على النامل ، قال أمير المؤمنين عليه السلام :

((اغتنموا الفرص فانّها تمرّ مرّ السحاب)) ،((اضاعة الفرصة غصة)) .

والواقع انه لا يمكننا التعبير عن ما يجرى فى لبنان سوى انه مجرد محاولة

للدخول فى لعبة سياسية يشارك فيها جميع الأطراف و محاولة اطالة لأمدها الى ما لا نهاية و لا نتيجة لأنهم ألفوا هذا الوضع وعشقوا الاستمرار فى معايشته من دون نتيجة .

و لا أعتقد بتاتا ان أولئك الذين بذلوا دماءهم و ضحوا بالغالى و الرخيص و مرغوا كرامات جبروت و طغيان الغرب و الشرق قد وعوا أساليب قادتهم الاسلاميين و ظلمة المستقبل فى أعينهم أولئك الذين لا يحسبون للمستقبل حسابه بقدر ما يهتمّون بيومهم فقط و ساعتهم و كل ذلك فى الواقع انما أدى اليه ضعف الارتباط الصحيح بالله عز وجل كما يريده ممن وضع نفسه فى مقام القيادة و الزعامة على عباده .

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حاول سماحة العلم البارع الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه أن يؤسّس مدرسة اسمها الاسلام، و أساتذتها الرسل و الأنبياء و الأئمّة المعصومون، و تلامذتها الأجيال تهدف الى معرفة سرّ الحياة وفق شريعة السماء العظيمة و تحث على الذوبان فى الاسلام الرسالة الخاتمة لأن الاسلام فى نظرها نظام جوهر الحياة من عرفه فقد بلغ كنه حقيقتها و أصاب واقعيتها.

و لأجل ذلك حاولت جهدى أن أنقل فى كل مطلب و موضع مناسب أقواله العسجدية المبعثرة و المتفرّقة فى بطون كتبه الثمينة و أحمل أفكاره النورانية لكى يحيا فى القلوب دائما و تتجدد معايشة ذكراه عبر الأجيال التى شاء القدر أن يحرمها منه و كأنما قد بعث من رمسه الشريف ليقول كلمته من جديد و يجدد عهده على مواصلة الكفاح و النضال حتى اسقاط كل لون من ألوان التخلّف الفكرى و البعد عن الاسلام الخالد، وعسى أن أكون قد وفّقت من خلال هذه المحاولة المتواضعة و أصبت الواقع فيما نشدته و صبوت اليه من السعى لابراز عالمية الرسالة و المساهمة فى ترسيخ مبادئها وعرضها فى متناول القرّاء الكرام، و ما توفيقى الاّ بالله عليه توكّلت و اليه أنيب.

قم المقدسة — الميرزا محسن آل عصفور

الموافق / جمادى الثانية سنة ١٤٠٦ هـ

مفهوم الحريه فى المصطلح اللغوى

الحريّة لغة : اسم مصدر ، كما فى النهاية الأثيرية ، و فى المغرب مصدر الحرّ ، و هى : الخلوص من الشوائب أو الرق ، أو اللؤم .

و حقيقتها : الخصلة المنسوبة الى الحر من الرجال خلاف العبد مأخوذ من الحرّ بالضم ، و هو الرمل اذا خلص من الاختلاط بغيره ، و يتعدى بالتضعيف فيقال : حررته تحريرا اذا أعتقته ، و تحرير الرقبة عتقها .

و منه قوله تعالى : ((فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ)) .

و تحرير الولد أن تفرده لطاعة اللّه عز و جل .

و منه قوله سبحانه و تعالى ، حكاية عن لسان امرأة عمران : ((انّى نذرت لك ما فى بطنى محرّرا)) أى : مخلصا لك معتقا لخدمة بيت المقدس .

و روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظلّ شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنّت الى الولد و تمنّته فنذرت و كان ذلك النذر مشروعا عندهم فى الغلمان ، فرزقها اللّه عز و جل بمريم عليها السلام .

و يستعار الحرّ للكريم كالعبد للئيم و جمعه أحرار .

و الأنثى حرّة ضد الأمة ، و جمعها حرائر ، على غير القياس ، لأن قياس فعلة أن يجمع على فعل فيقال حرر ، كغرفة و غرف ، و انما جمعت حرّة على حرائر لأنها بمعنى كريمة و عقيلة فجمعت كجمعها ، و منه الحديث : (فليتزوّج الحرائر) قيل : لأنّ الأمة مبتذلة غير مؤدّبة غالبا ،

فلن تحسن تأديب أولادها بخلاف الحرّة.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (رض) فى كتاب العين:

الحرّ نقيض العبد، حرّ بين الحروريّة و الحريّة و الحرار و الحرارة سحابة حرّة من كثرة المطر، و المحرّر في بني اسرائيل النّذيرة كانوا يجعلون الولد نذيرة لخدمة الكنيسة ما عاش لا يسعه تركه في دينهم.

و الحرّ: فعل حسن في قول طرفة

لا يكن حبّك داء قاتلا ليس هذا منك ماوىّ بحرّ

و الحرّية من الناس خيارهم و الحرّ من كل شىء اعتقه و حرّة الوجه: ما بدا من الوجنة و الحرّ: فرخ الحمام، قال حميد بن ثور:

و مماهاج هذا الشوق الاحمامة دعت ساق حرّ فى حمام ترنّما

و حرّة النفرى: موضع مجال القرط و الحرّ و الحرّة الرّمل و الرّملة الطيّبة قال:

و اقبل كالشّعرى وضوحا و نزهة يواعس من حرّ الصّريمة معظما

يصف الثور و قول العجاج:

فى خششاوى حرّة التّحرير

أى: حرّة الحرار، أى هى حرّة و تحرير الكتاب اقامة حروفه و اصلاح السّقط و حروراء موضع كان أوّل مجتمع الحروريّة بها و تحكيمهم منها.

و طائر يسمّى ساق حر، الحرّ فى قول طرفة ولد الظبى حيث يقول:

بين أكناف خفاف فاللّوى مخرف يحنو لرخص الطّلف حرّ

و حرّان: موضع، و سحابة حرّة تصفها بكثرة المطر، و يقال لليلة التى تزف فيها العروس الى زوجها فلا يقدر على افتضاضها ليلة حرّة، فاذا افتضّها فهى ليلة شيباء، قال:

و قال المعلّم بطرس البستانى فى محيط المحيط :

هى : الخروج عن رق الكائنات و قطع جميع العلائق و الأغيار ، و لها مراتب ، و هى : حرية العامة من رقّ الشهوات ، و حرية الخاصة من رقّ المرادات لفناء ارادتهم فى ارادة الحق ، و حرية خاصة الخالصة من رقّ الرسوم و الآثار و المحرور من غلب على مزاجه حرارة غريبة فأطرحته عن طريق الاعتدال انتهى .

و نفهم من هذه التعاريف ان للحرية فى أصل الوضع اللغوى ايحاءات متعددة فهى فى السلوك تعنى الانفلات عن الالتزام بأىّ قيد أو ضابط أو قانون أو عرف اجتماعى أو انسانى .

و فى العقيدة تعنى اعلان السلطة المفرطة للارادة الذاتية فى قبول الحق و عدمه و الاستقلال فى تكوين التصورات العلمية و الادراكات الانطباعيّة و ان كانت تبتنى على قاعدة مشوبة بالمغالطات و المفارقات الجلية مع الواقع .

و فى الرقية تعنى الخلاص من حالة تسلّط جبروت ارادة مماثلة .

و فى الملبس تعنى الانسلاخ عن الحقيقة الانسانية و مماثلة ذوات الطبائع الحيوانيّة الصرفة و عدم التوقى من الآثار السيّئة المترتبة على ذلك و كذلك عدم الاحتراز عن صون الكرامة الجسدية و العفّة و الحياء التى هى من الطبائع الجبلية الفطرية فى الانسان .

و فى الشعور تعنى تفريغ جوهر الانسان و أعماقه من جميع المثل القاضية بضرورة مشاركة الآخرين المشاعر و الأحاسيس الانسانية و القيم و المبادئ الاجتماعية .

و قد يتسامى معناها عن هذه المدلولات الوضيعة فينبئ عن ارادة معنى الخلوص من شوائب الكدورات وعوائق المرادات و حواجز الهمزات و اللمزات الشيطانية و الاندفاع نحو الارتباط المطلق بارادة الحق جل وعلا و فناء الذات الانسانية بما هى عليه من القوى و الاستقلال و ذوبانها فى جهات الطاعة و الامتثال لأوامره و فروضه .


الله أكبر

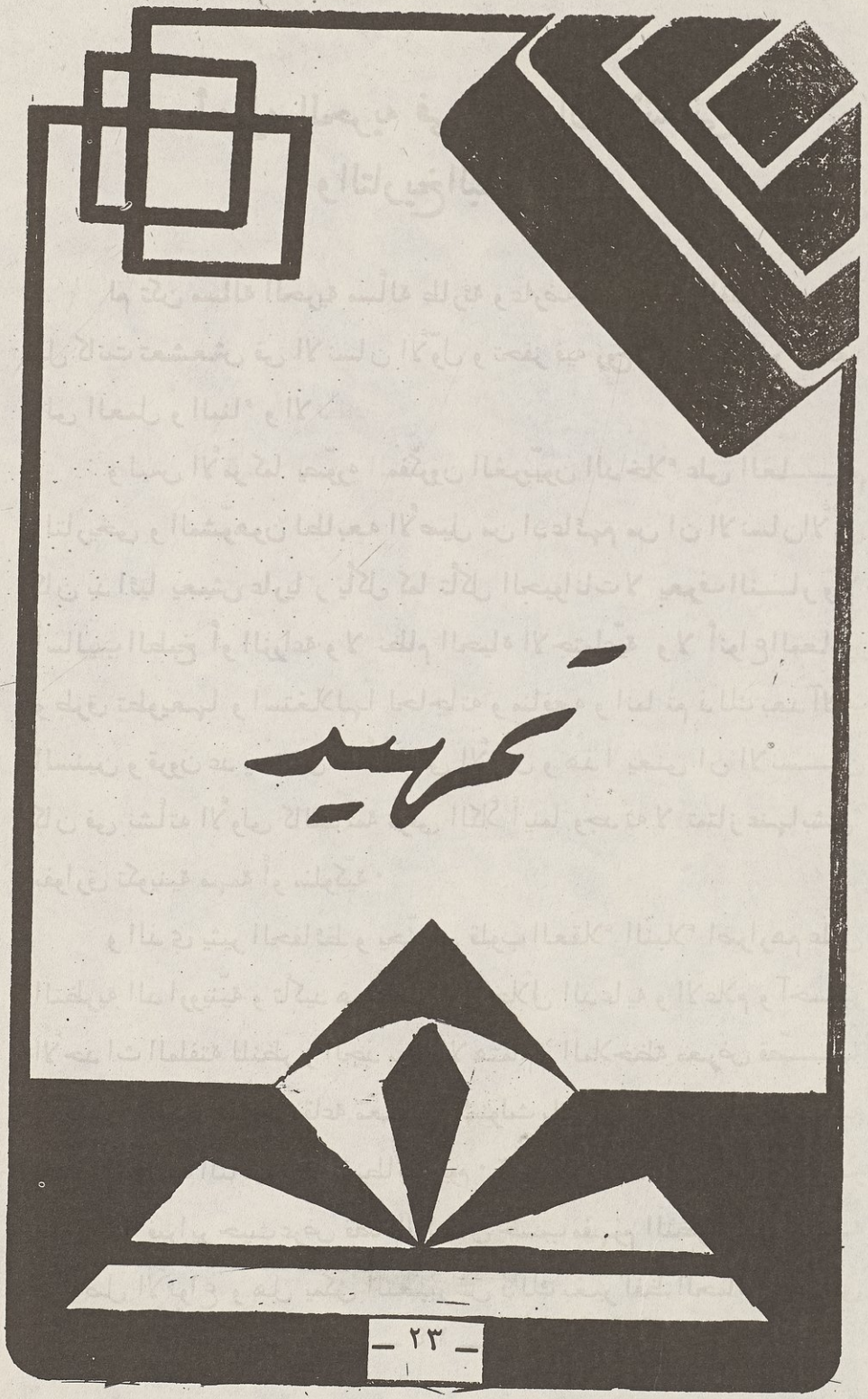
تمهيد

أهميه الحريه فى الوجدان الانسانى والتاريخ البشرى

لم تكن مسألة الحرية مسألة طارئة وعارضة فى تاريخ الفكر الانسانى بل كانت تعشعش فى الانسان الأوّل و تحفز فيه روح الاستقلال و تدفعه الى العمل و البناء و الانطلاق ٠

و ليس الأمر كما يصوّره المفكّرون الغربيّون الدخلاء على العلم التاريخى و المشوّهون لطابعه الأصيل من ادعائهم من ان الانسان الأوّل كان بدائيا يعيش عاريا و يأكل كما تأكل الحيوانات لا يعرف النار و لا أساليب الطبخ أو الزراعة و لا نظام الحياة الاجتماعيّة و لا أنواع المعادن و طرق تطويعها و استغلالها لحاجاته و منافعه و انما تم ذلك بعد آلاف السنين و قرون عديدة من نشأته على الأرض و هذا يعنى ان الانسان كان فى نشأته الأولى كالسائمة ترعى الكلأ أينما وجدته لا تمتاز عنها بشئ بفوارق تكوينية مهمة أو سلوكيّة ٠

و الذى يثير الحفائظ و يحزّ فى قلوب العقلاء النبلاء اصرارهم على النظرية الداروينيّة و تأكيدهم عليها من خلال الدعاية و الاعلام و آخر الأحداث الملفتة للنظر و الجديرة بالاهتمام و الملاحظة معرض قصّة الانسان الذى أقيم فى قاعة معهد الكمنولث بلندن و الذى افتتحته الملكة اليزابت الثانية ملكة بريطانيا يوم ٢٠ توفمبر سنة ١٩٨٦ م و استمر لغاية ٢٣ فبراير حيث عرض قصة الانسان حسب مفهوم النظرية الداروينيّة فى أصل الأنواع و هل يمكن التعبير عن ذلك بغير لفظ الحماقة فهم فى

الوقت الذى يدينون فيه بالمسيحيّة و يزعمون بأن المسيح هو ابن اللّه و العياذ باللّه كيف يدّعون انّ المسيح قد أصبح فى العصر الحديث و بعد الحضارة الأوربية الحديثة من سلالة القرود ؟! !

و المسلمون و يا للأسف لا زالوا يتعاطون هذه النظرية عن طريق المناهج الدراسية المقرّرة فى بلدانهم و كأنها من المسلّمات على الرغم من ان عقيدتهم تقضى ببطلانها بغضّ النظر عن الوجدان الذى يقطع بقبحها و تهافتها أمام الواقع و الحقيقة و العلم .

و سنتعرّض لها بالتفصيل فى موضع أليق من هذا الكتاب فى مقدمة مباحث حرية ممكن الوجود .

فآدم عليه و على نبيّنا و آله أفضل الصلاة و السلام كان هو الانسان الأوّل و كان نبيّا و يعنى ذلك انه كان يمثل قمّة التطوّر الادراكى و الحياتى و أعلى مراتب الكمال البشرى قال سبحانه و تعالى .

((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ)) (البقرة/٣١) .

و من الطبيعى اذا كان الحال كذلك ان يبدأ الانسان الأوّل المجسد فى شخص آدم عليه السلام حياة متطورة راقية تمثل طبيعة الاستخلاف على منافع و خيرات الأرض فى ظاهرها و باطنها و سهلها و جبلها و بحرها و هوائها .

مفهوم الحريه و المدارس الفكريه الحديثه المختلفه

نشأت مع اطلالة سنى العصر الحديث الأولى تيّارات فكرية و دينيّة و عقائدية غريبة عن واقع الانسان المستقيم أضافت الى سجل الضلال

و الظلمات صفحات سوداء جديدة تعبّر عن واقعية الشذوذ فى تاريخ البشرية و الانحراف عن الصراط الأمثل و الأنسب بكيان الانسان و وجوده و من تلك المذاهب التى ينبغى التلميح اليها بشىء من التوضيح والعرض و التى ربما لم يسمع البعض باسمها حتى الآن مذهب الفوضوية و الذى شارك فى وضعة خمسة من المفكرين الغرب شرقيين :

١ ــ الانكليزى وليم غود وين .

٢ ــ و الألمانى ماكس ستيرنر .

٣ ــ و الفرنسى برود ون .

٤ و٥ ــ و الروسيان ميشال باكونين و ليون تولستوى .

و المذهب الآخر هو الشخصانية و يعزى الى فيلسوف فرنسى يدعى (رونو فيه) جهر به فى عام ١٩٠٣ م .

و مذهب ثالث أطلق عليه الوجودية يتفرع الى شقوق و تيّارات فلسفية بعضها يتبنى الجانب الالحادى و يخالفه البعض الآخر .

و مذهب رابع اختار لنفسه لقب الرأسمالية و خامس الماركسية و سادس الشيوعية و سابع الماسونية و ثامن الدياليكتيكيّة الخ .

و سنحاول القاء الضوء على كل جوانب هذه المذاهب و السعى لابراز وجهها القبيح و نواياها الخبيثة و قواعدها الهدّامة لانسانيّة الانسان و جانبه البشرى المتميّز من خلال البحوث القادمة بنحو يتناسب و ثقلها فى معترك الصراع الفكرى الحديث .

وكلمة لابدّ أن نقولها و نطلع طلاب المعرفة عليها و هى ان هذه المذاهب لم يكن ليقدر لها البقاء و تنزل الى ساحة الحياة و تتمكن من النفاذ الى قلوب الناس لوعدم الفراغ الفكرى القاتل و الخانق لتلك

المجتمعات التى نشأت فيها .

فهى نتاج حالة قهرية اقتضاها الفراغ المقيت و الواسع و حالة انهزام تمخضت عن فقد الارتباط الأصيل و الصحيح بالله عز و جل .

و حينئذ فجميع الشعارات البراقه و الخدّاعة لها و توسيمها بالتطورية تلك الكلمه التى بات يعشقها الشباب الضائع و الفاقد للقيم و المثل و المبادئ الانسانية و الالهية و يتشبث بها فى حالة يستشعر معها كأنه غريق و قد وجدت لنجدته و خلاصه من أسر انحطاطه و ذلّه فى الوقت الذى تدفع بعجلة تخلفه و انغماسه فى عالم ظلمانى رهيب انما هى مجرد سراب يحسبه الظمآن ماء فاذا جاء اليه لم يجد فيه مطمحه و مصلحته الحقيقية التى نشدها لنيلها و بذل سعيه .

معيار التقييم و منهجية البحث

نودّ الاشارة الى أننا لسنا بصدد التعرض لبحث مقارن لأوجه الشبه بين الحرية فى الاسلام و الحرية فى سائر المذاهب و الجهات العقائدية الأخرى لعدّة أسباب تمنع و تحول من الخوض فى غمار البحث المقارن بحسب صورته المتعارف عليها فى سائر الموضيع العقائدية الأخرى المختلف فيها و من أعظمها و أولاها بالذكر عمق النظرية الاسلامية لمفهوم الحرية و شمولها لكافة جزئياتها و اعتمادها على واقعية ملمة بأسرار الكون و تدرج نشأة القوى الفاعلة فيه و تجسد المصلحة المطلوبة بكافة أشكالها و قشرية النظريات المخالفة لها فهى ما بين مجرد دعوة لاطلاق العنان و التمادى المفرط كما سنتبيّن ذلك من خلال البحوث

القادمة و بين دعوة عمياء عن المصالح الواقعية و تعتمد فى أساسها على بعض الترهات القشرية و النظرات الضيقة المختنقة .

و حينئذ فعدم وجود مشتركات صالحة للمقارنة و المناقشة و الاستفصال بنحو يستوعب الشقوق المتفرعة عن مفهومها بحيث تغطى ساحة موضوعات البحث بطوله و عرضه يسلب امكانية اجراء مفصل يشمل ما ذكرنا .

الغاية الاساسية من بعثة الرسل

قال سبحانه و تعالى :

((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّيْنَ مُبَشِّرِيْنَ وَ مُنْذِرِيْنَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ أُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)) (البقرة / ٢١٣) .

((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّوْرِ)) (ابراهيم / ١) .

((هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوْقِنُوْنَ)) (الجاثية / ٢٠)

اتسمت الطبيعة الانسانية الأولى فى عهد آدم عليه السلام و من بعده فى ذريّته و نسله الأوّل بالاتفاق على توحيد اللّه عز و جل والاذعان المطلق لأوامره و نواهيه و لكن بعد طول الأمد و مضى القرون و اتساع رقعة الاستيطان ضعفت الروابط و قلّت الأواصر و تقطعت أسباب اللقاء ، و قد أدّى كل ذلك الى بروز ظواهر الجهل و اعتماد ضعاف العقول

منهم على **حكومة الأهواء** التى أوجدت البذور الأولى لظاهرة الشذوذ و **الخروج عن الاستقامة** الفطرية التى ألفوها وعاشوها بوجدانهم وكيانهم **فى عهدهم** السابق و بدأت مرحلة الصراع و انتشار الفوضى وبروز الأطماع و الاستئثار بأسباب الحياة و مصادر المعيشة و ساهم ابليس بعد وجود تلك الأرضية الصالحة لنشاطاته و انفاذ همزه و لمزه بجهود جبّارة لتزيين الضلال فى القلوب المريضة و الايحاء بالأفكار المنحرفة و الدعوة للانصراف المطلق عن مبادئ السماء و التشكيك بالآيات البيّنات الدالة على وجود الخالق و قلب المفاهيم الفطرية رأسا على عقب .

و نتج عن هذا المنعطف الفاصل لعهد الانسان الأوّل على هذه الأرض مرحلة التشكيك و الضياع و التخبط و التيه و الضلال ، و لهذا نجد اللّه عز و جل يقول فى محكم كتابه الكريم :

((وَإِذْ يَرْفَعُ ابْرَاهِيْمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَ اسمَاعِيْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِيْنَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَ الحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيْهِمْ اِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الحَكِيْمُ ، وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ ابْرَاهِيْمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ اِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَ ، اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ : أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَ وَصَّىٰ بِهَا ابْرَاهِيْمُ بَنِيْهِ وَ يَعْقُوْبُ : يَا بَنِيَّ اِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ المَوْتُ ، اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ : مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا : نَعْبُدُ اِلَهَكَ وَ اِلَهَ آبَائِكَ ابْرَاهِيْمَ وَ اسْمَاعِيْلَ وَ اسْحَاقَ اِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ)) (البقرة / ١٢٧ ـ ١٣٣) .

و اذا وضح لك و بان ما ذكرناه نستفيد طبيعة أهداف الرسالات السماويّة التى أجهدت أنفسها بالدرجة الأولى و عملت على عودة البشرية الى خطها الأوّل و فطرتها الأصيلة و تحرير الانسان من مخلّفات تخبطه و ضياعه و تماديه و تلجلجه فى المتاهات السحيقة الحالكة المهلكة و انتشاله من بحر الهلكة و الظلمات و الوصول به الى بر الأمان والأخذ بيده الى ساحل السعادة و الخير و الرفاه، و ربط مصيره بالنعيم الأزلى و الخلود الأبدى الهنىء.

و كان أول اعمالها اعلان شعار (لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ) بهدف توحيد العبادة المطلقة للّه عز و جل و ازالة كلّ عبودية زائفة مصطنعة لسواه و التنبيه على نزاهته عن كل ما لا يليق بعزّ جلاله و كماله، و ذلك عن طريق تصحيح النظرة المشوبة بالأباطيل تجاه الخالق جلّ و علا و تصفية القلب و منابع الادراك من شوائب الحجب و الظلمات و صقل مرآت العقل لينتهى به الحال الى نتيجة حتميّة لا تكتنفها عوائق الجهل و عمى القلب و البصيرة توصله الى الاذعان و الاعتقاد الجازم بوجود اله متفرد، مبدع قادر، حكيم، رحيم، كريم، غفور، عالم، جبّار، متنزّه عن كل نقص و قصور و مماثله أو مشابهة لا تدركه العيون بمشاهد الأعيان، و انّما تراه القلوب بحقائق الايمان.

و لم تكن صور الارشاد و التفهيم و التبيين لمعالم التخطيط الربانى للناس من أمثال الدعوة الى اقامة المراسيم العبادية و تصحيح السلوك و افشاء المبادىء الأخلاقية السامية و نحو ذلك الاّ للتعبير عن محاولة تعميق الاتصال بالمنفعة الحقيقية و المصلحة الواقعية التى يترتب عليها كيان حرية الانسان فى الانتفاع بصور و موارد النعم و الخيرات

المتظاهرة و المتظافرة فى محيطه و واقعه الذى يعيش فى كنفه و وسطه .

و سنزداد التفاتا و ادراكا لعمق هذا الكلام و مدى واقعيته من خلال البحوث القادمة .

المعجزة وأثرها فى تحرير الانسان من الشبهات والتيارات المنحرفة

اعتمدت الحكمة الالهية على المعجزة كوسيلة لتنبيه الانسان المعاند و المتزمت و المكابر على خطأه و انحرافه بنحو لا تترك فيه أىّ فرصة و منفذ للانكار و الاصرار على المخالفة لدعوة الأنبياء الموجهة اليه ، و لذلك نجد اجماع التعاريف على اعتبارها أمرا خارقا للعادة لا يخطر على قلب بشر و ليس بمقدوره أن ينشأ مثله .

و من أجل أن تأتى بثمارها المرجوّة جاءت على يد الأنبياء فى كلّ عصر و زمان مساوقة و مجانسة لما اشتهر لديهم من مظاهر علميّة و فنون فكريّة لتكون أبلغ فى التأثير و ظهور الاعجاز و نفاذ الحجة و انكشاف الحقّ المبين ومن ذلك نفهم العلّة القاضية بعدم مؤاخذة الجاهلين لأصل الدعوة و مداقة المكابرين الذين وصلتهم الدعوة و بأساليبها المختلفة و برامجها المدحضة لكل شبهة مخالفة لدعوتها بالدليل و البرهان و الحجّة و الآية و نصب الدلائل و تعزيزها بالمعجزة .

قال تعالى : ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً)) (الأسراء ٥٨)

الحرية سبب للتحدّى الأول للأوامر الالهية

قال سبحانه و تعالى :

((وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ؟ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)) (الأعراف / ١٢) .

قال الطبرسى امام المفسّرين فى مجمع البيان : روى عن ابن عبّاس انّ الملائكه كانت تقاتل فسبى ابليس و كان صغيرا و كان مع الملائكه فتبعّد معها .

و قال علىّ بن ابراهيم طاب ثراه فى تفسيره :

انّ الاستكبار أوّل معصيه عصى اللّه بها قال ابليس : يا ربّ اعفنى من السّجود لآدم و أنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ، لا نبىّ مرسل ، فقال اللّه تعالى : لا حاجة لى الى عبادتك انّما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد ، فأبى أن يسجد ، فقال اللّه تعالى : أخرج منها فانّك رجيم ، قال ابليس : كيف يا ربّ و أنت العدل الّذى لا تجور فثواب عملى بطل ، قال : لا ، و لكن سلنى من أمر الدنيا ما شئت ثوابا لعملك أعطك ، فأوّل ما سأل البقاء الى يوم الدّين ، فقال اللّه تعالى : قد أعطيتك ، قال : سلّطنى على ولد آدم ، قال : سلّطتك ، قال أجرنى فيهم مجرى الدم فى العروق ، قال : قد جريتك ، قال : لا يولد لهم واحد الاّ ولد لى اثنان ، و أراهم و لا يرونى ، و أتصوّر لهم فى كلّ صوره شئت ، فقال : قد أعطيتك ، قال : يا ربّ زدنى ، قال : قد جعلت لك و لذريّتك صدورهم أوطانا ، قال : ربّ حسبى ، قال ابليس عند ذلك :

فبعزّتك و جلالك لأغوينّهم أجمعين الاّ عبادك منهم المخلصين ، ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم) الآية . انتهى .

و قال أمير المؤمنين عليه السلام على ما جاء فى نهج البلاغة فى العلّة التى من أجلها استوجب ابليس من اللّه تعالى أن أعطاه ما أعطاه :

انه صلى ركعتين فى السماء فى ستّة آلاف سنة لا يدرى أمن سنى الدنيا أم سنى الآخرة .

هذه بعض النصوص الواردة فى شأن ابليس و عبادته تستفيد ممّا تضمنته امكانية الوصول لأرقى مراتب القرب من الفيض الربّانى و الكرم الرحمانى بالقدرة الذاتية و الاختيار الفطرى و امكانيّة البعد التام و الانصراف الكامل عن ذلك القرب و مجاورة الحضرة القدسية بنفس الارادة و القدرة الاختيارية و هذا ما تفصح به جليّا الكلمات المتقدّمة و الآيات الواردة فى عرض الحوار الذى أعقب المخالفة من قبل ابليس مع اللّه عزّ و جل .

الانسان وصفة استقلال الارادة

((خَلَقَ الانْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُبِيْنٌ)) (النحل/ ٤) .

((أَوَ لَمْ يَرَ الانْسَانُ اَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُبِيْنٌ)) (يس/ ٧٧) .

الانسان ذلك الكائن العجيب الغريب الذى بامكانه أن يتسامى الى أعلى درجات الكمال و يفوق جميع الكائنات المدركة الأخرى كالملائكة

و بامكانه فى قبال ذلك أن ينحدر الى درجة يجسد فيها أدنى مستويات الانحطاط و كامل مظاهر البعد عن طبيعته المجبول عليها بنحو يفوق فيه كافة البهائم و الحيوانات فى صفاتها الذميمة و طباعها المنفرة المشمأزّة.

و الآيتان المتقدّمتان تلمحان الى الانسان المتولّد عن النطفة من خلال عمليّة التناسل الطبيعيّة بين الناس و تفيد ان الانسان عند ما يكتمل له ادراكه و قواه الاستشعارية و يتحسّس استقلاليته فى الفعل و الحركة يهمّ بنحو طبيعى الى فعل سائر ما يخطر فى باله و مخيلته و قد يتمادى به الأمر الى أن يعلن رفض كل سلطة خارجة عن كيانه ولو كانت هذه السلطة هى السبب الأوّل فى وجوده و بقائه و استمراره و يجاريها على انها ندّ له و خصم يحاول فرض حاكميته عليه و خضوعه لأوامره و سلطانه و كلّما وجد قدرة فى ذاته على امكانية ابراز التحدى العلنى و الظهور بمظهر اثبات ذاته و ارادتها زاد غطرسة و عتوّا و ضلالا و انحرافا و كبرياء و ما أكثر شواهد هذه الظاهرة المرضية منذ العصور المنصرمة الى يومنا هذا و نحن نكتفى بالاشارة ههنا الى بعض ما حكاه القرآن و ضرب به مثلا للاتّعاظ و الالتفات و التنبّه لعظم هول هذه الحالة الشاذّة و المتمادية فى الافراط و التعسّف السلوكى على حياته المستقبلية و بقائه السرمدى الأبدى فى عالم الآخرة.

قارون وثروته الاسطورية

قال اللّه تبارك و تعالى:

((إِنَّ قَارُوْنَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوْسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوْزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِيْنَ ، وَ ابْتَغِ فِيْمَا آتَاكَ اللّٰهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ ، إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ ، قَالَ : إِنَّمَا أُوْتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُوْنِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُوْنَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيْنَتِهِ ، قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْتِيَ قَارُوْنُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيْمٍ ، وَ قَالَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّيهَا إِلَّا الصَّابِرُوْنَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَ بِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوْنَهُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِيْنَ)) (القصص/ ٧٦ ـ ٨٤).

بلعم بن باعوراء

روى المفسّر الجليل و الحبر النبيل الشيخ علىّ بن ابراهيم القمى ، عن أبى الحسن الرضا عليه السلام انه قال :

ان اللّه عز و جل أعطى بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم و كان يدعو به فيستجاب له فمال الى فرعون .

فلمّا مرّ فرعون فى طلب موسى عليه السلام و أصحابه قال فرعون لبلعم ادع اللّه على موسى و أصحابه ليحبسه علينا .

فركب حمارته ليمرّ فى طلب موسى عليه السلام فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها اللّه عزّ و جل فقالت : ويل لك على ما تضربنى

أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ اللّه و قوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها و انسلخ الاسم الأعظم من لسانه و هو قوله :

((فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ اِلَى الأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ مَثَلُ الكَلْبِ اِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) و هو مثل ضربه اللّه .

و فى زماننا شواهد لا تكاد تحصى من أمثال بلعم بن باعوراء و بالخصوص فى أوساط طلبة العلوم الدينيّة و مدّعى الاجتهاد والمرجعيّة فنجد ان بعضهم ما أن يمنّ اللّه عز و جل عليه بنفحة و سجيّة و مكرمة و رشحة من فيض كرمه حتّى ينقلب على عقبيه الى وحش كاسر و عدوّ قاهر للعلم و الفضيلة و الكمال و أسباب الهداية و صلاح الأمّة فتراه لا ينفكّ عن السعى لاتّخاذ عباد اللّه خولا و بلاده دولا يقيم الدنيا لو عارضه معارض و لا يقعدها لو تصدى لارشاده مصلح مناهض قد نسى اللّه فأنساه رحمته فى دنياه قبل آخرته .

حكاية السامرى والعجل

قال سبحانه و تعالى مخاطبا نبيّه موسى عليه السلام :

((فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِي)) .

قال الطبرسى (قده) فى جوامع الجامع :

قوله عزّ و جل : ((فتنّا قومك من بعدك)) يريد الذين خلفهم مع هارون أضاف سبحانه الفتنة الى نفسه و الضلال الى السّامرى ليدلّ على ان الفتنة غير الاضلال أى امتحنّاهم بخلق العجل و حملهم السامرى على

الضلال و أوقعهم فيه بقوله : هذا الهكم و اله موسى ، و المراد بالفتنة تشديد التكليف عليهم بما حدث فيهم من أمر العجل ليظهر المؤمن المخلص من المنافق ، انتهى .

فالضلال فعل اختيارى يعتمد على الانسان بالدرجة الأولى بدءاً بتوفير أسبابه و دواعيه و انتهاءاً بترسيخ جذوره و تعميق أصوله فى القلب و الادراك و ستر الحقائق الظاهرة و تعمية البصيرة بعد حصول أسباب الهداية و التوفيق لادراك معالم الطريق المستقيم ، و ما موقع الفتنة بعد الايمان و الوصول للحق عن طريق الاذعان الآ للتحقق من ادعاء ذلك : ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون)) ؟ (العنكبوت / ٢) .

و للحديث صلة و تتمّة سيأتى الكلام عليها فى موضعها المناسب .

آدم وحواء والخطيئة الانسانية الاولى

قال سبحانه و تعالى :

((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) (البقرة / ٣٧) .

((وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَ قَالَ : مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِيْنَ ، وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِيْنَ ، فَدَلَّهُمَا بِغُرُوْرٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَاكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا اَنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِيْنٌ؟ قَالَا : رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ)) (الأعراف / ١٩ ـ ٢٣) .

قابيل وهابيل أول ظاهرة لصراع بشرى بين اتجاهين حرين

قال سبحانه و تعالى :

((وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ ابْنَي آدَمَ بِالحَقِّ إِذ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ، قَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ المُتَّقِيْنَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ العَالَمِيْنَ ، إِنِّي أُرِيْدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُوْنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَ ذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِيْنَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيْهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِيْنَ)) (المائدة / ٢٧ ـ ٣٠) .

روى الفيض الكاشانى فى الصافى عن الصادق عليه السلام انه قال فى علّة اقتالهما : قتل قابيل هابيل فى الوصية ثم قال : ان اللّه تبارك و تعالى أوحى الى آدم أن يدفع الوصية و اسم اللّه الأعظم الى هابيل و كان قابيل أكبر فبلغ ذلك قابيل فغضب و قال : أنا أولى

بالكرامة و الوصيّة فأمرهما أن يقرّبا قربانا بوحى من الله اليه ، ففعلا فتقبّل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله .

و فى رواية عن الباقر عليه السلام قال : انّ عدوّ الله ابليس قال لقابيل : انه قد تقبّل قربان هابيل و لم يتقبّل قربانك فان تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله قابيل .

هذه هى أوّل ظاهرة صراع بين قوّتين بشريّتين تنعكس فى مرآتها صورة الارادة الانسانيّة و طبيعة بنائها المستقلّ و تعدّ أوّل ظاهرة لمراحل الصراع بين قوى الخير و الشرّ الكامنة فى ذات العالم الانسانى الجامع للقوى المتغايرة و القرآن عند ما يستعرض هذه الحادثة وأمثالها انما يسعى من خلال ذلك الى التنبيه على ان الأفعال البشرية لم تكن فى فترة من فترات تاريخ الانسان المديد رهينة تدخل الهى مباشر و بالخصوص فى مسألة صدور الأفعال المنافية للحكمة و الاستقامة .

و تعدّ هذه الجريمة هى ثانى عملية ناجحة ينفذها ابليس اللعين ضدّ الانسان الأوّل بعد مؤامرته على آدم و حوّاء فى الجنّة .

نبى الله نوح وقومه

((اِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ : يَا قَوْمِ اِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ اِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، اِنَّ أَجَلَ اللّهِ اِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، قَالَ : رَبِّ اِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي اِلَّا فِرَارًا ، وَاِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوا ثِيَابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)) (نوح/١، ٩) .

((وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ)) (العنكبوت / ١٤) .

فى هذه القصّة قصّة نوح عليه السلام نستفيد انطباعا عميقا و شعورا راسخا تجاه الدعوة الالهية للخلق ، و كيف انها كانت تعتمد على الجانب الرحمانى و المراعاتى لأبعد الحدود و لم تكن المدّة المترامية التى قضاها نوح عليه السلام بنحو يترآى منه غير عظمة الامهال و الفسحة و عدم المعاجلة فى المؤاخذة و العقوبة و ان دلّت هذه البادرة الكريمة من الجناب الوهّاب و قداسة النفس النبوية الكريمة على شئ فانما أرادت البرهنة على الحريّة المركوزة في طبيعة الانسان فى الاختيار بين السبل و الطرق الفكريّة و لهذا عمدت الى نصب الدلائل و اقامة البراهين بكلّ وسيلة ممكنة لتدفع الانسان باختياره و ارادته المنبعثة من قرارة نفسه الى انتخاب الطريق المستقيم و الصراط القويم ، و تحفز قدراته الخيرة لاحتلال مواقعها فى كيان الانسان .

طالوت و جالوت

((فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ)) (البقرة / ٢٤٩) .

لمّا ابتعد طالوت عن البلد و معه جنوده و كانوا ثلاثين ألف مقاتل

و قيل سبعين ألفا ، قال طالوت : انّ اللّه (مبتليكم) أى : مختبركم بنهر (فمن شرب) من النهر بأن كرع فى مائه (فليس منّى) أى : ليس من جملتى و أشياعى (و من لم يطعمه) أى : لم يذقه (فانّه منّى) يقال : طعم الشىء اذا ذاقه (الاّ من اغترف) استثناء من قوله (فمن شرب منه فليس منّى) و معناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع يدلّ عليه قوله (فشربوا منه) أى : فكرعوا فيه (الاّ قليلا منهم) و لم يبق مع طالوت الاّ ثلاثمأة و ثلاثة عشر رجلا .

هذه القصّة مثال آخر لاختبار سلامة الاختيار فى صدور الأفعال من الانسان المدّعى للاستقامة و مدى قابليّاتها للذوبان و الانصهار فى مرادات البارى جلّ و علا كحالة طبيعيّة يمارسها اللّه عزّ و جل وفق الحكمة الشاملة لأساس نشأة الخلق و بها يكتمل مجمل أبعاد المخطط الربانى لسلوك الانسان و طبيعة بنائه المرسوم فى تقدير الحكمة الالهية و سيأتى مزيد من التفصيل و التوسّع فى هذا المبحث بصورة متناسبة مع عمقه و سعته و أبعاده و حدوده ، و هذا الجزء معقود بالأساس للبحث فى خصوصه لترتّب كثير من المباحث الآتية عليه فى الفهم و الاستيعاب ، كما سيتّضح ذلك فيما بعد ان شاء اللّه تعالى .

نبى اللّه يوسف و زليخا

قال سبحانه و تعالى :

((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ ، قَالَ : مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، انَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَ الفَحْشَاءَ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلِصِيْنَ)) (يوسف/٢٣ـ٢٤)

أرادت زليخا فى هذه الحادثة أن تصادر حريّة نبىّ اللّه يوسف عليه السلام التى تقضى بالتنزّه عن امكانية الانغماس فى المرادات البهيميّة لعلوّ نفسه و قداستها و كرامتها و ابائها و طهارتها خصوصا و انها كانت ذات بعل فهم بها ليقتلها جزاء فعلتها المشينة، فأراد اللّه عزّ و جل أن ينزّهه على كل ما قد يسىء لمقامه و النزول الى تلك الأفعال المنافية لمقام و مرتبة النبوّة.

و فى ذلك اشعار بسمو مقام النبوّة و طبيعة الحالة التى يتحلّى بها القائمون بأدائها و مواضع مفارقتهم عن عموم البشر فى الحالات الطبيعية التى تنشأ عن اختلال ميزان الغرائز و الشهوات و الميول و العواطف.



مفهوم الحرّيّة
بين الشّذوذ والضّياع

الحرية عند اليهود ونظرية العنصر الافضل

قال سبحانه و تعالى : ((لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود)) (المائدة / ٨٢).

جاء فى كتاب (التلمود) و هو الكتاب المقدّس عند اليهود و الذى يفضّلونه على التوراة هذه العبارة :

((تتميّز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من اللّه كما انّ الابن جزء من أبيه و أرواح اليهود عزيزة عند اللّه بالنسبة لباقى الأرواح لأنّ الأرواح غير اليهوديّة هى أرواح شيطانيّة و شبيهة بأرواح الحيوانات)).

لذلك يعتقد اليهود بأنّ اللّه خلق البشريّة كلّها لخدمتهم و هم أحرار لهم الحق فى أن يفعلوا ما شاءت لهم ارادتهم بالعباد ، لأنّهم وحدهم الأسياد و ما سواهم عبيد ، أو كما يقولون بعبارة أخرى :

((انّ غير اليهودى حيوان على شكل انسان)).

و يستحلّون العدوان على سائر الأمم و يدّعون ملكيّتها كأنّها جمادات و يوجبون على أنفسهم عداءها و العدوان عليها لأنّ شريعتهم لا تكتفى بتسويغ جرائمهم بل تشجّعهم على التفنّن و الافراط فى التعذيب و التنكيل ثم تكفل لهم المثوبة من اللّه تعالى ! ! أو من معبوهم (يهوه) ربّ الجنود الذى يختصونه بالعبادة و يزعمون انه اختصهم لنفسه دون سائر البشر و وفق هذه المعاهدة الشيطانية المعقودة بينهم و بينه

يتسلّطون على كل البلاد و العباد و يطمحون لا بادة البشرية و يطلقون كلمة (گوييم) على جميع البشر من غير اليهود و هذه الكلمة تعنى ان جميع من سواهم من الناس بهائم و أنجاس و كفرة.

و مضافا الى ذلك فهم يؤمنون بأنّ اللّه أباح لهم استعمال أساليب الشرّ و الغدر مع جميع شعوب الأرض قاطبة، و لهذا المبدأ الراسخ و المتأصل فى نفوسهم أراقوا دماء الآلاف الأبرياء من العرب المسلمين فى المعارك التى قامت بينهم و بين العرب و لا زالت المذابح المتكرّرة للمسلمين تعيد نفسها مع تقادم الأيّام فى جنوب لبنان و داخل فلسطين المغتصبة.

كما يعتقدون بأن الناس جميعا على اختلاف مللهم و نحلهم وعقائدهم المخالفة لهم يجب أن يخضعوا لسلطانهم و يساسوا كما تساس قطعان الدواب بما فيهم من الرؤساء و الملوك و الحكّام.

و ذلك عن طريق الاغراء بالمال أو الجاه و الصيت أو التهديد ان لم تفلح معه تلك المحاولات أو اذلاله بحفنة من الحسناوات اليهوديّات و نحو ذلك.

و كانت نتيجة هذه العقليّة الشاذّة أن سخطت عليهم الحكومات و الشعوب منذ أقدم العصور، و قد ذاقوا نتيجة ذلك شتّى أنواع المهانات و القتل و التشريد لتمسكهم بأفكارهم التلمودية المنحرفة و عاشوا قرونا طويلة مشرّدين فى الآفاق من جراء دسائسهم و خياناتهم وأحقادهم نحو الانسانية جمعاء.

ففى سنة (٥٨٧) قبل الميلاد هاجمهم الملك البابلى بختنصر و وقع فيهم قتلا وتجريحا و أسر منهم خمسين ألف يهودى.

و فى سنة(٧٠) للميلاد قتل (تيتوس) امبراطور الرومان آلاف اليهود لخياناتهم المتكرّرة فى تلك البلاد .

و فى سنة(١٣٥) للميلاد قتل قائد الرومان نصف مليون يهودى .

و فى سنة(١٢٩٠) للميلاد طرد ادوارد الأوّل ملك بريطانيا جميع اليهود من بلاده بعد ثبوت جرائمهم .

و فى سنة(١٣٠٦) للميلاد طرد فيليب ملك فرنسا جميع اليهود من بلاده .

و فى سنة(١٣١٥) من الميلاد هجم سكان مدينة (استلا) و قتلوا خمسة آلاف يهودى ثم حرقوا مساكنهم .

و فى سنة(١٤٢٠) طردت اليونان جميع اليهود من أراضيها .

و فى سنة(١٥٤٠) طردت ايطاليا جميع اليهود من أراضيها .

و فى سنة(١٥٥١) طردت المانيا جميع ما فيها من اليهود .

و فى سنة(١٥٨٢) حدت المجر حدو الدول المتقدمة تجاه اليهود المتواجدين فى أراضيها .

و فى سنة(١٩١٩) هجمت الحكومة الروسية القيصرية بمساندة فئات الشعب على اليهود و قتلت منهم ما يقارب المأة ألف نسمة .

و فى غضون الحرب العالمية الثانية قتل الألمان بدستور هتلر قرابة النصف مليون يهودى(١) .

---

(١) مجلة مكتب اسلام ، العدد ١١٩ .

الحريه فى نظر الفكر المسيحى

نتعرّف على نظرته الواقعيّة من خلال الآثار التى أظهرتها الكنيسة و الأطروحات التى التزمتها و طبّقتها بالقهر و الجبروت فى عهدها الذهبى حيث أيدت الظلام و حاربت النور و دافعت عن الجهل و ألغت ظاهرة العلم و ساندت الأقطاع و أمحت مفهوم العدل و دعمت الملوك و اضطهدت الشعوب و أحيت الخرافة و ناهضت الفكر و الواقع انّ ذلك بالبديهة لا ينبع من مبادئ المسيح عليه السلام التى بعث بها رحمة للعالمين و لكن هى وليده الانحراف الذى أوقع الكنيسة فى عداد المذاهب المحرفة و التى جسدت أفكار عقول ملئت بالتصوّرات الوثنيّة و المفاهيم الساذجة المستمدّة من الديانات الوضعيّة المتحلّلة عن قيم شريعة السماء كما سيمرّ عليك مزيد من التوضيح عن ذلك فى مباحث الجزء الثالث من حريّتنا

و لمّا اندلعت الثورات الداعية الى الحريّة و المساواة و التى تفجّرت فى أوساط المجتمع المسيحى نتيجة المعاناة لويلات التخلّف و الانحطاط و الظلم و الاضطهاد من قبل الكنيسة و التى كانت تنبع من صميم كيان الانسان و حاجته و أعماقه فى وجوده و طبيعته الانسانيّة كان نداء رجالها ((اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسّيس)).

لقد حكمت الكنيسة يومئذ باعدام الألوف من العلماء و المفكّرين و تخريق أجسادهم بالمسامير بل ذهبت الى أبعد من ذلك بأن حاكمت

جثثهم بعد موتهم.

فعلت الكنيسة ذلك كلّه باسم الدين و باسم اللّه و باسم المسيح فلمّا رأى ذلك أحرار الفكر وعشّاق العلم كفروا باله تمثله هذه الكنيسة و رجالها و آمنوا بما عندهم من العلم.

و أعظم ما زهّد الناس فى الدين فساد دعاته و انحراف منتحليه و خصوصا فى دين يحجر على الناس أن يعرفوا اللّه أو يتّصلوا به أو يطرقوا بابه بالدعاء و الانابة و طلب الحوائج الاّ عن طريق طبقة كهنوتيّة خاصّة تسمّى رجال الدين و من هنا قامت فى اوربا مذاهب تقوم فلسفتها على الحسّ و المادّة و تنكر ما وراء ذلك من الغيبيّات فلا اله و لا وحى و لا ملائكة و لا آخرة و لا جنّة و لا نار.

و بلغ الجحود قمته فى المذهب الماركسى الذى تبنى ما زعمه "نيتشة" من انّ الدين أفيون الشعوب ، وما زعمه غيره من انّه ((ليس الاّ حيلة اخترعها الأغنياء و الأدباء ليلهوا بها الضعفاء و الفقراء و يمنوهم بنعيم الآخرة لينفردوا هم بنعيم الدنيا)).

و قال كارل ماركس فى ذلك : ((انّ اللّه لم يخلق الانسان بل الصواب انّ الانسان هو الّذى خلق اللّه)).

لقد نتج كلّ ذلك التخبّط و المروق و الانحراف و الرفض بمراحله المتعدّدة و المتتابعة عن النظرة التى استوحاها الانسان فى تلك المرحلة العصيبة من تاريخه عن السماء من خلال دعاته المتنكّرين لرايته و المشوّهين لأطر أطروحاته و المخرّبين لمبادئه و قواعده السامية.

و على الرغم من كلّ ذلك فلم يكن انصراف الانسان عن اللّه عزّ وجل فجأة كما ألمحنا اليه من خلال ما تقدّم انّما كان انصرافا عنه فى شبهه

يأس و قنوط و أملاً فى محاولة جديدة يقوم هو بها و يتحمّل مسؤوليّتها تحمّلا كاملا دون أن يشرك غيره فيها ولو كان ذلك الشريك هو اللّه تبارك و تعالى .

انّه عزف عن الايمان بوجود اللّه عزّ و جل لأنه لم يقف بتقييمه الخاص على حقيقة دين ينبع من كماله المطلق الذى يعايش الانسان طبيعته و ضرورته للخالق الأول المبدع للكون و أسراره من خلال فطرته الأصيلة المركوزة فى جوهر ادراكه و تصوّره .

و لقد كان ممّا رسخ ذلك فى قرارة نفسه خلوّ الساحة من البديل المعبّر عن حقيقة راية السماء بأبعادها و أسسها القويمة البنّاءة لواقع الحياة .

لقد فرضت عليه مظاهر الانحراف الكنيسى و أجوائها الخانقة و المبتذلة لضمير الانسانيّة و ما يراه من عشوائيّة فى نظام السلوك و الفكر أن يتردّد فى انصياعه لرسالة السماء التى تمليها عليه فطرته و يخالفها واقعه الذى يعايش آلامه و يكابد محنه و ارهاصاته التى يستحيل الاستمرار فى تجرّعها و تحمّل غصص آلامها .

لقد شكّ فى فطرته و أنكرها و بذل جهوده فى سبيل امحائها من ساحة القرار فى نفسه و مخيلته من خلال تأكيده على الأخذ بواقعه و ضرورة تخلّصه من آلامه و محنه الطاحنة و كل ما يمت له بصلة .

و نتجت حالة التدمّر القاتل من ادّعاء كون تلك المظاهر الشاذّة و المسبّبة لمعاناته هى من دين اللّه تعالى و آثاره رغم استحالتها فى تصوّره من الصدور عنه و بالرغم من ذلك كلّه فلم يقوى على الافلات و الانسلاخ عن الاعتقاد به لما بيّناه فى أغلب حالاته ، و لذلك نجد

استمرار الاعتقاد بالمسيحيّة على الرغم من تاريخها الأسود و ما الشيوعية و الماركسيّة الاّ مظهر من مظاهر الانسلاخ الى أبعد حدوده و التمادّى به الى درجة التأكيد على مظاهر الالحاد بالخالق و الكفر به و الدعوة الى ذلك فى ربوع العالم.

نعم لقد طرح المسيحى و هو يعانى ظاهرة التردد فكرة عبر من خلالها الى تجاوز سلطة الكنيسة و القضاء عليها و ملخّصها انّه اذا فرض انّه دين اللّه فلم يعد صالحا لحياة المجتمع البشرى فى وقت يجد فى نفسه اندفاعا ثائرا و تطلّعا طموحا مستميتا للانطلاق فى التفكير والتجربة و السعى وراء السيادة الطبيعيّة للانسان على منافع الأرض و السيطرة على مظاهر الحياة فى البر أو البحر أو الهواء و استغلال صور منافعها لخدمته و احتياجاته.

و بذلك انصرف عن اللّه عزّ و جل لأنه رأى انسانا مثله انتسب الى اللّه تبارك و تعالى يحرم عليه أن يشارك فى الفهم و التفكير فيما ينقل عن اللّه سبحانه و يحرم عليه البحث و التجربة فى ظواهر الوجود و مشاهداته ليصل الى الباعث و العلاقات بينها و ليقننها مبادى و قوانين عامّة يستند اليها فى التطبيق العملى و يهتدى بها فى الحكم فى محيط وجوده و حياته.

انّه انصرف عن اللّه عزّ و جل لأنه لم يستطع أن يؤيّد الطغيان فى الحكم باسم اللّه و لا أن يسير فى اتّجاه الحرمان من حقّ الحياة طواعية لما يسمى تعاليم اللّه تعالى.

ان تاريخ الفكر الأوربى ملئ بالمصادمات و المفارقات و بمظاهر الطغيان التى تكرّرت فى قتل الرجال و النساء و تشويه الأطفال و احراق

الجثث البشريّة و المدن و تخريبها و اباحة النهب و السلب و الاعتداء على الحرمات فى المال و النفس و كلّ ذلك باسم اللّه عزّ وجل وعلى يد رجال الدين و بتنظيم الكنيسة و أمر البابا .

و نلتمس طرفا من تلك المظاهر البشعة فى تاريخ الانسانيّة من خلال ما يذكره أحد مفكّريهم و يدعى جون ويليم درابر فى كتاب له يحمل اسم التطوّر العقلى لاوربا (١) .

أرسل قداسة البابا الثالث ـ فى أوّل القرن الثالث عشر الميلادى برسالة الى راى موند كونت (راهب) تولوز (اسم امارة) يتهمه فيها بالتستّر على المبتدعين فى الدين و تقديم مساعدات ماديّة لليهود .

و قد حدث ان قتل مندوب البابا و هو القاصد الرسولى فى هذه الامارة أثناء تأدية رسالته و مع انّه لم يكن هناك وجه للاعتقاد بأن (راى موند) كانت له علاقة بجريمة القتل الاّ ان البابا الساخط عليه حمّله مسؤوليّتها و أمر بفصله عن الكنيسة فورا و دعا العالم المسيحى فى الغرب أن يشن حربا صليبيّة عليه و أباح أمواله و أملاكه لكلّ من تصل اليها يده .

و كان ان حمل نصف مليون رجل السلاح استجابة لنداء الرهبان ضدّه و ازاء ذلك لم يسع الكونت الاّ أن يستسلم و سلّم مواقعه الحصينة و اضطرّ الى الاعتراف بكلّ ما وجه اليه من تهم و من عدالة عقابه و أقسم انه لن يعود مرّة اخرى الى حماية هؤلاء المبتدعين .

---

(١) John William Draper : Ahistory Of Intellectual Development Of Europe London I89I Vol.II PP.6I-62.

كتاب التطوّر العقلى لأوربا طبع لندن سنة ١٨٩١ ج ٢ ص ٦١، ٦٢

و اقتيد عاريًا و هو مربوط بحبل حول عنقه الى الهيكل بالكنيسة لجلده ... و ما كادت الشمس تغيب حتّى توالت مناظر الرعب و الفزع و السلب و النهب ، و يقول فى فقرة أخرى :

((و قاد الجيوش التى تجمعت رجال الدين من الرومان و الفرنسيّين الأساقفة و قد سأل أحد الجنود عند ما سقطت" بزياف " بجنوب فرنسا الأب ارنولد مبعوث البابا عمّا اذا كان المطلوب مزيدا من الرحمة أم مزيدا من التعقّب فى القتل؟

وعن : كيف يجب أن يفرق بين الكاثوليك و أصحاب البدع؟

و كيف يجب أن يحافظ على الكاثوليك ؟

فأجاب الأب ارنولد قائلا : قتل الجميع !! ثم صاح : انّ اللّه سيعلم أحباءه)) !!

و قال فى فقرة ثالثة :

((و فى كنيسة القديسة مريم ماجدلين ذبح سبعة آلاف شخص فقد استفز ادعاؤهم ان القديسة مريم المجدلية كانت عشيقة المسيح دون أن يكون لهم مبرّر فى هذا الادّعاء هؤلاء الصليبيّين الغاضبين وبالأخص ادّعوا ذلك و هم فى حالة مرح و نشوة .

أما المدينة فقد قتل فيها عشرون ألفا و احرق المكان ليكون أثرا و ذكرى للانتقام البابوى .

و فى موضع رابع قال :

((و فى مذبحة لافور احرق أربعمأة شخص من الناس كتلة واحدة وعلق البعض على ذلك بقوله لقد كانت شعلة رائعة ذهبت الى جهنّم لتظل مشتعلة .

ثم عقب ذلك بقوله :

((وانّ اللغة لتعجز عن وصف القسوة التى حدثت عند حصار مدن كثيرة و التى تعبر عن الانتقام الدينى الكنيسى فقد غمرت الأراضى بدماء القتلى من الرجال و تلبد الجو بدخان حريقهم لجثثهم .

و من النساء القتلى و الأطفال المشوهين و المدن المخربة قام النظام اللا انسانى لمحاكم التفتيش و لم يستهدف المشرعون لهذا النظام وضع حدا للتفكير العام بل مع ذلك قصدوا الى خنق الفكر الخاص ثم أنهى حديثه قائلا :

وسط هذه الأحداث المؤلمة دعى قداسة البابا الى محكمة اخرى للادلاء بشهادته و قد توفى عام ١٢١٦)) .

و يقول الفيلسوف" برتراند راسل"(١) :

فى عصر ما يسمّى : عصر الايمان و فى الوقت الذى كان يؤمن الناس فيه ايمانا حقيقيا بالدين المسيحى فى جميع تعاليمه و طقوسه أنشأ ديوان التفتيش بتعذيباته فأحرقت جثث ملايين من النساء التعسات كأمثلة للعيان و استخدم باسم الدين كل أنواع القسوة ضد جميع صنوف الناس .

و قال فى موضع آخر :

((و أنت تجد عند ما تنظر الى العالم ان كل امارة صغيرة تدلّ

---

(١) فى كتاب (لماذا لم أكن مسيحيّا) تحت عنوان المسيحيّة عدوّ أصيل للتقدّم الخلقى طبع لندن سنة ١٩١٥ م ص١٥ .

Whylam Not a Christion. London I95I

Bertrand Russel.P.I5.

على التقدّم في الشعور الانساني وكلّ تحسن في قانون العقوبات وكلّ خطوة تجاه التقليل من الحرب وكلّ خطوة نحو معالجة أفضل للعناصر الملونة أو كل تلطيف للرق ... كل تقدم خفي وقع في العالم عورض باجماع الكنائس المنظمة في العالم)).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعدت جرائم الكنيسة الضالّة لتطال سطوتها الأقطار المسلمة وكيان المسلمين في محاله لأنهائهم دون رحمة بحجة انهم أهل ضلال وبدعة وكفر والحاد.

فحاولوا تدمير الاسلام والقضاء عليه وامحائه في الحروب الصليبيّة الرهيبة التي حاولت اجتياح بلاد الاسلام بالملايين ولما منيت بالفشل والهزيمة باتوا يتحينون الفرص للانقضاض على الأمة الاسلامية بشراسة أقوى وأبلغ في التأثير والتدمير.

لقد كان جندي يهم ينادي بأعلى صوته أثناء ارتدائه لبزه الحرب في طريقه لغزو البلاد الاسلامية.

اماه...

اتمي صلاتك ... لا تبكي..

بل اضحكي وتأملي...

أنا ذاهب الى طرابلس...

فرحا مسرورا...

سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة...

سأحارب الديانة الاسلامية...

سأقاتل بكل قوّتي لمحو القرآن...(١).

---

(١) القومية والغزو الفكري ص ٢٠٨.

و لمّا تمكنت تلك الحملات من الاستيلاء على بعض أنحاء العالم الاسلامى أظهرت ما أضمرته للاسلام و لمعتنقيه فاستباحوا الحرمات و انتهكوا المقدّسات فهدمت المساجد أو حوّلت الى كنائس ثم أحرقت مكتبات المسلمين ثم أحرقت الشعوب نفسها و تكرّرت المأساة مرّة اخرى و فى ساحات جديدة للمجتمعات البشريّة و كلّ ذلك و يا للأسف باسم الدين ٠

تقول الدكتورة سيجريد هونكة :

فى ٢ يناير ١٤٩٢ م رفع الكاردينال (دبيدر) الصليب على الحمراء القلعة الملكية للأسرة الناصرية فكان ذلك اعلانا بانتهاء حكم المسلمين على اسبانيا ٠

و بانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التى بسطت سلطانها على اوربا طوال العصور الوسطى و قد احترمت المسيحيّة المنتصرة اتّفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة ثم باشرت عمليّة القضاء على المسلمين و حضارتهم و ثقافتهم ٠

لقد حرّم الاسلام على المسلمين و فرض عليهم تركه كما حرّم عليهم استخدام اللغة العربيّة و الأسماء العربيّة و ارتداء اللباس العربى و من يخالف ذلك كان يحرق حيّا بعد أن يعذّب أشدّ العذاب (١) ٠

و فى وصف طبيعة التعذيب الذى كان يمارس فى حقّ مسلمى الأندلس يقول الدكتور على مظهر فى كتابه محاكم التفتيش :

بعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس أرسل نابليون حملته الى اسبانيا و أصدر مرسوما سنة ١٨٠٨ بالغاء دواوين التفتيش فى

(١) نفس المصدر السابق ص ١٧٤ ٠

المملكة الاسبانية ، تحدث أحد الضبّاط الفرنسيين لتلك الجملة فقال :

أخذنا حملة لتفتيش أحد الأديرة التى سمعنا ان فيها ديوان تفتيش وكادت جهودنا تذهب سدى و نحن نحاول العثور على قاعات التعذيب اننا فحصنا الدير و ممراته و اقبيته كلّها فلم نجد شيئا يدلّ على وجود ديوان التفتيش فعزمنا على الخروج من الدير يائسين كان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون و يؤكّدون ان ما شاع عن ديرهم ليس الاّ تهمة باطلة و أنشأ زعيمهم يؤكّد لنا براءته و براءة اتباعه بصوت خافت و هو خاشع الرأس توشك عيناه أن تطفر بالدموع فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير لكن اللفتنانت (دى ليل) استمهلنى قائلا : أيسمح لى الكولونيل أن أخبره انّ مهمّتنا لم تنتهى حتّى الآن؟! ! قلت له : فتّشنا الدير كلّه و لم نكتشف شيئا مريبا فماذا تريد يا لفتنانت؟!... قال : انّى أرغب أن أفحص أرضيّة هذه الغرفة فان قلبى يحدثنى بأن السرّ تحتها .

عند ذلك نظر الرهبان الينا نظرات قلقة فأذنت للضبّاط بالبحث فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة فى أرض كل غرفة على حدة و كنّا نرقب الماء فاذا بالأرض قد ابتلعته فى أحد الغرف فصعق الضابط ((دى ليل)) من شدّة فرحه و قال : ها هو الباب انظروا فنظرنا فاذا بالباب قد انكشف كان قطعة من أرض الغرفة يفتح بطريقة ماكرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت الى جانب رجل مكتب رئيس الدير .

أخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق فاصفرّت وجوه الرهبان وعلتها الغبرة .

و فتح الباب فظهر لنا سلم يؤدى الى باطن الأرض فأسرعت الى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر كانت تضيء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين و لمّا هممت بالنزول وضع راهب يسوعى يده على كتفى متلطّفا و قال لى : يا بنى لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوّثة بدم القتال انها شمعة مقدّسة .

قلت له : يا هذا انه لا يليق بيدى أن تتنجس بلمس شمعتكم الملطخة بدم الأبرياء و سنرى من النجس منّا و من القاتل السفّاك ! ؟ ! و هبطت على درج السلم يتبعنى سائر الضبّاط و الجنود شاهرين سيوفهم حتّى وصلنا الى آخر الدرج فاذا نحن فى غرفة كبيرة مربّعة و هى عند هم قاعة المحكمة فى وسطها عمّود من رخام به حلقة حديدية ضخمة ربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها و أمام هذا العمود كانت المنصة التى يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش و القضاة لمحاكمة الأبرياء ثم توجّهنا الى غرف التعذيب و تمزيق الأجسام البشريّة التى امتدّت على مسافات كبيرة تحت الأرض رأيت فيها ما يستفزّ نفسى و يدعونى الى القشعريرة و التقزّز طوال حياتى .

رأينا غرفا صغيرة فى حجم الانسان بعضها عمودى و بعضها افقى فيبقى سجين الغرف العمودية واقفا على رجليه مدّة سجنه حتّى يموت و يبقى سجين الغرف الأفقيّة بها حتى الموت و تبقى الجثث فى السجن الضيّق حتّى تبلى و يتساقط اللحم عن العظم و تأكله الديدان و لتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة الى الفضاء الخارجى .

كان السجناء رجالا و نساءا تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة

و السبعين و قد استطعنا انقاذ عدد من السجناء الأحياء و تحطيم أغلالهم و هم فى الرمق الأخير من الحياة .

كان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبّوا عليه من عذاب و كان السجناء جميعا عراة حتّى اضطرّ جنودنا أن يخلعوا أردیتهم و يستروا بها بعض السجناء .

أخرجنا السجناء الى النور تدريجيّا حتّى لا تذهب أبصارهم كانوا يبكون فرحا و هم يقبّلون أيدى الجنود و أرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب و أعادوهم الى الحياة كان مشهدا يبكى الصخور .

ثم انتقلنا الى غرف اخرى فرأينا فيها ماتقعشرّ لهوله الأبدان عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب منها آلات لتكسير العظام و سحق الجسم البشرى كانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر و الرأس و اليدين تدريجيّا حتّى يهشم الجسم كلّه و يخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة و الدماء الممزوجة باللحم المفروم هكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين .

ثم عثرنا على صندوق فى حجم رأس الانسان تماما يوضع فيه رأس الذى يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه و رجليه بالسلاسل والأغلال حتّى لا يستطيع الحركة و فى أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام فى كلّ دقيقة نقطة و قد جنّ الكثيرون من هذا اللون من العذاب و يبقى المعذّب على حاله تلك حتّى يموت .

و آلة اخرى للتعذيب على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادّة كانوا يلقون الشاب المعذّب فى هذا التابوت ثم يطبقون بابه بسكاكينه و خناجره فاذا أغلق مزّق جسم المعذّب المسكين و قطّعه اربا اربا .

كما عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز فى لسان المعذّب حتّى تشد ليخرج اللسان معها ليقص قطعة قطعة و كلاليب تغرس فى أثداء النساء و تسحب بعنف حتّى تقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين.

وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذّبون و هم عراة حتّى تتفتّت عظامهم و تتناثر لحومهم)).

المراحل التى مرت بها مشكله الحريه فى الفكر الغربى

ندرك من خلال ما تقدّم ان هناك مفارقة جوهرية بين الحرية المدّعاة و المتصورة فى مخيلة أولئك و بين الحرية الواقعية التى ينبغى عرضها و تطبيقها فى مجالات الحياة المختلفة و الثورة الأوربية لم تأت بشئ جديد يجدر التمجيد و الاعتزاز به كما سنبيّنه لك عما قريب بقدر ما ساهمت فى خلق أجواء خانقة كبّلت الانسان بقيودها المذلّة و أرهقته بتبعاتها و مساوئها.

و قد لاحظنا كيف كان انبثاق هذا المفهوم المغاير للحقيقة و الفطرة و الواقع من حالة الصراع الاجتماعى الناتج عن الصراع الدينى الذى ساد اوربا فى أواخر القرن الثامن عشر، و امتدّ بعمق الى القرن التاسع عشر، وحتى يومنا هذا.

وعلى الرغم من تأصّل المساوئ فى الجهاز الكنيسى و تأديته الى خلق كثير من صور التردّى و الانحدار التكاملى لتاريخ المثل و القيم و المبادئ السلمية فقد برزت ظاهرة كان لها الأثر الأكبر فى التمهيد

للوعى العلمانى حول قضيّة الحرية فى اوربا تعبّر فى واقعها عن تصوّر مستميت بأحقيّة المنهج العقائدى للكنيسة فى ادارة دفة المجتمعات وكيان الدولة تحت شعار حركات اصلاح داخلى .

واتّخذت هذه الحركات وجه الحرية الفكرية حين قام مارتن لوثر يدعو الى طبع الكتاب المقدّس لجعله فى متناول الأفراد ظنّا منه انّ ذلك سيخلق فهما حقيقيا و مثمرا و قد خطا الى ذلك خطوة عملية حين قام بترجمة الكتاب المقدس من اللغة اللاتينيّة الى مختلف اللغات الأوربية و قد أدّى ذلك خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر الى ظهور طبقة من المفكّرين ممن أنكروا أن يكون ما يحتويه الكتاب المقدس شيئا منزلا كوحى من اللّه لكنهم فى الوقت ذاته لم ينكروا وجود اللّه سبحانه ، و قد عرف هؤلاء بالمؤلهين .

و كان أبرزهم الفيلسوف جون لوك .

و من أبرز سماته الفكرية الدعوة الى تحكيم العقل فى تفاصيل العقيدة الدينيّة و تصفية مبادئها من ظاهرة الدسّ و التزوير و البدع و الخرافات التى ملئت بها .

و أعلن آخر و هو (تولاند) ضرورة توضيح العقيدة وعدم استغلالها كوسيلة تأويل تعسفى بمعنى انه يعتقد أحقية ما فى الكتاب المقدس لكن القساوسة و الكرادنة هم الذين تسببوا فى خلق أجواء من الفهم المعاكس و المشوّه لحقيقة مضمون النص الانجيلى .

و قد لعبت كتابات (روسو) و(فولتير) و(ديدرو) دورا كبيرا فى التأثير على اتجاهات الفكر الأوربى و خاصة فى المجال السياسى منه و الدينى و أخذ الفكر الدينى الأوربى يتمحور فى بوتقة ميزان الانسان

و يتأطر فى دائرة كان له الأثر الأكبر فى تحديدها و رسم أبعادها ممّا جعله يلتصق به التصاقا أكثر من التصاقه الكهنوتى السابق ·

و لقد تميّز الفكر الأوربى على العموم بالنزعة العلمانية و الانسانية و استطاعت تيارات فكرية قوية أن تزعزع أركان البناء الفكرى و السياسى و الاجتماعى لأوربا فاذا بالداروينية تزعزع مكانة الانسان المركزية من الكون و تعتبره خاضعا لتطور طبيعى و اذا بالليبرالية تنادى بالحرية المدنيّة و السياسية ، و قام علم الاجتماع كدراسة موضوعية للظواهر الاجتماعية و فاجأت الماركسية أوربا و هى غارقة فى شتى الصراعات الطبقيّة و ظهرت شتى أنواع الديمقراطيات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية لتتبنى شتى الحقوق الفردية و الحريّات ·

و كان لنجاح الثورة الفرنسية أثر كبير فى تطوّر فكرة الحرية من الميتافيزيقا الى السياسة و الاجتماع اذ انها رفعت شعار الحرية ضمن شعاراتها الثلاثة و قد أتت هذه الثورة بمفهوم فصل السلطات و بذلك توفر للفكر الأوربى حريته الكاملة فى التعبير عن نفسه دون أيّة قيود ·

و بقيام الثورة الامريكية كرست الحريات الديمقراطيّة تكريسا نهائيا و ازداد بعد الانسان الأوربى و الامريكى عن أصوله التراثية وازداد فى الوقت نفسه التحاما بمشكلات الحياة اليوميّة التى تضاعفت بقيام الثورة الصناعية ·

و سيطر الفكر العلمى المتحرّر من اية أحكام سابقة على اوربا و امريكا و قام الايمان العلمى بالمنهاج و الملاحظة و التجربة ليحسم قضيّة الحقيقة و تفجّر الصراع الطبقى فى حركات تحررية واسعة اتجهت فى معظمها اتّجاها اجتماعيا خالصا فعرف العالم حركات عمّالية واسعة

تطالب بحقوق اجتماعية واضحة و قد اتّجهت هذه الحركات اتّجاهات مختلفة فكان منها الاشتراكى و الاجتماعى و الديمقراطى الاجتماعى ·

حتى اذا قامت الثورة الشيوعية فى نصف اوربا الشرقى هبت رياح لحريات تتبع مفاهيم مغايرة و كان للفروق الفردية الطبقية و الاجتماعية التى حمتها الديمقراطية الليبرالية أثرها فى تفجير هذا الصراع الاقتصادى و السياسى الذى عرفه العصر الحديث و تمثل هذا الصراع فى الشيوعية كتعبير عقائدى عن الاحساس بالفروق الطبقيّة و فى النازية التى كانت فى حقيقتها بمثابة ردة فعل اقتصادى على الاضطهاد الأوربى الامريكى لألمانيا الصناعية ·

غير ان العالم أدرك فيما بعد مدى خطورة التضييق على الحريات الاقتصادية فأطلقها باتجاه مفهوم النظام الحر معتمدا المنافسة المشروعة مبدأ له و ذلك تجنبا للحروب العسكرية التى كانت دائما حروبا اقتصادية فى حقيقتها الجوهرية ·

و لأجل ذلك قامت عصبة الأمم التى انتهت بالفشل الذريع نتيجة لتسلّط بعض الدول الكبرى على مؤسساتها ثم قامت منظمة الأمم المتّحدة المنبثقة من هيئة الأمم المتحدة لاعطاء الصيغ العملية للسلام العالمى الحقيقى لحفظ الكرامة و الحرية للانسان و احلال العدل و المساواة و دفع المظالم ·

و لكن كل هذه الأمور سرعان ما تبخّرت و أصبحت مجرد حبر على ورق ، وعاد تسلّط الدول الكبرى اميركا و روسيا و الصين و انجلترا و فرنسا و حلفائهم نكسة تهدد العالم بحرب عالمية ثالثة رهيبة و تندر بالخطر الحقيقى و من أقبح مظاهر ذلك التسلّط حق هذه الدول فى

نقض أيّ قرار يجمع عليه الأعضاء لادانة نظام وحشى لا انسانى مـــا كالنظام الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، و العنصرى فى جنوب افريقيـا و النظام الروسى الكافر الالحادى فى افغانستان المسلمة ، و الـــذى ذهب ضحية عدوانه أكثر من مليون شهيد حتى الآن و خمسة ملاييـــن مشرّد و آلاف الجرحى و المعوقين .

و بعد مرحلة الحربين العالميتين زاد التشدق بالتركيز علـــى الحرية الفردية و الاجتماعية كمطلب حيوى لكافة شعوب العالم و كورقـــة تلعب بها قوى الاستكبار لاخضاع تلك الشعوب المستضعفة يبعد مداه و يطول أمده مماترتب عليه عدم انسجام وحدة الفكر العالمى .

وعلى الرغم من المطالب المستميتة لاشاعة الحرية و تعميمها يقـف أمامها عقبة ضياع التفسير الواقعى لهذا المفهوم و كثرة الأقوال والمذاهب الشخصية فى تعريفه تؤدى بطبيعة الحال الى ضياع الحق بينها وخاصة فى جوّ لا يعتمد فى أسس تفكيره على عقيدة واحدة يستمد منها مبادءه .

و من البديهى أن يترتب على ذلك انقسامات فكرية و هذا ما حدث بالفعل فبين اتجاه أطلق الحرية الفردية فى جميع المجالات ، و خاصـة المجال الاقتصادى و بين آخر حصرها فى الحقوق الاجتماعية محـــاولا صياغتها اقتصاديا و اجتماعيا .

و انحدر الفكر الغربى من قمة الميتافيزيقا الى واقع الحيـــاة الاقتصادية التجريبى و باتخاذه سمة الدفاع عن قيم معينة محورها الحرية المدعاة انشق انشقاقا تاريخيّا شبه نهائى بين رأسمالية و اشتراكية و دار الجدل الطويل و الشاق بصفة أساسية فى مرحلة ما بعد تلك المرحلـــة حول المضمون الاجتماعى و الاقتصادى للحرية و رأى الماركسيـــون ان

الحرية فى المجتمعات الرأسمالية ليست الآ حرية الطبقة الرأسمالية وهذه الحرية أقرب الى كونها وهمية بالنسبة للطبقات الأخرى ذلك لأنها تعتمد على مبدأ (من لا حقوق له لا حريّة له) و رأى الرأسماليون ان الحرية التى أجهضها الماركسيون باسم وحدة الطبقة العاملة التى هى فى الحقيقة ديكتاتورية طبقة الادارة !!

و من خلال هذا الجدل الاقتصادى ـ السياسى استطاع تيّار فكرى غربى أن يعبر الى الانسان متجاوزا الاقتصاد الى الذاتيّة الانسانية و الهوية الجوهرية له فكانت الوجودية و كانت الحرية هى المقولة الأساسية لها و اذا بها توحّد بين القيمة المعيارية و القيمة الوضعية بحيث غدت الشرط الأساسى الذى لا غنى عنه لكل فعل و هو حرية الموجود الفاعل(١) قائله ان الفعل هو التعبير عن الحرية(٢).

و قد ظلّت مقولة الحرية تتخذ تعابير شتى فى الوجودية المعاصرة و خاصة عند سارتر متفاوتة بين القول بسبق الماهية على الوجود ، و بين القول بالمسؤولية و القلق و المغامرة و القرف حتى أسميت الوجودية بفلسفة الحرية.

و قد وضعت الوجودية صيغة واضحة للحرية فقالت : ان ما يتمتّع به الانسان من حرية فى اختيار هذا الشئ أو ذاك حينما يكون ازاء اختيار بين شيئين يجعل من المحال علينا أن نحدد منذ البداية الوجه الذى سيختاره و بالتالى لن يكون بوسعنا أن نحدّد ماهية للانسان

---

(١) الوجود و العدم لسارتر ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، ص٦٩٨.

(٢) نفس المصدر ص٧٠٠.

تسبق وجوده)(١).

وما زالت الوجودية هي التّيار الفكري السائد في الفكر الغربي والتي باتت تعبر عن التّفسير المعتقد لديهم عن الحرية الانسانية، الّا ان مفهوم الحتميّة الذي برز على أشد ما يكون في تعبير طرادية القوانين الطبيعية قد وضع هذه النزعة الانسانية للوجودية وجهًا لوجه أمام الحتميّة التي أسلمت الكنيسة للتيّار العلمي والفلسفي.

واذا كانت الحرية مجابهة بالحتميّة العلمية فإنها والحالة هذه تظل بعيدة المنال وقد كان لتسلّل الحتمية النفسية الى مباحث علم النفس الحديثة الأثر المباشر في اعادة النظر في مبدأ الحتميّة نفسه، فإذا كانت الحتميّة النفسية تعني ان كل نشاطنا الارادي متوقّف بالضرورة على حالاتنا النفسية السّابقة سواء أكانت وجدانية كالرغبات والأهواء، أم ادراكية كالتّصوّرات والأفكار(٢) فإن الحتميّة نفسها لا تصلح أساسًا علميًا.

فمنذ قرابة الأربعين عامًا قبل البرهان الرياضي القائل: ان الكسر لا يجبر وذلك في نوع من الحتمية الكميّة أما اداورد لوروى فقد قال بوضوح ان العالم هو الذى يخلق الواقعة.

وهكذا تسرب مبدأ اللاحتمية الى العلم الرياضي والطبيعي ومن ثمّ الى العلوم الانسانية وقد أعطى للانسان والكون بُعْدًا جديدًا أقرب الى الحريّة منه الى الحتميّة المقيدة غير أن مبدأ اللاحتمية هذا لم يوفر

---

(١) مشكلة الحرية فى الفلسفة الوجودية لسعيد عبد العزيز حباتر، ص٤٤.

(٢) مشكلة الحرية للدكتور زكريا ابراهيم ص١٢٤.

لنفسه الصيغ الفلسفية و العلميّة الكافية فظل طريح الذهنيات مفردية و لم يؤخذ به و لا حتّى في علم النّفس و ذلك لأن هذا العلم وغيره من العلوم الانسانية ما زال يتّخذ من العلم في نموذجه التقليدي الاستقراري مثالاً أعلى ·

و لكن ذلك لم يحل كليّاً دون أن تبرز الحرية كحالة سببية عقلية للذّاتية وعلى هذا فقد ذهب الفيلسوف الفرنسي الفرد فوايه إلى أنّ الحرية إنّما هي في أقصى ما تحقّقه الارادة من الاستقلال فتقرر بتأثير الفكرة المسيطرة على هذه الارادة بأنها انما تتمتّع بهذا الاستقلال بغية تحقيق هدف سبق أن تصورت فكرته باعتبارها مستقلة كارادة(١) ·

و خلاصة الكلام أنّ الوجودية تستقي مفهوم الحرية من فعل الانسان الّذي هو من الأمور الوجودية المشاهدة في الظّاهر و الذي يجسد طبيعة الحركة و الانتقال للإنسان و كافة التّصرفات و الأعمال و تنفي علاقتها بما وراء ذلك ·

و أما الحتميّة فانها تستقى مفهوم الحرية من المعانى المستقرّة فى داخل الانسان و تحتم خضوع مختلف تصرفاته السلوكية لحالاته النّفسيّة السّابقة سواء كانت غريزية فطرية أم فكرية كسبيّة ·

و الواقع ان هذين التّفسيرين مجرد سفسطة كلامية لا تتّصل بالمفهوم الواقعي للحريّة و الذي سيأتي الكلام عليه مفصّلا

و ذلك لأنّ الوجودية و الحتمية كما بيّناه لم تأتِ بشيءٍ له معنى أصلاً زائد على المعنى البديهيّ لها ، و إنّما هما أشبه شيء بمقولة و فسّر الماء بعد الجهد بالماء أو تفسير للشيء بنفسه ·

---

(١) مشكلة الحرية فى الاسلام لجميل منيمنه ج ٢ ص ١١٦ ·

و ذلك لأن كليهما مجرد حكاية لمظهر و صورة من معاني الحرية باضافة قَيْدَ ي وجود و حتم لاضفاء سمة الابتكار و العظمة و الانقلاب الفكري بل اٴكّد على عدم ارتباطهما بما نحن بصدده اطلاقاً لا من قريب ولا من بعيد و كلّ من تكلّف التّفصيل و التّفريع و تنكّب التّخبط في التّفسيرات العلمية أو صدّق بنصيبٍ لهذين المفهومين المُدْعَيَيْنِ في المجال العلمي فإنّما كان ذلك منه لقصور فهمه و جهله بالمعنى الذي تضمناه.

و جينئذٍ فلسنا مدعوّين للتعرض لهما بمزيد من البحث و التوسّع و ان كنّا قد نلزم بذلك في البحوث القادمة.



الاطروحات الخاصة بمفهوم الحرية في عصر النهضة الاوربية

لقد قامت النّهضة الأوربية كما مرّ مطالبة بالقضاء على أشكال التدخل العلني المباشر للدِّيْن و رجاله الّذين أساؤوا اليه بقدر ما تمكنوا من بسط سلطانهم به تحمل في طياتها مبادئ تنبع من دواعيها الأساسيّة الّتي دفعت بعجلتها و تتخذ فوق ذلك شعاراً يرمي إلى تطبيق تلك البرامج عن طريق اعلان الكفر بسلطة الدِّين و القائمين عليها فهي كما لا يخفى ثورة على الكنيسة المستبدة من أجل حق الانسان في التفكير و الحياة و باتساع حدود هذه النّهضة و آفاق الوعي برزت ظواهر ملفتة للنّظر تسترعي الانتباه ترسم حدود أبعادها و أسسها و قواعدها التي تعتمدها في سلوكها الجديد الثّائر على واقعه الكؤود وعقباته المرّة و في الواقع أن هذه الظّواهر تمثل الأطروحات الّتي تمخّضت عن تلك الثّورة و الّتي أكّدت عليها من خلال ممارستها الفعليّة في الحياة.

و ننقل إليك بعضها ليتسنّى لنا وضع النّقاط على الحروف مُشيرين الى مواضع الوهن و الاضطراب و الاختلال و وجوه الشّذوذ و الانحراف عن المنطق السّليم و الواقع العقلائي المتسالم عليه عند أهل الفطر الصّافية الحيّة الواعية اليقظة.

الاطروحة الاولى : العلمانية

و هي أوّل شعارات النّهضة الأوربية عند اعلان انطلاقها و بدئها لازالة كابوس الكنيسة الرّهيب و شبحها المقيت المظلم يطالب بتخلّي الدّين الّذي مثلته الكنيسة عن التّعامل مع الانسان بما هو عضو في مجتمع سياسي و يعلن بضرورة قيام الانسان بالبحث عن حلول لمشكلاته النّاشئة عن كونه يعيش في العالم الزّماني الموضوعي في مجال آخر غير الدّين هو الفلسفة و العلم انها حالة سلب الثّقة بتشريع السّماء و فرض واقعي لسلطة الانسان و ايمان بضرورة قيامه بصنع البدائل و الصّيغ الكفيلة بإدارة المجتمع و الدّولة و السّلوك ظنّاً منه بامكانية إدراك الحسن و القبح في طبيعة التّنظيم الملائم للحياة الانسانية و تعديل بنود القوانين المنظمة وفق هذه الضّابطة الّتي لا يمكن استقامتها من النّاحية العملية بوجهٍ و حالٍ من الأحوال حيث اختلاف الأهواء و الميول والعواطف و صور الاستنتاج و طبيعة التّفكير و درجات المعارف و لم يسبب ظاهرة المذاهب المنحرفة الاّ هذا النّمط العاصي و الخارج على أمره التكويني و تكليفة الطبيعي .

فكلّ حزبٍ بما لديهم فرحون يزيّن لهم الشّيطان أعمالهم و يمدّهم في طغيانهم يعمهون .

و الواقع انّ هذه النّظرة التشاؤميّة للدّين ليست بفكرة جديدة اتسمت بها النّهضة الأوربية فقط بل هي احياء لمذهب أكل الدّهر عليه

و شرب انّه مذهب أهل العقل الّذي ابتَدَأه علماء الاغريق و أبرزوه عن طريق علوم المنطق و الفلسفة و الحكمة و ما يتّصل بها و ادعوا عاصميتها للإنسان و امكانية اكتفائه بها و لهذا سرعان ما نشط الفلاسفة الألمان و الانجليز و الفرنسيون في خلال تلك الفترة الّتي حاولت الاستعاضة بالانسان في التشريع عن اللّه عزّ و جَلّ و لكن في هذه المرّة تنحى الفلسفة جانب المادة أكثر من اتجاهها الى الجانب الروحي والعقائدي المرتبط بالسّماء و هي بذلك تُكَوِّن أدنى الصّور الّتي يخطو فيها الانسان نحو المصير المجهول و الفناء الأبدي حيث ينفي الاعتقاد بالغيبيّات و آثارها و ضرورتها و تُعَد أقبح ظواهر الفكر الانساني و انحطاطه.

و قد صبّت النّهضة الأوربية جهدها في سبيل فصل الدِّين عن الدّولة فصل سلطان الكنيسة كحكومة تباشر السّياسة باسم اللّه عزّ و جلّ و الدّين و سلطة الدّولة كحكومة تباشر السّياسة باسم الانسان و باسم المجتمع.

و تصل في أقصى بُعْدٍ لها إلى التّركيز على خلق((نهجٍ حياتي يستبعد أيّ تأثير أو توجيه ديني على تنظيم المجتمع و العلاقات الانسانيّة داخل المجتمع و القيم التى تحتويها هذه العلاقات وترتكز عليها و من ثُمّ فالعلمانية نهج حياتي مادي تكوّن نتيجة لنموّ الفلسفات الماديّة اللادينيّة و هذا النّهج هو الرّوح المحركة و الموجهة في الحضارة الحديثة بجناحيها الرأسمالي و الماركسي)) (١).

و قد اتّخذ هذا الاتّجاه الالحادي كبديل عن الدِّيْن الّذي يتمثّل في الاسلام في الدّول الاسلامية التي تغلغل فيها النّفوذ المسيحي

(١) العلمانية للشيخ محمد مهدى شمس الدين بتصرّف ص ٧.

و ذلك عن طريق تغيير المعالم الفكرية الممتدة من عصر النّهضة الاسلامية الّتي شعّت أنوارها لتضيء العالم بأسره منذ انبثاقها عن يد الرّسول الكريم في الحجاز و الّذي وضع حجر الأساس لدعاماتها الأولى و رسم لها خطوطها العريضة الّتي سارت فيما بعد في ركابها لتصل الى أعلى مراحل الكمال البشري في الإبداع و التّصوير و التّصنيع و الابتكار مع مرور الأزمنة و تطاول الدّهور.

و قد عَمَدَ الاستعمار الأوربي لتنفيذ مخططاته الرّامية لاذلال و اخضاع المسلمين و خاصة شبابهم عن طريق طمس الحقائق الواقعية الّتي يقوم اسلامه عليها و خلق تاريخ يقوم على تمجيد دور المسيحيين في الأسهام الفعال في النهضة العالمية و معالمها الّتي أسهمت بنقلة تاريخية للبشرية في العصر الحديث.

و الايهام بتنافي الدِّين مع هذه الحالة الخيالية التي يتربع على عرشها الانسان الحديث و لذا فإنه يدفع بهم كما هو حاله بالنسبة الى المسيحيّة إلى الاستخفاف بالدِّين و أَنْ يُقْرِن في تفكيره تقدّم العلم والصّناعة برجعية الدِّين و ظُلْمَة عهده الّتي استوحاها من طبيعة الدّور الّذي لعبته الكنيسة في عهد سلطتها و حكمها.

و خلق الملابسات الّتي تستدعي الرّفض لأي صورة للإيمان الدِّيني أو العبادة الدّينية و الاعتقاد بأنّ الدّين و الشُؤون الاكليريكيه يجب أن لا تدخل في وظيفة الدّولة و بالأخص في مجال التّربية العامة و بالتالي ضرورة الارتباط بالفكر المؤسس لهذا المبدأ من خلال ايحائه بتفوّقه في هذا المجال عن طريق الخداع بالصّناعات المختلفة الّتي ابتكرها و قام بتصنيعها و تسويقها و ينتج عن هذا التّطوّر و الأدوار خضوع شامل

و استعمار متكامل بطريق غير مباشر كما حدث في مصر و غيرها من البلدان الاسلامية الّتي طبقت القانون الفرنسي بحذافيره و نصوصه.

و غير خافٍ ما في هذا الأسلوب الماكر من الخديعة و الوقيعة و الدهاء الماكر المستبطن لأهداف ذات مغازى و مرامى هدّامة لكيان الاسلام بالدرجة الأولى.

و لا نشك فى علمهم بعظمة الاسلام و شموخه و علوّه و سموّه على خرافاتهم و خزعبلاتهم و ذلك لأنّ الاسلام لم يقُم بأدوار الكنيسة و جرائمها لكي يتحمل تبعاتها فيمارس المسلمون في حقّه الأمر الّذي مارسه المسيحيّون في حقّ دينهم و سلطته القائمة عليه بل كان الاسلام كما يعلم الجميع ومضةَ سعادةٍ أضاءت فأشعّت بنورها الوهّاج الكون بأسره و دفع بما أوتي من شمول و ثوران ودعامات متينة عجلة التقدّم و الازدهار الحضاري بشكلٍ رهيب يبعث على الاعجاب و الاعتزاز و الفخر حيث أسّس حضارته العظيمة الشّامخة في تاريخ البشرية الحافل بالعطاء و المجد و الرقي قرابة الألف عام و الّتي كان لها الأثر البالغ في اعطاء الزّخم القوي للنّهضة الأوربية في مجال العلوم الصّناعية و الطبيعيّة و الفلكيّة و نحوها و وصولها في زمن يسير الى مراحل متقدّمة بالغة النموّ و الرقي حيث اعتمد الأوربيون على كتب المسلمين الّتي خلفوها في أعظم محاضرهم العلمية في الأندلس و ذلك بعد ترجمتها الى اللاتينية و التي أضحت مراجع للتّدريس و الانتفاع و التّطبيق كما عرفوا التّنظيم الجامعي و العلمي من خلال ما خلفوه من المرافق العلمية و الجامعات الفكرية و نرجئ المزيد من التّفصيل الى كتاب "علومنا" حيث نستعرض هناك بالتّفصيل حقيقة هذا الدّور و مراحله و عظمة العلم في الاسلام و خدماته

و العلوم التي أسّسها المسلمون و كان لها الدّور الرئيسي في خلق حضارة الانسان مهما تقدّمت به الأزمنة و تعدّدت به البقاع و الأمكنة ٠

و الّذي نسترعي الانتباه إليه أقوال رجالات الغرب و الشرق و زعاماتهما المفصحة عن حقيقة تلك العظمة و القوّة و الامتيازات التي يتفوّق بها الاسلام على نظائره من اليهوديّة و المسيحية و عدم القدرة على اخضاعه و اذلاله في جوّ يسود فيه نظامه و تشيع في وسطه مفاهيمه و معالمه و أسسه و ينعم ببركاته معتنقيه ٠

يقول صموئيل زويمر في كتابه الغارة على العالم الاسلامي :إنّ أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم و شخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني(١)٠

و يقول مرماديوك باكتول :

انّ المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا بشرط أن يرجعوا الى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصّمود أمام روح حضارتهم(٢)٠

و هناك قول آخر لصموئيل زويمر المتقدم والّذي كان رئيسًا لجمعيّات التّبشير في مؤتمر القدس للمبشّرين المنعقد عام ١٩٣٥ م حيث ذكر في كلمته التّوجيهية للحضور ما نصّه :

انّ مهمة التّبشير الّتي ندبتكم الدّول المسيحيّة للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحيّة فإنّ في هذا هداية

---

(١) ص ١١ ٠

(٢) جند اللّه ص ٢٢ ٠

لهم و تكريمًا .

ان مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له باللّه و بالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها و لذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى في الممالك الاسلامية لقد هيّأتم جميع العقول في الممالك الاسلامية لقبول السّير في الطريق الّذي سعيتم له أَلَا وَ هُوَ اخراج المسلم من الاسلام انكم أعددتم نشأً لا يعرف الصّلة باللّه و لا يريد أن يعرفها أخرجتم المسلم من الاسلام و لم تدخلوه في المسيحية و بالتالي جاء النّشىء الاسلامي مطابقًا لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور و يحبّ الرّاحة و الكسل و يسعى للحصول على الشّهوات بأيّ أسلوب حتّى أصبحت الشّهوات هدفه في الحياة فهو ان تعلّم فللحصول على الشّهوات ،و اذا جمع المال فللشّهوات و اذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشّهوات انّه يجود بكل شيء للوصول الى الشّهوات أيّها المبشّرون إنّ مهمّتكم تتمّ على أكمل الوجوه(١) .

و يُضَاف الى ذلك قول للمبشّر تكلي جاء فيه :

يجب أن نشجّع المدارس على النمط الغربي العلماني لأنّ كثيرًا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالاسلام و القرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية و تعلّموا اللغات الأجنبية(٢) .

و يقول زويمر : ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحيّة فلابدّ أن ننشىء لهم المدارس العلمانية و نسهل التحاقهم بها هذه

(١) جذور البلاء ــ ص ٢٧٥ .

(٢) التبشير و الاستعمار ص ٨ .

المدارس الّتي تساعدنا على القضاء على الرّوح الاسلاميّة عند الطّلاّب (١)

و يقول آخر يدعى جب :

((لقد فقد الاسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعيّة وأخذت دائرة نفوده تضيق شيئًا فشيئًا حتّى انحصرت في طقوس محددة و قد تمّ معظم هذا التّطوّر تدريجيًا عن غير وعي و انتباه و قد مضى هذا التّطوّر الآن الى مدى بعيد و لم يعد من الممكن الرّجوع فيه لكن نجاح هذا التّطوّر يتوقّف إلى حدٍّ بعيدٍ على القادة و الزّعماء في العالم الاسلامي وعلى الشّباب منهم خاصة كلّ ذلك كان نتيجة النّشاط التعليمي والثّقافي العلماني)) (٢).

و يفصح أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م عن طبيعة السّياسة الّتي تنفذ في أقطار المسلمين وعلّة غزو الصّناعات الأوربية للدّولة الاسلامية و التّأكيد على تواجدها و انتشارها فيأسواقهم بمزيدٍ من الكشف و التّوضيح حيث يقول :

« إن الخطر الحقيقى الّذي يهدّدنا تهديداً مباشرًا عنيفًا هو الخطر الاسلامي (و يتابع) :

فلنعطِ هذا العالم ما يشاء و لنقوِّ في نفسه عدم الرّغبة في الانتاج الصّناعي و الفني فاذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة و تحرّر العملاق من عقده عجزه الفني و الصّناعي أصبح خطر العالم العربي و ما وراءه من الطّاقات الاسلاميّة الضّخمة خطرًا داهمًا ينتهى به الغرب و ينتهي معه

---

(١) الغارة العالم الاسلامى ص٨٢.

(٢) الاتّجاهات الوطنية فى الأدب المعاصرج ٢ ص٢٠٤ ـ ٢٠٦ تأليف محمد حسنين.

دوره القيادي في العالم(١).

وأخشى ما يخشون منه سقوط دفة الحكم في بلاد المسلمين في يد قادة محنكين أقوياء متمسّكين بالدِّين الاسلامي وبصدد ذلك يتحدث المستشرق البريطاني مونتجومري وات في جريدة التايمز اللندنية في آذار من عام ١٩٦٨م.

اذا وجد القائد المناسب الذي يتكلّم الكلام المناسب عن الاسلام فإنّ من الممكن لهذا الدّين أن يظهر كاحدى القوى السّياسية العظمى في العالم مرّة أخرى(٢).

وقد أثبت الواقع صدق هذه المقولة وبداهتها وها هي ايران الاسلام بقيادتها الفذّة الصّلبة والفريدة في عالمنا الاسلامي تقف شامخة في وجه القوى الكبرى الشّرقية والغربيّة وتمثل أطروحة قوة عظمى ثالثة تهدد كيان التيارات المنحرفة في العالم بأسره لما أحدثته من دويٍّ وصدىً ارتجت له العروش المصطنعة والاتّجاهات الضّالّة المتحكمة على رقاب الشعوب بالقهر والحديد.

وهناك أقوال أخرى لمفكريهم وساستهم يضيق المجال بحصرها ونطاق البيان عن عرضها والاسترسال بذكرها لكن نكتفي بالمهم منها ممّا يشعر بإحساسهم العميق بواقعية الاسلام وأحقّيته في التّطبيق وقابلية تحكيمه في مجال الحياة الواسع حسبما أورده جلال العالم في

---

(١) جند اللّه ص٢٢.

(٢) الحلول المستوردة ص١١.

كتّيب عقده لخصوص هذا الموضوع (١).

فمما سجله التاريخ قول للورنس براون:

((ان الاسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي))(٢)

و قول لغلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقاً: ((مادام هذا القرآن موجوداً في أيدى المسلمين فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشّرق)) (٣).

و قول للحاكم الفرنسي في الجزائر نطق به في ذكرى مرور مأة سنة على استعمار الجزائر:

اننا لن ننتصر على الجزائريين مادامو يقرأون القرآن و يتكلّمون العربية فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم و نقتلع اللسان العربي من ألسنتهم(٤).

و يشاطر المسيحيين هذه النقمة و العداء الأصيل الماركسيون الملحدين فقد جاء في افتتاحية عدد ٢٢ ايار عام ١٩٥٢ من جريدة اكيزيل اوزباخستان الجريدة اليومية للحزب الشيوعى الاوزباخستاني حيث

---

(١) و قد عنونه باسم((قادة الغرب يقولون دمّروا الاسلام أبيدوا أهله)) و هناك عشرات الكتب من الّتي تتحدث عن الخطر الصهيوني و اليهودي و المسيحي و طبيعة المطامع التى يكنّها هؤلاء لبلاد المسلمين وخيراتهم وهي في متناول الجميع يجد فيها القارئ الأساليب الخفيّة و البرامج الهادفة الّتي تحاك ضدّه في الخفاء من أجل ضعضعته و تدميره.

(٢) التّبشير و الاستعمار ص ١٨٤.

(٣) الاسلام على مفترق طرق لمحمد أسد ص ٣٩.

(٤) المنار العدد التّاسع لسنة ١٩٦٢.

ذكر المحرّر ما يلي :

من المستحيل تثبيت الشّيوعية قبل سحق الاسلام نهائيًّا (١) .

و يقول أحد المبشّرين :

ان القوّة الكامنة في الاسلام هي الّتي وقفت سدًّا منيعًا في وجه انتشار المسيحيّة و هي الّتي أخضعت البلاد الّتي كانت خاضعةً للنصرانية(٢) .

و صرح اشعيا يومان في مقالة نشرها فى مجلة العالم الاسلامي التبشيرية : لم يتّفق قط ان شعبًا مسيحيًا دخل في الاسلام ثُمّ عاد نصرانيًا (٣) .

الى غيرها من الأقوال الّتي سيأتي ذكرها في مواضع أخرى من موسوعتنا هذه .

و من خلال العرض الّذي قدّمناه لك يتبيّن لنا كيف كانت العلمانية مشكلة أوربية كنيسية محضة لا علاقة لها بالاسلام في أساسها و نشأتها من حيث موطنها و وسطها الّذي تمخضت عنه سواء أكان من النّاحية البشرية و الحضارية أو من حيث المعطيات السّياسية و الاجتماعية والفكرية و الدّينية و الرّواسب الفكرية الّتي تخلفت و انبثقت من خلالها .

و حينئذٍ يتضح انّها ليست مشكلة اسلامية و لا تمت له بصلة ((لا على مستوى الدِّين و لا على مستوى السّياسة و لا على مستوى المجتمع و لا على مستوى الحضارة و آية ذلك انّنا لا نستطيع الحديث عن

---

(١) الاسلام و التنمية الاقتصادية ـ جاك اوسترى ـ ص٥٦ .

(٢) جذور البلاء ص٢٠١ .

(٣) التبشير و الاستعمار للخالدى و فروخ ص١٣١ .

العلمانية و بحثها بدون الحديث عن اوربا مجتمعاً و سياسةً و ثقافةً و ديناً و بدون الحديث عن الكنيسة سلطةَ سياسية و ثقافيةً و دينيةً و اجتماعيةً بينما نستطيع أن نتحدث عن العلمانية دون أن يرد للإسلام ديناً و حضارةً أي ذكر على الاطلاق بل أن اقحام الاسلام في الحديث عن العلمانية يفسد البحث و يخرج به عن العلمية و المنهجية لأنّ لا علاقة للإسلام بذلك فيكون حديثاً عن موضوع شديد الغربة عن العلمانية في بحثٍ مخصصٍ لها .

لقد ولدت العلمانية من خلال الصّراع بين الكنيسة و بين عالمها فهل تتوفّر هذه المعطيات في داخل الإسلام و عالمه لتبرر علمنة الدولة في العالم الاسلامي أو أنّ علينا لنتوحد مع الغرب ان نفترض في عالم الاسلام مشكلة غير موجودة في الأساس ثم نفرض على واقعنا السّياسي و الثقافي و الاجتماعي حلاً طبقته اوربا لمشكلة عانت منها في الحياة اليوميّة و العامة طيلة قرون؟)) (١) .

و الجواب على هذا الاستفسار الذي يفرض نفسه في واقع حياتنا المعاصرة يأتي الكلام عليه مفصّلاً في كتاب حكومتنا إن شاء اللّه تعالى .

---

(١) العلمانية للشيخ محمد مهدى شمس الدين ص ١٦٠ .

الاطروحة الثانية : الديمقراطية

لقد كان مفهوم الديمقراطية هو أوّل دعامات الانقلاب الذي أطاح بسلطة الكنيسة و ألغى نفوذها و مختلف أشكال برامجها في المجتمع كبديل عن سلطة اللّه عز و جل الّتي نُفِّذَت عن طريق الكنيسة بتصوّرهم الخاطئ وعنوا به كما يفهم ممّا قدمنا كون النّاس مصدر التّشريع والتّنفيذ في وقت واحد فهي تعني عدم وجود ظاهرة حكم تنبع من جهة على أخرى فالنّاس يحكمون أنفسهم بأنفسهم فلا تحكم و لا إعمال سلطة أو نفوذ ، فالحريّة الّتي هي للفرد أصلاً هي الجوّ المسيطر في سياسة الحكم المقترحة و هي الّتي بيدها مصير السّلطة الحاكمة فمصدر الولاية للجهاز المتسلّط على مهام الدولة يستمدّ ولايته و مبرر نفوذه من النّاس أنفسهم وعلى أساس عقد اجتماعي يستند إلى تلك الولاية و دعوى المصلحة الاجتماعيّة قام به الناس جميعًا و اتّفقوا فيه على قوانين معينة كما اتّفقوا فيه على اختيار منفّذين لتلك القوانين و نتيجة لذلك تكون الحكومة في الدولة الّتي تتبنى النّظام الديمقراطي غير مالكة في الأصل و لا تشارك في الملك و لا تحكم بل هي جهاز مُنظِّر يُؤدّي دور الخدمات لا غير يتولّى الاشراف على تنفيذ المقرّرات الّتي يختارها النّاس انطلاقًا من حرياتهم في مجال التّفكير و اختيار انماط التّوجّهات السّياسيّة و التّصرّف بالمال و طبيعة تداوله و موارد صرفه و طرق الحصول عليه و تؤكد من خلال ذلك كلّه على وجود الفرد و تأكيد جانب حريّته أولاً بحيث لا يعرف وجودًا آخر

بجانبه كوجود المجتمع أو وجود الدّولة يستبدّ بوجوده و يخضعه أو يلغيه.

و نظرًا للمساوئ الوخيمة الّتي قد تنجم من جراء إطلاق عنان تلك الحريّة الفردية و النّتائج العكسية الطّبيعية فقد وضع النّظام الدّيمقراطي كي يصون وجود الفرد و حريّته من عواقب ذلك الافراط نظام القضاء وخوّل له حقّ الفصل فى مجالات التّصادم و التعارض فى الحريّات يفرض مقرّراته على الافراد المتضاربة جهات حريّاتهم المختارة لديهم لتلافى المشكلة.

و لذلك يعنى باستقلال القضاء تمام العناية لأنه في نظره صمام الأمان في بقاء النّظام الدّيمقراطي نفسه.

و المتتبّع للقضايا الّتي تطرح في ساحة القضاء تلك يدرك المهزلة و الامتهان لانسانيّة الانسان و نزوعه عن حقيقته و مسؤوليّة دوره في الحياة و ضياع الكرامة لأنّ الحكم فيها بالأهواء و حريّة اصطفاء المقرّرات و الّتي تضحك في كثيرٍ منها الثُّكْلَى و لا حاجة بنا إلى سرد أمثال لها لكن نحيل القارئ الكريم الى النّظر في أخبار القضاء و الّذي تطالعنا به الصّحف يوميًا و خاصة في مجال الأحوال الشّخصيّة.

و على كلٍّ فالمتمعن لهذا المذهب الجديد يدرك من أول وهلة مجال السّلبيات الواسع و الكبير فيه و استحالة الأخذ به على جهة التسليم المبدئي لما يرد عليه من النّقوض و الاشكالات.

و في الوقت الّذي تطرح فيه هذه الاشكالات تلاحظ خروج أجوبة أنصار الدّيمقراطية عن دائرة المصلحة الحقيقة المفترض تحقّقها على أثر تطبيق هذا النّظام و حينئذٍ فالحري بنا أن نصفها بأنها مصادرة على المطلوب.

و من ذلك على سبيل المثال ان الدّيمقراطية لا تستطيع أن تضمن رضا النّاس جميعًا و العمل بمقتضى آرائهم فَقَلّ ما يحصل اجماع شعبي على قضيّة معيّنة فهي اذن تأخذ برأي الأكثرية و هو يعني بالتّالي سحق حق الأقليّة و ادخالها تحت نير حكم الأكثرية رغمًا عنها ولو كان الفارق قليلاً بالنسبة المئوية كما لو كانت نسبة الأكثرية تقدر بستين بالمائة و الأقلية تقدر بأربعين بالمائة و هو أمر يرفضه الوجدان.

نجد في قبال ذلك طبيعة الرد في جواب أنصار الديمقراطية في دفع هذا الجانب السّلبي بنمط فارغ من المحتوى الأساسي للدعامات المفترض ابتناء هذا المذهب عليها و هي كما سبق اثنتان (الأولى) استمداد الولاية للجهاز الحاكم من النّاس أنفسهم (و الأخرى) تحقيق المصلحة الاجتماعية الّتي تعبر عن حكم النّاس لأنفسهم حيث يجيبون عنه بهذا الجواب :

ان حصول اجماع تام بين الأفراد على قضية أساسية هي (مبدأ الأخذ برأى الأكثرية) و الالتزام النّاتج من التعاقد على هذه القضية هو المبرّر الوجداني لدخول الأقلية تحت حكم الأكثرية و آرائها رغم اختلاف رأيها و انفرادها عنهم به.

و يتفرّع على ذلك إشكال آخر و هو أن وجود أقليّة في المجتمع الدّيمقراطي لا توافق على هذا المبدأ الأساسي مبدأ الأكثرية و لنفترض انهم من المؤمنين بِدِيْنٍ لا يُؤْمِن بهذا المبدأ من أساسه كما هو حال بعض المسلمين في بعض الدول الأوربية كفرنسا الذى يعدّ فيها الاسلام الدّين الثّاني في الدّولة بعد المسيحيّة و إن لم يعترف بوجوده رسميًّا.

أو أنهم يرون هذا خلاف مصالحهم كأمثال سائر التيارات السّياسية

الّتي تتبنى أفكارًا خاصة مغايرة أو لأيّ سببٍ آخر فما هو الموقف تجاه هؤلاء؟ أفهل يتركون على حريتهم يفعلون ما يشاؤون لأنهم لم يكونوا طرفًا في العقد الاجتماعي القائم فليسوا ملزمين تجاهه بشيء أم يجبرون على الالتزام بالقوانين الّتي أنتجها العقد الاجتماعي و لنأخذ الأحوال الشّخصية كأحسن الأمثلة في هذا المجال و الّتي يتخبط فيها المذهب الديمقراطي تخبطًا عشوائيًا يعبر عن حالة الضّياع و الانحراف التّامّيْنِ عن ادراك المصلحة الحقيقية و الواقعية لاحتياجات الأفراد في الوسط الاجتماعي فهل يتناسب ذلك مع روح التّشريع الّذي يدين به المسلمون في بلدٍ مثل فرنسا لكي يحتمل قبولهم للقوانين الّتي ينتجها العقد الاجتماعي و من ذلك نقطع بأنه أمر يرفضه الوجدان العملي و التطبيقي بحسب ما ندركه و نستوحيه ·

و يجيب أنصار الديمقراطية بجواب أكثر بعدًا عن السّعي لاحلال المبادئ المعتمدة و المدّعاة من سابقه بقولهم :

ان هذا الأمر لا يشكل عقبة في وجه الديمقراطية و ذلك ((لأن رفض هؤلاء الاشتراك في العقد الاجتماعي يجعلهم بمعزل عنه وكالغرباء بالنّسبة للوسط الاجتماعي الّذي وافق بالاجماع على مبدأ الأكثرية فقامت في اطاره الحكومة الدّيمقراطية الّتي تعتبر أطراف العقد هم وحدهم المواطنين فإذا ما فضّل الرافضون الغرباء بكل حرية العيش في هذا الوسط الاجتماعي فذلك يعني انّهم اختاروا امضاء العقد و الالتزام بنتائجه حيث تكون الاقامة علامة الرّضا إذ تمّت في جوٍّ حُرٍّ)) (١) ·

و أخيرًا ندرك بوضوح انّه لا موقع للدّين الاسلامي بمعناه المستقيم

---

(١) أساس الحكومة الاسلامية للسيد كاظم الحائري ص٢٦ ·

والحى النابض بالتّوجيه الرّابط لشؤون المسيرة الانسانية في سلوكها وعقيدتها ومبدئها باللّه تعالى الخالق لهذا الكون تشريعًا وتنفيذاً في هذه الأطروحة الّتي تمنح حقوق التّشريع والتّنفيذ بكافة أشكالها ومجالاتها للنّاس ولا يبقى أيّ مجال لتدخل السّماء في تسيير دفة الحياة الاجتماعيّة ورد ع مساوئ التّصرّفات الفردية ونؤجل استعراض المزيد من السلبيّات والتهافت في هذا المذهب المستهتر بكرامة الانسان وكيانه الى كتاب حكومتنا لأولويّة التعرّض لها هناك ٠



الاطروحة الثالثة : الرأسمالية

الرأسمالية هي الأخرى امتداد طبيعي متولّد عن الدّيمقراطية الخاوية الجوفاء و تعني الحرية الفردية في ممارسة المال و النّشاط فيه و لكنها على الرّغم من هذا الشّعار البرّاق تؤدي بما تحمله في طياتها من أسس و برامج الى طغيان المال فعلاً و السيادة به على منافذ المجتمع كلّها فتحترم في الفرد السعيد الحظ أنانيته فتضمن له حرية الاستغلال و النّشاط في مختلف الميادين و اشباع دوافعه الذّاتية مستهترةً بما سوف يصيب الآخرين من حيف و ظلم نتيجة لتلك الحريّة الّتي أطلقتها لذلك الفرد ما دام الآخرون يتمتّعون بالحرية مبدئيًّا كما يتمتّع بها الفرد المستغل و يبلغ الطّغيان المتفاقم في هذه الأطروحة الى حدّ اسعاد القلّة على حساب شقاء الكثرة حيث انّها لا تعرف قربى في الانسانية بل تعرف تجميع الرّبح من عمل الانسان الكادح في سبيل حصوله على لقمة العيش تاركةً له العُسْر في يومه و القلق في غده و الحقد من أجل جهده و المذلة بسبب حرمانه من المال و حرمانه من مبادلة الأحاسيس الانسانية .

و من أبرز ما ترتكز عليه الرّأسمالية أركان رئيسية ثلاثة :

(الأول) الأخذ بمبدأ الملكية الفردية بشكل غير محدود .

(الثّاني) فسح المجال أمام كل فرد لاستغلال ملكيته و امكاناته على الوجه الّذي يروق له .

(الثّالث) ضمان حرية الاستهلاك و الاستغلال ·

و يستفاد من هذه المقومات الأساسية على أن حجر الأساس في المذهب الرّأسمالي هو حرية الانسان في الحقل الاقتصادي بمختلف مجالاته من تملّك و استغلال و استهلاك فالحرية بأشكالها المتنوّعة هي الأساس الّذي تنبثق منه كل الحقوق و القيم المذهبية ، الّتي تنادي بها الرّأسمالية ، بل ان القوانين العلمية للإقتصاد الرّأسمالي نفسها ، ليست الاّ تفسيرًا للواقع الموضوعي المتجمد في اطار هذه الحرية ·

و اذا كانت فكرة الحرية هي الجوهر و المحتوى الأساسي للرأسمالية المذهبية فيجب عند دراسة المذهب الرأسمالي ، نَقْدُ هذه الفكرة و تحليلها ، و درس بذورها الفكرية ، و ما ترتكز عليه من أفكار و قيم ·

أول سؤال يقفز الىَ مجال البحث : لماذا يجب أن يقام المجتمع على أساس الحرية الاقتصادية؟ و كيف نشأ حق الانسان فيها ، الأمر الّذي تؤكد عليه الرأسمالية المذهبية ، و ترفض الاعتراف بأيّ تحديد أساسيٍ له؟

و يجب أن نعرف في سبيل الاجابة على هذا السّؤال : أن الحرية في التّفكير الرّأسمالي ترتبط عادةً بعدة أفكار و قيم ، تستمدّ منها وجودها المركزي في المذهب و صفتها كضرورة اجتماعية أو انسانية للكيان البشري ·

فهي تارة : ترتبط بالفكرة القائلة بالتّوافق بين مصالح الفرد الّتي يندفع الى تحقيقها بدوافعه الذّاتية ، و مصالح المجتمع الّتي يتوقّف عليها كيانه العام ، فإن مصالح الفرد و المجتمع إذا كانت متوافقة ، فليس على المذهب الاجتماعي الذى يستهدف ضمان الصّالح الاجتماعي ، اِلّا أن يطلق الحرية للفرد ، و يفسح المجال لدوافعه الذّاتية أن تقوده الى

تحقيق مصالحه الخاصة ، الّتي تؤدي بصورة آليّةٍ إلى توفير المصالح العامة فالحرية على أساس هذه الفكرة ، ليست الا أداة لتوفير تلك المصالح العامة وضمان ما يتطلبه المجتمع من خيرٍ ورفاه ، و بصفتها أداة لذلك تكون جديرة بمركزها القاعدي فى المذهب .

و هي تارة أخرى : ترتبط بفكرة تنمية الانتاج ، و ترتكز على الرأي القائل : أن الحرية الاقتصادية هي أفضل قوّةٍ دافعة للقوى المنتجة ، و أكفأ وسيلة لتفجير كلّ الطّاقات و الامكانات و تجنيدها للانتاج العام ، و بالتالي لمضاعفة الثّروة الاجتماعية في البلاد ، و مردّ هذا في الحقيقة الى الفكرة الأولى ، لأنه يعبر عن جانب من جوانب الصّالح العام ، و هو توفير الانتاج الاجتماعي الّذي يمكن تحقيقه عن طريق الحرية .

و هناك فكرة ثالثة : يرتبط بها مفهوم الحرية الرأسمالية ، و هي فكرة ذات طابع خلقي خالص ، يستعمل الرأسماليون عادة فى التعبير عنها عبارات غائمة ، أو غير واضحة كل الوضوح ، فيكرّرون القول : بأن الحرية بوجه عام حق انساني أصيل ، و تعبير عملي عن الكرامة البشرية ، وعن سعور الانسان بها ، فليست هي مجرد أداة للرّفاه الاجتماعي ، أو لتنمية الانتاج ، و انما هي تحقيق لانسانية الانسان ، و وجوده الطبيعي الصّحيح .

و من الواضح أن القيمة المذهبية للحرّية الاقتصادية ، على أساس الفكرتين الأوليتين ، قيمة موضوعية ، مردّها الى النّتائج و الآثار الّتي تؤدي اليها في واقع الحياة ، و أما على أساس الفكرة الثّالثة ، فالحرية بوجه عام — الّتي تعتبر الحرية الاقتصادية جانبًا منها — قيمة ذاتية يمليها شعور الانسان بكرامته و انسانيته .

هذه هي الأفكار الّتي تبرر الرّأسمالية عادة عن طريقها مفهومها عن الحرية ، و ضرورة اعتبارها قاعدة في التّصميم الاجتماعي الّذي يدعو اليه المذهبيون.

فهي : وسيلة لتحقيق المصالح العامة .

و هي : سبب لتنمية الانتاج و الثّروة العامة .

و هي : تعبير أصيل عن الكرامة الانسانية و حقّ الانسان في الحياة .

***

و الآن و بعد أن استعرضنا الأسس الفكرية لفكرة الحرية الاقتصادية ، يجب أن نتناولها بالدّرس و التّمحيص .

أ ـ الحرية وسيلة لتحقيق المصالح العامة

ترتكز هذه الفكرة : على أساس الايمان بأن الدّوافع الذّاتية تلتقي دائمًا بالمصالح العامة و الرّفاه الاجتماعي ، إذا توفرت الحرية في المجال العملي لجميع الأفراد ، فإن الانسان في المجتمع الحر يسعى الى تحقيق مصالحه الخاصة ، و الّتي تؤدي في النّهاية الى توفير المصالح العامة .

وعلى هذا الأساس خُيّل للاقتصاديين الرأسماليين في بادئ الأمر : أن ضمان سعادة المجتمع و مصالحه ليس بحاجة الى القيم الخلقية و الرّوحية ، و تغذية النّاس بها ، لأن كل انسان ـ وحتى من لا يعرف شيئًا من تلك القيم ـ يسير طبقًا لمصلحته الخاصّة ، اذا كفلت له الحرية في المجال العملي . و هذه المصلحة نفسها تواكب مصلحة

المجتمع ، و تتفق معها في نتائجها ، و ان كان الفرد مدفوعاً نحوها بدافعٍ خاص ، و هكذا يمكن للمجتمع أن يستغني عن الخدمات الّتي تقدمها القيم الخلقية و الرّوحية ، و يصل الى مصالحه بالطّريقة الرّأسمالية الّتي توفر لكل فرد حريته ، و تمنحه القدرة على تقدير موقفه في ضوء مصالحه الخاصّة ، الّتي تلتقي في آخر الشّوط بالمصالح العامة .

و لهذا السّبب كانت الحرية الّتي تنادي بها الرّأسماليه ، مجرّدة من كل الاطارات و القيم الخلقية و الرّوحية ، لأنها (حرية) حتى في تقدير هذه القيم ، و لا يعني هذا أن تلك القيم لا وجود لها في مجتمع رأسمالي ، و انّما يعني أن الرّأسمالية لا تعترف بضرورة هذه القيم لضمان مصلحة المجتمع ، و تزعم امكان الاستغناء عنها عن طريق توفير الحرّيات للأفراد ، و ان كان النّاس أحراراً في التّقيّد بتلك القيم و رفضها .

و يذكر أنصار الرّأسمالية في سياق الاستدلال على ذلك أن الحرية الاقتصادية تفتح مجال التّنافس الحر بين مختلف مشاريع الانتاج ، وصاحب المشروع — في ظل هذا التّنافس الحر الّذي يسود الحياة الاقتصادية — يخاف دائماً من تفوق مشروع آخر على مشروعه و اكتساحه له ، فيعمل بدافع من مصلحته الخاصة على تحسين مشروعه و الاستزادة من كفاءاته ، حتى يستطيع أن يخوض معركة السّباق مع المشاريع الأخرى ، و يصمد في أتون هذا النّضال الأبدي ، و من أهم الوسائل الّتي تتخذ في هذا السّبيل ، ادخال تحسينات فنية على المشروع ، و هذا يعني : أن صاحب المشروع في المجتمع الرّأسمالي الحرّ يظل دائماً يتلقف كل فكرة أو تحسين جديد على الانتاج ، أو أيّ شيء آخر من شأنه أن يمكنه من الانتاج بنفقة أقل ، فاذا أدخل هذه التّحسينات ، فإنه لا يلبث أن يرى باقي المشروعات قد

لحقت به ، فيبدأ مرة ثانية في البحث عن فكرة أخرى جديدة ، حتّى يحتفظ بأسبقيته على سائر المشروعات ، وجزاء من يتخلّف في هذا السباق هو افلاس مشروعه ، فالمنافسة الحرة في النّظام الرّأسمالي سيف مسلّط على رقاب المُنْظِمِيْنَ ، يطيح بالضّعيف والمهمل والمتكاسل ، ويضمن البقاء للأصلح ، وواضح أن هذه المنافسة تؤدي الى مصلحة المجتمع ، لأنها تدفع الى الاستفادة الدائمة بنتاج العقل العلمي والفنّى ، واشباع الحاجات الانسانية بأقل نفقة ممكنة .

فلا ضرورة — بعد هذا — الى إرهاق صاحب المشروع بتربية خلقية معيّنة ، وترويضه على القيم الرّوحية ، أو ملء أذنيه بالمواعظ والنّصائح ، ليجعل اشباع الحاجات الانسانية بأقل نفقة ممكنة ، ويزيد من اتقان السّلع وجودتها ، فإن مصلحته الخاصة كفيلة بدفعه إلى تحقيق ذلك ، مادام يعيش في مجتمع حُرٍّ يسوده التّنافس .

كما لا حاجة له الى مواعظ تحثه على المساهمة في أعمال البرّ والاحسان ، والاهتمام بمصالح المجتمع ، لأنه يندفع الى ذلك بدافع من مصلحته الخاصة بوصفه جزءًا من المجتمع .

وقد أصبح اليوم حديث التّوافق بين المصالح العامة والدّوافع الذاتية ، في ظلّ الحرية الرّأسمالية ، .. أدعى الى السّخرية منه الى القبول ، بعد أن ضجّ تاريخ الرّأسمالية بفجائع وكوارث يقلّ نظيرها في التّاريخ ، وتناقضات صارخة بين المصالح الخاصة والمصالح العامة ، وفراغ هائل أحدثه الاستغناء عن الكيان الخلقي والرّوحي للمجتمع ، فامتلأ بدلاً عن القيم الخلقية والرّوحية ، بألوان من الظّلم والاستهتار والطّمع والجشع .

و نستطيع بكلّ سهولة أن نتبيّن من خلال التّاريخ التّطبيقي للرّأسمالية ، جنايات هذه الحرية الرّأسمالية ، الّتي رفضت كلّ التّحديدات الخلقية و الرّوحيّة ، و آثارها الخطيرة : في مجرى الحياة الاقتصادية أولاً ، و فى المحتوى الرّوحي للمجتمع ثانياً ، و في علاقات المجتمع الرّأسمالي بغيره من المجتمعات ثالثًا حتى عاد الرّأسماليون أنفسهم يؤمنون بحاجة الرّأسمالية الى التّعديل و التّحديد ، و يحاولون شيئًا من التّرقيع و التّرميم ، للتّخلص من تلك الآثار أو اخفائها عن الأبصار ، و أصبحت الرّأسمالية في صيغتها المذهبية الكاملة مذهبًا تاريخيًا ، أكثر من كونه مذهبًا يعيش في واقع الحياة .

أما في مجرى الحياة الاقتصادية للمجتمع الرّأسمالي : فليست الحرية الرأسمالية المطلقة الاّ سلاحًا جاهزًا بيد الأقوياء يشق لهم الطّريق ، وَيُعَبّد أمامهم ، سبيل المجد و الثّروة على جماجم الآخرين ، لأن النّاس ما داموا متفاوتين في حظوظهم من المواهب الفكرية والجسدية و الفرص الطّبيعية ... فمن الضّروري أن يختلفوا في أسلوب الاستفادة من الحرية الاقتصادية الكاملة الّتي يوفرها المذهب الرّأسمالي لهم ، و في درجات هذه الاستفادة ، و يؤدي هذا الاختلاف المحتوم بين القويّ و الضّعيف ، الى أن تصبح الحرية التّعبير القانوني عن حق القوي في كلّ شيءٍ ، بينما لا تعني بالنّسبة الى غيره شيئًا ، و لما كانت الحريّة الرّأسمالية لا تقرّ بالرّقابة مهما كان لونها — فسوف يفقد الثّانويون في معركة الحياة كل ضمان لوجودهم و كرامتهم ، و يظلون في رحمة منافسين أقوياء لا يعرفون لحرياتهم حدودًا من القيم الرّوحية و الخلقية ولا يدخلون في حسابهم الا مصالحهم الخاصة .

و قد بلغ من هدر الكرامة الانسانية، نتيجة لهذه الحرية الرأسمالية أن بات الانسان نفسه سلعة خاضعة لقوانين العرض و الطلب و أصبحت الحياة الانسانية رهن هذه القوانين، و بالتّالي رهن القانون الحَدِيْدِي للأجور، فإذا زادت القوى البشرية العاملة، و زاد المعروض منها على مسرح الانتاج الرأسمالي، انخفض سعرها لأن الرأسمالي سوف يعتبر ذلك، فرصة حسنة لامتصاص سعادته من شقاء الآخرين، فيهبط بأجورهم الى مستوى قد لا يحفظ لهم حياتهم، و لا يمكنهم حتى من اشباع بعض ضروراتهم، كما قد يقذف بعددٍ هائلٍ منهم إلى الشّارع يقاسون آلام الموت جوعًا، لا لشيء الاّ لأنه يتمتّع بحريّة غير محدودة، و لا بأس على العمّال من الدمار و الموت جوعًا، مادام الاقتصاد الرّأسمالي يقدّم لهم بصيصًا من الأمل، و كوّةً من نور، و لكن ما هو هذا الأمل الّذي يبعثه في نفوسهم؟! انه هو الأمل في انخفاض عددهم، بسبب تراكم البُؤس و المرض، أى و اللّهِ إنّ هذا هو الأمل الذى يقدمه القانون الحديدي للأجور الى العمال، قائلاً لهم: اصبروا قليلاً، حتّى يصرع الجوعُ و البؤس قسمًا كبيرا منكم، فيقل عددكم و يصبح العرض مساويًا للطلب، فترتفع أجوركم و تتحسن حالتكم.

هذا هو التّوافق الأسطوري المزعوم، بين الدّوافع الذّاتية في ظلّ الحرية الرأسمالية و المصالح العامة، هذا التّوافق الّذى اضطر الرّأسماليون أنفسهم الى التّنازل عن الايمان به، و الاتّجاه الى فكرة تحديد الحرية بالقيم و الضّمانات.

و اذا كان هذا هو حظُّ الحياة الاقتصادية في المجتمع الرّأسمالي من الحرية الرّأسمالية و آثارها، فإن ما يصيب المحتوى الرّوحي للأمة من

شرارة تلك الحرّيّة المجردة ، أقسى و أمرّ ، حيث تتلاشى بصورة عامة مشاعر البِر و الخير و الاحسان ، و تطغى مفاهيم الأنانية و الجشع ، و تسود في المجتمع روح الصّراع في سبيل البقاء ، بدلاً عن روح التّعاون و التّكافل ، و ما ظَنّك بفرد يتجاوب مع المفهوم المطلق للحرّيّة الرّأسمالية؟! اذا تَطَلَّبت منه القيم الخلقية و الموقف الاجتماعي شيئًا من المُفَادَاة و التّضحية بمصالحه الخاصة ، و حتّى اذا دفعته مصلحته الخاصة أحياناً الى تحقيق المصالح العامة ، بوصفها فى صالحه أيضاً ، فإن هذا و ان كان قد يؤدي الى نفس النّتيجة ، الّتي تستهدفها القيم الرّوحية و الخلقية من ناحية موضوعيّة ، و لكنها لا تحقّق الجانب الذّاتي من تلك القيم ، ولا تصنع من الانسان انساناً في عواطفه و مشاعره و دوافعه و بواعثه ، فإن الأخلاق ليست ذات قيمة موضوعية فحسب ، بل هي ذات قيمة ذاتية أيضاً ، لا تقل عن قيمتها الموضوعية في تكميل الحياة الانسانية ، و اشاعة روح السعادة و الهناء النّفسي فيها

و لندع الآن آثار الحرية الرأسمالية في المحتوى الدّاخلي للمجتمع الرّأسمالى ، و لنفترض ـ مع الأسطورة الرّأسمالية ـ : أن الدّوافع الذّاتية تضمن بنفسها تحقيق المصالح العامة ، فهل يمكن لهذا الخيال المجنح ، أن يقول مثل ذلك عن مصالح مختلف المجتمعات ، و أن يزعم التّوافق بين المصالح الخاصة للمجتمع الرّأسمالي ، وغيره من المجتمعات البشرية؟! و ماذا يمنع المجتمع الرّأسمالي ، اذا كان يؤمن بالحرّيّة الرّأسمالية مجردة عن كل الاطارات الرّوحية و الخلقية .. أن يسخّر سائر الكتل البشرية لحسابه ، و يستعبدها لقضاء مآربه؟!

و الواقع التّاريخي للرّأسمالية ، هو الّذي يجيب على هذا السؤال فقد قاست الانسانية أهوالاً مُروعةً ، على يد المجتمعات الرّأسمالية نتيجة لخوائها الخلقي و فراغها الرّوحي ، و طريقتها الخاصة في الحياة ، وسوف تبقى تلك الأهوال وصمةً في تاريخ الحضارة المادية الحديثة ، و برهاناً على : أن الحرّيّة الاقتصادية الّتي لا تحدها حدود معنوية ، من أفتك أسلحة الانسان بالانسان ، و أفظعها امعاناً في التّدمير و الخراب ، فقد كان من نتاج هذه الحرية مثلاً ، تسابق الدّول الأوروبية بشكل جُنُوني على استعباد البشر الآمنين ، و تسخيرهم في خدمة الانتاج الرأسمالى ، و تاريخ أفريقيا وحدها صفحة من صفحات ذلك السّباق المحموم ، تعرضت فيه القارة الأفريقية لطوفان من الشّقاء ، إذ قامت دول عديدة كبريطانيا و فرنسا و هولندة وغيرها ، باستيراد كميات هائلة من سكان أفريقيا الآمنين ، و بيعهم في سوق الرّقيق ، و تقديمهم قرابين للعملاق الرّأسمالي ، و كان تجار تلك البلاد يحرقون القرى الأفريقية ، ليضطرّ سكانها الى الفرار مذعورين ، فيقوم التّجار بكسبهم و سوقهم الى السّفن التّجارية ، التى تنقلهم الى بلاد الأسياد ، و بقيت هذه الفظائع ترتكب الى القرن التّاسع عشر ، حيث قامت بريطانيا خلاله بحملة واسعة النّطاق ضدها حتى استطاعت ابرام معاهدات دولية تستنكر الاتجار في الرّقيق ، و لكن هذه المحاولة نفسها كانت تحمل الطّابع الرّأسمالي ، و لم تصدر عن ايمان روحي بالقيم الخلقية و المعنوية ، بدليل أن بريطانيا الّتي أقامت الدّنيا في سبيل وضع حدٍّ لأعمال القرصنة ، استبدلتها بأسلوب آخر من الاستعباد المبطن ، إذ أرسلت أسطولها الضّخم الى سواحل أفريقية ، لمراقبة التّجارة المحرمة من أجل القضاء عليها ، أي و اللّه هكذا

زعمت ، من أجل القضاء عليها ، و لكنها مهدت بذلك الى احتلال مساحات كبيرة على الشّواطئ الغربية ، و بدأت عملية الاستعباد تجري في القارة نفسها ، تحت شعار الاستعمار ، بدلاً عن أسواق أوروبا التّجارية ! !

فهل نستطيع القول بعد ذلك كله مع الرّأسماليين : بأن الحرّيّة الرّأسمالية جهاز سحري ، يعمل بشكلٍ تلقائي و دون أي اعتبار روحي و خلقي ، على تحويل سعي النّاس في سبيل مكاسبهم الخاصة ، إلى آلة تضمن المصالح العامة و الرّفاه الاجتماعي ·

ب- الحرية سبب لتنمية الانتاج

هذه هي الفكرة الثّانية الّتي ترتكز عليها الحرية الرأسمالية ، كما مرّ بنا سابقًا و هي تقوم على خطأ في فهم نتائج الحرّيّة الرأسمالية ، وخطأ آخر في تقدير قيمة الانتاج ·

فمشاريع الانتاج في المجتمع الرّأسمالي ، ليست وحدات ذريّة تخوض معترك السّباق و التّنافس ، في درجة واحدة من التّكافؤ و الامكانات ··· ليكون كل مشروع كفؤاً لمنافسة المشاريع الأخرى ، الأمر الّذي يحافظ على بقاء التّنافس الحر ، و يجعله أداة لتنمية الانتاج و تحسينه ، بل ان مشاريع الانتاج في المجتمع الرأسمالي ، تختلف في حجمها و كفاءتها و قدرتها على الاندماج بعضها مع البعض ، و الحرية الرّأسمالية في هذه الحال تفسح المجال للتّنافس ، الّذي سرعان ما يؤدي الى صراع عنيف ، تحطم فيه المشاريع القوية غيرها ، و تبدأ باحتكار الانتاج تدريجيًا ، حتّى تختفي كلّ ألوان التّنافس و ثمراته في مضمار

الانتاج ، فالتّنافس الحر بالمعنى الّذى ينمي الانتاج لا يواكب الحرّية الرّأسمالية الاّ شوطاً محدوداً ،ثمّ يخلى الميدان بعد ذلك للإحتكار، ما دامت الحرّية الرّأسمالية هي الّتي تمتلك الموقف الاقتصادي .

أما الخطأ الآخر الأساسي في الفكرة ، فهو في تقدير قيمة الانتاج كما ذكرنا ، فهب أن الحرية الرّأسمالية تؤدي إلى وفرة الانتاج ، و تنميته نوعيّاً وكميّاً ، وان التّنافس الحر سيستمر في ظلّ الرّأسمالية ، و يحقق انتاج السّلعة بأقل نفقة ممكنة فإن هذا لا يبرهن على قدرة الرّأسمالية على توفير سعادة المجتمع ، وانما يشير الى قدرة المجتمع في ظلّها على تحسين الانتاج و تحقيق أكبر كمّية ممكنة من السّلع و الخدمات ، و ليست هذه القدرة هي كلّ شيءٍ في حساب الرّفاه الاجتماعي ، الّذي يعتبر المذهب مسؤولاً عن ضمانه ، وانّما هي قدرة أو طاقة قد تتفق بالشّكل الّذي يكفل الرّفاه و السّعادة للمجتمع ، كما قد تنفق بشكل معاكس ، و الشّيء الّذي يحدّد الشّكل الّذي تنفق به الطّاقة الاجتماعية للانتاج ، هو الأسلوب المتبع في توزيع النّاتج العام على أفراد المجتمع، فالرّفاه العام إذن لا يتعلّق بكمية الناتج العام ، بمقدار ما يتعلّق بكيفية تقسيم هذا النّاتج على الأفراد .

و المذهب الرّأسمالي أعجز ما يكون عن امتلاك الكفاءة التّوزيعية ، الّتي تضمن رفاه المجتمع و سعادة الجميع ، لأن الرّأسمالية المذهبية تعتمد في التّوزيع على جهاز الثّمن ، و هو يعني : أن من لا يملك ثمن السّلعة ليس له حق في العيش و الحياة ، و بذلك يقضي بالموت أو الحرمان على من كان عاجزًا عن اكتساب هذا الثّمن لعدم قدرته على المساهمة في انتاج السّلع و الخدمات ، أو لعدم تهيّء فرصة للمساهمة ،

أو لوقوعه فريسة بيد منافسين أقوياء قد سدوا في وجهه كل الفرص، ولهذا كانت بطالة الأيدي للعاملة في المجتمعات الرأسمالية، من أفجع الكوارث الانسانية، لأن العامل حين يستغني الرّأسمالي عن خدماته، لأيّ سبب من الأسباب، لا يجد الثّمن الّذي يحصل به على ضروراته وحاجاته، ويصبح مرغمًا على حياة البؤس والجوع، لأن الثمن هوجهاز التّوزيع، ومادام لم يحصل منه على شيء في السّوق فلا نصيب له من الثّروة المنتجة مهما كانت فاحشة.

فليست المبالغة في كفاءة المذهب الرّأسمالي، وقدرته على تنمية الانتاج، الاّ تضليلاً وسترًا للجانب المظلم منه، الّذي يحكم في مجال التّوزيع بالحرمان والاعدام دون مبالاة على من لم يعرف كلمة السرّ، ولم يحصل على القطع السّحرية، على النقود.

وفي هذا الضّوء، لا يمكننا أن نعتبر مجرد الانتاج مبرّراً من النّاحية الخلقية والعملية، لمختلف الوسائل الّتي تتيح لحركة الانتاج انطلاقًا أوسع، وحقلاً أخصب لأن وفرة الانتاج ـ كما عرفنا ـ ليست هي التّعبير الكامل عن الرّفاه الاجتماعي العام.

ج ـ الحرية تعبير أصيل عن الكرامة الانسانية

ولم يبقَ بعد هذا الاّ الفكرة الثّالثة على الحرية الّتى تقدر الحرية بمعيار ذاتي وتضفي عليه قيمةً معنويةً وخلقيةً أصيلةً بوصفها المظهر الجوهري للكرامة وتحقيق الذّات اللذين لا يعود للحياة أيّ معنى، ويجب أن نشير قبل كل شيء الى أنّ هناك لونين من الحرية يتّصل كلّ منهما بطبيعة هذا المفهوم وعلاقته بالحياة ومدى ارتباطه

بالانسان و حاله هذه العلاقة و الوشيجة في مصاديق الميادين المختلفة المندرجة تحتها لما يتميز به كلّ واحد منهما بطابعه الخاصّ وخصائصه المفارقة المكملة للآخر حيث يُقَوِّمُ الأول منهما الثّاني و يمدّه بالقدرة و الطّاقة و يمنحه قابلية الوجود و ظاهرية التّمثيل و التّجسيد .

(القسم الاول)

الحرية الطبيعية

و هي الحرية الممنوحة من قبل الطّبيعة نفسها و هي التعبير الحي النّابع من عنصر جوهري في كيان الانسان و الظّاهرة الأساسية الّتي تشترك فيها الكائنات الحيّة بدرجات مختلفة تبعًا لمدى حيويتها و لذلك كان نصيب الانسان من هذه الحرية أوفر من نصيب أي كائنٍ حيٍّ آخر .

و هكذا كلّما ازداد حظّ الكائن من الحياة عظم نصيبه من الحرّيّة الطّبيعيّة .

و لكي نعرف جوهر هذه الحرّيّة الطبيعيّة نبدأ بملاحظة الكائنات غير الحيّة في سلوكها فإن الطّبيعة ترسم لهذه الكائنات اتّجاهات محددة و تفرض لكل كائن السّلوك الذى لا يمكن أن يحيد عنه فالحجر مثلاً فرضت عليه الطّبيعة سلوكاً محدّداً وفقًا لقوانين كونيّة عامّة فلا نترقّب منه مثلاً أن يتحرّك ما لم نحركه و لا نترقب منه اذا حركناه أن يتحرّك في غير الاتّجاه الذي نحركه فيه كما لا نتصوّر من الحجر أن يتراجع تفاديًا للاصطدام بجدار يعترض طريقه فهو يفقد كل لون من القوّة الايجابيّة و القدرة على تكليفات جديدة و لهذا لم يكن له نصيب من الحرية

الطّبيعيّة و أما الكائن الحي فليس موقفه تجاه البيئة و الظّروف سلبيّـاً أو مضغوطاً في اتّجاه محدد لا محيد عنه بل يمتلك قدرة و طاقة إيجابيّـة على تكييف نفسه و ابتداع أسلوب جديد اذا لم يكن الأسلوب الاعتيادي ملائماً لظروفه و هذه الطّاقة الايجابيّة هي الّتي توحي الينا بمفهوم الحرية الطّبيعيّة نظراً الى ان الطّبيعة وضعت بين يدى الكائن الحى بـدائل متعددة ليأخذ في كل حال بأكثرها ملاءمة لظروفه الخاصة فالنّبات الّذي يعتبر في الدّرجة الدّنيا من سلّم الكائنات الحيّة نجد لديه تلك الطّاقـة أو الحرية في مستوى منخفض و بدائي فإن بعض النّباتات تغيّر مـن اتجاهها و لمجرد اقترابها من حاجز يصلح لمنعها عن الامتداد فـي ذلك الاتّجاه المعيّن و تسارع إلى تكييف نفسها و اتجاهها تكييفـاً جديداً و اذا أخذنا الحيوان بوصفه درجة ثانية في سلّم الحياة وجدنا عنده تلك الحرّيّة و الطّاقة في نطاق أوسع و على مستوى أعلى اذ وضعت الطّبيعة بين يديه بدائل كثيرة ينتخب منها في كل حين ما هو أكثـر ملاءمة لشهواته و ميوله فبينما كنا نجد الحجر لا يحيد عن اتجاهه المعيّن حين نرمى به و النّبات لا يحيد عن اتجاهه الاّ في حدود معيّنة نـرى الحيوان قادراً على اتخاذ مختلف الاتجاهات في كل حين فالحق الذى سمحت له الطبيعة بممارسة نشاطه الحيوي فيه أوسع و أغنى بالبدائـل من الحقل الذى ظفر به النّبات .

و تبلغ الحرّيّة الطّبيعيّة ذروتها في الانسان لأن الحقل العملي الّذي منحته الطّبيعة له أوسع الحقول جميعاً فبينما كانت الميـول و الشّهوات الغريزيّة في الحيوان حدوداً نهائيّةً للحقل الّذي يعمل فيه فلا يستعمل الحيوان حرّيته إلّا في حدود تلك الميول و الشّهوات لـم

يعد لها فى حقل النشاط الحيوى للانسان تلك المنزلة لأن الانسان ركّب تركيباً نفسياً وعضوياً خاصاً يمكنه من قهر تلك الشّهوات أو التّحد يد من مفعولها فهو حرّ حتى في الانسياق مع تلك الشّهوات أو معاكستها .

و هذه الحرّيّة الطّبيعيّة الّتي يتمتّع بها الانسان هي الّتي تعبر بحق احد ى المقومات الجوهرية للانسانية لأنها تعبير عن الطّاقة الحيوية فيها فالانسانية بد ون هذه الحرّيّة لفظ بد ون معنى .

و من الواضح ان الحرّيّة بهذا المعنى خارجة عن نطاق البحث المذ هبي و ليس لها أيّ طابع مذ هبي لأنها منحة اللّه عز و جل للإنسان و ليست منحة مذ هب معيّن د ون مذ هب لتّد رس على أساس مذ هبي .

(القسم الثاني)

الحرية الاجتماعية

و هي الحرّيّة الّتي يمنحها النّظام الاجتماعي و يكفلها المجتمع لأفراد ه و تتسم بطابعها المذ هبي فهي الحرّيّة الاجتماعية أي الحرّيّة الّتي يكسبها الفرد من المجتمع لا من الطّبيعة فإن هذه الحرّيّة هي الّتي تتّصل بالوجود الاجتماعي و تد خل ضمن الدّ راسات المذ هبيّة و الاجتماعيّة .

و لد ى تحليل هذا المفهوم مفهوم الحرّيّة الاجتماعية نجد للحرّيّة الاجتماعية محتوى حقيقى و شكلاً ظاهريّاً فهي ذات جانبين احد همـا : المحتوى الحقيقي للحرية أو الحرية الجوهرية بعبارة أخرى .

و الآخر الشّكل الظّاهري للحرّيّة أو الحرّيّة الشّكليّة بنحو أخرى .

فهناك اذن الحرية الاجتماعية الجوهرية و الحرّية الاجتماعية الشّكلية ٠

أما الحرّية الاجتماعية الجوهرية فهي القدرة الّتي يكسبها الانسان من المجتمع على القيام بفعل شيء معيّن و تعنى هذه القدرة ان المجتمع يوفر للفرد كلّ الوسائل و الشّروط الّتي يتطلّبها القيام بذلك الفعل فإذا كفل لك المجتمع أن تملك ثمن سلعة معينة و وفّر هذه السّلعة في السّوق و لم يسمح لأيّ شخص آخر بالحصول على حق احتكاري في شراء السّلعة فأنت عندئذٍ حرّ في شراء السّلعة لأنك تتمتّع اجتماعيّاً بكلّ الشّروط الّتي يتوقّف عليها شراء تلك السّلعة و أما اذا كان المجتمع لا يوفّر لك ملكيّة الثّمن أو عرض السّلعة في السّوق أو يمنح لغيرك وحده الحق في شرائها فليس لديك في الواقع حرية جوهرية أو قدرة على الشّراء ٠

و أما الحرّية الشّكلية : فهي لا تتطلب كل ذلك ، بل قد يكون الفعل مستحيلاً بالنّسبة إلى الفرد ، كشراء السّلعة بالنّسبة الى من لا يملك ثمنها ٠٠ و لكنه بالرغم من ذلك يعتبر حرًا اجتماعيًا من النّاحية الشّكلية في الشّراء ، لا تعني القدرة على الشّراء فعلاً ، و إنّما تعني بمدلولها الاجتماعي : سماح المجتمع للمرء ــ ضمن نطاق امكاناته وفرصه الّتي يحددها موقفه في حلبة التّنافس مع الآخرين ــ باتخاذ أي اسلوب يتيح له شراء تلك السّلعة ، فالانسان الاعتيادي حر شكليًا في شراء قلم ، كما هو حرّ في شراء شركة رأسمالية ، بقدر رأسمالها بمئات الملايين ٠٠ ما دام النّظام الاجتماعي يسمح له بالقيام بأيّ عمل ، و اتخاذ أي أسلوب في سبيل شراء تلك الشّركة الضّخمة ، أو ذلك القلم المتواضع ، و أما قلة

الفرص أو الشروط الّتي تتيح له شراء الشّركة ، أو انعدام تلك الفرص في حلبة التّنافس نهائيًا ، وعدم توفير المجتمع لها .. فلا يتناقض مع الحرية الشّكلية في اطارها الظّاهرى العام .

غير أن الحرية الشّكلية ليست خاوية هكذا تماماً ، بل انها تعني أحياناً معنى ايجابيًا ، فرجل الأعمال الّذي بدأ وجوده التّجارى بشكلٍ ناجح ، وان لم يكن قادرًا بالفعل على شراء شركة ضخمة ، ولكنه مادام يتمتّع بالحرية الشّكلية اجتماعيًا فهو قادر على القيام بمختلف الأعمال ، في سبيل الظّفر بالقدرة على شراء تلك الشّركة ، في المدى القريب أو البعيد ، وعلى هذا الأساس تكون الحرّية الشّكلية في شراء الشّركة وامتلاكها ، ذات معنى ايجابي ، لأنها وان لم تسلم اليه الشركة فعلاً ، ولكنها تسمح له بامتحان مواهبه ، والقيام بمختلف النّشاطات في سبيل الظّفر بملكية تلك الشّركة ، والشّيء الّذي يفقده في ظل هذه الحرّية الشّكلية ، هو ضمان المجتمع له الحصول على الشّركة ، أو الحصول على ثمنها ، فانّ هذا الضّمان الّذي هو معنى الحرّية الاجتماعية الجوهرية ، لا تكلّفه الحرية الشّكلية للأفراد .

فالحرّية الشّكلية اجتماعيًا ليست اذن خاوية دائماً ، بل هي أداة لاستثارة القوى والطّاقات في الأفراد ، وتعبئتها في سبيل الوصول الى مستويات أعلى ، وان لم تقدم شيئاً من ضمانات الفوز والنجاح .

وفى هذا الضّوء نعرف أن الحرية الشّكلية ، وان لم تكن تعنى القدرة فعلاً ، ولكنها شرط ضروري لتوفّر هذه القدرة ، فرجل الأعمال النّاجح الّذي تحدثنا عنه لم يكن ليتاح له أن يحلم بامتلاك الشركة الرأسمالية الكبيرة ، وبالتّالي لم يكن ليمتلكها بالفعل بعد جهد متواصل

لو لم يكن يتمتع بالحرية الشكلية ، ولو لم يكن يسمح له المجتمع بتجربة حظّه و امكاناته في حلبة التّنافس ، و هكذا تكون الحرّيّة الشّكلية بالنّسبة اليه أداةً فعّالةً و شرطاً ضروريًا ، لاكتساب الحرّيّة الجوهريّة ، و القدرة الحقيقية على شراء الشركة بينما تبقى حرية الأفراد و الفاشلين شكليًا في تملك الشركة ، حرية اسميّة فحسب ، لا تشع بذرة من الحقيقة .

***

و المذهب الرّأسمالي يتبنّى الحرية الاجتماعية الشكلية على نحو ما سيأتي ، مؤمنا بأن الحرية الشكلية هي التجسيد الكامل لمفهوم الحرّيّة و(أما الحرّيّة الجوهريّة) ــ على حد تعبيرنا فيما سبق ــ فهي تعني في رأيه القدرة على الاستفادة من الحرّيّة ، و ليست هي الحرّيّة نفسها ، و لذلك فهو لا يعني بتوفير القدرة لدى المرء و منحه الحرّيّة الجوهريّة ، و انما يترك ذلك الى ما تمنح له من فرص و يظفر به من امكانات ، مكتفيًا بتوفير الحرية الشكلية ، بالسّماح له بممارسة مختلف ألوان النّشاط الاقتصادي في سبيل الغايات التي يسعى الى تحقيقها ، و رفض أي سلطة اجتماعية تمارس الضّغط و الاكراه ، في حقل من حقول الحياة .

فالرّأسمالية موقف سلبي تجاه الحرّيّة الجوهريّة ، و موقف ايجابي تجاه الحرّيّة الشّكلية ، أي أنها لا تعني بتوفير الحرّيّة الأولى ، و انّما تكفل للأفراد الحرّيّة الشّكليّة فقط .

و توجد في رأي الرأسمالية مبرّرات لذلك الموقف السّلبي تجاه الحرّيّة الجوهريّة تتلخص في أمرين :

أحدهما : أن طاقة المذهب الاجتماعي ــ أي مذهب كان ــ قاصرة عن توفير الحرّيّة الجوهريّة لكلّ شخص ، و ضمان القدرة على تحقيق

كلّ ما يسعى نحوه و يهدف اليه ، لأنّ كثيراً من الأفراد يفقدون المواهب و الكفاءات الخاصّة ، الّتي تعتبر ضروريّة لتحقيق أهدافهم ، و ليس في امكان المذهب أن يجعل من المغمور نابغاً ، أو من البليد عبقريّاً ، كما أن كثيراً من الأهداف لا يمكن أن يضمن لكل الأفراد الفوز بها ، فليس من المعقول ـ مثلاً ـ أن يصبح كل فرد رئيساً للدولة ، و أن يضمن للأفراد جميعاً القدرة على استلام منصب الرئاسة فعلاً ، و انما الشّيء المعقول : أن يفسح المجال أمام كل فرد ليخوض المعترك السّياسي أو الاقتصادي ، و يجرب مواهبه ، فامّا أن ينجح و يصل الى الذروة ، و امّا أن يقف في منتصف الطّريق ، و اما أن يعود من المعركة خاسراً ، و على أي حال فهو المسؤول الأخير عن مصيره في المعترك ، و مدى نجاحه أو فشله .

و الأمر الآخر : الّذي تبرر به الرّأسمالية تخليها عن الحرّيّة الجوهريّة : هو أن منح الفرد هذه الحرّيّة ، بتقديم الضّمانات الكافية لنجاحه في أي سبيل يسلكه ، يضعف الى مدى بعيد شعور الفرد بالمسؤولية ، و يخمد الجذوة الحرارية فيه ، التى تدفعه الى النشاط ، و تفرض عليه مزيدا من اليقظة و الانتباه ، لأنه مادام قد ضمن المذهب له نجاحه ، فلا حاجة به الى الاعتماد على شخصه ، و استثمار قدرته ومواهبه كما كان حريًا به أن يفعل لو لم يوفر المذهب له الحرية الجوهرية ، و الضّمانات اللازمة .

و كلا هٰذَيْنِ المُبَرِّرَيْنِ صحيح الى حدٍّ ما ، و لكن لا بالشّكل الّذي تقرره الرأسماليّة ، و ترفض على أساسه فكرة الحرّيّة الجوهريّة و الضّمان رفضًا تامًا . فإنّ ضمان الحصول على أي شيءٍ ، يسعى إليه الفرد في

مجال نشاطه الاقتصادي و ان كان حلمًا خياليًا غير ممكن التّحقيق ، و من الشّطط أن يكلف المذهب الاجتماعي بتحقيقه .. غير أن توفير حدٍّ أدنى من الحرّيّة الجوهريّة في المجال الاقتصادي ، و اعطاء ضمانات كافية لمستوى معين من المعيشة ، مهما كانت فرص الانسان و شروطه .. ليس شيئًا مثاليًا متعذر التّحقيق ، و لا سببًا في تجميد المواهب و طاقات النّمو و التّكامل في الانسان ، ما دامت المستويات الأكثر رقيًّا قيد التّنافس الحرّ ، فهي تتطلب من الأفراد جهدًا و نشاطًا ، و تنمّي فيهم الاعتماد على أنفسهم .

فالرّأسماليّة اذن لا تستطيع أن تستند في موقفها السّلبي من الحرّيّة الجوهريّة و الضّمان ، الى استحالة اعطاء مثل هذا الضّمان ، أو القول : بأن هذا الضّمان يشلّ الطّاقة الحراريّة في النّشاط الانساني .. مادام يمكن للمذهب أن يوفر درجة معقولة من الضمان ، و يفتح خارج حدود هذه الدرجة مجالات للتنافس ، الذى يذكى القابليات و ينميها .

و الحقيقة : أن موقف الرّأسمالية السّلبي من فكرة الضّمان و الحرّيّة الجوهرية كان نتيجةً حتميّةً لموقفها الايجابي من الحرّيّة الشّكليّة ، لأنها حين تبنّت الحرّيّة الشّكلية ، و أقامت كيانها المذهبي عليها — كان من الضّروري لها أن ترفض فكرة الضّمان ، و تقف موقفها السّلبي من الحرّيّة الجوهريّة ، لأن الحرّيّة الجوهريّة و الحرّيّة الشّكلية متعارضتان ، فلا يمكن توفير الحرّيّة الجوهريّة في مجتمع يؤمن بمبدأ الحرّيّة الشّكليّة ، و يحرص على توفيرها لجميع الأفراد في مختلف المجالات ، فإنّ حرية رجال الأعمال في استخدام العامل و رفضه ، و حرية أصحاب الثّروات في التّصرف في أموالهم طبقًا لمصالحهم الخاصة ، كما يقرره مبدأ الحرّيّة الشّكليّة ،

يعني عدم امكان وضع مبدأ ضمان العمل للعامل ، أو ضمان المعيشة لغير العامل من العاجزين ، لأن وضع مثل هذه الضّمانات لا يمكن أن يتم بدون تحديد تلك الحرّيّات ، الّتي يتمتّع بها أصحاب العمل وأرباب الثّروة ، فاما أن يسمح لأصحاب العمل أو المال بالتّصرّف وفقًا لارادتهم ، فتوفر بذلك لهم الحرية الشّكلية ، و يصبح من غير الممكن اعطاء ضمانات للعمل أو المعيشة ، و اما أن تعطى هذه الضّمانات فلا يسمح لأصحاب العمل و المال أن يتصرّفوا كما يحلو لهم ، و في ذلك خروج على مبدأ الحرّيّة الشّكلية ، القائل : بضرورة السّماح لكلّ أحدٍ بالتّصرّف في المجال الاقتصادي كما يريد ، و لما كانت الرّأسماليّة تؤمن بهذا المبدأ ، فقد وجدت نفسها مضطرّة الى رفض فكرة الضّمان ، فكرة الحرّيّة الجوهريّة ، حفاظًا على توفير الحرّيّة الشّكلية لجميع الأفراد على السّواء .

و بينما أخذ المجتمع الرّأسمالي بالحرّيّة الشّكليّة ، و طرح الحرّيّة الجوهريّة ، و فكرة الضّمان جانبًا ، وقف المجتمع الاشتراكي موقفًا معاكسًا ، اذ قضت الاشتراكية الماركسيّة فيه على الحرية الشكليّة ، بإقامة جهاز دكتاتوري يتولّى السّلطة المطلقة في البلاد ، و زعمت أنها عوضت عن تلك الحرية الشّكلية بحرية جوهريّة ، أي بما تقدمه للمواطنين من ضمانات للعمل و الحياة .

و هكذا أخذ كلٌّ من المذهبين بجانب من الحرية ، وطرح الجانب الآخر و لم يحل هذا التّناقض المستقطب بين الحرية الشكليّة و الحرية الجوهرية ، أو بين الشّكل و الجوهر .. الاّ في الاسلام ، الّذي آمن بحاجة المجتمع الى كلا اللونين من الحرّيّة ، فوفّر للمجتمع الحرّيّة الجوهريّة بوضع درجةٍ معقولةٍ من الضّمان تسمح لجميع أفراد المجتمع الاسلامي

بالحياة الكريمة، و ممارسة متطلّباتها الضرورية، و لم يعترف في حدود هذا الضمان بالحرية، و في نفس الوقت لم يجعل من هذا الضمان مبرّرا للقضاء على الحرية الشكلية، و هدر قيمتها الذاتية و الموضوعية، بل فتح السبيل أمام كلّ فرد خارج حدود الضمان، و منحه من الحريات ما ينسجم مع مفاهيمه عن الكون و الحياة، فالمرء مضمون بدرجة و في حدود خاصة، و حرّ خارج هذه الحدود، و هكذا امتزجت الحرية الجوهرية و الحرية الشكلية معاً، في التصميم الاسلامي هذا الامتزاج الرائع الذي لم تنتجه الانسانية ـ في غير ظل الاسلام ـ الى التفكير فيه و تحقيقه، الاّ في غضون هذا القرن الأخير، اذ بدأت المحاولات الى اقرار مبدأ الضمان، و التوفيق بينه و بين الحرية، بعد أن فشلت تجربة الحرية الرأسمالية فشلاً مريراً.

***

و على أيّ حال فقد ضحت الرأسمالية بفكرة الضمان و الحريّة الجوهرية في سبيل الحرية الشكلية.

و هنا نصل الى النقطة الأساسية في دراستنا، لنتساءل: ماهي تلك القيم التى ترتكز عليها الحرية الشكلية في المذهب الرأسمالي، والتي سمحت للرأسمالية أن تهدر جوهر الحرية و ضماناتها في سبيلها؟ ؟!

و يجب أن نستبعد هنا كل المحاولات الراميّة، الى تبرير الحرية الشّكلية بمبرّرات موضوعية اجتماعية، كوصفها بأنها أداة لتوفير الانتاج العام، أو لتحقيق الرّفاه الاجتماعي، فقد مرّت بنا هذه المبررات و درسناها، و لم تصمد للدّرس و الامتحان، و انما نعني الآن بمحاولة الرّأسمالية، لتفسير قيمة الحرية تفسيراً ذاتياً.

فقد يقال بهذا الصّدد : انّ الحرية جزء من كيان الانسان ، واذا سلب الانسان حريته فقد بذلك كرامته ، و معناه الانساني الذي يتميّز به عن سائر الكائنات ، و هذا التعبير المهلهل لا ينطوى على تحليل علمي للقيمة الذاتيّة للحرية ، و لا يمكن أن يجذب سوى مَنْ يستهويه للتلاعب بالألفاظ ، لأن الانسان انما يتميّز كيانه الانساني الخاص عن سائر الكائنات ، بالحرية الطبيعية ، بوصفه كائناً طبيعيّاً ، لا بالحرية الاجتماعية باعتباره كائناً اجتماعيًا لا فالحرية التي تعتبر شيئًا من كيان الانسان : هي الحرية الطبيعيّة ، لا الاجتماعية التي تمنح و تسلب تبعًا للمذهب الاجتماعي السائد .

و قد يقال : ان الحرية بمدلولها الاجتماعي تعبّر عن نزعةٍ أصيلةٍ في نفس الانسان ، و حاجة من حاجاته الجوهرية ، فالانسان بوصفه يتمتّع بالحرية الطبيعيّة ، يميل ذاتيًا الى أن يكون حرّاً ، من ناحية المجتمع الذى يعيش ضمنه ، في سلوكه و علاقاته مع الآخرين ، كما كان حرّاً من النّاحية الطبيعيّة ، و من وظيفة المذهب الاجتماعي أن يعترف بالنّزعات و الميول الأصيلة في الانسان ، و يضمن اشباعها ، لكي يصبح مذهباً واقعيًا ينسجم مع الطّبيعة الانسانية الّتي يعالجها و يشرّع لها فلا يمكن لمذهب أذن أن يكبت في الانسان نزعته الأصيلة الى الحرية .

و هذا صحيح الى حدٍّما ، و لكننا نقول من النّاحية الأخرى : أن من وظيفة المذهب الاجتماعي ، الّذي يريد أن يرسي بنيانه على قواعد مكينة من النّفس البشرية : أن يعترف بمختلف النزعات الأصيلة في الانسان و بحاجاته الجوهرية المتنوّعة ، و يسعى الى التوفيق و الملائمة بينهما و ليس من المستساغ لكي يكون المذهب واقعيًا و انسانيًا ، أن يعترف

النزعات الأصيلة ، و يضمن اشباعها الى أقصى حدٍ ، على حساب النّزعات الأخرى ، فالحرية مثلاً و ان كانت نزعةً أصيلةً في الانسان ، لأنه يرفض بطبعه القسر و الضّغط و الاكراه ، و لكن لهذا الانسان حاجات جوهرية ، و ميولاً أصيلةً أخرى ، فهو بحاجة ماسة ـ مثلاً ـ إلى شيءٍ من السّكينة و الاطمئنان في حياته ، لأن القلق يرعبه كما ينغّصه الضّغط و الاكراه ، فإذا فقد كل الضّمانات الّتي يمكن للمجتمع أن يؤديها له في حياته و معيشته ، خسر بذلك حاجة من حاجاته الجوهرية ، و حرم من اشباع ميله الأصيل الى الاستقرار و الثّقة ، كما أنه اذا خسر حريته تماماً ، و قام جهاز اجتماعي يملي عليه ارادته بالضّغط و الاكراه ، كان قد فَقَدَ حاجةً جوهريةً أخرى ، و هي حاجته الى الحرية التي تعبر عن نزعة أصيلة في نفسه ، فالتّوفيق الدّقيق الحكيم بين حاجة الانسان الأصيلة الى الحرية ، و حاجته الأصيلة الى شيء من الاستقرار و الثّقة ، و سائر حاجاته الأصيلة الأخرى ، هو العملية الّتي يجب أن يؤدّيها المذهب للانسانية ، اذا حاول أن يكون واقعياً ، قائماً على أسس راسخة من الواقع الانساني ، واما أن تطرح الميول و الحاجات الأخرى جانباً ، و يضحي بها لحساب حاجةٍ أصيلةٍ واحدةٍ ، كي يتوفّر اشباعها الى أبعد الحدود كما فعل المذهب الرأسمالي ، فهذا يتعارض مع أبسط الواجبات المذهبيّة .

***

و أخيراً : فإنّ موقف الرأسمالية من الحرية و الضّمان ، لئن كان خطأ فهو مع هذا ينسجم مع الاطار العام للتّفكير الرّأسمالي كلّ الانسجام لأن الضّمان ينطوي على فكرة تحديد حريات الأفراد و الضّغط عليها ، ولا تستطيع الرأسمالية أن تجد لهذا الضّغط و التّحديد مسوغاً ، على

أساس مفاهيمها العامة عن الكون و الانسان ·

و ذلك أن الضّغط و التحديد ، قد يستمد مبرّره من الضّرورة التّاريخيّة ، كما تعتقد الماركسية في ضوء المادية التاريخيّة ، إذ ترى أنّ دكتاتورية البروليتاريا ، الّتي تمارس سياسة الضغط و التّحديد من الحريات في المجتمع الاشتراكى ·· تنبع من الضّرورة الحتمية لقوانين التّاريخ ·

و لكن الرأسمالية لا تؤمن بالمادّية التاريخيّة ، بتسلسلها الماركسي الخاص ·

و قد يستمد الضّغط و التّحديد مبرّره من الايمان بسلطة عليا ، تمتلك حق تنظيم الانسانية و توجيهها في حياتها ، و وضع الضّمانات المحددة لحريات الأفراد ، كما يعتقد الدّين ، إذ يرى أن للانسان خالقاً حكيماً من حقّه أن يصنع له وجوده الاجتماعي ، و يحد طريقته في الحياة ·

و هذا ما لا يمكن للرّأسمالية أن تقرّه ، في ضوء مفهومها الأساسي القائل : بفصل الدّين عن واقع الحياة ، و سحبه من كل الحقول الاجتماعية العامة ·

و قد يبرر الضّغط و التحديد ، بوصفه قوةً نابعةً من داخل الانسان ، و مفروضة عليه من ضميره الذي يفرض عليه قيماً خلقيةً ، وحدوداً معيّنةً لسلوكه مع الآخرين ، و موقفه من المجتمع ·· و لكن الضّمير ليس بمفهومه في فلسفة الأخلاق عند الرّأسمالية ، الاّ انعكاساً داخلياً للعرف أو العادات ، أو أيّ تحديدٍ آخر يفرض على الفرد من الخارج ، فالضّمير في نهاية التّحليل ضغط خارجي ، و ليس نابعاً من الأعماق الدّاخلية ·

و هكذا تنتهى الرأسمالية الى العجز عن تفسير الضّغط على الحرّيّة ، عن طريق الضّرورة التّاريخية ، أو الدّين ، أو الضّمير .

و هكذا يرتبط موقفها من الحرية بجذورها الفكرية ، و مفاهيمها الرئيسية عن الكون و الانسان ، عن التّاريخ و الدين و الأخلاق .

وعلى هذا الأساس وضعت الرأسمالية مفهومها السّياسي عن الحكومة ، و مختلف السّلطات الاجتماعية ، فهي لا ترى مبرّراً لتدخّل هذه السّلطات في حرّيات الأفراد ، الاّ بالقدر الّذي يتطلبه الحفاظ عليها ، و صيانتها عن الفوضى و الاصطدام ، لأنّ هذا هو القدر الّذي يسمح به الأفراد أنفسهم ، و أما التّدخّل خارج هذه الحدود ، فلا مسوّغ له من حتميّة تاريخيّة ، أو دين ، أو قيم و أخلاق ، و من الطّبيعي عندئذٍ أن تنتهي الرّأسماليّة من تسلسلها الفكري الى : التّأكيد على الحرّيّة في المجال الاقتصادي ، و رفض فكرة قيام السّلطة بوضع أي ضمانات أو تحديدات .

هذه هى مفاهيم الرّأسمالية في ترابطها العام ، ينتهي الى الأسس الفكرية العامة .

و هذه هي وجهة النّظر الّتي يجب تمحيص تلك المفاهيم ، و بالتالي تفنيدها على أساس تلك النظرة(١) .

---

(١) اقتصادنا من ص ٢٧٠ الى ص ٢٩٢ بتصرّف .

الاطروحة الرابعة :

عبادة الذات والاغترار بها

لم يكن الباعث الرئيس للنّهضة الأوربية في انطلاقتها الأولى يستهدف الاّ رفع الوصاية عن الانسان الأوربي و منحه الاستقلال في الوجود بكامل أبعاده المنظورة و المتاحة بحسب امكانيات التّصوّر البشري لها و من أجل ذلك اعتمدت الفلسفة الانسانية الألمانية آنذاك و الّتي برزت كظاهرة ثوريّة تطمح لاشباع روح النّقمة و تأخذ بثأرها من الكنيسة و ذلك في القرن الثّامن عشر الميلادي و الّتي تتجسد في عنوانٍ بارزٍ يُعَبّر عن اصالة الوجود بلحاظه الانساني وكان شعارها أنا أفكر فأنا موجود فالوجود تابع للانسان و ليس سابقًا عليه و قد كان مما تضمنته ان الانسان بفكره له خالقية فهو صانع الدّولة و المجتمع و هو صاحب القانون ، و هو واضع المعايير الأخلاقية و هو المنشئ لكافة أشكال نظم الحكم والادارة .

و مما أكد وعزز ارتباطه بهذه الفلسفة الّتي تتبنى الخالقيّة للإنسان أمران :

(أولها) ظاهرة التّقدّم في البحوث الطبيعيّة و التحوّل السّريع و المفاجئ التي كان من نتائجها اكتشاف قوّة البخار ثم طاقة الكهرباء و ما تولّد من هذين الاكتشافين من صناعة كثير من أشكال الوسائل و الأجهزة و مختلف صور الآلة التي أدّت الى جعل العالم كمسرح صغير بين يديه (وثانيهما) فقد ان الثقة باله الكنيسة كما صوّرته له رجالها بالتّدريج

الى العلم التجربي فأضحى المعمل محراباً للعلم يقدّس على نحوِ مَا كانت تُقَدَّس الكنيسة كمكان للعبادة .

وكلما تقدّم البحث العلمي و اتسعت مجالاته و أنشطته وكلّما انصبغت حياة الانسان اليوميّة و صورها بما تقدمه له كلّما تطلع الانسان الى العلم و امتد ببصره نحوه معجباً به و مقدّراً ايّاه وكلّما تقدّمت الصّناعة الآلية و برزت خدماتها الّتي تقدمها للإنسان في سبيل ترفيهه رفاهيّةً ماديّةً كلّما عظم شأن الصّناعة في نفسه .

و قد يبلغ به حدّ الاعجاب و التّقدير للعلم التجربي و للصّناعة الآلية إلى أن يضاعف ثقته بنفسه الى درجة الافراط الّتي تؤدي بدورها نتيجةً عكسيةً تنبع عن طبيعة الافراط و آثاره السّيئة الّتي تتخلف عنه عادة فَيُوْلِي هذه الثّقة في نهاية المطاف للعلم و الصّناعة و يجعلهما بديلاً عن ذاته كما نلاحظ بروزظواهرلذلك من خلال السّعي المكثّف و البرامج المسهبة الهادفة و الّتي يمارسها حالياً من أجل احلال العقل الاكتروني في كثير من مجالات شؤون الانسان و محاولته لبناء انسان آلي له حاكمية في وسطه الاجتماعي و الصّناعي على الرغم من وفرة الأيدى العاملة وكثرتها و زيادة افراد الجنس البشري .

وكم قرأت من خبر طالعتنا به الصّحف المختلفة عن قيام بعض أصحاب المصانع بتدشين أنظمة الكمبيوتر فيها و قيامهم بطرد العمّال الذين كانوا يحتلّون محل عمل هذا الجهاز البديل بلا مبالاة بمصير أولئك أو مراعاة للوضع الاقتصادي و خطر ظاهرة انتشار البطالة و قيام أولئك بمظاهرات و احتجاجات عارمة تعبر عن استيائهم و مظلوميتهم .

و من يدري فقد يصير حاله مع العلم و الصّناعة الى ما كان عليه مع

اله الكنيسة يوم ان كانت للكنيسة سلطة و سيطرة و جبروت و يوم ان كان الايمان بالدّين يملأ قلبه و يرجع الى ما كان عليه من المعاناة ، و لكن هذه المرّة ليس على يد رجال الكنيسة بل على يده بما يرسمه لنفسه من عقائد مجحفة بحقّه و وجدانه ، و هكذا تتحوّل نتائج عصر النّهضة الأوربية و نتائج الثّورات الّتي تمخّضت عنها في شعوبها بعد ذلك الى ذهاب استقلال الانسان مرّة أخرى في تفكيره و تقييمه للأوضاع و الأمور الّتي تقوم على الحرّية الفرديّة و التّخلّص من عوامل التّأثير الخارج عن الذّات بزعمه.

و بذلك قد يعود الانسان الى عبوديّته و لكنه الآن يعبد وجوده المادي بعد أن كان يعتقد فيما مضى انه يعبد وجوده الرّوحي ! !

و الواقع ان هذا النمط من التفكير و الطابع العقائدي الّذي ساد تلك الحقبة الزّمنيّة و امتدّت آثاره الى عصرنا هذا و ما ترتب عليه من الآثار هو الذي عناه نبيّنا العظيم قبل أربعة عشر قرناً في قوله: يكون في آخر الزّمان قوم يعملون المعاصي و يقولون ان اللّه قد قدّرها عليهم الرادّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل اللّه ، الحديث (١) .

و وجه العلاقة و المناسبة بين ما عناه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بين ما نحن بصدد طرحه و التّطرّق له أن هؤلاء المضطهدين من قبل الكنيسة دفعتهم النقمة لالغاء كلّ ظاهرة كانت تمنع منها و تحول دونها كالتّشديد على ظاهرة الحجاب بالنّسبة للنساء حتى بلغ الأمر بأن لا يسمح للمرأة باظهار أيّ جزء من بدنها سوى ثقبين في مقنعة الرأس للنّظر منهما مضافاً الى تحريم مكالمة الأجنبيه بالنّسبة للرجال ونحو ذلك فضلاً عن الزّنى و السّحاق و اللواط و قد كان من أبرز ظواهر النّهضة

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥ .

الأوربية تفشّى الرّذيلة وانتشار جميع مظاهر التحلّل وانعدام الضوابط الجنسيّة حتى وصل الأمر بهم الى استخدام الأطفال في أعمار مبكّرة في المصانع والورش للتّفرغ لمباضعة النّساء و ارتكاب شتّى صور الرّذيلة و أنواع المنكرات و كان الدّافع الأساسي لهم على ارتكاب مثل هذه الأعمال و الافراط بها مغالاة الكنيسة في منعها و المعاقبة عليها و لما حدث الانقلاب الثّورى على سلطتها و رجالاتها ارتكبت جميعها بدافع الانتقام و أخذ الثّأر لما حرموا منه بدافع التّشكيك بصحة هذا الدّين و الٰهه ، ولو سؤلوا عن علّة ارتكابهم لمثل هذه التّصرفات و التّحلل من كلّ قيد وعرف يمنع منها لكان جوابهم ان الٰه الكنيسة قد قدّرها عليهم بما اضطرّهم اليه من فعل المعاصي و ارتكاب المحرمات للضّغط و الارهاب الّذي مارسه في حقهم وعاملهم به بمعنى ان اللّه عزّ و جلّ هو الذي أدّى بهم الى هذا الحال حيث مارس في حقهم بتصورهم الخاطئ عن طريق سلطة الكنيسة الّتي منحها لقساوستها كلّ ألوان الضّغط الّتي اضطرّتهم لارتكاب هذه الأفعال المشينة و الخارجة عن قانون الشّرف و العفّة و الحياء و الكرامة و الرّشد .

و لما خرجوا على سلطتها أزالوا كل ألوان التّشريع الذي فرضته و صور الالتزام الديني الذي طبقته فخلعوا عن المرأة تلك الأقنعة و أزاحوا عن جسدها كل حائل و فسحوا المجال أمامها لكي تبدي كلّ زينة تتمتّع بها و محاسن يفتتن بآثارها حتى آل الأمر بها الى أن تصبح أداة زينة و لهو و اشباع لغريزة الجنس و مظهر من مظاهر الخلاعة و التسيب الخلقي و المجون .

و بهذا التّوجيه يتّضح طبيعة انطباق مفهوم معنى الحديث النّبوي

على المساوى العقائد ية لظاهرة الثّورة الأوربيّة و لا يسعنا في هـــذا الموضع الاّ أن نتوجّه بتحية عطرة يجلّلها الاكبار و الفخر و الاعتـــزاز لشهيد نا المفكّر العظيم محمد باقر الصد ر رضوان اللّه تعالى عليـــه لجهود ه المشكورة و مساعيه المحمود ة الميمونة الّتى قام بها للرد علـــى أولئك و تفنيد مزاعمهم في وقت سيطروا فيه على فكر الشّباب المسلم وخلقوا في نفسه ظاهرة التّشكيك بعقيد ته و صحتها و اصالتها و ملكوا أزمـــة ثقافته و فكـره عن طريق الأجهزة الاعلامية المختلفة و المتعدّد ة الّتـــي يغتذ ي منها و ينهل معالم معارفه.



حقيقه الحضارة الغربية المزعومة :

مفهوم الحضاره من المفاهيم العميقة و السّامية الّتي يعبّر بهـا عن أوجّ مراحل الانسان في أي حقبة تاريخية من الزّمن ، و كذلك تعطـي معنى القرب و الانطباق الواقعي لحقيقة الانسان و وصولها الى موضعها اللائق بها في الحياة فوق هذه الأرض حيث يبد و معها الانسـان بانسانيّته المتميّزة عن سائر الذّوات و الكائنات الأخرى .

وعند ما نلقي الضّوء على الحضارة الغربية المزعومة و نضعها فـي ميزان النّظر و المعاينة و نقيس مدى الأبعاد الّتي حققتها في هـذا المجال نجد المفارقات الواضحة بين العِنْوَان و المُعَنْوَن بين الـرؤى المزعومة و نقائضها المتمخضة عنها فهي في الوقت الذي حققت فيـه انتصارات باهرة في مجال التّصنيع و الاكتشافات بنحو قلب مظاهر الحياة رأساً على عقب ساهمت بشكلٍ مباشر أو غير مباشر في ضعضعة انسانيـة الانسان و تقويض كيانه العظيم و حقيقته المتميزة و أبعد ته عن منصـة الصّدارة في الوجود الرّوحي و كبّلته باغلال المادة و زخرفها و كأنّها كلّ شيء .

و غير خافٍ على أحد انّ وصول الانسان الى موقعه الحقيقـي وتسلّمه منصة الرّيادة هذه انما يتمّ بفعل المبادئ الأخلاقية السّلوكيـة الصحيحة و الدّوافع التّربوية البنّاءة و الأسس الاجتماعية الكفيلة بخلـق الأجيال المترابطة المتعاضدة المستقيمة الاتجاهات المتقيّدة بالحرمـات

والحقوق والواجبات المتلاحمة في النّكبات المتآصرة في المُلِمّات .

وكلّ مجتمع فقد هذه الأمور مجتمعة لا يمكن عدّه بحالٍ من الأحوال مجتمعًا حضاريًا راقيًا لأنه فقد أهم مقوّمات انسانيته التي لا يمكن أن تتحقّق و تلمس الاّ من خلال الآثار الايجابيه الّتي تنتج عنها هذه الأسس الحيويه و أما سائر أنواع الأجهزه و المعدات و أشكال الكماليات البالغه الاعجاب و الدّقة فهي أمور ثانويّة تؤدي دورها و تؤتي بثمارها بعد تحقق الارتباط الوثيق بين الانسان و حقيقته الجوهرية و ما لم يحدث هذا الارتباط لا يعد ما يقدمه الانسان مهما أجهد نفسه وأتعب قدراته في الابداع و التّصوير و التّصنيع حضارة بالمعنى الّذي قدّمناه و هو المعنى الحقيقي لهذا الوصف .

و حينئذ فالتبجح بالحضارة الغربيه المدعاة و ضرورة تصديرها بكل ما تحمل من مساوئ انسانية و شعارات هدّامة و دعوات تحلليّة الى عالمنا الاسلامى أمر لا يمكن السّكوت عليه أو القبول به كما نلاحظ في بعض اتجاهاتها الاجتماعية و الّتي تدعو للتّفكك الأسري و حرّيّة العلاقات الجنسيّة و الّتي نعدها في نظر عقيدتنا أعظم جرائم خلقيه تسلب الانسان حياءه وعفّته و شرفه و كرامته و كيانه من أمثال الزّنا واللواط و السّحاق و نحوها من الجرائم البشعه و المشينه بالانسان .

عود على بدء

لو ألقينا نظرة فاحصة على معطيات الثّورة الغربية المادية و ما حملته لعالمنا ككل لوجدنا دورها الكبير في تغيير مجرى الحياة عمّا كانت

عليه سابقًا و تبديل ملامح صورها لما قدمته من وسائل عصريـــــه و آلات و أجهزة تمتاز بالتقنية البالغة الدّقة ولو راجعنا طبيعة الخلفية والقاعديّة التى استندت اليها لانتهينا الى انها كانت حاله متولّده عن أصـــول حضارية أكثر اصاله وعراقة استفادت منها و أخذت عنها جل اطروحاتها العلميه و الصّناعيه الاّ انها قد صبتها في قالب مغاير و مفارق من حيث الصّورة و ليس من حيث أصل الفكرة و المبنى ٠

و اذا كان المَعْلَمُ البارز لهذه الحضارة هو اكتشاف الكهرباء و بناء مولداته و ابتكار الوسائل المعتمدة عليها من الأجهزة الالكترونيـــــه و الكاميرات و أجهزة البث و الاستقبال الصّوتي و الصّوري و التّسجيـــل و السّيارات و القطارات و الطّائرات و المصابيح المختلفة الأشكـــــال و الأحجام و نحو ذلك فإنّ التاريخ و الآثار المحسوسة للحضارات القديمة البائدة كالبابلية و الفرعونية و الفينيقيّة وغيرها و الّتي يعد بعضها مـن عجائب الدّنيا السّبع يحدثانا عن مجد عريق و رقي عظيم و عصور زاهـــرة باسقة يانعة قد بلغتها هذه الحضارات في شتى مجالات العلـــــوم و المعارف و التقنيّة الصّناعية و الّذي يعطينا شواهد عظمة هـــــذه الحضارات و تفوّقها حتى في الماديات و التقنيّة الصّناعيّة في بعـــض الميادين عجز الحضارة الغربية عن تفسير الكثير من ظواهرها وخصائصها و مميّزاتها وعلى رأسها الاهرام الفرعونية في مصر حتى يومنا هذا ٠

و الحضارة الاسلامية عند ما أرست اصولها و ثبتت دعائمهـــــا و قواعدها و أبرزت الى الوجود عصارة أفكارها و لباب ثمرة أصالتها ساعدت على ايجاد نقلة تاريخية فاصله بين الرواسب المتخلفة عن الحضـــارات القديمة في شؤون الفكر و المادة و بين الحاله الّتي بلغها العالم مـــن

الانحطاط و الضّياع و التّشتّت و التّمزّق الحضاري فعلم الكيمياء الّـــذي يُعَد عصب الحياة للتّقدم الغربي أسسه الامام الصّادق عليه السّلام قبل أربعة عشر قرنًا مضافًا الى طرحه كثيرًا من نظريات التّعدين و التّصنيـــع التى حركت عجلة الانتاج و التقدّم الصّناعي الغربي الى أوج مراحله و غير ذلك مما سيأتي بيانه و تفصيله في موضع أليق و أنسب في كتاب((علومنـا)) كلها معطيات من الحضارة الاسلامية التى لولاها لما عرف الانسان طعم و لون الازدهار المادي في عصرنا الحديث و تنعّم في ظله ، و يكفينـــا التمثيل بأمثال الشّيخ البهائي قدس اللّه سره الذي هو أحد تلاميذها و واحد من مئات من العلماء الذين تخرجوا من جامعتها العلميـــة العظيمة فانه وحده قد قدم من الآثار العجيبة بنحو يحيّر العقـــول و يخطف الأبصار ، و يأخذ بمجامع الأفكار ، و التى فسد بعضها بسبب بعض ادعياء العلم الغربيين الذين قدموا الى اصفهان حيث يتواجد أكثرها من أمثال الشمعة التي كانت تسخن الماء لحمّام كبير و ظلّـــت مشتعلة طيلة عدة قرون من غير ان يعتريها النقصان و الخلل و غيرها كثير منتشر في شتي البلدان الّتي زارها و وطأت قدمه ترابها ناهيك عـــن تبحّره في الفقه و الحديث و الفلك و الرياضيات و سائر المعارف والفنون .

و كلمة أخيرة نؤكّد فيها على ان هنالك خلط بين الانجـــازات المادية للحضارة و مفاهيمها الفلسفية ، لقد أدّى هذا الخلط الـــى أن تؤخذ عظمتها من خلال ما تقدمه من مادّيات برّاقة و هذا هو أهـــم الأسباب التى دفعت بشبابنا الى تقليد أعمى يحكى كل ألوان الانهيار الخلقي و الانحطاط الفلسفي لمفهوم الحياة و الحساب و العقاب ظنّاً منه ان ذلك سيؤدي الى الوصول به بالدرجة الأولى الى مرحلة القُدْرة علـــى

مسايرة و مواكبة الانتاج المادي و المشاركة فيه لكنه وجد بعد ذلك انغماسه في عبودية مطلقة اسرته بقيودها و غربته عن كيانه الأصيل و مع الأسف ان القليل القليل من أولئك الذين ينتبهون الى عظم هذا الاشتباه و الغفلة، و نعم القول قول القائل :

ان مدنيتها الخلابة ليست الا بهرجاً و ان علمها الحديث كلّه ليس من حيث القيمة العملية غير علب من صفيح و زجاج و معدن قدمت للنّاس بعض الراحة فى أمور معاشهم و لكنها أخرت البشرية و سلبتها طبيعتها الحقيقية و شاعريتها و صفاء روحها .

و في الوقت الذي نقول فيه ذلك الكلام نؤكّد على انكشاف هذه الحقيقة الّتي لا مناص من تعقلها و تصوّرها بوجهٍ ما لديهم أنفسهم و هذا ما ندركه من خلال استعراض لبعض أقوال رجالاتهم في هذا الشأن :

قال المبشر لورانس براون :

((اذا اتّحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم و خطرا أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له، أما اذا بقوا متفرّقين فانهم يظلون حينئذٍ بلا وزن و لا تأثير)) .

و قال مرماديوك باكتول :

((ان المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السّرعة الّتي نشروها بها سابقاً بشرط أن يرجعوا الى الأخلاق الّتي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأوّل لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصّمود أمام روح حضارتهم)) .

و قال وزير خارجية بريطانيا في أحد المؤتمرات الّتي عقدت في سنة

١٩٠٧ م :

((ان الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال و الفناء ، و الواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعّالة تحول دون انهيار حضارتنا)) .

و صرح سالازار في مؤتمر صحفي قائلاً :

((ان الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الّذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون على العالم)) .

فلمّا سأله أحد الصحفيّين : لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم و نزعاتهم؟!

أجابه : أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافاتهم الينا .

و قال مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ م :

ليست الشيوعية خطراً على اوربا فيما يبدو لي ان الخطر الحقيقي الّذي يهددنا تهديداً مباشراً و عنيفاً هو الخطر الاسلامي فالمسلمون عالَمٌ مستقل كلّ الاستقلال عن عالمنا الغربي فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم و يتمتّعون بحضارة تاريخيّة ذات أصاله فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجةٍ الى اذابة شخصيتهم الحضارية و الروحيّة في الحضارة الغربيّة فاذا تهيأت لهم أسباب الانتاج الصّناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثّمين و انتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية و يقذفون برسالتها الى متاحف التّاريخ .

و قد حاولنا نحن الفرنسيون خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشّعب المسلمة فكان الاخفاق الكامل نتيجة

مجهوداتنا الكبيرة الضّخمة .

ان العالم الاسلامي عملاق مقيد عملاق لم يكتشف نفسه حتّى الآن اكتشافاً تامّاً فهو حائر و هو قلق و هو كاره لانحطاطه و تخلفه و راغب رغبةً يخالطها الكسل و الفوضى في مستقبل أحسن و حرّيّة أوفر .

فلنعطِ هذا العالم الاسلامي ما يشاء و لنقوِ في نفسه الرّغبة في عدم الانتاج الصّناعي و الفنّي حتّى لا ينهض فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بقاء المسلم متخلفا و تحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشّعور بعجزه فقد بؤنا باخفاق خطير و أصبح خطر العالم العربي و ما وراءه من الطاقات الاسلامية الضّخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب ، و تنتهي معه وظيفته الحضاريّة كقائدٍ للعالم .



الحريه في الفكر الماركسي

تبتني النّظرة المتعددة للحياة و ميادينها في الفكر الماركسي على ربط أسبابها و عللها الأولى الواقعية بالمادة التى تشكّل بمجموعها ظاهرة الطبيعة و التوجّه اليها على ان لها مقام العليّة و الخالقية و التدبير للكون على أساس المصادفة و العشوائية و من ثم ربط جميع مبادئه و أسس عقيدته بكلّ ما يمت بالمادة بصلة و فسّر حصيلته الفكريّة الخاصّة به تفسيرًا يربطها دائمًا بها من قريبٍ أو بعيدٍ لمقام العليّة و السّببية الّذي زعمه لها ·

و لأجل ذلك لا نستغرب من طبيعة تفسيراته تلك و المسحة الّتي غلبت عليها و أثّرت فيها ·

و حيث فسّر مفهوم الحرّيّة الطبيعيّة بنحوٍ يبرز فيها هذه النّزعة و يؤكّد على دورها فيه فذهب الى ان الانسان لا يكون حرًّا بالاستقلال عن قوانين الطّبيعة و انه اذا حاول الخروج عنها عاقبته هي بالموت ، و ذلك كمن يخرج عن قوانين الرئتين اللتين توجبان التّنفس له ليعيش فإذا امتنع عن التّنفس عاقبته قوانين الرئتين حالاً بالموت و لهذا يقول انجلز : لا تكمن الحرية في الاستقلال الموهوم عن قوانين الطّبيعة ·

و لا يخفى ما في ذلك التخبّط من الطّرافة و السذاجة في التّعبير و التّصوير ·

و لمّا كان الفكر الماركسي وليد مرحلة معاناة من تنامي مساوئ

النّظام الرّأسمالي الذي كان مسيطرًا في تلك الأوساط منذ عهد النّهضة الأوربية لذا نجده قد حاول استقطاب و توليد بدائل مناقضة له على أمل أن يعثر على الطّريق الموصل لحياة سعيدة أكثر خدمة له فى تطلّعاته و طموحاته و قد عبّر عن تلك النّهاية السّعيدة لأحلى مظاهر الحياة بتصوّره و تكوين جنّة موعودة على الأرض باسم الشّيوعية و التي تعني اضمحلال الطبقية و زوال السّلطات و فناء الزّعامات و الغاء المسؤوليات و في سبيل ذلك رفع أوّل شعار له في تفسير مفهوم الحرية الاجتماعيّة على انها تعني رفض مظاهر الدّوافع الذّاتية و الأنانية في الانسان و طرح مبدأ يعمل على افناء الفرد في المجتمع و اتّخاذ المجتمع محورًا له و هو لأجل هذا لا يعترف بالحرّيات الفردية بل يهدرها في سبيل القضيّة الأساسيّة قضية المجتمع بكامله.

و اتخذ من الطبقة المحرومة الّتي لم تتهيأ لها فرص سعادة الحظ في تحصيل الثّروة و امتلاك النّصيب الوافر منها في بادئ أمر دعوته مسرحًا يعمل فيه على بثّ أفكاره و أنماط برامجه لتخليصهم من محنة ما هم فيه حيث التّظلم المتزايد و الحقوق المهضومة و الكرامات المبتذلة و ضياع الأحاسيس الانسانية و خلو المبادئ السّامية.

و جريًا على الحديث المأثور اذا دخل الفقر قريةً قال له الكفر خذني معك تمكن أولئك من النّفوذ في أوساط هذه الطّبقة في بداية الأمر و ركزوا دعوتهم المذهبية الضالّة المنحرفة على أساس اثارة الدّوافع الذّاتية و الأنانيّة في أفراد هذه الطّبقة و التّأكيد على ضرورة اشباعها و تسعى الماركسيّة بمختلف الأساليب الى تنمية هذه الدّوافع بوصفها القوّة الّتي يستخدمها التّاريخ في تطوير نفسه حتّى تتمكن من تفجيرها

تفجيرًا ثوريًا و تشرح لأولئك الّذين تتصل بهم ان الآخرين يسرقون جهودهم و ثروتهم فلا يمكن لهم أن يقرّوا هذه السّرقة بحالٍ لأنها اعتداء صارخ على كيانهم الخاص.

و من الجدير بالملاحظة انها في الوقت الّذي تتبنى فيه محاولة الغاء الدّوافع الذّاتية و الأنانية تعمل على معالجة تلك المشكلة وآثارها بتنمية تلك الدّوافع و اثارتها و هذا من أبلغ التّناقضات غرابةً لدعوة تهدف على هدم المجتمع الانساني و أسسه لما تؤدّيه دعوتها من الغاء الطّبيعة الانسانية و تحويله الى مجتمع تبرز فيه ظاهرة شريعة الغاب و الّتي لا تعرف طعم القيم و المبادئ السّامية.

فالماركسية في الوقت الّذي تحاول فيه طرح المذهب الجماعي تتناسى الدّوافع الانسانية الخيّرة في النّفس و تتّجه لتحكيم الدّوافع الشّريرة و دعوتها للسّيطرة على مظاهر الحياة في المجتمع عن طريق ظاهرة ثوريّة مستمرّة و قد كان الأجدر بها لو كانت حَرِيَّةً بالاعتقاد والتّطبيق أن تُرَبّي في كلّ فرد شعورًا عميقًا بالمسؤولية تجاه المجتمع و مصالحه و تفرض عليه لذلك أن يتنازل عن شيء من ثمار أعماله وجهوده و أمواله الخاصّة في سبيل المجتمع و في سبيل الآخرين لا لأنه سرق الآخرين و قد ثاروا عليه لاسترداد حقوقهم الخاصة بل لأنه يحسّ بأنّ ذلك جزء من واجبه و تعبير عن القيم الّتي يؤمن بها.

و كلّ ذلك لينتقل الى مرحلة تتبلور فيها ظاهرة حفظ حقوق الآخرين و سعادتهم لا باثارة دوافعهم الذّاتيّة بل باثارة الدّوافع الجماعيّة و تفجير منابع الخير في نفوسهم كما هو الحال الّذي عليه في الاسلام حيث جسّد بواقعه النّظري و التّطبيقي قمّة الرّعاية الحقيقيّة

للانسان في سبيل ايصاله لمرحلة تبرز فيه طبيعة كيانه الانساني الغني بالقيم و المبادئ العظيمة و الحياة الحرّة الكريمة الشّريفة العفيفة البريئة من كلّ مظاهر التّفسخ و الانحراف و المروق عن النّظام المتكامل الشّامل المدّبر للكون .

و يتّضح لنا من خلال ما تقدّم ان الماركسية ببكائها من الوجهة النظرية على الانسانية المُضْطَهدة و المُسْتَغَلّة و المُعَذَّبة من جراء غطرسة التّطبيق الرّأسمالي تنظر بصورة انسانيّة يكذبها و يميط اللثام عن وجهها القبيح و نواياها الخبيثة التّطبيق العملي لمبادئها في جوانب حياة المجتمع المتعددة فهي من خلال عملية الغاء الحرّيات الفرديّة و طرح المبدأ القائم على أساس ان الانسان جزء من كل وعلى انه ترس في عجلة الانتاج تنفذ التّطبيق الاشتراكي في سبيل ما تدعيه من المحافظة على المجتمع ككل و في سبيل قدسيّة الحزب الواحد أو قدسية النّظام السّياسي في اتحاد قوى الشّعب العاملة على أن يستبيح انتهاك ما يسمى بحرمات الفرد و هي حرمات المال و النّفس و العرض و المسكن و أن تتدخل تدخلاً شائنًا و بغيضاً فيما يسمى بالحقوق المدنيّة .

((فملكية المال الخاص و ان كانت غير قائمة في النّظام الاشتراكي بحكم قيام ملكيّة القطاع العام أو ملكية الدّولة الاّ ان السّلطة القائمة على هذا النّظام تبيح لنفسها حق مطاردة المال المُدَّخَر لفردٍ من أفراد المجتمع امّا مباشرة أو عن طريق فرض الحراسة ان اشتبهت في ولائه للعهد - صاحب السلطة - أو ان أراد هذا العهد أن يؤمن نفسه ضد المؤامرات المتوقعة أو المتوهم وقوعها ضدّه في القريب أو البعيد و لم يخلُ مجتمع اشتراكي حتّى الآن من ادّعاء المؤامرات أو من تلفيقها ضدّ

فئة أو أخرى و اتّخاذ ما يدّعيه أو ما يلفقه منها مبرّرًا للتّدخل في مصادرة المال المدّخر لفرد أو لأفراد وكأنّ الحديث عن المؤامرات في المجتمع الاشتراكي من فرط كثرة ما يدعي منها — ملهاة تتيه فيها يقظة الأفراد و تنجذب نحوها أبصارهم و أسماعهم حتّى لا تتّجه الى قصور الاشتراكية في توصيل ما وعدت به من رخاء اليهم أو حتى لا تتّجه الى امتيازات العصبة الحاكمة الّتي تتمتّع بها وحدها على حساب الكادحين.

وعلى أيّة حال ليس للمال الخاص في حساب جارٍ أو مُدّخَرٍ حرمة تحول دون الوقوف عليه من جانب السّلطة القائمة و دون تتبعه و ليس هو أيضًا ببعيد عن هذه السلطة في أيّ مكان و في أية صورة من الصّور العينيّة.

و حرمة النّفس تكاد لا توجد في مواجهة مصلحة الحزب الحاكم الوحيد أو الطبقة الحاكمة في النّظام الاشتراكي و مذهب (البراجماتزم) أو مذهب المصلحة الذّاتية يلعب الدّور الأول في انتهاك حرمات الأفراد بممارسة ألوان التّعذيب المختلفة و القتل احيانًا دون محاكمة و في غير اعلان عنه فاذا نجا بعض الأفراد من التّعذيب أو القتل فارهاب المباحث و المخابرات سيكون سيفًا مسلّطًا على الرؤوس بحيث لا يدع وقتًا ولا مجالاً لتفكير أو لتصوّر أيّ فرد تُشْتَمّ منه معارضة أو يشتم منه نقد للنّظام أو للحزب فضلاً عن القيام بالفعل بانقلاب أو بثورة أخرى ضد النّظام الحاكم.

و من أجل ذلك الارهاب لا يعني استمرار الحكم الماركسي لفترة طويلة في مجتمع اشتراكي ما ايمان الأفراد به و رضاهم بقيامه و انما يعني بالأحرى سيطرة قوّة الارهاب وانتشار وسائل التّعذيب في المعتقلات

يعنى في الدرجة الأولى انتهاك حرمة النّفوس و اباحة قتلها في سبيل النّظام و الحزب أي في سبيل مجموعة تولّت الحكم و باشرت الرّقابة في المصالح الحكومية و في مؤسّسات القطاع العام.

و العَرْض ليس له مدلول في النّظام الماركسي فضلاً عن أن تكون له حرمة فأكثر الوسائل استخداماً للحصول على اعتراف المشتبه في ولائهم للنّظام القائم هو الاعتداء أمام المعتقل على عفاف زوجته أو على عفاف أخته أو أمه أو بنته أو أيّة قريبة له أو اللواط به في صورة وحشية تنفر منها الكرامة البشريّة بغية حمل المعتقل و دفعه للاعتراف مقابل انهاء هذا الفعل الشّائن و كلّما تحفظ المعتقل باعترافه كلما زادت الوحشية في الاعتداء على عرضه في مواجهته و هو مقيّد الحركة لا يستطيع سوى أن يقبل الأذى و الاهانة و ازدراء انسانيّته.

و المسكن هو أضعف الحرمات في تهجم التّطبيق الماركسي عليه و تعريضه للتّفتيش المتكرّر من وقت لآخر و بالأخص في ظلام الليل و سبات السّاكنين فلا استئذان و لا استئناس قبل الدّخول و لا سلام عند اللقاء و انّما التسلّط و التّخريب عند التّفتيش و انماط الاهانة و الاستفزاز عند السّؤال)) (١).

---

(١) الفكر الاسلامي و المجتمع المعاصر للدكتور محمد البهي ، ص٢٤٨ ـ ٢٥٠

الحرية عند الفلاسفة :

قسّم الفلاسفة الحرية الى خمسة أقسام :

(القسم الأوّل) : الحرّيّة الطبيعيّة المحصلة من طبيعة البشر و هي حقوق الانسان أن يستعمل مواهبه و قواه الطبيعيّة و الأدبية مما يرى فيه خيرًا له كي يتمم ما خلق لأجله .

(القسم الثّاني) الحرّيّة الجسديّة و هي القدرة على أن يعمل مطلقا بلا عائق و لا حاجز و يعاكس هذه الحرية الأمراض و العاهات و العبوديّة وعدم المقدرة و التّحكم و الشّرائع و السّجن .

(القسم الثّالث) الحرّيّة المدنيّة : و هي المعطاة لكلّ انسان كي يستعمل حقوق الانسان الطبيعيّة موافقًا شرائع وعادات وطنه و هي تنحصر في :

١ ــ الحقوق الجسدية .

٢ ــ حقوق التملك النّاتج عن حرية العمل .

٣ ــ حقوق النّكاح و التّربية و الوصايا .

٤ ــ حق حرية الضّمير مثل حرية العمل المراد، التّعليم ، التّملك ، البيع ، المبادلة ، الهبة ، الوصيّة ... أى كل من يملك حقوق الشّخصية يقدر أن يعمل هذه الأعمال تبعًا لشرائع وطنه وعاداته .

و العبوذيّة و الرّق ضد الحرّيّة المدنية حيث العبد و الرّقيق مسيّر لا مخير أي كإمّعَة لا كإنسان .

(القسم الرّابع) الحرّيّة السياسية: وهي حقوق التّدخّل في مهام الحكومة وقد انحصرت في حقوق الانتخاب أي يمكن أن يَنْتَخِب ويُنْتَخَب وفي حرية الطّباعة وفي حقوق الاجتماع وفي حقوق الضّرائب والشّكاوي فالمجرم بكل معانيه الاصطلاحية محروم من هذه الحرّيّة.

(القسم الخامس) الحرّيّة النّفسانيّة أو الأدبية: وهي استطاعة التّصميم على أي عمل بعد فحص أسبابه أي على اختيار واحد من المتضادين أو المتناقضين وهذه هي موضوعنا (١).



(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي ج ٢ ص٢٢ ـ ٢٣.



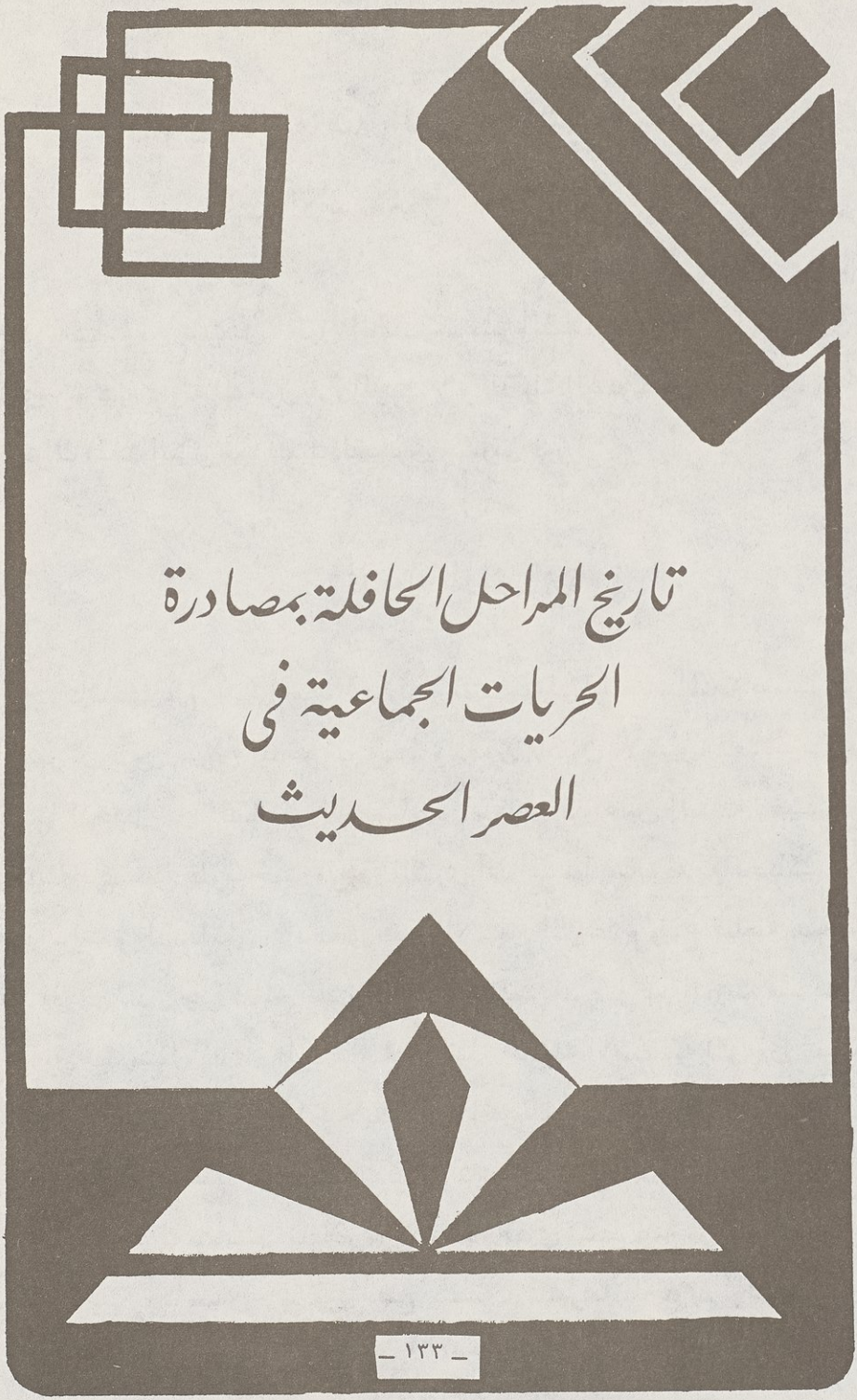

تاريخ المراحل الحافلة بمصادرة الحريات الجماعية في العصر الحديث

الدّول الاسلاميّة الكبرى التي سبقت عصر الاستعمار الحديث

نشأت في مستهل القرن السّادس عشر الميلادي ثلاث دول اسلاميّة كبرى، و هي دولة المغول في الهند ، و الدّولة الصّفوية في ايران ودولة الأتراك العثمانيين في آسيا الصغرى و شرقي اوربا .

الدّولة العثمانيّة

تأسّست عام ١٣٠٠ من الميلاد و امتدّت الى رقعة شاسعة ضمّت الكثير من دول حوض البحر المتوسط و بعض الدّول الأسيوية تعاقب عليها الخلفاء من السّلاطين العثمانيين و كانت دولة من المكانة بحيث بعثت الرّعب في قلوب جميع القوى الكبرى آنذاك مما سعى بهم لحياكة المؤامرات و الدّسائس و السّعي بقدر الامكان الى عدم وقوع سلطة هذه الدّولة في يد رجل صالح ملتزم ثأئر يدعو للجهاد ، و ضمّ المزيد من الدّول بما فيها الدول المتجبرة الى نفوذ الدّولة الاسلامية إلى أن تمّت المؤامرة الكبرى سنة ١٩٢٤ م حيث طرد آخر سلطان عثماني على يد أحد الصهاينة الأتراك يدعى مصطفى كمال اتاتورك عند ما قام بثورته الّتي أدّت الى الاطاحة به و أسند باعلام موجّه و تيّار فكري نشط مكّنه من بسط نفوذه بعد ذلك و تأسيس جمهورية وضع بنفسه دستورها الجديد وعمل

بعده على تغيير مجرى الحياة فيها و من أعظم جرائمه بحق الشعب التركى المسلم عدم الاعتراف بالدّين الاسلامي و معاقبة كلّ من يحاول ترويج الكتب الدينيّة الّتي تدعو لجوّ ديني بدءًا بالمنزل و مرورًا بالمجتمع و انتهاءً بالدّولة حتّى تلك الكتب الّتي تتناول الآداب و العادات الاسلامية حيث تعد كتب مناهضة للثّورة الاتاتوركية الّتى تنص على الانسلاخ عن القيم و المبادئ الاسلامية و الاقتداء المطلق بالفكر الغربي في جميع المجالات و الميادين حتى في مجال الثقافة و الفكر و التّاريخ فقام بحذف الحروف العربية المستعملة في مجال كتابة اللغة التّركية و استبدالها بالأحرف اللاتينية ، و لا زالت الحكومة التّركية الى يومنا هذا تنتهج هذه الفكرة بل تتعدى الى حدود أبعد من ذلك كالاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب للقدس في المحافل الدوليّة و عقد اتفاقيات و معاهدات اقتصادية و ثقافية و تجارية معه كل ذلك للتّعبيرعن ابتعاد مطلق عن كيان المسلمين و عن قضاياه المصيرية الّتي يواجهها و الآلام الّتى يتجرّع غصصها .

و ممّا يثير الاستغراب ان تركيا فى يومنا هذا مع مجاهرتها بكلّ ذلك تشارك في المؤتمرات الاسلامية الّتي تعقد بين الحين و الآخر باعتبارها دولة تعيش فيها غالبية ساحقة من المسلمين على الرغم من عدم اعترافها رسميًّا بهذا الدّين ، و يقبل منها الحضور على انها ضيف شرف!!

الدّولة الصّفويّة

تأسّست في ايران و بسطت وجودها على امتداد رقعتها خلال

العام ١٥٠١ م ـ ٩٠٥ هجرية و في عام ١٥٢٤ م ـ ٩٣٠ هجرية توطدت دعائمها و ظهرت كدولة مُوَحّدة قوية في ظل اسماعيل الصّفوي أحد حكامها البارزين و استمرّت بصورتها تلك حتّى سنة ١٧٢٧م ـ ١١٣٩ هجريّة حيث تمكن الأفغانيون من اسقاطها بعد موت أحد حكامها الأقوياء و هو الملك عباس الكبير و كان آخر حكامها هو الملك حسين بن سليمان الّذي انتهت به الدّولة المستقلة و بعد ذلك توالى على دفة الحكم حكام صفويون صوريون يحكم من خلالهم الأفغان الى أن تمكن نادر افشار الملقّب بطهماسب على خان من اقامة حكمه مستقلاً عن نفوذهم و نودي به ملكاً باسم نادر شاه افشار سنة ١٧٣٦ م ـ ١١٤٨ هـ و أسّس دولته الافشارية الّتي لم تكن قد اكتفت بالتّحرّر من قيود النّفوذ الأفغاني ، بل اتّصفت بالميل نحو التّوسّع فوصلت الى افغانستان و الهند لكنه اغتيل في سنة ١١٦٠ هـ و بعده توالى ثلاثة ملوك انتهت بهم الدّولة الأفشارية في سنة ١٢١٨ هـ ـ ١٨٠٢ م ـ و تلتها الدّولة الزندية ثم القاجارية

دولة المغول

أو الدّولة التّيموريّة ـ نسبة الى تيمور لنگ القائد المغولي المسلم الّذي أسّس هذه الامبراطورية الاسلامية في آسيا الوسطى سنة ١٠٠١ م و لا زالت آثار عظمتها شامخة في العاصمة دلهي وغيرها من المدن الهندية و قد استمرت الى بداية منتصف القرن التّاسع عشر الميلادي وعلى التّحديد إلى سنة ١٨٥٧ م و بعد أن تمكن الانجليز في هذه السّنة من الاستيلاء على الهند سياسيًّا و انتقلت على أثرها سلطة الحكم

رسمياً الى التّاج البريطاني زالت هذه الأمبراطورية الكبرى مما شجع وحذى بالهندوس و البوذيين و الهكسيكيين الى الانتقام من الوجود الاسلامي بعد تلك الفترة و قد تمكنوا من بسط نفوذهم في ظلّ الاستعمار الانجليزي الّذي شجّع على ذلك للحيلولة دون قيام المسلمين مرة ثانية بالتفكير في انشاء دولة أخرى على غرار الدّولة التّيمورية و اَعْتَقِدُ ان اسطورة غاندي محرر الهند من الاستعمار البريطاني كما يُصَوَّر مَا هي الاّ لعبة سياسية للقضاء على الوجود الاسلامي الى الأبد ، و هكذا كان بالفعل ، و قد سبق الوجود الاسلامي زمن تيمور لنگ و ذلك عندما وقع الفتح الاسلامى لها فى الفترة ما بين القرن السّابع و القرن الثّامن الميلاديين ، و في تلك الفترة خضعت لحكم العرب الفاتحين و ما كانت دولة المغول الاّ تجديد لعهد الهند بالاسلام .

نشأة التّكتّل الاستعماري الحديث

الاستعمار الشّرقي

كانت دولة (موسكو) نواة الامبراطورية الرّوسيه ثمّ توسعت في اتّجاه الشّرق و الجنوب باتجاه الولايات الاسلامية في كازان و استراكان في منتصف القرن السّادس عشر الميلادي ثمّ اتسعت صوب القوقاز في القرن السّابع عشر بينما امتدّت جنوبًا باتجاه بحر قزوين و استولت على (دير نبت) في القرن الثّامن عشر كما امتدت في منطقة عبر القوقاز لتصل الى مشارق مدينة تبريز .

و في نفس الوقت طرد الرّوس العثمانيين خارج منطقة البحر الأسود و استولوا على أزوف ثم القرم الّتي كانت كلها مناطق تابعة للمسلمين حتى ذلك الحين و عززت تلك الحملات بالامتداد شرقًا عبر سهول الكازاك في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر محتلين طاشقند فى سنة ١٨٦٥ م و سمرقند فى سنة ١٨٦٨ م متوغلين في بامير بحلول عام ١٨٩٠ م و كان ذلك مثيرًا لحفائظ البريطانيين فخططت حدود افغانستان الشّمالية(١) للحدّ من ازدياد النّفوذ الرّوسي .

الثّورة الشّيوعيّة والبداية المشؤومة

و في مطلع القرن العشرين اندلعت الثّورة الشّيوعية فيها بقيادة لينين زعيم الحزب البلشفي عام ١٩١٧ م و أدّت هذه الثّورة الى الاطاحة بحكم القياصرة و انهاء دولتهم .

و أقامت الثّورة اللينينية دولتها على انقاضها و بدأت حملتها التّطهيرية للمسلمين و امحاء كيانهم و الغاء وجودهم لتعارضه مع تيارهم الملحد الكافر فحضر على المسلمين تداول الكتب الدينية و العقائدية و أغلقت المكتبات العامة الّتي كان يفد اليها المسلمون باستمرار للمطالعة و الاستفادة كما عطّلت المحاكم الشّرعية تماماً سنة ١٩٢٧ م و ألغى نظام الأوقاف و تمّ الاستيلاء عليها سنة ١٩٣٠ م و ألغيت الكتابة بالأحرف العربية في نفس تلك السّنة و حوّلت آلاف الجوامع الّتي كان يقدّر عددها في عام ١٩١٢ م بستّة و عشرين ألف جامع يقوم على خدمتها أكثر من

---

(١) مجلة العالم العدد ١٣ ص ٤٢ .

خمسة و أربعين ألف شخص الى دور للدّعارة و الخمور و متاحف و مخازن و مراكز لرجالات الحزب و مقرّات لأنديته و اجتماعاته لما يتمتع به بعضها من فخامة معمارية و جمال الفن الهندسي حتى تدنّى عددها بشكل رهيب فلم يبقَ منها للعبادة سنة ١٩٤١ سوى ألف جامع و انخفض هذا العدد مع استمرار الملاحدة في محاربتهم للمسلمين إلى أقل من خمسمأة جامع سنة ١٩٦٤ م و قاموا كذلك بإغلاق جميع مدارس المسلمين الدّينية وغيرها سنة ١٩٢٨ م و الّتي كان يُقدّر عددها بحوالي ١٥ ألف مدرسة و أعدم الكثير من العلماء خلال ذلك و أشيعت المحرمات في وسط تجمعات المسلمين كتربية الخنازير و انشاء محلاّت للخمور و الدّعارة و أصبح الصّيام شبه مستحيل و خاصة على العمّال في الوظائف الحكوميّة و منعت الاحتفالات الدّينيّة بأيّ شكلٍ من الأشكال و حلّت الادارات الدّينية التّقليديّة و منع المسلمون من الذّهاب الى الحج ، و استمرّ كل ذلك تارة بالشّدة و أخرى باللين حتّى سنة ١٩٧٨ م حيث سمح للمسلمين بفتح ما تبقّى من الجوامع و توقف اضطهاد علماء الدّين بعض الشّيء ، و لكن في الوقت نفسه ظلّت المنظمة الحكومية للدّعاية ضد الاسلام قائمة وهي عبارة عن جهاز تنظيمي ضخم يعمل فيه آلاف المتخصّصين ، و تتمّ الدّعاية المضادة للاسلام عن طريقه بكافة الوسائل الاعلامية العصرية وعلى مختلف المستويات كالمدرسة و النّقابة و المعمل و حتّى عبر الزّيارات المنزلية حيث تجري محاولات لا تخلو من السّخرية كالقول بأن غاغارين و هو رجل فضاء روسي لم ير الاله أثناء رحلته الفضائية و هناك ألوان أخرى من الدّعايات على رأسها مقولة انّ الدّين أفيون الشّعوب مضافاً الى سائر المجالات المختلفة ففي مجال التّاريخ الاسلامي تحاول تصوير

الفتوحات الاسلامية على أساس انها قامت بدافع العصبيّة و العداء للآخرين وعدم احترام حرية العقيدة و تزعم انها تعتمد اسلوب القوّة و الجبروت و الهيمنة لفرض الاسلام سواء في آسيا الوسطى أو القوقاز الغربى و ذلك من قبل السلاطين العثمانيين.

و قد خف التّركيز على هذا الجانب الذي كان شائعاً في الستّينات ، و أمّا في المجال الاجتماعي فإنه يتمّ التّركيز في هذا الجانب على ان الاسلام دين رجعي يضطهد المرأة و لا يرعى حقوقها الطّبيعيّة و يحول دون حصولها على حريتها الواقعية و ما شابه ذلك و يدّعى ان العادات الاسلامية كالصّوم و الختان هي عادات همجيّة غير صحّية و ان الصّلاة تقلل من انتاجية العمل و يدعو لرفع القيود و الضوابط لسلوكية كمراعاة قوانين العفّة و الحياء و الشّرف و يشجع على اشاعة الاباحية فليخالط أى رجل من شاء من النّساء و ليجامع بمن رغب و ان كانت ذات زوج أو في بيت أهلها ولو كان ذلك بمرأى و مسمع منهم.

و بعبارة مختصرة ان الشّيوعية تهدف الى تطبيق قانون حياة الحيوان على عالم الانسان و تدّعى مع ذلك انها تطمح لتطبيق شتّى انماط التّطوّر و الرّقي و الازدهار.

و ليس ذلك كلّ شيء فهناك العجائب و الغرائب الّتى تشدّه الفكر و تحير البال و تضحك الثكلى.

و أما في المجال الأخلاقي فهي تركّز على جانب الالتزام و التّقيد في السلوك و تصف الاسلام بأنه يدعو للتّعصّب و التّعقيد وعدم افساح أيّ لون من التصرّفات النابعة عن انبعاثات الارادة الذاتية في الانسان وحتى يصل الى حدّ الجبر و ارتفاع الاختيار و إن الانسان معها ضعيف

مخذول و هو بذلك يعارض الاشتراكية السّوفياتية .

و أما في المجال الثّقافي فتتهم الاسلام برجعيّة فنّه و أدبه و ضيق أفقه و انه يعكس في حقيقته آداب العصور الاقطاعيّة .

و أما في المجال القومي فتصوّر الاسلام على انه دين عداء للانسانية و فرقة و حرب و فقدان السّلام و التآلف و التّرابط ، و ذلك لأنه يشجع على معاداة الأجانب بتقسيم العالم الى مؤمنين و مشركين .

الاستعمار الغربي
وسياسة الخطوة خطوة

بعد الثّورة الفرنسيّة و ما صاحبها من تطورات على السّاحة الأوربية و استقرار السّلطة بيد فئات متعطّشة للانطلاق و تسخير العالم بأكمله تحت نفوذها بدافع من الغرور و العظمة انطلقت سفن البحرية تحمل ألوية عسكرية تجوب العالم بعد مراحل تدريجية في التّصوّر الفكري عن العالم .

بدأت بكسر حاجز العقدة التى خلقتها الكنيسة في عقولهم مفادها ان المحيط الاطلنطى هو بحر الظلمات كل من يحاول عبوره يواجه مصير الموت و الفناء و كانت رحلة ماجلان هي الفتح الأوّل لنفوذ الاستعمار و استرقاق الشّعوب حيث أعقبتها رحلات أخرى لتمهيد الغزو و الاستيلاء على الخيرات الطبيعيّة و الموارد الاقتصادية الحيوية في تلك البقاع من العالم فارتبطوا في البداية بمعاهدات تجارية لافساح المجال لهم لبناء قواعد حربيّة و عسكريّة بالتّدريج و تثبيت دعائمها للقدرة على الانطلاق

بصورة نهائيّة لاخضاع تلك الشّعوب و ممّا دعاهم لمثل هذا التفكير صعوبة المواصلات و توصيل الامدادات و البعد الشّاسع لهذه الدول عن بلدانهم الطامحة للاستعمار.

فأسّسوا شركة الهند الشّرقية في ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠ م و شركة الهند الهولندية فى سنة ١٦٠٢ م.

و شركة ثالثة سنة ١٦٨٩ م.

اعتمدت في البداية على التّبادل التّجاري و تنشيط عملية نقل المواد الأولية للصّناعات التحويلية الى أوربا.

و قد استفادوا من هذه الشّركات أموراً عدّة:

(الأوّل) دراسة المواقع الجغرافية و طرق الملاحة البحرية و رسم الخرائط الفنيّة و تحديد المواقع ذات الأهمية التّجارية و الطّابع الاستراتيجي.

(الثّاني) دراسة موسعة و تقيمية للقدرات الدّفاعية و القتالية لتلك الشّعوب و مواضع الخلل و التّصدّع.

(الثّالث) اشاعة التّحلل الخلقي عن طريق استقطاب نساء حسناوات من اوربا يبرزن أكبر قدر من مفاتنهن أمام مجتمعات تلك الشّعوب و خاصة مع البعثات التّجارية و الوفود الرّسمية كدعوة للتحلّل و للانسلاخ عن عاداتهم و تحفظاتهم من أمثال تلك الأمور و رافق ذلك العمل على انهاك القوى بترويج المخدرات التى اكتشفوها عند بعض قبائل تلك المناطق و تسويقها تجارياً في المنطقة بأكملها و التّرغيب اليها و التّشجيع على زراعتها.

(الرّابع) حصولهم على التّصاريح بقبول انشائهم لبعض الموانئ

الخاصة لرسو السّفن الأوربية و رعايتها و ورش للتّصليح و امـــداد ات المؤونة .

(الخامس) شراء بعض الأراضي المجاورة لتلك الموانئ و بدء عمليّة بناء مستوطنات قريبة من تلك المؤانئ تمنع دخول الأجانب اليها للحيلولة دون انكشاف أمرهم و ما يضمرونه في صدورهم .

(السّادس) استدعاء بعض الألوية الحربية بحجة الدّفاع عن تلك المستوطنات من غارات القبائل عليها ، و من ثمّ انشاء اسطول بحـــري يجوب تلك المياه بحجة الحفاظ على تأمين سلامة السفن التجارية مـــن القراصنة البحريين و رفع الشّعارات الامبراطورية المخيفة و الايهـــام بالعظمة و القدرة على تلك السفن .

و قد مهد ذلك للتواجد بصورة تدريجية بشكل ضخم و فعّال فـــي تلك المناطق بنحو قلب موازين القوى لصالح كفّة الأوربيين الّذين أنقضوا بعد ذلك على تلك الشّعوب انقضاض الأسد على فريسته و حقّقوا مـــا طمحوا الى تنفيذه بعد عشرات السّنين من التّخطيط و الدّراسات و بدأ بعد ذلك التوسّع الاستعمارى لينال بقيّة الدّول .

(السّابع) جمع المعلومات عن كيفيّة تصنيع كثير من المواد الطبيعيّة و تحويلها الى أشكال المختلفة من أهالي تلك المناطق و على رأسهـــا المطاط .

(الثّامن) السّيطرة الكاملة على الثّروات و مصادرة منابعها مـــن أصحابها الأصليّين و ظهور نظام الاقطاع و الرقّ .

(التّاسع) تحويل تلك الدّول من دول مصدرة الى دول مستهلكـة حيث تصنع موادّ الأولية في اوربا و تعاد مرةً ثانية لتباع عليهم فـــي

أسواقهم بأسعار مضاعفة ، و قد عمدوا من خلال ذلك الى أضعاف ثقتهم بأنفسهم و ذلك بعد عرضها بصورة جذّابة تخطف الأنظار و ألوان زاهية برّاقة لم يعهدوها في سابق عهدهم .

العالم الاسلامي وبدء مرحله مصادرة العقيدة والحريات الفكرية والثقافيّة والاجتماعيّة

بعد ذلك توجهت أنظار المستعمرين الى العالم الاسلامي الّذي يُعَد بالنّسبة لهم كحجر عثرة يتهدد مصالحهم في العالم و يشكّل منافسة قوية و خطيرة و أكد ذلك وجود نزعة قديمة تجيش في نفوسهم و تغلي في صدورهم ضد الاسلام و المسلمين أصّلتها الطبقة الكهنوتية الكنيسيّةو ذكريات الحملات الصليبيّة .

فبدأوا معهم بنفس التّخطيط الّذي انتهجوه مع دول شرق آسيا و جزر المحيط الهندي بخبرة واسعة و تجارب عملية سابقة لكنهم هذه المرّة كانوا أكثر حذرًا مما مضى و تحسبًا للخطر الّذي قد ينجم عن وحدة المسلمين والذى قد يترتب عليها زوالهم من الوجود و ذهاب سلطانهم بلا رجعة و خوفًا من الكيان الاسلامي الصّعب المراس الّذي يعتبر في التّضحية و الاستبسال طريق فخر و اعتزاز والقتل في سبيل الجهاد سعادة أبديّة .

عقد الوفاق الثلاثي
الكنيسي - اليهودي - الاستعماري

كانت الكنيسة تخشى من الاسلام الّذي كان يقلقها على الدّوام و يثير حفيظتها و روعها لقرب عالِمِهِ منها و امتيازه عليها بالعدد وسلاح الايمان الرّهيب الخارج عن كافة موازين القوى المتعقّلة و الممكنة التّصوّر والمجابهة .

و كانت في المقابل اليهودية تطمح لاقتلاع جذور الاسلام فضلاً عن المسيحيّة و اطفاء جذوته المتّقدة و قطع أصوله و الغاء وجوده لأنها وجدته مخالفاً لمبادئها و طموحاتها التّوسعية و أهدافها الاستعمارية و وجدت فيه أسلحة وقائية هائلة تحول دون تمكنها من السّيطرة على الشّعوب الاسلاميّة و امتلاك أزمة أمورهم و اخضاعهم لسلطانهم و العبث بهم حسب شهواتهم و رغباتهم .

و كانت قوى الاستعمار في مهدها قد بلغتها أخبار خيرات العالم الاسلامي و حيويّته الاقتصادية و استراتيجية موقعه الحسّاس في العالم و احتوائه على مراكز الرّبط الحضاري و التّجاري و الثّقافي بين الشّرق و الغرب .

و كل من الكنيسة و اليهودية و القوى الاستعمارية الناشئة غير قادرةٍ بمفردها على عمل شيء يحقّق آمالها و بغيتها و يشفي غليلها و يجد ضالّتها في عدوّها .

و للدّور العريق الذي لعبته الدّوائر المسيحيّة و اليهودية ضدّ المسلمين و قدم عهدهما و احاطتهما بخبرة واسعة و تجارب عمليّة فعليّة و للدّور المتميّز لكليهما قرّرت القوى الاستعمارية النّاشئة العمل باتجاه تقريب وجهات النّظر بين التّكتلين المتقدّمين لما منيت به من خيبة آمال و اصطدمت به من عقبات في سعيها لاشباع أطماعها و نزواتها و نهمها الشّرس ·

فأجرت اتصالات مكثفة مع الأقطاب المعنية بادارة شؤون الكتلتين المتضاربتين و عرضت عليهما عروضاً مغرية لقاء مساهمتهم في تحقيق أهدافهم المتمثلة في الوصول الى قلب العالم الاسلامي و كانت النّتيجة بهذا النحو :

أ ـ وعدت الدّوائر الاستعمارية الكنيسة بتمكين سياسة التبشير و الدّعوة الى تنصير الشّعوب الّتى ستقع تحت سيطرتها شريطة أن تساهم الكنيسة في تأصيل روح التبعيّة و الخضوع المطلق و الرّضوخ التّام و الكامل لأوامره عن طريق التّأثير العقائدي و السّلطة البابويّة ·

ب ـ وعدت الدّوائر الاستعمارية اليهود ان استتب لها الأمر بالعمل على اقتطاع الأرض المقدسة فلسطين من العالم الاسلامي ومنحها لهم لقاء تعاون مؤسّساتهم الماسونية و أجهزتهم معها في القيام بعملية التّمهيد لمرحلة ما قبل الغزو العسكري و المساهمة في صرف أنظار الشّعوب المسلمة و مسخ أفكارهم و عقائدهم و ضوابطهم السّلوكية عن طريق اشاعة الفساد الأخلاقي و التّحلل الجنسي الخ و اذابة القوى السياسية المناهضة في هذا التيّار في مرحلة ما بعد التّدخل العلني للمستعمر لضمان ديمومية تسلّطه و بقائه ·

مع تعهده فى المقابل بحفظ كيانهم في فلسطين بعد اغتصابها من الأخطار الّتي قد تحدق بهم .

و السّبب في ذلك العرض و النّمط من الاغراء اعتزاز اليهود أكثر من المسيحية و تعلّقهم بالقدس و طمحهم المتواصل لنيلها و بسط سيطرتهم عليها من أجل اعادة بناء هيكل سليمان و أعاده مجد اليهود في أرضهم المقدسة الّتي أخرجوا منها .

و كان كلٌّ من هٰذَيْنِ العَرْضَيْنِ يتقدمه اقتراح بضرورة صرف النّظر عن محاربة الطّرف الآخر و تكريس كافة الجهود و المؤامرات و الدّسائس المبذولة باتجاه المسلمين و ديارهم .

و بذلك عزف اليهود برهة من الزّمن عن ما جاء في تلموذهم فى شأن المسيح و أتباعه النّصارى :

((انّ يسوع النّاصري موجود في لجّات الجحيم و بين الغار والنّار و قد أتت به اُمُّه من العسكري بانذار عن طريق الخطيئة اما الكنائس النّصرانية فهي قاذورات و الواعظون فيها أشبه بالكلاب النّابحة ، و ان الاسرائيلى أفضل من الملائكة عند اللّه فاذا ضرب مسيحيّ يهوديًّا فكأنه ضرب العزّة الالهية و ان الفرق بين الانسان و الحيوان كالفرق بين اليهود و بقية الشعوب)) .

و فى أعقاب ذلك صدر التقرير التالي كبداية تنفيذ المؤامرة المبرمة و صفارة الشروع بالانطلاق .

((ها قد هبّت النّصرانية و الموسويّة لمقاتلة المحمدية و هما تأملان أن تتمكنا من تدمير عدوتهما)) .

و عشية سقوط القدس صرح الكاردينال بوركاردينال برلين لمجلة

تابلت الانكليزية الكاثوليكية عام ١٩٦٧ م بعد أن رعى صلاة المسيحيين مع اليهود في كنيس يهودي لأوّل مرّة في تاريخ المسيحيّة : ان المسيحيّين لابدّ لهم من التّعاون مع اليهود للقضاء على الاسلام و تخليص الأرض المقدسة .

و قال راند ولف تشرشل في كتابه حرب الأيام الستة :

لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين و اليهود على السّواء ان سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، ان القدس قد خرجت من أيدى المسلمين و قد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها الى القدس اليهودية و لن تعود الى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين و اليهود .

لقد كان جزاء اليهود سخيًّا و كبيرًا نظرًا لمسؤوليتهم الّتي سيتكفّلون بالتّصدى لها و الأعباء الّتي سيكابدونها و المشاق الدّائمة في سبيل خدمة الاستعمار و تمكينه من نهب ثروات الشّعوب الاسلاميّة و الاستيلاء على منابع قوّتهم .

و من الطّبيعي حينئذٍ أن نجد بعضهم يصرح بمثل ما صرح به الكاتب الصّهيوني (ايرل بوغر) في كتابه العهد و السّيف الّذي صدر عام ١٩٦٥ م : حيث قال :

((انّ المبدأ الّذي قام عليه وجود اسرائيل منذ البداية هو انّ العرب لابدّ أن يبادروا ذات يوم الى التّعاون معها و لكي يصبح هذا التّعاون ممكنًا فيجب القضاء على جميع العناصر الّتي تغذّي شعور العداء ضد اسرائيل في العالم العربي و هي عناصر رجعيّة تتمثل في رجال الدّين و المشايخ)) .

لقد سعى اليهود في مطلع القرن العشرين إلى شـــراء أرض فلسطين بالمال فتقدموا الى السلطان عبد الحميد سلطان الدّولـــة العثمانية بذلك الطلب و بذلوا كافة العروض المغرية .

فجابههم بالرفض الشّديد في وقت كانت دولته أحوج ما تكون فيـه الى المال .

وعندها لم يجدوا بدّاً من الاطاحة به و بدولته الى حيث لا رجعة و ذلك بعد الاتفاق الثلاثي المتقدم فألّفوا جمعية تركيا الفتاة أو حـــزب الاتحاد و التّرقّي لأجل هذا الغرض . .

وفي تلك الأثناء بدأت القوى الاستعمارية تلعب دورها المُكمِّـــل لأدوار المنظّمات الماسونية و توالت المؤامرات تلو الأخرى و بدأت التّقارير السّريّة تنهال على دوائر المخابرات الاستعمارية في بريطانيا و فرنسا .

فهذا لورنس الجاسوس البريطاني يرفع تقريره الى المخابـــرات البريطانية في شهر كانون الثاني ١٩١٦ م تحت عنوان (سياسات مكّـــة) يحدد فيه الأهداف الرئيسية لبريطانيا بعد دراسته الميدانية لقلـــب الخلافة العثمانية .

((أهدافنا الرئيسية : تفتيت الوحدة الاسلامية و دحر الامبراطوريـة العثمانية و تدميرها . . . و اذا عرفنا كيف نعامل العرب و هم الأقل وعياً للاستقرار من الأتراك فسيبقون في دوّامه من الفوضى السياسيّة داخـــل دويلات صغيرة حاقدة و متنافرة غير قابلة للتّماسك)) .

ويقول في موضع آخر منه :

((لو تمكّنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجـــأة و بالعنف لقضينا على خطر الاسلام الى الأبد و دفعنا المسلمين الـــى

اعلان الحرب على أنفسهم فنمزّقهم من داخلهم و في عقر دارهم)).

و يقول جاسوسان آخران يدعيان بفيليب ناتيلي و كولين سمبسون : في كتاب لهما :

((من حق بريطانيا أن تنظر بعين الاهتمام الى سقوط الامبراطوريّة العثمانية الّذي كان يعني دعوة خطرة بالنّسبة اليها خصوصًا و ان هذه الامبراطورية كانت عبارة عن وحدة دينية متماسكة يحكمها السّلطان كخليفة للمسلمين و زعيم لمسلمي العالم.

فقد خشيت بريطانيا على وجودها في المستعمرات ففي الهند مثلاً حيث كانت تتحكم في مصير حوالى سبعين مليوناً من المسلمين كان قلقها ينبع من احتمال تعاون هؤلاء المسلمين مع الامبراطورية العثمانية بتلبيتهم نداء الخليفة باعلان الجهاد المقدس و مع اعتراف بريطانيا بمضاعفات الخطر الّذي ينجم عن ذلك الجهاد الا انها قررت مجابهته معتبرةً ايّاه أكثر أمناً لمنطقة الشرق الأوسط من الفراغ المحتمل الّذي ستخلفه الدّولة العثمانية وراءها)).

و كتب لويد جورج في مذكراته عن الحرب مانصه :

((ان عملاءنا لدى العرب و من بينهم أناس من ذوى الاختيار المشهود لهم بمهارتهم في فنون الديبلوماسيّة الشرقيّة راحوا يعملون على اثارة روح الثّورة و يتعهدون بتقديم الأسلحة و الذخائر...)).

و جاء في بيان حول السياسة الخارجية المرفوعة الى المجلس الحربي الامبراطوري الذى حمله بلفور رئيس البعثة البريطانية الخاصة أثناء زيارته لأمريكا وحيث سلمه الى وزير الخارجية لانسنغ في واشنطن يوم ١٨ / ٥ / ١٩١٧ م :

((أما السياسة المتعلقة بتركيا : لاشك ان تحطيم الامبراطورية العثمانية الفعلي هو أحد الأهداف الّتي نعمل على تحقيقها ...)).

وقال ضياء الدّين أحمد في كتاب حركة القومية العربية بعد نقل الوثائق الأخيرة :

و لذلك كان من الطّبيعي ان تهاجم الامبراطورية العثمانية عبر رعاياها من العرب فأعدت بريطانيا و فرنسا و الدّول الغربيّة الأخرى العدّة لتمزيق الدّولة الاسلامية و وقع اختيارها في هذه المرة على عملائها من العرب و كانت بداية الإعْدَاد لهذه الثّورة قد جرت باتّصال الانجليز بالشّريف حسين في مكة قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى من خلال ولده الأميّر عبد اللّه الّذي كان يومذاك نائبًا عن مكة في البرلمان العثماني الجديد فكان يمرّ بالقاهرة في طريق ذهابه الى استانبول وعودته منها .

و قد جرى اول لقاء بين الانجليز و بين الأمير عبد اللّه فى أوائل عام ١٩١٤م ، عند ما اجتمع هو مع اللورد كتشنر ((Kitchener)) فى سراي القبّة في القاهرة ، و بحضور الخديوي ، و في نفس اليوم جرى اجتماع ثانٍ بين الأمير عبد اللّه و اللورد كتشنر و رونالد ستورز فى قصر عابدين ، و اعربا له عن رضى الحكومة البريطانية عن الوضع في الحجاز، وفي عصر اليوم نفسه زارهما الأمير و اجتمع بهما .

و في زيارته الثّانية للقاهرة ، اجتمع الأمير عبد اللّه عند ما كان في طريقه الى استانبول كذلك ، ((اجتمع مع ستورز اجتماعًا سريًّا جرى الحديث فيه عن الوضع في الحجاز وعن امكانية القيام بعمل ضد الخلافة العثمانية من أجل انفصال الحجاز عنها .

وعند ما أوشكت الحرب الأولى على الوقوع ، بعث رونالد ستورز

السكرتير الشّرقي لدار الاعماد البريطانى فى القاهرة ، رسولا الى مكة بناء على طلب من وزير الحربيّة البريطانية اللورد كتشنر ، كما جاء ذلك فى البرقية التى أرسلتها وزارة الخارجية البريطانية الى المستر تشيتام القائم بالأعمال في القاهرة ، وكان نص البرقية كما يلي :

((يبعث اللورد كتشنر بما يلى :

تقرير المخابرات ، في السّادس من ايلول عن موقف شريف مكة ·

اطلب من ستورز أن يرسل من قبلي رسولاً سريّا يجري اختياره بحذر الى الشّريف عبد اللّه للتّأكد ، هل سيقف هو ووالده وعرب الحجاز الى جانبنا أو سيكون ضدنا ، فيما اذا تمكن النفوذ الألماني العسكري في استانبول من ارغام الخليفة ، رغم ارادته وارغام الباب العالي على القيام بأعمال عدوانية وحربية معادية لبريطانيا العظمى)) ·

ووصل الرسول السّري المبعوث من بريطانيا الى مكة وعقد محادثات سرية مع الشّريف ، وكان موقف الشّريف من بريطانيا ، انه يسعى لخلق صلة أمتن وروابط أوثق معها ، كما جاء ذلك في البرقية الّتي بعث بها المستر تشيتام من القاهرة الى لندن فى ٣١ تشرين الأول ـ ١٩١٤ م والّتي نصت على ما يلي :

((برقيتكم رقم ٢١٩ ·

رجع الرسول من مكة يحمل رسالة من الشّريف عبد اللّه ، الجواب متحفظ ولكنه ودي ومؤيّد لنا ·

انه يريد (صلة أمتن) مع بريطانيا العظمى ··· وقد عبّر الشّريف نفسه في محادثة سرية مع الرّسول عن آرائه بكل صراحة ووضوح حين قال :

(مدّوا لنا يد العون فإنّنا لن نساعد هؤلاء الظّالمين) ، وكان

استقبال الرسول و معاملته باحترام بالخ ٠٠٠))٠

و في اليوم الّذي وصلت فيه هذه البرقيّة الى الخارجية البريطانية أرسلت الخارجية برقية جوابية ، تطلب فيها استمرار الاتصال بالشّريف و نقل تحيات اللورد كتشنر له و تمنيه بتتويجه ملكاً عربيًا في مكّة كما جاء في ما تضمنه نص هذه البرقية :

من وزارة الخارجية البريطانية الى المستر تشيتام :

((برقيتكم رقم ٢٣٢ بتاريخ ٣١ تشرين الأول ٠

ما يلي من اللورد كتشنر :

يبعث اللورد كيتشنر بسلامه الى الشّريف عبد اللّه٠

٠٠٠٠ و من الممكن أن يتولى الخلافة في مكة أو المدينة شخص من العنصر العربي العريق ، و يمكن أن يحدث خير بإذن اللّه من هذه الشّرور الواقعة الآن)) (١)

و بعد أن وصلت هذه البرقية الى القاهرة كتب رونالد ستورز رسالة على أساس مضمون هذه البرقيّة و بعث بها بيد رسول خاص الى الأمير عبد اللّه ، و الرّسالة مكتوبة بلغة منمّقة و ديباجة تتردد فيها كلمات الاطراء و الاطناب بغية خلق انطباعات حسنة في نفس الأمير ٠

و بعد مضى أربعين يومًا ، أي في ١٠ كانون الأول ١٩١٤ م بعث المستر تشيتام بالبرقية التّالية إلى وزارة الخارجية :

((برقيتكم رقم ٣٠٣ :

عاد الرسول من رحلته الثّانية الى مكة يحمل رسالة ثانية من الشّريف عبد اللّه و الرّسالة مكتوبة بعبارات ودّيّة و تؤكد مرة ثانية مشاعره الودية تجاه بريطانيا العظمى وتنص بصراحة على ان والده لا ينوى اتباع سياسة

معادية لمصالحنا ، و قد أكد شريف مكة في حديث شفوي مرات عدّة أنّ صداقته أقوى كثيرًا ممّا تعبّر عنه رسالته ...)) .

و في الوقت نفسه الذي كانت الاتصالات فيه قائمة على قدم و ساق بين بريطانيا و الشّريف ، كان ستورز و جلبرت كلايتون من دائرة الاستخبارات العسكرية ، يجريان اتصالات مع عزيز على المصري و غيره حول امكان قيام ثورة عربية ، و عزيز على هذا كان ضابطًا في الجيش العثماني ، اسس سنة ١٩١٤ م جمعية ((العهد)) السّرية الّتي تشكّلت من الضبّاط العرب ، والمعروفة باتجاهها القومي ، و كان قد ألقى الأتراك عليه القبض و أصدروا بحقه حكم الاعدام و لكن توسط بريطانيا له لدى الحكومة العثمانية من خلال السّفير البريطاني أدّى لأن يصدر عفو عنه فأطلق سراحه و سافر الى مصر و أقام بها .

و استمرت الاتصالات بين بريطانيا و الشّريف لتتخذ شكلاً آخر ، بواسطة السّير ارثر هنري مكماهون ، الذي كان يشغل وظيفة المعتمد السّامي البريطاني في مصر منذ شباط ١٩١٤ م .

حيث نشأت عن هذه الاتصالات مراسلات سرّيّة جرت بين مكماهون المعتمد البريطاني و الشّريف حسين ، من تاريخ ١٤ / ٧ / ١٩١٥م وحتّى ١٠ / ٣ / ١٩١٦ م ، عرفت فيما بعد بمراسلات مكماهون والشّريف حسين .

فكانت رسائل مكماهون تترجم الى العربية في دار المعتمد البريطاني في القاهرة ، ثم ترسل سرًا الى الشّريف حسين عن طريق رسول خاص ، و أما رسائل الشّريف حسين الى مكماهون فكانت تترجم الى الانجليزية في القاهرة ، و قد بلغت هذه الرسائل بمجموعها عشرة رسائل كانت خمسة منها من الشريف حسين الى مكماهون ، و خمسة منها من

مكماهون الى الشريف حسين ، و قد بقي أمر هذه الرسائل سرّاً فترةً طويلةً .

و قد انتجت هذه الاتصالات المكثّفة بين الشّريف حسين و بريطانيا الثّورة العربية ، الّتي قادها الشّريف حسين ضد الخلافة العثمانيّة ، و كان قد تم قبل اعلان هذه الثّورة بشهر واحد أي في ١٦ ايار ١٩١٦م تمّ الاتفاق بين فرنسا و بريطانيا سراً على أقتسام البلاد الواقعة تحت حكم الخلافة العثمانية ، ثم انضمت فيما بعد الى هذا الاتفاق روسيا ، و عرف هذا الاتفاق بعد ذلك باسم مَنْدُوبَي انجلترا و فرنسا اللّذَيْنِ وقّعا عليه ، و هما مارك سايكس الانجليزي الخبير في شؤون الشّرق الأوسط ، و جورج بيكو قنصل فرنسا في بيروت عند نشوب الحرب ، فسمّي الاتفاق باتفاقية ((سايكس بيكو)) .

و بدأت الثّورة العربية باطلاق الشّريف حسين من قصره في مكة الرّصاصة الأولى على ثكنة الترك في فجر ١٠ حزيران ١٩١٦ م ايذاناً منه باعلان الثورة .

و تولّت بريطانيا امداد الثّورة عسكرياً و مالياً ، اضافة الى فرنسا ((حيث وصلت في ٢٠ / ٩ / ١٩١٦ م بعثة فرنسية يرأسها الضّابط بريموند الى جدّة ... و كانت تحمل معها مبلغاً من المال قدره مليون و مئتا ألف فرنك ذهبي معونة الى الشّريف حسين ، ثم تلا ذلك وصول فرقة عسكرية فرنسية صغيرة مزودة بعدد قليل من الرّشاشات الفرنسيّة ، و مدافع الميدان ، و البنادق الحربيّة ، و قد رحب الشّريف حسين بالبعثة الفرنسية ترحيباً حاراً)) .

و أعلن الشّريف حسين ، ان :

((الثّورة عربية ، و تشمل كل عربي ، كائنًا من كان ، شريطة أن يكون صادقًا لوطنه ، و ملخصًا لقومه))

وكان الشّريف حسين قد أكّد في احدى رسائله مع مكماهون ، حول حديثه عن المنطقة الغربية السّاحلية و انها بلاد عربية صرفة انه ((ليس هناك فرق بين المسلم العربي و المسيحي العربي)) .

و اشترك في الثّورة أبناء الشّريف حسين الأربعة :

الأمير على ، الأمير عبد الله ، الأمير فيصل ، الأمير زيد ، اضافة الى عدد كبير من الضبّاط العرب الأعضاء في جمعية العهد العربية السّرية ، وكان قسم من هؤلاء الضّباط قد هرب من الجيش العثماني و انضمّ الى الانجليز ، و من بين هؤلاء الضّباط ، نورى السّعيد ؛ . الذى عرف فيما بعد كأقوى شخصية سياسية (عميلة للانجليز) في العراق و الشّرق الأوسط حتى عام ١٩٥٨ م ، وعزيز على المصرى الذي تقدم ذكره .

وكانت العلاقة بين الحركات القومية و الشّريف حسين ، قد نشأت في عام ١٩١٥ م من خلال رحلات الأمير فيصل ابن الشريف حسين الى سورية و استانبول ، و قيام الأمير فيصل باتصالات و مباحثات مع الجمعيات العربية العاملة في دمشق ((العهد)) و ((العربية الفتاة)) ، وكان ان اسفرت هذه المباحثات ، التى اطلع فيها أعضاء الجمعيتين على بداية مراسلات الشّريف حسين و مكماهون ، عن صياغة مذكرة سلمت الى فيصل لتكون قاعدة للتّحالف المطروح مع انجلترا .

و بعد أن بدأت ثورة الشّريف حسين في مكة ، تولّى ولده فيصل قيادة القوات الزّاحفة من مكة باتجاه بلاد الشّام يعاونه في ذلك توماس ادوارد لورنس الضّابط في دائرة الاستخبارات البريطانية في القاهرة

و الّذي عرف فيما بعد بـ (لورنس العرب) .

و قام السّير رجينالد وينجيت ، بالاشراف على الأعمال العسكرية و اطعام و تموين الجيش و الاستراتيجية الحربية .

و استطاعت الثّورة أن تستولي على معظم المواقع التركية في الحجاز (الطّائف و مكة و المدينة) و حاصرت القوات التركية في المدينة ، و سدّت منافذ البحر الأحمر و وقفت أمام الحملة التّركية الالمانية الذّاهبة إلى اليمن و قد أتت وفود بلاد العرب الى مكة في موسم الحج تهنّئ الحسين وذلك في تشرين الأول عام ١٩١٦ م ، و تألّفت أوّل وزارة عربيّة برئاسة الشّيخ عبد اللّه السّراج ، و بويع الحسين في اليوم التّالي ملكًا على العرب .

و في شهر ايار ١٩١٧ م اجرى بيكو مقابلتين مع الملك حسين وسلّمه رسالة من الحكومة الفرنسية ، و في جوابه على هذه الرسالة ، تلا الملك حسين بصوت جهوري ، اعلانًا أثناء المقابلة جاء فيه :

((لقد علم جلالة الملك حسين بكثير من الرضى ان الحكومة الفرنسية قد وافقت على ما تتطلع اليه القومية العربية من آمال ، ان جلالة الملك له ملء الثقة ببريطانيا العظمى ، و انه سيسر اذا ما اتبعت الحكومة الفرنسية في منطقة الشّاطىء السّوري المسلم السياسة ذاتها التى تتبعها بريطانيا نحو العرب ...)) .

و في ٦ / ٧ / ١٩١٧ م دخل فيصل و جيشه العقبة و احتلّوها يساعدهم في ذلك لورنس ، و في ٣٠ / ٩ / ١٩١٨ م انتهى عهد الحكم العثماني لدمشق الّذي استمرّ زهاء الأربعمأة عام و رفع على التّحرير العربي فوق مبنى البلديّة .

و في الخامس من تشرين الأول شكّل الأمير فيصل ((حكومة عسكرية

عربية)) في دمشق لسوريا ، بمعرفة الجنرال اللنبي و بترخيص منه .

ثم أصدر بياناً الى الشّعب السّوري ختمه بتشديد القول حول ان حكومته حكومة عربية تقوم على أساس من العدل و المساواة بين جميع العرب الذين سيتمتعون بالحقوق ذاتها سواء كانوا مسلمين أم نصارى أم يهود .

و في (١١) تشرين الثّاني ،قام الأمير فيصل بزيارة مدينة حلب، وقد ألقى فيها خطاباً يوم زيارته أمام أعيان المدينة و ممثلي احيائها المختلفة ، وكان أعظم نداء ، وجهه في هذه الخطبة دعوته للوحدة العربية ، مؤكداً النّاحية القومية لهذه الوحدة لا النّاحية الدينية ، فانّه هو نفسه على حدّ قوله ، عربي قبل أن يكون من اتباع دين ما ، ((أنا عربي قبل كلّ شيء)) فقد كان العرب عرباً قبل أن يكونوا مسلمين و مسيحيين و يهوداً ... و لذا ((فمن يسعى لايقاع الشّقاق بين المسلم و المسيحى و الموسوي فما هو بعربى)) .

و كذلك كان فيصل فى نفس تلك الفترة يوجه نداءات الى عرب سوريا و لبنان يدعوهم فيها أن يتحدوا في اطار قوّة جديدة علمانية هي القوميّة العربية .

هذه هي الثورة العربية و هذه هي قيادتها ، فهي كما اعترف فيصل نفسه بذلك ، كما صرح في خطابه الّذي ألقاه في مؤتمر الصّلح في باريس عام ١٩١٩ م حيث قال :

((جئت ممثلاً والدى الّذي قاد الثّورة العربيّة ضد الأتراك تلبيةً منه لرغبة بريطانيا و فرنسا ... و قال أيضاً :

ان العرب يعترفون بالجميل لبريطانيا و فرنسا و يشكرونهما على ما قدمتاه من عون فى سبيل تحرير أوطانهم)) .

وقد عرف عن فيصل هذا علاقاته الوثيقة مع الصّهاينة ، حيث اجتمع فيصل مع رجل الصهيونية المعروف الدكتور حاييم وايزمن بعد أن أوعز له الجنرال اللنبي بذلك في اليوم الرّابع من حزيران ١٩١٨ م في مقر قيادته في الغويرة الّتي تقع بين العقبة وعمان ، وجرى بينهما تبادل مرضي في وجهات النّظر ، ثم جرى اجتماع ثانٍ في لندن بين وايزمن و فيصل بحضور لورنس الّذي كان مترجمًا .

واجتمع فيصل كذلك بزعماء يهود آخرين في وليمة أقامها اللـــورد روتشيلد على شرفه .

هذه هي الثورة العربية الكبرى بايجاز :

١ ــ خططت لها بريطانيا عبر اتصالاتها المكثفة مع الشّريف حسين وقد مرّ بنا ان أبرز صور هذا الاتصال هي ((مراسلات حسين مكماهون)) .

٢ ــ أضعفت الدّولة العثمانية بتمزيق بعض أوصالها من خـــلال فصل الحجاز و بلاد الشّام عنها ، و بذلك حققت غرض بريطانيا و فرنســا و الغرب .

٣ ــ تعاونت كل من بريطانيا و فرنســا على امدادهــا بالسّــلاح و الأموال و القادة مثل ((لورنس العرب)) .

٤ ــ دعا قادة الثّورة الحسين و أبناؤه الى الغاء أيّ رابطة أخرى غير العربية بين العرب نصاراهم و يهود همووو مسلميهم .

٥ ــ كان أبرز الضّباط الذين شاركوا فيها نوري سعيد و آخـرون أو بالأحرى كل قياديها حتّى أولاد الشّريف حسين مثل فيصل ، سلّمهـم الاستكبار البريطاني و الفرنسي حكم العراق و بلاد الشّام .

٦ ــ كانت تربط أبرز قيادي الثّورة (فيصل) علاقات حميمة مع زعماء

الحركة الصهيونية (١) .

ولما سقطت تركيا مع حليفتها المانيا خاسرة في الحرب العالمية الأولى دخلت الجيوش الانكليزية واليونانية والايطالية والفرنسية أراضي الدّولة العثمانية وسيطرت على جميع أراضيها بما فيها العاصمة استانبول .

وعند ما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انكلترا على تركيا انها لن تنسحب من أراضيها الآ بعد تنفيذ الشّروط التالية كجزء من مسرحية لتنفيذ المؤامرة الخفية ولايجاد مبررات معقولة لطرحها عملياً .

أ ـ الغاء الخلافة الاسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

ب ـ أن تتعهد تركيا باخماد كلّ حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

ج ـ ان تقطع تركيا صلتها بالاسلام .

د ـ أن تختار لها دستوراً مدنيّاً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الاسلام .

لقد تمت هذه الاتفاقية على الرّغم من بعد حكمها السّابق عن روح الاسلام الآ ان أعداء الاسلام كانوا يخشون أن تتحوّل هذه الخلافة من خلافة شكليّة الى خلافة حقيقيّة تهدد هم بالخطر .

وقد أجاد كمال اتاتورك الصهيوني الماسوني تنفيد الشّروط السّابقة بدقّة واتقان ولما اطمأن الحلفاء لسير الخطة على أحسن ما يرام انسحبت قواتها من تركيا .

---

(١) حركة القومية العربية ص ١٣٣ ـ ١٤٣ .

و لما وقف كرزون وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا احتجّ بعض النّوّاب الانكليز بعنف على كرزون و استغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا التى يمكن أن تجمع حولها الدّول الاسلامية مرة أخرى و تهجم على الغرب .

فأجاب كرزون : لقد قضينا على تركيا الّتي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين الاسلام و الخلافة .

فصفّق النّوّاب الانكليز كلهم و سكتت المعارضة .

٢ -

تسليط اضواء العمل الموجه والمنظم على مراكز الثقل الفكري والتربوي في العالم الاسلامي

اعتمد المخطّط الاستعمارى الجديد أسلوب انتخاب الوسائل و الامكانيّات الكفيلة بالسيطرة على أعماق منافذ الارادة فى داخل الانسان لأنّ الاستعباد الظاهرى لأفراد الشعوب لا يجدى نفعا ما دام يتمتّع الانسان معه بحريّة الارادة و صحوة الضمير و يقظة الذوات و القدرة على صنع القرارات و الاستقلال بها و لأجل تلافى العوائق و السلبيّات الّتى تقف فى وجه أطماعه الابتزازيّة و الانتهازيّة باشر تنفيذ مؤامراته الاستعباديّة بالنحو التالى :

أ ـ الحوزات الدّينية

تعد الحوزات الدّينيّة في جميع الأقطار الاسلامية مركزاً حيويّاً وحسّاساً مهما كانت الظّروف و التّقلّبات الزّمنيه و تغيّر معالم الحضاره على امتداد الأزمنه ، فهي المراكز الّتي ترفد المجتمع بكوادر تولّي الأمور الحسبيه و اقامة الجمعه و الجماعه و القيام بالاشراف على خلايا المجتمع كوحدات تنشأ من تعاقد شرعي مخصوص كما تساهم في حل المعضلات و المشكلات الأسريه و الشّخصيّه و تعمل كحلقه وصل بين معايشته اليوميه للأحداث والفوارق الطبقيه و فضّ المنازعات و تغديه العقول بالأخلاق و القيم و المبادئ و الايدلوجيه الالهيه و هي الجهه الوحيده الّتي تذوب في النّاس و تعيش معها آلامها و آمالها و طموحاتها ، وتعتبر ذلك واجباً و تكليفاً شرعيّاً ملقى على عاتقها .

و بامكاننا أن نوجز دور الحوزه في عدّها كصمام أمان يحفظ الجامعه البشريه من الانحراف الفكري و العقائدي و السّلوكي و كاكسير فعّال لنظم الحياه البشريه وفق ميزان الاعتذال و الحكمه الالهيه .

و لهذا الدّور البالغ الأهميه و الحساسيه الّذي تلعبه الحوزات ركّز الاستعمار أنظاره عليها و بذل غايه جهده و امكاناته للسّيطره عليها بأيّ شكل من الأشكال و خطط و فكّر طويلاً و رسم أبعاد الجبهه الّتي سيخوض غمار حرب ضروس فيها لأنه يدرك طبيعه عدوّه الجديد الصّعب المراس و قد دفعها ذلك لرسم سياسه محكمه تبتني على اتّجاهات :

(الاتّجاه الأوّل) العمل على ارسال الجواسيس و ذلك بعد

امضائهم لفترة تخصص يدرسون خلالها لغة البلد الّذي سيبعثون اليه لكي يساعدهم ذلك على أداء مأموريتهم بسلام و نجاح و يسر لتقصّي الحقائق و الأسرار و استكشاف هيكلية النّظام المتبع فيها و تحسس المناطق القابله للنّفوذ و التّغلغل في أوساط القوى الفاعله و المتمثله بالمراجع و الفقهاء و المجتهدين .

(الاتّجاه الثّاني) العمل على جذب أصحاب العقائد الشّاذة و الأفكار المنحرفه و تنسيق العمل فيما بينها على وجه يساهم في خدمة الهدف الّذي تخطط له الدّوائر الاستعمارية و يسير باتجاه خطوطه العريضة .

(الاتّجاه الثّالث) العمل على شراء أصحاب العقول الضّعيفه و السّذج و النّفوس الموبوءة مضافاً الى ذوي النّفوس الشّريرة لِيُكَوِّنُوا تَكَتُّلَ اسنادٍ يحفّ بأصحاب العقائد المنحرفة من علماء الدّين و تدعيم فعاليّتهم في المجتمع و اظهارهم بمظهر العظمة والعلوّ و نشر أقوالهم وأفكارهم الهدّامة بأيّ وسيلة متاحة ممكنة .

(الاتّجاه الرّابع) السّعي لترويج الكتب المضلّله و المناهضة للاسلام لتأخذ مأخذها في النّفوس و تعكير صفو الجوّ الدّراسي في الحوزات باختلاق الفتن و الاضطرابات بين صفوف الطلاّب و العلماء لقتل أكبر قدر ممكن من أوقاتهم دون الاستفادة منها .

(الاتّجاه الخامس) العمل على ايجاد التّفرقة بين المثقّفين و علماء الدّين و توسيع الشّقة و الهوة بينهما بقدر الامكان و الانتهاء بالتّالي إلى عزل الكوادر المؤثرة في مرافق الدّولة عن التأثّر باتّجاهات علماء الدّين و الغاء ثقلهم السّياسي .

(الاتّجاه السادس) تكذير صفاء النّظرة الّتي يكنّها مجموع الشّعب لعلماء الدّين و ذلك عن طريق الايعاز لبعض المتسلّلين في الحوزات العلمية وغيرها من الدّخلاء و الأدعياء لِيَتَّبِعُوا سلوكًا منافيًا لمبادئ الدّين السّامية و أخلاقية الشّخصية الملتزمة و الظّهور بمظهر الابتذال و الشّذوذ العقلي و الوضاعة الشّخصية و مخالفة الضّوابط الصّحيّة و النّظافة الجسدية وعدم مراعاة اللبس الصّحيح و أودّ الاشارة ههنا الى بيئتين حوزويتين تاريخيتين تمتاز كل واحدة منهما بظواهر مفارقة للأخرى.

الأولى: حوزة النّجف الأشرف، تلك الحوزة النّموذجية الّتي كانت مهدًا خصبًا لتخريج الفطاحل و الفحول على مرّ التّاريخ امتازت بجوّ الالتزام و الروحية الايمانية العالية في السّلوك و الملبس فلم يكن يسمح جوّها العام لأيّ فرد منها بسياقة السّيّارة فضلاً عن الدّرّاجة النّارية والهوائية أو الأكل في الطّرقات و الشوارع أو لبس السّاعة في اليد حسب الأصول الغربيّة أو ارتداء باطلونات الجينز خلف السترة أو الأحذية بكافة أشكالها و أنواعها و كانت العمامة تخضع لمقاييس و ضوابط جيّدة مضافًا للجبّة و العباءة.

أما حوزة قم المشرفة صانها اللّه تعالى عن طوارق الحدثان وبوائق الزمان فهي خلو من ذلك كلّه فليست هناك ضوابط و أصول يفرضها الجوّ العام فلكل طالب أن يلبس ما شاء و يتصرّف بالنّحو الّذي يشاء.

فمن الطبيعي أن تجد طالبًا يرتدي البزة الدّينية و قد رفع جبّته و ربطها في وسط بطنه و قد برز سرواله يسوق درّاجة نارية في وسط الطرقات و في بعض الأحيان و يا للأسف مع زوجته و أخرى مضافًا الى أولاده.

و من الطّبيعي أن تجد طالبًا يرتدي العمامه و الجبّة و هو يتناول البوظه في وسط الشّارع .

و من الطبيعي أن تجد كثيرًا من طلبة العلوم الدّينية عمامتهم عبارة عن شريط يحيط بالجبهة و عرض الرّأس بينما النّاصية مكشوفه و الشّعر بارز بأكمله من أعلى و مناظر كثير منهم تبعث على الاشمئزاز و التّقزز .

و من الطّبيعى أن تجد بعضاً منهم يرتدي الأحدية الرّياضيّة .

لقد سمعت ان ساواك الشاه فى العهد البائد هو الّذي كان يستأجر بعض الأشخاص لممارسة هذا السّلوك و ارتداء اللباس بهذا النحو لتنفير الشّعب من طلبة العلوم الدّينية بينما اليوم نجد هذه الأمور مجتمعة قد أصبحت من العادات المألوفه و لا أدرى هذه المرّة من يقف وراء هذه الظّواهر، و أغلب الظّن انّ أيدي خبيثة تابعة للمنافقين أو العملاء الخارجيين يدبرون هذه المؤامرات .

و لذا فانّي أهيب بالمسؤولين المشرفين على الحوزة لوضع حد لهذه الاستهتارات و المناظر المشينة بكيان و وجود الحوزات العلمية لدينية الأصيلة و استرعي انتباههم لمثل ذلك عسى أن أجدهم آذانا ساغية .

(الاتّجاه السّابع) ممارسة عملية الاغتيال عن طريق السمّ لطلّاب لعلم و الفضيلة كما سيمرّ عليك بعض شواهده في جرائم و خيانات لعقائد الضالّة المنحرفة التى أسّسها الاستعمار فى العالم الاسلامي هناك بعض العادات الشّائعة في ايران تستوجب الحدر و الحيطة بالخصوص لعلماء الدّين .

فإنّنا نجد كثيرًا من الأطفال و الرّجال يقفون أمام بوابات الصّحن الشّريف في قم و هم يحملون أكياسًا فيها حلويّات يقدمونها للنّاس و يسألونهم الاسترحام لموتاهم و قراءة الفاتحة و اهداء ثوابها لهم و هي عمليّة سهلة للمنافقين لكي يقوموا بتنفيد جرائمهم و ذلك عن طريق هذه الظّاهرة بوضع سم في حلويّات و توزيعها على طلبة العلوم الدّينية أثناء خروجهم من حلقات الدّرس المعقودة في داخل أروقة الحرم بنفس طريقة أولئك .

و قد صادَف أن حدث لي في أحد الأيام عند ما كنت جالسًا للتّدريس في أحد زوايا باحة المسجد الأعظم المجاور للحرم الشّريف من ذلك ما يثير الرّيبة فقد جاء طفل و هو يحمل طبقًا فيه تمر و قدمه أمامي على العادة الجارية فأخذت منه تمرةً واحدةً على غير عادتي في الامتناع عن أخذ شيء من ذلك و لما وضعتها في فمي أحسست بحالة مفاجئة غريبة فقد زاد نبض القلب بصورة كبيرة و أصيبت أُذُناي بحالة شبيهة بالصّمم و شعرت باضطراب شامل و شيء أشبه شيء بوخز الأبر فطلبت من الشّخص الّذي كان معي بالبحث عن الطّفل بأسرع ما يمكن و لما أخذ ينظر و يتلفت يمنةً و يسرةً لم يجده فسلمت أمري الى اللّه عز و جل و استمريت على هذا الحال في ذلك اليوم من الصّباح حتّى قريب المغرب حيث رفع اللّه عز و جل ما بي برحمته و كرمه و منّه و فضله و سلّمني من شرّ ما ألمّ بي و أصابني بعد الالتجاء اليه و الدّعاء و المسألة و الحمد للّه تعالى على جزيل نواله و عظيم رأفته و رحمته و خاتمته .

و لذلك أتوجّه بالنّصيحة الى كافة اخواني و آبائي من أصحاب العلم و الفضيلة بالامتناع التّام عن تقبّل أيّ شيء من ذلك و التزام

الحيطة و الحذر التّامّين و بالخصوص في هذه الأوقات العصيبة الّتي باتت معها قوى الاستعمار العالمي تحيك المؤامرات تلو الأخرى ضدّهم في كلّ مكان و مِصر مهما كلّف ذلك من أثمان في محاولة للقضاء على عوامل عوده الصّحوه الدّينية و تأجّجها في الشّعوب المسلمه الّتي تترصد لكيانها بالويل و الثّبور، و تهددها بالدمار و تتوعّدها بالانتقام و القصاص.

ب ـ الجامعات العلميّة والفكريّة

تعتبر الجامعات العلميّة و الفكرية في العصر الحديث منابع القدرة الحقيقية لهيكلية و روح الدّوله بكلّ ما تضمّ في رقعتها من مؤسّسات و دوائر و وزارات.

فتعتمد في جملتها على الجامعات و الكلّيات الّتي تغذيها بالكوادر اللازمه لادارة دفّة البلاد في كافة التّخصّصات و الميادين و الأنشطة الوزارية و السّياسية و الاقتصادية و الطّبيّة و المهينة و هي بهذا الثقل تأتي في المرتبة الثّانية بعد الحوزات الدّينية في البلاد الاسلامية.

و لأجل ذلك لم يغفل الاستعمار عن هذه الأهمية الّتي تتحلّى بها هذه المؤسّسة الجبّارة فعمدت أثناء سيطرتها على الدّول الاسلاميّة على ربط برامجها و دراساتها بالجامعات المتواجده في الدّول الاستعماريه و اخضاعها الكامل اليها في الصّغيرة و الكبيرة و ايفاد مراقبين اليها بصوره خبراء و مشرفين أخصّائيين للنّظر في أحطّ المناهج قيمه و أدناها أثراً و تغذيةً ثمّ تقريرها في المناهج الدّراسية.

و قد ركّز هؤلاء الخبراء الموفدين بدعوى المساهمة في رقي و انماء المستوى التعليمى على تأصيل خطّيْن فكريّين مضافاً لمجمل البرامج التّعليميّة المشوبة بالمسحة القشرية و التّزييف العلمي المستبطن ٠

الخط الاوّل

اثارة الشبهات حول القيم الاسلاميّة

و اظهارها بمظهر ينفر الطّبائع و العقول اليقظه و تفسيرها تفسيرًا يجعلها في مصاف الخرافات الشّنيعه و الأفكار الشاذّه الوضيعه فقد جاء فى العدد رقم ٨٠ للسنه الثّامنه و الثّمانين لصحيفه ((The Montreal Star)) بتاريخ ٥ ابريل سنه ١٩٥٦ م تحدث آب دومينيكاني المقيم في مصر حيث تحدث فى احد محاضراته عن علم الكلام الاسلامى بجامعة مونتريال وعن النّظرة الاسلامية فى الحياة بقوله :

((ان المسلمين يتجنّبون النّاس الّذين يشتغلون بالمال ويعتبرونهم أقرب للكلاب منهم للبشر)) ٠

و قال مستشرق يدعى فيليب فونداسي في كتابه دراسة عن الاسلام في افريقيا السوداء في تعريف الزكاة :

((ان الأموال المادية فى نظر الاسلام هي من أصل شيطاني نجس و يحلّ للمسلم أن يتمتّع بهذه الأموال شريطه أن يطهّرها و ذلك بإرجاع هذه الأموال الى اللّه)) ٠

و يشرح المستشرقون مبدأ الاسلام في عدم قبول المسلم لولايه الأجنبي عن دينه بفكرة عدم التّعاون مع الشّعوب الأخرى و حبّ الانطواء

و العزلة عنها أو بفكرة النّفرة من رياسة غير المسلم ولو كان ذا كفـــاءة و أهليّة للرياسة و تصدّي التّوجيه أكثر من المسلمين أنفسهم .

أمّا الجهاد فقد أظهره هؤلاء على انه فكرة الاعتداء نفسها أعطاها الاسلام صيغة شرعية و دينية كي يدفع بها المسلم لمهاجمة غير المسلم في وقت آمن فيه على نفسه و عرضه و ماله انها فكرة الغدر أو تشجيع العدوان و ان الاسلام بذلك يعد دين ارهاب و سلب و نهب و حرب و فوضى و اثارة القلاقل و اسالة الدّماء و تعدّي على كرامات الآخرين و حقوقهم .

و يشرح الاستشراق المبدأ الاسلامي في الزّوجيّة و هو مبدأ قوامه الرّجل على المرأة بفكرة التفوّق ((Superiority)) و يجعل منه اماره على نظرة الاسلام الى وضع كل من الرجل و المرأة في الحياة فهو يسمو بالرجل الى درى الرفعة بينما يهبط بالمرأة الى هاوية الضّعة اما طاعة المرأة للرجل فتعرض على انها نوع من الاذلال و سبب لفرض الرّق و العبودية على نصف البشرية الى غير ذلك مما يترتّب على هذا الشرح المغرض .

و أما مسألة عدم زواج المسلمة بغير المسلم فانهم يعرضونها على انها فكرة العنصرية القائمة على تمييز الشّعوب بعضها على بعض بدافع العصبيّة الكريهة أو بدافع الغرور دون أن يكون هناك مبرّر واقعي أو منطقي لهذا التّمييز .

و أمّا فكرة العودة الى القرآن و المطالبة بتحكيم سلطته من جديد في سائر مرافق الحياة من قِبَل المصلحين و الثّائرين و الرّجوع بالأُمّة الى الأصالة الاسلامية و رفض التّخلّي عنها فإنّهم خرّجُوْهَا إلى معانٍ

معاكسه و وصفوها بأنها دعوات هدّامه و رجعيّه فقالوا ان ذلك يعني الرّجوع الى عصر الصّحابه الأول و هو رجوع الى الحياه البدائيه الّتي كانت للجماعه الاسلاميه الأولى و بذلك يتخلّى المسلمون عن الأزدهار الذى أوصلتهم اليه المدنيّه الغربيّه فهؤلاء الذين يصورهم المستشرقون على انهم جماعه بدائيه متخلفه تسعى لحرمان النّاس من الاصلاح الحقيقي الّذي يوجب فى نظرهم الأخذ بأساليب المدنيه الحديثه و القوانين المعاصره و أسلوب الحكم الحديث و انها تدّعى الاصلاح عن جهل بمعناه.

و في المجال العقائدي حاولوا أن لا يبعثوا في نفوسهم روح المناهضه للعقائد المنحرفه و الّتي تدّعي الاسلام و الّتي شكّلت و بذرت بذرتها الأولى على أيديهم كما سيأتي تفصيله من أمثال الكشفيه والبابيه و البهائيه و القاديانيه و الأحمديه الخ تلك المذاهب المنحرفه الّتي وجدت لها أرضاً خصبةً في وسط الجامعات على اختلاف مجالاتها و تخصّصاتها على الرّغم مما هي عليه من التّهافت الفكري و المبادئ الخرافيه الجليّه.

و لهذا نجدهم يصرحون في بادئ الأمر بأمثال هذه العباره كما جاء فى كتاب مؤتمر العالمين المسيحيين بين المسلمين:

((ان المسلمين يدّعون ان في الاسلام ما يلبّي كلّ حاجه اجتماعيه في البشر، فعلينا نحن المبشّرين أن نقاوم الاسلام بالأسلحه الفكريّه و الرّوحيّه)) (١).

و لذلك أسّسوا علوماً تهدف في جملتها لاثاره الفتن و ايجاد

---

(١) التبشير و الاستعمار، ص/ ١٩١.

القطيعة بين الشّعوب الاسلامية من أمثال علم الأجناس الّذي يركّز بحثه على الفوارق الجنسية و أثرها في ايجاد تصوّرات خاصّة و اثارة النّزعات العرقية و الطائفية و القومية تحت ستار بحوث تباين البيئة الجغرافية و العوامل الثّقافية القديمة للشّعوب الاسلامية ·

فهم بهذا يحاولون ايجاد أرضية صالحة لتقبّل المذاهب العقائدية الجديدة و يهيّئوا الكوادر الجامعية لخدمتها عن طريق المشاركة الفعلية و الانتماء العضوي أو المساندة العاطفية و الاعلامية لقد سعوا في دسائسهم الفكرية تلك الى اظهار الاسلام على انه متعدد لا يقبل الوحدة لأنّ الافهام مختلفة و لكلّ واحد منها حق التّفسير بالنّحو الّذي ترتأيه ما دام المصدر المعتمد هو القرآن مضافاً الى الايمان بالرّسالة المحمدية ·

و ان هذا الاختلاف طبيعي و ضروري يقتضيه الاختلاف الجغرافي و العرقي و القومي و الخلفية الفكرية ولذلك فمن المعقول و المقبول ان تنشأ مذاهب فكرية عقائدية اسلامية جديدة لأن الزّمن لا زال قابلاً للتّجديد و لا زال محلاً لنشأة عقول تحمل أفكارًا مغايرة لأسلافهم ، فاذا كان هناك اسلام الهند و اسلام تركيا و اسلام البربر في شمال افريقيا و اسلام مصر و اسلام الملايو و اندونيسيا و اسلام الصحراء الكبرى و افريقية السّوداء فما الضير في الاعتراف باسلام محمد بن عبد الوهّاب و اسلام حسين على النورى البهاء و الرّشتي و أضرابهم ما دام الجميع مسلمون بحكم الاعتبار الاسلامي ·

و هي نظرة استوحوها من نظر العلماء المسيحيّين لدينهم بعد الثّورة الفرنسية و النهضة الأوربية الّتي مرّ بيانها و الّتي تقيّم الدّين

المسيحي على انه دين فردي أو دين شخصي بمعنى انه يتكيّف حسب الفرد و يتأثر بشخصه أي ليست المسيحيّة ديناً يتكوّن من مبادئ ، و انما هي شعور فردي و احساس شخصي بالأصول المقدّسه ان الوحي المسيحي ليس كتاباً يتلى و يشرح بل هو (عيسى) نفسه يستحضر صفاته و يقتدى به في نفس المؤمنين حسب اختلافهم في ادراك هذه الصّفات و حسب اختلافهم في تحديدها فالمسيحيّة لأنها احساس و شعور فردي ليست واحده في التّصوّر و التّبعيّة و مع ذلك فالمؤمنون بعيسى جميعاً مسيحيّون مهما اختلفوا فيما بينهم .

و بهذا التّصوّر للمسيحيه تأثر شبابنا المسلم الجامعي في الحكم على الاسلام و دفعوه عن طريق ذلك للاستخفاف بالدّين و بقياداته و امتهانها و استهجانها لأنه قد انطبع في شعوره روح الاستقلال في فهم الاسلام و انه قادر على صياغة الاسلام بالنّحو الّذي يرغب فيه ، و ان ذلك حقّ طبيعيّ له استناداً لقاعده انّ الاسلام متعدّد حسب تعدّد شعوبه و حسب اختلاف العوامل الثقافيّه الّتي تأثر بها مسلمو هذه الشّعوب في فهم القرآن كذلك هو متعدّد حسب تعدّد طوائف المسلمين .

و قد بلغني ان أحد الشّباب الجامعي في البحرين الّذي وقع ضحية لهذا الفهم الخاطئ و المغلوط اذا ابتلى بتكليف شرعي و جهل حكمه في أثنائه كان يقوم بكتابه الأحكام الّتي يتصوّرها لهذه المسألة على ورقه و اذا انتهى منها يقوم بالنّظر الى سلبيّات و ايجابيّات كلّ حكم احتمله في بادئ الأمر ، فاذا انتهى منها جميعاً نظر فى أكثرها ايجابيّة أخذه وعمل به .

و لم يصل الأمر بهم الى هذا الحدّ بل سعوا لتشويه صورته

و اصالته المستمدّة من السماء على المستوى العالمي ، و هذا ما نلاحظه في موسوعة تاريخ الجنس البشري و تقدّمه الثقافي و العلمي الّتي أصدرتها منظّمة العلوم و الثّقافة العالميّة (اليونسكو) التّابعة لمنظّمة الأمم المتحدة فقد جاء فيها في الفصل العاشر من المجلّد الثّالث : في تعريف الاسلام :

١ ــ الاسلام ترتيب ملفق من اليهودية و المسيحية و الوثنية العربية .

٢ ــ القرآن كتاب ليس فيه بلاغة .

٣ ــ الأحاديث النبويّة وضعت من قبل بعض النّاس بعد الرسول بفترة طويلة و نسبت الى الرّسول .

٤ ــ وضع الفقهاء المسلمون الفقه الاسلامي مستندين الى القانون الروماني و القانون الفارسي و التّوراة و قوانين الكنيسة .

٥ ــ لا قيمة للمرأة في المجتمع الاسلامي .

٦ ــ أرهق الاسلام أهل الذّمّة بالجزية و الخراج .

و من أجل اماتة التّوجّه نحو القرآن و العقيدة الاسلامية في الحياة و المجتمع كانت الدّعوة الى احياء الفرعونية و التمجيد لها في مصر و الآشورية في العراق و البربرية في شمال افريقيا و الفينيقيّة على ساحل فلسطين و لبنان و لالغاء أعجاز القرآن و تذوّقه عن طريق الفهم الصّحيح للعلوم اللغوية العربية عملوا على حرف مسار دراساتها التّقليدية و وعروا مسالكها ليلقوا في الأذهان عبارة مفادها ان اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم و بدلاً منها يجب أن تستخدم اللغة العامية و اللهجات الدّارجة و لم تقف المؤامرة الى هذا الحد ، بل اتّبعوها

بدعوة تنص على وجوب استخدام الحروف اللاتينية عوضاً عن الأحـــــرف الأبجدية العربية .

مؤامرة تيسير قواعد اللغه العربية

و قد عمدوا في سبيل تحقيق ذلك الى مجموعة من مشاهير الأدباء العملاء ، وعلى يد حكومه لأكبر دوله عربية فقد ألّفت وزاره المعـــارف المصرية سنة ١٩٣٨ م لجنه من أساتذه مصر قوامها أحمد أمين و طـــه حسين و على الجارم و محمد أبوبكر و ابراهيم مصطفى و عبد المجيـــد ، و عهدت اليهم مسأله تيسير العلوم العربية و نهضت اللجنة بالمهمّـــه الملقاه على عاتقها و حققت خطوه عمليه لا تقدر بثمن للاستعمار الّـــذي ربما عجز عن تحقيقها بقدراته الذّاتيه .

كانت هذه المبادره قد نشأت عن جذور بذرت بذرتها خـــلال سنوات طويله سبقتها فقد نشأت هذه الدعوه في ظل استعباد الغـــرب لبلاد العرب و المسلمين و في حمايته من ناحيه و في حضانه التّبشير من ناحيه أخرى سبيتا ، فولار ، فاول قبلوت ، بوريان ، ماسبيرو الذين قادوا هذه الدّعوه في مصر منذ سنة ١٨٨٠ م فظهر صداها أول ما ظهر فـــي صحيفه المقتطف الشّهريه أولاً سنه ١٨٨٢ م ثم اتّصل الى بقيّه السماسره و منهم فارس نمر و كان المستر سمارت مستشار السّفاره الانجليزيه زوجـــاً لابنته .

جميع هؤلاء ظهروا بصوره مؤلفين و علماء لغه نادوا خلالها باتخاذ اللهجه العاميه و الّتي دوّنوا بها كتبهم لغه للتّدوين و التأليف و الأدب

الرّفيع و وضع بعضهم كتباً استنبط منها قواعد للهجة المصرية العاميّة و اقتصر معظمهم على لهجة القاهرة محاولاً اقناع المصريّين بأن لهجتهم هذه لها كل مقومات اللغة الرّاقية .

و لهذا فان بامكاننا أن نقول أن اللجنة المؤلفة من قبل وزارة المعارف المصرية لم تأت بشيء جديد ، و انما هي ورقة أراد الاستعمار أن يكسب هذه المبادرة روح النّجاح و التّأثير و يمررها الى طريق التنفيذ العملي الجدّي .

و كلّ من ضمّتهم كانوا من تجّار القلم و سماسرة الأدب الّذين خلت قلوبهم عن حبّ القرآن و الارتباط به و الايمان باعجازه .

و هذا ما صرح به بعضهم علانية :

فقال طه حسين في كتاب مستقبل الثّقافة : ((اللغة ملك لنا و لاحقّ لرجال الدين أن يفرضوا وصايتهم عليها)) .

و قال أحمد أمين : ((مذهبي ان اللغة ملك لنا و لسنا ملكاً للغة)) .

و قد لعب لطفي السّيد سنة ١٩١٣ م دوراً ملحوظاً و أبدى نشاطاً هدّاماً تمهيدياً لامكانية تقبل هذه الفكرة على يد الأدباء العرب المأجورين عند ما كتب عدة مقالات في أحد الصحف المصرية يدعو فيها بكل صلافة و جرأة و وقاحة سافرة الى تحريم اللغة العربية الفصحى و استعمال الألفاظ العامية عوضاً عنها .

و قد تصدى لاسكاته و تعرية دعواه عن الغيرة و الحميّة الصادقتين الأستاذ مصطفى صادق الرّافعي بمقال جاء فيه :

((حيثما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها بتاريخ الأمة و اتصال

الأمه بها وجدتها الصّفه الثّابته الّتي لا تزول الاّ بزوال الجنسيه وانسلاخ الأمه من تاريخها و اشتمالها جلد امّه أخرى فلو بقي للمصريين شـــيء مميّز من نسب الفراعنه لبقيت لهم جمله مستقله عن اللغه الهيروغليفيـــه و ان في العربيه سرّاً خالداً هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الّذي يجب أن يُؤَدّى على وجهه العربي الصّحيح و يحكم منطقًا و اعرابًا بحيث يكـون الاخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزّيغ بالكلمه عن وجهها ، و بالجمله عن مؤدّاها و بحيث يستوى فيه اللحن الخفي و اللحن الظّاهر ثمّ هـذا المعنى الاسلامي (الدّين) المبني على الغلبه و المعقود على انقـاض الأمم و القيم على الفطره الانسانيه حيث توزّعت و أين استقرّت فالأمر أكبـر من أن يؤثّر فيه سوره حمق أو تأخذ منه كلمه جهل ، انما القرآن جنسيـه لغويه تجمع أطراف النّسبه الى العربيه فلا يزال أهله مستعربين بـــه متميّزين بهذه الجنسيه حقيقةً أو حكماً ولو لا هذه العربيه الّتي حفظهـا القرآن على النّاس و ردّهم اليها و أوجبها عليهم لما أطرد التاريـــخ الاسلامي و لا تراخت به الأيّام الى ماشاء اللّه و لما تماسكت أجزاء هـذه الأمّه ... الخ)).

و أما مؤامره وزاره المعارف المصريه الآنفه الذّكر فقد تكفّل بشأنهـا أحد مشاهير علماء النّجف الأجلاّء و خيره فضلائها النّبلاء و هو العلاّمـه الشّيخ محمد الجواد الجزائري و ذلك عند ما بعثت الوزاره المصريـــه بالمقترحات التّجديديه للعلوم العربية نسخة منها الى وزاره المعـــارف العراقيه الّتي قامت بمسعىً مشكور عند ما بعثت بها الى جامعه النّجـف الأشرف لتبدي رأيها فيها :

مصدّره بمذكره هذا نصّها :

(وزارة معارف العراق) العدد ١٣٨٣٨

الترجمة و النشر التاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ هـ

٢٦ تموز سنة ١٩٣٨ م

الى حضرة الأستاذ الشّيخ محمد الجواد الجزائري المحترم :

بعد التّحية : نرسل اليكم بطيّه نسخة من التّقرير الّذي رفعته لجنة النّظر في تيسير قواعد النّحو و الصّرف و البلاغة بقرار من وزارة المعارف المصريّة و الّذي وجه الى هذه الوزارة لابداء رأيها فيه لما لهذا الموضوع من علاقة كبيرة بمعاهد التّعليم في الأقطار العربيّة كافة و لمّا كانت هذه الفكرة الجليلة ترمي الى تيسير قواعد اللغة العربية على المتعلّمين و ازالة المتاعب الموجودة في سبيل تعليمها لذلك يرجى افادتنا بما ترونه في التقرير المذكور من المحسنات و المحاذير و موافاتنا برأيكم في الموضوع و تفضّلوا بقبول فائق الاحترام .

مدير التّدريس والتربية

فلمّا أطلع العلاّمة محمد الجواد على التّقرير و تمعّنه بعين التّدقيق و التفحّص و النمحيص وجده طافحًا بالخديعة و المكر و الحيلة مملوءًا بالمغالطات و المفارقات الشّاسعة مع لغة الضّاد و أصولها و ضوابطها تفوح منها رائحة منتنة بالعمالة الصّريحة و العداء المتأصّل للاسلام و القرآن الخالد فدفعه ذلك لتعريتها عن الصّحة وكشف زيفها و حقيقة تآمرها من خلال كتاب ألّفه على عجلة أودع فيه الاستدلال العلمي الرصين المسهب على تهافت كلّ قاعدةٍ جديدةٍ أسّسوها و مسألة مختلقة أوردوها و بدعة و دسيسة طمحوا لتثبيتها .

صدّره بقوله : ان الصّناعة العربية منذ نشأتها شخصية معتصمة بنفسها في سبيل غايتها متميّزة الخصائص و أسماه : ((نقد الاقتراحات المصرية)) و أرسله الى وزارة المعارف العراقية الّتي قامت بارساله إلى وزارة المعارف المصرية معتبرة اياه جوابها النّهائي بشأن مقترحاتها التّجديدية و هكذا أخمدت المؤامرة في عقر دارها .

متن اللغة

قامت الكنيسة الكاثوليكية في لبنان بتأليف معجم لغوي عربي أسمته المنجد كجزء من سلسلة التآمر على الاسلام و المسلمين و اعتمد مؤلّفه اليسوعي في جمعه على المعاني العاميّة الدّارجة في لبنان و لمّا تمّ اصدار طبعته الأولى جابهه النّقاد بالرّدود اللاذعة و عرّوه عن الصّحة و الأصالة و كان أوّل معجم للغة العربية يعتمد في ترتيب مواده على الترتيب الأبجدي الميسّر دون النّظر الى أصل المادة الاشتقاقية و هو نظام ترتيب المعاجم الأوربية و يعد ذلك تضعيف للفهم الاشتقاقي الّذي هو خصيصة متميّزة في اللغة العربية بغضّ النّظر عن التّحريفات المعنوية المتعمّدة و في محاولة لحفظ ماء الوجه قامت الكنيسة مجدّداً بعقد اجتماع لأدبائها أعادوا كتابته و صياغة كلماته بصورة أكثر فصاحة و أحكاماً في التّحريف المعنوي للكلمات العربيّة ، و لكي يستعيد سمعته من جديد و يمحي تاريخ نشأته الأسود أضافوا اليه الملحق الاعلامي بصورة جذّابة مغرية لغرض ترويجه بأسرع وقت مرةً ثانية ثم ابتكروا خدعة أخرى و هو تغيير الملحق الاعلامي كلّ أربع سنوات يتضمن وقائع و تاريخ

الأحداث الّتي تقع فيها وهكذا تمكّنوا بهذه الحيلة من اعطائه شهرة عالميّة وجني الأرباح الخيالية من وراء تسويقه علاوة على اكسابه صبغة اعلامية جعلته في مصاف المصادر المعتمدة ومما يؤسف له انه وبعد صدور كل طبعة منه يقوم بعض تجّار الكتب في ايران بطبع عشرات الآلاف منه وتسويقه في داخل وخارج البلاد على غفلة وجهل بحقيقة مسألته.

كتابة الاحرف العربية باللاتينية

نصح المستشرقان الفرنسيان ماسينيون وبنيار رئيس البعثة العلمانية في الشّرق بايعاز من أسيادهما أصدقائهما العرب بكتابة لغتهم بالحروف اللاتينية عام ١٩٢٩ م تمشّيًا مع السّياسة الّتي أتبعها الصّهيوني كمال اتاتورك في تركيا.

كما نشرت المقطم في ١٠ تموز ١٩٢٩ مقالاً لمستشرق هولندي اقترح على الحكومة المصرية كتابة العربية بالحروف اللاتينية.

ولما لم تفلح هذه الجهود والدّعوات أوكلت هذه المهمّة الى عميل خبيث يدعى عبد العزيز فهمي الّذي يعد أول عربي يتبنى فكره مثل ذلك والّذي أعطاه الجرأة وتوقع التّأثير حكم وظيفته وعضويته في مجمع اللغة بالقاهرة فقدّم مشروعًا للمجمع بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٤٤ م يرمي الى اتخاذ اللاتينية لرسم الكتابة العربية وقد ردد في تقريره عبارات معروفة سبقه اليها عملاء آخرون من أمثال لطفي السّيد وقاسم أمين وسلامة موسى بل وسبقه اليها ولمور وويليكوكس وغيرهم من ان اللغة كائن حي ينمو

و يهرم و يموت مخلفاً من بعده ذرية لغوية .

و هي القاعدة الّتي قدمتها اللغة اللاتينية و أصرّت اللغة العربية على انها قاعدة باطلة :

و قال الأستاذ أنور الجندي في كتابه الفصحى لغة القرآن بعد نقل الكلام المتقدم .

أما بالنّسبة لاستبدال الحروف العربية باللاتينيّة فايّاكم و هذا الأمر انى افهم اقتباس الحروف اللاتينية في بلاد مثل تركيا و ايران اما في مصر فالحذر من هذا لأن الحروف العربية هي حروف لغة القرآن واذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة الاسلام .

و حكى قبل كلامه هذا كلاماً عن ادوارد دينسون روس مدير مدرسة اللغات الشّرقية في لندن يتناول كيفية عملية استبدال الحروف العربية باللاتينية لاشك ان مصطفى كمال باشا من أكبر العبقريين في العالم فإنّه أراد ادخال اصلاح يحق قانوناً مفروضاً على النّاس خذ مثلا مسألة الحروف لو ألّفت لجنة لبحثها لقضت عشر سنوات بعد سنوات ، دون أن تصل الى نتيجة .

أما كمال باشا فإنّه جلس مع آخر أظنه وزير المعارف و وضع معه الحروف التّركية اللاتينية ثم قال : غداً تكون هذه حروف البلاد و في الغداة فرض الغازي على النّاس تعلمها .

و كلمة حق لابد أن تقال في شأن كتاب الفصحى لغة القرآن للاستاذ أنور الجندي و هى انه خير كتاب ألّف حتى يومنا هذا في الدّفاع عن حريم لغة القرآن بالحجّة و الدّليل و البرهان ، و لذا يجدر بكلّ مهتمّ بشؤون اللغة العربية و القضايا و الشّبهات الّتي أثيرت و تثار

حولها أن يطلع عليه و يمعن النظر فيما تضمنه و جمع بين دفتيه .

لقد أدرك الاستعمار من خلال سعيه الحثيث و المتواصل لتدمير الاسلام القوة الايمانية الّتي لا تخضع للمقاييس و الحسابات المادّية فعجز عن ذلك تمام العجز رغم الجهود الّتي بذلتها لاشاعة الرّذيلة و البغاء كصارف حيوي عن الاتجاه الدّيني و الارتباط العقائدي و الخمر و كافة صور الالهاء و التّعمية و التّغطية و بعد دراسة فاحصة ظهرت لهم الأهمية الكامنة في اللسان العربي كرافد قاعدي للعقيدة الاسلامية و حفظها من الانحراف و التّزوير و ذلك لتجسدها في الحقيقة القرآنية المعبرة باللسان العربي.

و يجدر بها أن نسوق شاهداً واحداً كمستندٍ طالما تحدثت به أقطاب دوائر الاستعمار في السّر و العلانية ، و هو قول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مأة عام على احتلالها :

((يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم و نقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم)) .

و قد آثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا و هي ان فرنسا من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية باختيار عشر فتيات مسلمات جزائريات أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية و ألبستهنّ الثّياب الفرنسية فأصبحن كالفرنسيات تماماً و بعد أحد عشر عاماً من الجهود هيّأت لهن حفلة تخرج دعى اليها الوزراء و المفكرون و الصّحفيون .

و لما ابتدأت الحفلة فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الاسلامي الجزائري فثارت ثائرة الصّحف الفرنسية و تساءلت

ماذا فعلت فرنسا في الجزائر اذن بعد مرور مأة و ثمانية وعشرين عامـًا ؟ فأجاب لاكوست وزير المستعمرات الفرنسي : و ماذا أصنع اذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟!

الخط الثّاني :
اعلاء وتمجيد الفكر المسيحي وقيمه .

الدّين المسيحي المملوء بالأساطير و العقائد الوثنيّة و الأفكـــار الشّاذة المنحرفة قام بتخطيط سياسة جديدة في سلوكه التّبشيرى و دعوته التّنصيرية و تمّ ذلك بعد أن بسطت القوى المسيحية نفوذها على أرجـاء العالم الاسلامي بواسطة تكتلها الاستعماري و ابرام الاتفاقية الثّلاثيـــة المتقدمة .

فغضت الطّرف عن ماضيها الرهيب وعملت على تغيير تاريخها بكـلّ ما حمل من مساوئ و آلام و مآسي لتصوغه من جديد و تقدمه في حلّـة قشيبة وعراقة زاخرة بالنفائس و في الوقت ذاته صادرت جميع الوثائـــق القديمة لتنقطع الصّلة بين الحاضر و الواقع القديم و ما جرت فيه مـــن أحداث و وقائع مشهودة سجّلها التّاريخ على صفحاته السّوداء بـــدم العلماء و الأبرياء و لم تقف هذه المحاولة الى هذا الحد ، بل أخـــذت تتبجّح بنسبة كلّ اكتشاف و ابتكار و اختراع ساهم في تقدّم البشرية بالشّكل المعاصر الى أفراد مسيحيين و لذلك فالاعتقاد بالمسيحية حسب منطقهم الجديد يحدث المعاجز و يحقق الطّفرات في حقول المعارف الانسانيـــة و يضمن السّعادة الأبدية و ذلك عن طريق الصّكوك الّتي تتولّى الكنيســة

بيعها و الضحك على عقول المغفّلين بها .

و هكذا انقلبت الحقائق رأساً على عقب .

وغير خافٍ على أحدٍ الدّور الّذي تلعبه الكنيسة الى يومنا هذا فضلاً عن التنظيمات الماسونية في اعداد الكتب الدّراسية و النّشرات العلمية و التاريخية في كافة أقطار العالم الاسلامي فتُلقّن أهدافها حرفيًا لطلاب المراحل الابتدائية و الاعدادية و الثّانوية و الجامعيّة حتّى أصبح فكر طلابنا المسلمين اليوم عبارة عن مجموعة معلومات و معارف مغلوطة و مزوّرة أدّت به الى الانفصال التّام عن عقيدته في أغلب الأحيان و مصير عالمه الاسلامي الكبير حتى أصبح لايأبه بما يَجُرُّ الاستعمار عليه من الويلات يوميًّا .

فها أنت ترى اليوم الاعتداءات المستمرّة على المسلمين في أقطار العالم المختلفة و لا تجد حكومة تدّعي الاسلام تحرك طرفًا و تهب لنجدتهم و لم تجد الشّباب المسلم أو افراد الشعوب المسلمة تمارس الضغط الفعلي على حكوماتها لهذا الغرض فالكلّ أصبح خامداً راكداً لا يفكّر الّا في معاشه و حياته الشّخصية و محاكاة الغرب في لبسه و أكله و أفكاره الطّائشة و الشاذّة و يوم القدس الذى جعله الامام الخميني في آخر جمعة من شهر رمضان خير شاهد و دليل على ذلك ففي الوقت الّذي تهب الجماهير المسلمة في ايران بمظاهراتها المليونيّة لاستنهاض همم المسلمين في العالم من أجل المطالبة باسترجاع القدس و تأسيس جيش اسلامي لطرد الحفنة اليهودية الصّهيونية الماسونية القذرة من أرض فلسطين و تطهيرها من دنسهم تقوم الحكومات العملية في العالم الاسلامى بمحاربة كل تظاهرة و بادرة اعلان السّخط على اسرائيل ومعاقبة

كل من يحاول القيام بذلك و زجّه في السجون مع التّعذيب الرّهيب .

٣

الغزو العسكري والتّدخل العلني الفعلي المباشر في شؤون المسلمين .

لعب الاستعمار العسكري لدول العالم الاسلامي دوراً بارزاً و تاريخياً مشهوداً ترك وصمات جرائمه الى يومنا هذا و الى الغد و الى ما بعده . فالعالم الاسلامي الّذي كان يشكّل تكتلا دينيًّا هائلاً انمحقت في خلاله كافة الألوان القوميّة و الفوارق اللسانية و الاقليمية و التّاريخية و العرقية و الأممية أصبح شتاتاً و شيعًا تفصل بين شعوبه حدود وهمية مصطنعة رسمها و خططها أثناء فترة تقسيم مناطق النّفوذ والمصالح بين اداراته و جهاته الغاصبة .

و تطوّرت هذه الحدود لتشمل القلوب و الأفكار و القضايا المصيرية حيث جعل القرآن وراء ظهورهم و أحييت ثقافات قطرية متباينة و مُجِّدَتْ الفوارق القومية و العرقية و الطّبقية وعادوا بهم الى عصر جاهلية الأولى تحت شعار التقدمية و الانمائية و الديمقراطية و الاشتراكيه و القومية .

صور وأمثلة للغزو الاستعماري الحديث للدّول الاسلاميّة

ـ آسيا ـ

افغانستان

تميّزت هذه الدّولة بأنها بلد لم يتمكن أيّ مستعمر من الاستقرار فيه زمنًا طويلاً نظرًا لحساسية القبائل المسلمة من أي اختلال أجنبي مناهض لعقيدتها و مبادئها وبسبب تعصب الافغانيين للإسلام الّذي يعد بالنّسبة اليهم جوهر الحياة و معيار الأصالة و خير مثال على ذلك الحروب الانجلو افغانية و ذلك عند ما حاولت بريطانيا طوال أربع سنوات (١٨٣٨ م ـ ١٨٤٢ م) اخضاع الأفغان حيث منيت بالفشل الذّريع وعجزت تمامًا أمام صمود و مقاومة الشّعب المسلم و بعد خسائر فادحة في الأرواح و المعدّات قرّرت القوّات البريطانية الانسحاب من كابول العاصمة عبر الجبال الّتي تحيطها حينها تعرضت لهجوم من القبائل أبيدت فيه القوّات البريطانية عن اخرها و الّتي كان يقدّر عددها اعتمادًا على بعض الروايات بـ١٧ ألف جندي و من أجل ذلك سمّى المضيق الّذي أبيدت فيه قوّات الامبراطورية الاستعمارية مقبرة الغزاة، الا ان بريطانيا ما لبثت أن عاودت الهجوم عام ١٨٧٨م و استمر حتى سنة ١٨٨٠ م دمّرت فيه العاصمة كابول وعلى الرغم من فضاعة التّدمير لم تتمكن من البقاء فترة طويلة، فقد اشتعلت المواجهة الثّالثة بينها و بين الأفغان سنة ١٩١٩ م و اشتركت

فيها جميع القبائل ممّا اضطرّ الانجليز الى الانسحاب و اعلان استقلال افغانستان بموجب معاهدة كابول عام ١٩٢١ م ٠

و دخل الرّوس بعد ذلك في شهر ديسمبر من سنة ١٩٧٩ م بحرب ضروس شعواء ضد الشعب الأفغاني المسلم ٠

بعد انقلاب نفذوه بقيادة بابرك كارمل الماركسي الّذي أطاح فيه بحكومة أمين لتدعيم سلطته الملحدة و الّتي لم تحظى برضى الشّعب حال قيامها لتتناقض العقيدة الوافدة مع العقيدة الراسخة و استمرت هذه الحرب الى يومنا هذا ٠

و قد قدم الشّعب الأفغاني أروع صور الفداء و الشّهادة بتقديمه أكثر من مليون شهيد حتّى الآن و يزيد ذلك فخرًا و اعتزازًا الصّمود القوي و المستمر على الرّغم من ضعف الامكانيات و شحة المعدات العسكرية الحديثة حيث القتال بالأسلحة الخفية و البيضاء في أشد الظّروف قساوة على الثّلوج و بين الجبال و هم حفاة يرتدون الخرق البالية و الألبسة الممزقة قد أعطوا كلهم للاسلام و الجهاد في سبيله لم تثني عزائمهم ظاهرة انصراف العالم الاسلامى عن مساعدتهم الفعّالة باستثناء الجمهورية الاسلامية في ايران ٠

پاكستان

حكمتها بريطانيا منذ عام ١٨٧٧ م حتى عام ١٩٤٧ م ٠

بعدها تأسّست جمهورية باكستان على أساس ديني تضمّ المسلمين فقط دون الهندوس و البوذية و نحوهما ٠

العراق

خضعت تحت الاحتلال الانجليزي عام ١٩١٧ م تأسّست فيها الملكيّة عام ١٩٢١م و اندلعت فيها عدة ثورات و معارك و انقلابات أشهرها ثورة ١٩٢٠ م و ثورة ١٩٤١ م و ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ م حيث أعلن على أثرها الجمهورية العراقية و قد كانت قبل الثّورة بستة أشهر تسمّى (دولة الاتحاد العربي) و ذلك لأنها كانت قد كونت مع الأردن اتحاداً فيدرالياً في الفترة ما بين ١٤ فبراير و ١٧ يوليو سنة ١٩٥٨ م و أعلن دستورها الجديد في ٢١ سبتمبر من سنة ١٩٦٨ م .

اليمن الجنوبي

احتلّها الانجليز عام ١٨٣٩ م و في عام ١٩٦٣ م قامت ثورة شعبية حتّى الاستقلال عام ١٩٦٧ م .

ايران

كان عهد الدّولة القاجارية بداية للتّدخّل الاستعماري الحديث ، وكان ذلك على يد ناصر الدّين شاه الّذي تولّى الحكم في سنة ١٨٤٨م ـ ١٢٦٤ هـ . وكان من أبرز ما قام به في ذلك المجال اعطاء شركة بريطانية حق امتياز احتكار التّنباك في جميع أنحاء ايران لقاء مبلغ من

المال احتاج اليه بعد أن قام بطرد السّيد جمال الدّين الأسدآبادي الّذي كان حينها في طهران توجه الى النّجف و اجتمع مع السّيد محمّد حسن الشّيرازي الّذي كان يومها أحد المراجع الكبار هناك فتصدّى هذا الأخير لامتياز التنباك و أفتى بحرمة تدخينه ما دامت الشّركة البريطانية تحتكره و سارت الفتوى بين الايرانيين كقرار تمّ تنفيذه بدقة حتى في قصر الشّاه نفسه الأمر الذى دفع الشاه الى الغاء الامتياز بعد كساد التّنباك و امتناع الجميع عن تدخينه ، و قام الشّاه بعد ذلك بتغييرات جوهرية في طبيعة القوانين داخل الدّولة انتقاماً لنفسه من نفوذ السّلطة الدّينية فاغتيل سنة ١٨٩٦ م ـ ١٣١٣ هـ على يد أحد الثوّار المسلمين و تمكن في تلك الأثناء علماء الدّين بقيادة ثورة شعبية ضدّ الاستبداد الملكي و تحت ضغط الشّعب بقيادة العلماء وضع دستور ١٩٠٦ م و أنشئ مجلس نيابي و تضمن التركيز على صلاحيات المرجعيّة الدّينية في نقض القوانين المخالفة للشّريعة الاسلامية في ظلّ حكم مظفر الدّين بن ناصر الدين الّذي كان يميل لتنفيذ مصالح الانجليز ممّا دفعهم في عام ١٩٠٧ م أي بعد سنة من اعلان الدّستور الى احتلال ايران و تقسيمها مع روسيا و أخضع كلّ واحد منهما لسلطة عملاء لهم في الدّاخل تلافياً لنقمة الشّعب و انتفاضته ، و فى تلك الأجواء برز نجم أحد علماء الدين و هو الميرزا كوچك خان المعروف بجنگلي و قاد نضالاً مسلّحاً مكّنه من تحرير كامل لشمال ايران اقليمي گيلان و مازندران ثمّ تمكّن من اعلان الجمهورية و انشاء ادارات رسمية و تشكيل قيادة ثورية تضمّ نخبة من علماء الدّين الا أنّ الشاه أنقض عليها سنة ١٩١٨ م و أسقطها .

و بعد سنوات ظهر ضابط قوقازي برتبة نقيب يدعى رضا خان

استغل حالة الفوضى التى تعيشها البلاد فى ظل الدولة القاجارية المتضعضعة فاغتصب السلطة لنفسه بانقلاب عسكرى سنة ١٩٢٥ م دعمته بريطانيا العظمى يومذاك و تمكن أن يؤسّس بعد ذلك شاهنشاهية جديدة عاد بها الى أصول فارسية قديمة عند ما أسس أسرة آل بهلوى و اتصف خان هذا بازدرائه لعلماء الدين و القيام بكل ما يشكل تحدّيا لهم فقرر وضع حد لسلطة علماء الدين فى مراقبة القوانين قبل اصدارها كما تضمنه دستور ١٩٠٦ م كما حاول تبديل العادات الاسلامية بدءا بصلاة الجمعة و انتهاءا بحجاب النساء و الصوم و نحو ذلك فى عملية متناسقة و شبيهة بتجربة مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا التى نجح فى تطبيقها هناك كما تقدم الاشارة له، فلما ضاق الشعب المسلم فى ايران به ذرعًا ثاروا في وجهه يهتفون بسقوطه و خاصة بعد بزوغ نجم جديد يمتلك ارادة فولاذية لم يعهد لمثلها سابقة فى عالم المجابهة و هو المجتهد الشاب الامام روح اللّه الموسوى الخمينى و كان سنه عندها لا يتجاوز الثلاثين عامًا حيث أعلنها صريحة في كتاب ألّفه لأجل هذا الغرض سمّاه كشف الأسرار، قال فيه:

(انّ أوامر الدكتاتور ليس لها أيّة قيمة، و كل القوانين التى وافق عليها البرلمان يجب حرقها).

فاضطرا الاستعمار الانجليزى الى القيام بمسرحية لتهدئة روع الشعب تضمن عدم انفلات زمام الموقف من يدهم فاستبدلوه بابنه محمد رضا بهلوى سنة ١٩٤١ م كورقة أخيرة و كان يومها فى العشرينات من عمره.

و ما ان مضت عدة سنوات على عهده حتى ارتمى بكله فى أحضان

المجتمع الغربى ففتح ايران على مصراعيها للرأسماليين الأجانب و للمستشارين العسكريين يعبثون بايران كيف شاؤا ذاك المجتمع التاريخى المغلق على عادات و تقاليد تنتظم بناءً لخط ديني مُوَحّد في مجمله .

و حدثت نتيجة لذلك ثورات عديدة مثل حركة الدّكتور محمّد مصدق رئيس الوزراء الّتي شكّلت أزمة سياسية خانقة في البلاد في وجه الشاه أعقبتها ثورة ٢٨ مرداد ـ اغسطس سنة ١٩٥١ م تطلب بالغاء قرار تأميم النفط الّذي وضع على أثره في يد الانجليز علناً فغادر الشاه الى الخارج لتهدئة الوضع بعض الشيء في الأثناء الّتي انتصر فيها الدّكتور مصدق على القرار و اعاد تشكيل الحكومة و تطهيرها من العملاء و الخونة لكن انقلاباً عسكرياً باغته أودى الى الاطاحة بحكومته الجديدة ، و من ثمّ عودة الشاه ثانياً من الخارج للاستمرار فى التربع على عرشه البهلوي الى أن جاءت اللحظة الحاسمة الّتي كان يتحيّنها القدر و حان أجله المحتوم فعاود نجم الامام الخميني بالبزوغ من جديد بعد جهاد طويل يستلفت الاعجاب و الاكبار و التّقدير و يسترعي الفخر و الاعتزاز ليضع الحد الفاصل فى معترك الصراع داخل ايران و ينهي الأسطورة الّتي خلقها الاستعمار و الجبروت و الطّغيان لشخصه في المنطقة و بعد سنوات من التبعيد و التشريد استقرّبه المقام فى باريس فى تشرين الأوّل ـ اكتوبر سنة ١٩٧٨ م ليقوم بثورته من قعر الاستكبار و وكر قوى الاستعمار ضارباً بذلك أروع صور الجهاد و الكفاح في العصر الحديث بنحو يفوق التّصوّر ويسحر الألباب و يأخذ بمجامع القلوب هو الى الاعجاز أقرب منه للطبيعة والخيال .

و بدأ العدّ التنازلى لعمر الحكم الشاهنشاهي بهذه الأحداث

الّتي ابتدأت مع اطلالة العام ١٩٧٨ م :

١ ــ في السابع من شهر يناير.

اندلعت اضطرابات في مدينة قم المقدسة في الذكرى الخامسة عشرة لبرنامج الثورة البيضاء التي أعلنها الشاه من ذي قبل ، والّتي كان يرمي من ورائها تغيير الطّابع الدّيني في المجتمع الايراني وعزله بالكامل عن تاريخه الاسلامي لتكون دولة تقلد الغرب مأة بالمأة ،وقد قتل فيها سبعة أشخاص.

٢ ــ في ٢ الثاني من شهر فبراير قتل ٣٠٠ شخصاً في المظاهرات المعادية للشاه في مدينة تبريز و احراق المصارف الحكومية و الفنادق و دور السّينما.

٣ ــ في الثّاني عشر من شهر مارس قام الشاه بالافراج عن ٣٤٨ معتقلاً سياسيّاً في الذكرى المئوية لميلاد والده الشاه رضا الكبير مؤسّس أسرة بهلوى محاولاً بذلك امتصاص النقمة و المشاعر الثورية المتنامية ضدّه.

٤ ــ في الثّاني من شهر مايو قامت قوات الجيش بمطاردة المتظاهرين في مدينة قم و تقتل طالباً من طلاب العلوم الدينيةواشتداد المظاهرات في المدينة على الرغم من انتشار قوات الجيش.

٥ ــ في السادس من شهر يونيو أقال الشاه الجنرال نعمت اللّه نصيري رئيس السافاك (الاستخبارات) و عيّن الجنزال ناصر موخادم محله !

٦ ــ في الحادي عشر من شهر اغسطس اندلعت المسيرات الضخمة تجوب شوارع اصفهان و وقوع صدامات مع الجيش.

٧ ــ فى العشرين من اغسطس قتل ٣٧٧ شخصا حرقاً فى سينما ركس بعباد ان بحادث متعمد يهدف الى القاء التهمة على الثوّار المسلمين و من ثم الوقيعة بين صفوف الشعب ، و لكن الأمر كان على العكس من ذلك فقد انكشفت خيوط المؤامرة بسرعة و ازداد لهيب الثورة فى تلك المدينة بالذّات ٠

٨ ــ في الثّالث و العشرين من شهر اغسطس أعلن الدكتور كريم سنجابى تنشيط فاعلية الجبهة الوطنية ضد الحكومة و التى تضم ثلاثين حزباً سياسيًا ٠

٩ ــ فى السابع و العشرين من اغسطس أقال الشاه رئيس الوزراء جمشيد آموزگار و عيّن جعفر شريف امامى خلفاً له كما طرد عدداً من كبار المسؤولين من أعضاء الطائفة البهائية ٠

١٠ ــ فى الثامن من سبتمبر أعلنت الأحكام العرفية فى العاصمة طهران و احدى عشرة مدينة أخرى و الجيش يقتل ١٢١ مأة و واحد و عشرين مواطناً ثائرًا ٠

١١ ــ في الثّاني من اكتوبر انتشرت الاضرابات العمالية والمهنية فى ايران ٠

١٢ ــ فى الخامس و العشرين من اكتوبر أفرج عن ألف و مأة و خمس و عشرين معتقلاً سياسيّاً للتخفيف من حدة اندفاع الثّورة ٠

١٣ ــ فى الحادى و الثلاثين من اكتوبر اضراب العاملين فى قطاع النفط تضامنًا مع الثورة الاسلامية و انخفاض معدل الانتاج من ستة ملايين برميل يوميًا الى ثلاثمأة ألف برميل ٠

١٤ ــ فى الخامس من نوفمبر محاولة لتوجيه تهمة الافساد

و تعاطي الرّشوة الى بعض المسؤولين و ذلك عن طريق اعلان القـــاء القبض عليهم و تقديمهم للمحاكمة ·

١٥ ــ في التّاسع من نوفمبر ألقي القبض على الدّكتور سنجابي بعد لقائه مع الامام الخميني في باريس ·

١٦ ــ في الخامس و العشرين من نوفمبر الامام الخميني يدعـــو الشّعب إلى مقاومة الحكم العسكري ·

١٧ ــ في السّابع و العشرين من نوفمبر حذّرت الولايات المتحدة الاتحاد السّوفيتي من التّدخل في شؤون ايران كمحاولة تغطية أمـــام الرأى العام العالمي على دور الامام الخميني القيادي و اسلاميّـــة الثّورة ·

١٨ ــ في الثّاني من ديسمبر الجيش يفتح النّار على المتظاهرين في بداية مراسيم ذكرى عاشوراء السّنوية ·

١٩ ــ في السّادس من ديسمبر أفرج عن سنجابي كورقة أخـــرى للّعب بها على الشّعب ·

٢٠ ــ في الثّاني عشر من ديسمبر قتل أربعون متظاهراً و إصابـة سبعمأة آخرين في تظاهرات معادية للشّاه في اصفهان ·

٢١ ــ في التّاسع و العشرين من ديسمبر قام الشّاه بحلّ الحكومة العسكرية و تشكيل حكومة أخرى برئاسة شاهبور بختيار ·

٢٢ ــ في الثّلاثين و الحادي و الثلاثين من ديسمبر ظهـــور مصادمات دامية في مدينة مشهد و سقوط ما يقارب من ألفين شهيد ·

٢٣ ــ في أوّل يناير الشّاه يعلن في مؤتمر صحفي عن رغبته في السفر الى الخارج لقضاء اجازة مفتوحة و بختيار يوافق على تشكيل الـــوزارة

شريطة مغادرة الشّاه البلاد . و أزهاري يقدم استقالته .

٢٤ ـ في الرّابع من يناير قام الشاه بتعيين بختيار رئيسًا للوزراء و بعد ذلك بيومين بختيار يقدم الوزارة إلى الشّاه .

٢٥ ـ في التّاسع من يناير الشّاه يتنازل عن جزء من ممتلكاته الى صندوق بهلوي الخيري لاستجداء عواطف الشّعب .

٢٦ ـ في الحادي عشر من يناير بختيار عن برنامجه الاصلاحي أمام مجلس النواب .

٢٧ ـ في الثّاني عشر من يناير الشاه يغادر ايران و ينفجر بالبكاء على سلم الطّائرة .

و مع سفره ظنّت الدّوائر الاستعمارية انه سيعود كما سبق له وسافر ثم عاد بعد سقوط حركة مصدق لكنّه هذه المرّة رحل الى الأبد و قامت الثّورة و أطاحت بحكومة بختيار الّذي فرّ الى فرنسا وعاد الامام القائد ظافرًا من باريس حيث شاء القدر أن تشرق الشّمس من المغرب مبددة الظّلام و الّذي استبسل الشعب الايراني البطل من أجله واستفتت قيادة الامام الخميني الشّعب على الجمهورية الاسلامية بالذّات فأجابه الشّعب بالاجماع بكلمة نعم و قامت الجمهورية أما الشّاه فتاه في العالم يبحث عن ملجأ اذ لم تجرؤ دولة على منحه ذاك الملجأ حتى الولايات المتحدة الامريكية تخوفت من ذلك بعد حملات شعبيّة عنيفة ضدّه حتّى استقرّ به المقام في مصر على الرّغم من معارضة الشّعب المصري لذلك فعاجلته المنية و دفن فيها لتنتهي بذلك أسطورة رجل بنت عليه الدّوائر الاستعمارية في الشّرق و الغرب أحلامها و طموحاتها و مخططاتها الاجرامية بحق شعوب المنطقة و العالم الاسلامي أجمع .

الشّرق الأوّسط

سوريا

احتلتها فرنسا في الفترة ما بين سنة ١٩١٨ م حتّى الجلاء سنة ١٩٤٦ م.

الاردن

في عام ١٩٢٣ م تأسّست امارة شرق الأردن و ارتبطت بمعاهدة حماية مع بريطانيا و أطلق عليها اسم المملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٩٥٠ م بعد أن ضمّت اليها الضّفة الغربية لنهر الأردن.

فلسطين

كانت فلسطين منذ القديم محط آمال المسيحيين و اليهود و لأجل ذلك بادر المسيحيون إلى شنّ حملاتهم الصّليبيّة في القرون الحادي عشر و الثّاني عشر و الثّالث عشر لغرض استرداد بيت المقدس من المسلمين باعتبار انه مهد الانسانية و مقرّ المسيح و لما منيت بالفشل الذّريع و تصدّى المسلمون لها رجعت القهقرى و انكفأت في حدودها تخلطط و تتحين الفرصة المؤاتية و بعد عقد مؤتمر فى بريطانيا وعد فيه بلفور وزير خارجية بريطانيا الى الرأسمالى اليهودى المعروف باللورد روتشيلد بان بريطانيا ستسلم فلسطين الى اليهود بعد ان

يتسنّى لها النجاح و بسط نفوذ ها عليها حيث تمكّنت من ذ لك في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ م و بادرت أثر ذ لك في الأول من يوليو سنة ١٩٢٠ م بتشجيع الهجرة الى فلسطين و تسهيل انتقال أملاك العرب لليهود بالاغراء تارة و بالتّرهيب و المكر أخرى ٠

و ثار العرب الفلسطينيون عدّة ثورات أزاء ذ لك الاستعمار البغيض وكان من أهمها ثورتي عام ١٩٢٠ و١٩٣٦ م و في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ م قرّرت عصبة الأمم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني و كان في الواقع تأييد و دعم من أعضائها لاستمرارية التّواجد البريطاني و في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ م أعلنت انهاء انتدابها وسلّمتها لليهود بدلاً من منح الشّعب الاستقلال ٠

و كانت هذه الوقاحة السّافرة من الانجليز و عصبة الأمم و اليهود و الجرأة نتيجة العمالة الّتي غرقت فيها حكومات الدّول الاسلاميّة آنذاك و طبيعة الأرضية الّتى زرعها الاستعمار في نفوس الشّعوب المسلمة المحيطة بفلسطين ٠

و اليوم و بعد أن أعلنها صراحة أنوار السّادات و بعده حسني مبارك و الملك فهد و ملك الأردن و ملك المغرب بالاعتراف بكيان اليهود وحقّهم في العيش في فلسطين و بعد خيانة نفس قادة منظمة التّحرير الفلسطينية وعلى رأسهم ياسر عرفات الّتي انشأت فى ١٧ يناير سنة ١٩٦٣ م أصبح الفلسطينيون بلا مأوى يلجأون اليه في أحد الدّول العربية الّتى رفضت مؤخّراً استضافة قواعدهم الحربيّة و ألويتهم العسكرية و طردت ما كان موجوداً منها في أراضيها ٠

في الوقت الّذي يعلن فيه الشّعب الايراني العظيم عزمه الأكيد

و دعوته الثّابتة حربه لتحرير القدس من دنس الصّهاينة الغزاة، و لن تحرّر ان شاء اللّه عزّ و جلّ الاّ على يديه.

لبنان

احتلتها فرنسا عام ١٩١٨ م ثمّ حصلت على استقلالها عام ١٩٤٣ م بعد أن حصرت رئاستها في الطّائفة المارونية البغيضة كنسخة أخرى لوجهها القبيح القذر.

الخليج الفارسي (الاسلامي)

البحرين

وقعت في الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٠ م بعد معاهدة حماية استمرّت ستّين عامًا وُقِّعَ عليها ابتداء من سنة ١٨٢٠ م.

رأس الخيمة

عاث الانجليز فيها الفساد و الخراب و أحرقوها و احتلوها بالقهر و القوّة عام ١٨١٩ م و كانت في السّابق دولة عظمى و رأس الخيمة نفسها هي عاصمة تلك الدّولة الّتي كان اسمها دولة القواسم، و بعد أن احتلوا الانجليز رأس الخيمة قسّموا دولة القواسم الى سبع امارات : دبي ،

و الشارقة ، و ام القيوين ، و الفجيرة ، وعجمان ، و أبو ظبي .

و أصبحت رأس الخيمة و هي عاصمة الدولة سابقًا احدى الامارات السّبع ، و بذلك استطاع الانجليز أن يطمأنوا الى احتلالهم لدّولة القواسم بعد تجزئتها و ابرام معاهدة هدنة مع كل امارة سنة ١٨٢٠ م .

سلطنة عمان

احتلها الانجليز عام ١٧٩٨ م ثم نالت استقلالها سنة ١٩٢٥ م و في عام ١٩٥٥ م عاود الانجليز احتلالها و في يوليو ١٩٧٠ م أطاح السّلطان قابوس بحكم والده السّلطان سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان ، و أعلن الاسم الجديد للدّولة " سلطنة عمان " .

قطر

احتلتها بريطانيا سنة ١٨٦٨ م و استمرّ الى سنة ١٩١٦ م ثم منحتها الاستقلال الذّاتي .

الكويت

ارتبطت بمعاهدة حماية بريطانية عام ١٨٩٩ م ثمّ حصلت على الاستقلال الذّاتي سنة ١٩١٤ م ، ثم أعلنت دولة ذات سيادة عام ١٩٦١ م .

القارة الافريقية

الجزائر

و يطلق العرب عليها بلاد المليون شهيد الّذين راحوا ضحيـــة المطالبة بالحرّية و الاستقلال احتلّها الفرنسيّون عام ١٨٣٠ م و قام علـى أثره ثورات وطنية عديدة أهمّها ثورة الأمير عبد القادر الجزائري في الفترة ما بين ١٨٣٠ ــ ١٨٤٧ م و ثورة الشّيخ بوزيان ما بين سنة ١٨٤٩م الـى سنة ١٨٥١ م ثم ثورة القبائل بقيادة أبو بغلة سنة ١٨٥١ م و ثـــورة المجاهد محمد عبد اللّه سنة ١٨٥٢ م و ثورة أولاد سيـــدى الشيخ ما بين سنة ١٨٤٤ م الى سنة ١٨٨٣ م و ثورة المقارنة سنة ١٨٧١ ثمّ ثـورة جبهة التّحرير الّتي وضعت حدّاً لاستهتار الاستعمار الفرنسي بمقـدّرات الشّعب الجزائري عام ١٩٥٤ م و استمرّت رحاها حتى اعلان الاستقـلال سنة ١٩٦٢ م.

تونس

احتلتها فرنسا عام ١٨٨١ م ثمّ حصلت على استقلالها عام ١٩٥٦ م و أعلن فيها النّظام الجمهورى سنة ١٩٥٧ م.

الصومال

قبل عام ١٨٨٤ م كان الصّومال أرضاً واحدة ولكنه قُسّم بعد ذلـك

الى خمسة أقاليم بريطاني ـ فرنسي ـ ايطالي ـ اثيوبي ـ كيني .

فالصّومال الفرنسي أطلق عليه اسم جيبوتي أعلن استقلاله و انضم الى جامعة الدّول العربية ، و الصّومال الاثيوبي ضمّته اثيوبيا الى أراضيها ، و لا زال الصّراع مستمرّا في اقليم اوجادين من أجل استعادة حقوته الوطنية المشروعة

و أمّا الصّومال الكيني فقد اقتطعته بريطانيا و ضمّته الى كينيا .

و أما الصّومال الانجليزي و الصومال الايطالي فقد اتحدا بعد الاستقلال عام ١٩٦٠ م و يشكّل اليوم دولة الصّومال الرسمية .

مصر

خضعت للاحتلال الفرنسي في الفترة ما بين سنة ١٧٩٨ حتّى سنة ١٨٠١ م ثم أعقبه احتلال انجليزي عام ١٩١٤ م و على أثره اندلعت عدة ثورات وطنية كان أهمها ثورة عرابي سنة ١٨٨١ م و ثورة مصطفى كامل سنة ١٩١٩ م و ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م و أعلن النّظام الجمهوري فيها في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ م و سحبت انجلترا قواتها منها فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ م و في نفس تلك السّنة و في ٢٩ اكتوبر تعرضت لعدوان ثلاثى اشترك فيه كل من بريطانيا و فرنسا و الكيان الصّهيوني الغاصب للقدس و ذلك على مدينة بور سعيد .

ليبيا

احتلّها الايطاليون سنة ١٩١٢ م و نزحوا عنها فى ٢٤ ديسمبر

سنة ١٩٥١ م.

المغرب

تعرضت لاحتلال ثلاث دول مستعمرة هي البرتغال و اسبانيا و فرنسا ، وكان اسمها بلاد المغرب الأقصى.

و قامت فيها ثورة وطنيّة عام ١٩٥٣ م بقيادة السّلطان محمد ابن يوسف وكان نتيجتها استقلال المغرب عام ١٩٥٦ م و توحيد أراضيه و اعلان المملكة المغربية و من مناطقها المحتلة الى يومنا هذا مدينة (أفنى) احتلها البرتغاليون في السّابق و باعوها لاسبانيا عام ١٩٣٤ م.

و يرزح سكانها المسلمون تحت وطأة أبشع ألوان الاضطهاد والقهر و الحرمان و الكبت.

موريتانيا

وقعت تحت الاحتلال الاسباني ثمّ الفرنسي عام ١٩٠٥ م و حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ م.

النيجر

احتلها الألمان ثم استولت عليها فرنسا عام ١٩٢٢ م و حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ م.

حقيقة الاستقلال المزعوم

لم يكن شعار الاستقلال الّذي منح لتلك الدّول المشار اليها آنفاً بشعار حقيقي يجسد معناه و يبرز ثمراته الى عالم الوجود و انّما كان مصلاً استعماريّاً يعمل على امتصاص الصّحوة الوطنية و التّوجه الشّعبي لقلع جذور عدوٍ دخيل متغطرس مستبدٍ سارقٍ محتالٍ و طرده الى خارج حدود الوطن و مركزية السّلطة فيه و هذا مانلمسه من خلال رجالات الحكومة الّتي خلفت المستعمر في ادارة تلك الدّول و الّتي لم يعلن المستعمر خروجه الاّ بعد الاطمئنان الى وقوعها في أيديهم و بعد مسرحية مثّل فيها أولئك جانب المعارضة و تصدّر المجابهة الوطنية مع اعلام مكثّف يهدف الى التّعريف بهم بمساندة ضمائر مأجورة في الأوساط الشّعبية تعمل على كسب تأييدهم و مساندتهم لهم و لا يمكن استثناء أيّ نظام حاكم من بين هذه الدّول غير نظام الحكم في جمهورية ايران الاسلامية ذلك النّظام الّذي ركّزت دعائمه الثّورة الاسلامية العظيمة الّتي لم يشهد لها مثيلاً و مضارعاً في التّاريخ الاسلامي بعد عصره الذّهبي الأوّل على يد مؤسّسه الكريم الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و في ذلك يقول قائد تلك الثّورة المباركة الامام الخميني أدام اللّه تعالى ظله و أبقاه ذخرًا و سندًا لنصرة الاسلام العظيم في الذّكرى السّابعة لانتصار هذه الثّورة الظافرة.

انّي أهنّىء و أبارك لجميع الشّعوب الاسلامية بل للجميع محرومي و مستضعفي العالم هذا اليوم الكبير أو بالحقيقة العيد الاسلامي

العظيم ذلك لأن هذه الثورة الاسلامية ليست ثورة ايران وحدها .

ان الثورة الاسلامية هذه تختلف عن الثّورات الّتي حصلت في بلدان أخرى من العالم فتلك انتزعت القدرة من أيدى الجبابرة و سلمتها بأيدى جبابرة آخرين و من يريد التّفصيل أو التّأكد من حقيقة هذا الأمر فليطالع ما كتب بشأن تلك الثّورات .

انظروا الى الثّورات الّتي حصلت في العالم أو الانقلابات الّتي وقعت و تقع كلّ يوم فيه و تحققوا عن كيفيّة وقوع مثل هذه الأحداث فلا ترون في ذلك غير ازاحة مجموعة عن السّلطة و اقامة آخرين مثلهم و أسوأ منهم فيها دون أن يترك الأمر تأثيرًا حسنًا على أوضاع الشّعوب بل ربّما تحوّلت أوضاعهم الى أسوأ من ذي قبل فهذه هي الثّورة الفرنسية و تلك الثّورة الرّوسية أدرسوهما و انظروا كيف كانت الأوضاع قبلهما و الى ماذا آلت بعدهما فهل حدث أي تأثير ايجابي لصالح الشّعوب و هل فكّر القائمون بالأمر في أوضاع شعوبهم أم ان كلّ ما فعلوه كان فرض سلطة أخرى و تسلّط بقوة و قهر على الشعوب .

أما الثّورة الّتي حصلت في ايران حيث كان القمع و الكبت سائدين قبلها هي ثورة قامت في نفوس الجماهير و تحقّقت هذه الثّورة بعودة الجماهير بمختلف فئاتها الى الاسلام الّذي كان منسيًّا حتّى عصرنا الحاضر و بالأخص في القرون الأخيرة و الّذي لم يكن ليبق منه غير القشور الّتي لا ضرر فيها على الآخرين من القوى الأجنبية و لا تقع فيها الشّعوب ان الشّعب الايراني قد تحوّل بارادة اللّه تبارك و تعالى و بفضل عنايته الخاصّة و تغيّرت معنويات الشّباب من حالها السّابق الى معنويات اسلامية بحيث أدركوا حقيقة الاسلام و دوره ولو لا هذا التّحوّل الّذي

تحقّق لدى الشّعب الايراني لأصبحت هذه الثّورة مثل الثّورات الأخرى الّتى تشاهدون أنتم أوضاعها ٠

ان الّذي حصل هنا و الّذي يعتبر معجزة بحق هو التّحوّل الباطني الّذي تحقّق في نفوس أبناء هذا الشّعب و هذا التّحوّل الباطني هو الّذي حقّق الثّمرة هنا ٠

ـ ٤ ـ

اتباع لعبه المرونة السياسية وتبديل صورو عناوين الوجود الاستعماري في الدّول الاسلاميّة وتغيير الاسماء والمصطلاحات

بعد بروز نوابغ في العالم الاسلامي قاموا بجهود مشكورة من أجل الدّفاع عن حريم الكرامة الانسانية و الحقوق المشروعة لشعوب العالم الاسلامي المستضعفة و المقهورة حدث نمو ارادي و توالد ثوري دفع بالجموع المسلمة الغفيرة للاستيقاظ من سبات الغفلة و الذّلّة و المهانة و معايشة صحوة المصير و المستقبل فانكشفت لها حقيقة المؤامرة و الحيلة الماكرة الّتي فرضت عليهم و أخذت من حياتها و وقتها و ثروات أرضها الشئ الكثير ٠

و بحيلة أكثر مكر و دهاء استطاع الاستعمار أن يتوصّل الى امتصاص هذا التّوجه السّاخط و الرّافض عليه الى استبدال الوجوه المتسلطة الى وجوه وطنية قامت بتربيتهم على يديها و تخريجهم من

مدرستها فتمّ الأمر على ما وصفناه لك تحت العنوان المتقدم ·

و ها نحن اليوم نجد كافة دول العالم الاسلامي تحتفل سنويـــــاً بأعياد الاستقلال و ترصد لها ميزانية ضخمة تسخر لها كافة وسائل الاعلام و تعد بمناسبة حلولها الأفلام و البرامج الخاصة و تنفق الملايين علـــى تزيين الشّوارع و الميادين و السّاحات العامة بالمصابيح الملوّنة و أقواس و أعلام الدّولة و تعلّق صور الحكام الخونة على كلّ جـــــدار و دائـــرة رسمية بأحجام مختلفة و ألوان زاهية برّاقة لاخفاء باطنهم الخبيـــــث و ارتباطهم الحقيقي بالمستعمر الى يومنا هذا ·

و الّذي يثير السّخرية و العجب أكثر تبادل رؤساء العالم برقيـــات التبريك و التهنئة بهذه المناسبات و كأنّ الاستقلال المزعوم حقيقة واقعـــة في الوقت الّذي يعرف كلّ واحدٍ من أولئك الرؤساء حقيقة نفسه و أضرابـــه الآخرين و انّه لا يعدو كونه نفاقا و احتيالا و لعبا و ضحكا على أفراد تلـك الشعوب ·

فالواقع يهتف بملىء فيه بأنه لا يوجد استقلال و لا تحرر و انما هـو تغيير لوجه الوجود الاستعماري ·

ظاهرة غريبة

من عجائب العصر و سخرية الدّهر ان توجد هناك شعوب فـــي الوقت الّذي ترزح فيه تحت نير الاستعباد و غطرسة الاستعمار الفرنســي تقوم بالاحتفال سنويًا بعيد فريد من نوعه أطلقت عليه عيد الحرّيّة و هـذه الشّعوب هي ·

أ ـ جزر القمر ـ تقع في المحيط الهندي جنوب شرق افريقيا ·

ب ـ الصومال الفرنسي (جيبوتي) ·

ج ـ جزيرة ري يونيون و تقع في المحيط الهندي تحـــــادي مدغشقر من جهة الشّرق ·

د ـ جزيرة نيوكلدونيا و تقع في المحيط الهادي بين جزيرتـــي استراليا و فيجي ·

و يوم العيد في جزر القمر يصادف ١٥ يوليو من كل عام و أما فـــي البقيّة فهو في ١٤ يوليو ·

و في الواقع ان هذه الظّاهرة الغريبة ليست الاّ لعبة سياسيّـــة ابتكرها الفرنسيون للضّحك على عقول أولئك الشّعوب حتّى تنكفئ طموحاتهم الدّاعية الى الاستقلال و يتناسونها كلّياً بدعوى انهم يعيشون الحرّيّـــة و شعاراتها و مناسباتها و يحتلفون بها و لها القداسة في واقعهـــم يحيون ذكراها سنويًا.

و بعبارة أخرى: انها عملية امتصاص لأي صحوة مرتقبة و حيلة بارعة لا أدرى كيف انطلت على عقول أولئك و ستار مناسب لاخفاء الوجـــود الاستعماري و طبيعته الانتهازية و وظيفته الامتصاصية لثرواتهم ·

الاطروحات العملية للاستعمار الجديد

١ ـ تشكيل دوائر المباحث والمخابرات

(محاكم التّفتيش)

بث العيون و الجواسيس لاستطلاع أخبار الخصوم و الأعداء من الظّواهر الطبيعيّة الّتي ألفها الانسان منذ عهد قديم و بالخصوص بين القبائل الّتي كانت تَغِيْرُ على بعضها البعض و تشبعها سلبًا و نهبًا وقتلاً و سبيًا و كذلك في بلاطات الحكام و السّلاطين الّذين يتهددهم خطر داهم من قبل أفراد الشّعب في حالة جورهم و طغيانهم و تماديهم في الظّلم و العبث بكرامات و مقدرات الآخرين من سائر طبقات الشّعب .

و قد ينقلب الوضع فتستخدم في مجال الكشف عن المخربين و المتسلّلين و المعادين للإنسانية و العقيدة الالهية هذا في جهة و في جهة أخرى في حماية المصالح القوميّة الوطنيّة و أمن و سلامة أفراد الشّعب

و هذا هو الشّعار الّذي قامت على أساسه المخابرات الامريكية و الرّوسيّة وغيرهما و تذرّعت به لكن سرعان ما تبدل الوضع و انحصرت وظيفتها فى مصادرة حريات الشّعوب المغلوبة على أمرها مضافاً الى مطاردة أصحاب الفكر المضاد لانحطاطهم و ضلالهم و من ذلك ندرك السرّ في تسمية الامام الخميني حفظه اللّه تعالى لامريكا و القوى الكبرى الأخرى بالشّيطان الأكبر لما تحمله حقيقة نواياهم و ما يختلج في صدورهم

وضمائرهم من تجسيد لهذا الاتجاه الضّال الضّار في نهاية المطاف .

وخطّت صور التّعذيب الوحشي و اللا إنسانى بمباركة امريكا و الدول الأوربية خطوات جبارة فهي اليوم تمتلك أكبر مصانع آلات التّعذيب الرّهيب بمختلف الأحجام و المقاييس و تسخّر حسنات التقدّم العلمي في سبيل تطويرها لتؤدي وظائف أكثر و آثار جسدية و نفسية و روحية أكبر و أوقع و أبلغ .

ولو سمحت لنا الحكومات المتسلطة على رقاب المسلمين في البلدان الاسلامية بالدّخول الى معاقل الاستجواب و انتزاع الاعترافات والزنزانات و فروع وزارات الدّاخلية و أقسام و شُعَب الأمن العام و دوائر أجهزة الاستخبارات و المباحث من دون أن تغير شيء لأدركنا حقيقة استقلال حكوماتنا و نزاهتها و سماحتها و اعتنائها الكامل بمصالحنا وعنائها و شدة جلدها على تحمل أعباء السهر الدّائم لحفظ كرامتنا و حريّتنا و صدق شعاراتها البرّاقة الجميلة التى تتبجّح بها من خلال وسائل الاعلام المختلفة .

ولو قمنا بالتّصدّي لكتابة ذكريات الّذين دخلوا تلك الزّنزانات و أدخلوا تلك الشُّعَب و الأجهزة في أصغر دولة اسلامية لاحتجنا الى مجلدات ضخمة و أيام طويلة لكتابتها ولوجدنا خلال تلك الصفحات الحقيقة المرة و الواقع المأساوي الّذي يعيش فيه المسلمون و قد فقدوا كلّ قيم الانسانية و الكرامة و الحرمة و الشّرف و الحميّة و الغيرة .

و اليك أسطر سجلها شاهد عيان لحادثة طبيعية جرت في أحد الدول الاسلامية و أعتقد انها باكستان .

((بعد يوم من التّعذيب الشّديد ساقنا الزّبانية بالسّياط الى

زنزاناتنا و أمرنا الجلّادون أن نستعد ليوم آخر شديد صباح اليوم التّالي أمرنا الجلادون أن نخرج فورًا كنا نستجمع كلّ قوّتنا في أقدامنا الواهنة هربًا من السّياط الّتي كانت تنزل علينا من حرس كان عددهم أكبر منّا ·

و أخيرًا أوقفونا في سهل صحراوي تحت أشعّة الشّمس اللاهبة حول كومة من الفحم الحجري كان يعمل الحرس جاهدين لاشعالها و قرب النّار مصلبة خشبية تستند الى ثلاثة أرجل ·

أشعلت كومة الفحم الحجري حتّى احمرّت فجأة سمعنا شتائم تأتي من بعيد التفتنا فوجدنا خمسة من الحرس يقودون شاباً عرفه بعضنا كان اسمه جاويد خان امامي أحد علماء ذلك البلد ·

امتلأ الأفق بنباح كلاب مجنونة رأينا عشرة من الحرس يقودون كلبين يبلغ ارتفاع كل واحد منهما متراً علمنا بعد ذلك انهما قد حرما من الطعام منذ يومين ·

اقترب الحرس بالشّاب جاويد من كومة النّار الحمراء وعيناه مغمّضتان بحزام سميك ·

كنا اكثر من مأة سجين نتفرج على عملية التّعذيب هذه و معنا أكثر من مأة و خمسين من الحرس معهم البنادق و الرّشّاشات فجأة اقترب من الشاب جاويد عشرة من الحراس أجلسوه على الأرض و وضعوا في حضنه مثلثاً خشبيًا ربطوه به ربطاً محكماً بحيث يبقى قاعداً لا يستطيع أن يتمدّد ثمّ حملوه جميعًا و أجلسوه على الجمر الأحمر فصرخ صرخة هائلة ثم أغمى عليه ·

سقط منا أكثر من نصفنا مغمى عليهم من هول المنظر و بشاعته كانوا

يصرخون متألّمين وعمّت رائحة شواء لحم جاويد المنطقة كلّها و من حسن حظّي انّني بكيت بكاءً مرّاً لكنّني لم أصب بالاغماء لأرى بقية القصة الّتي هي أفظع من أولها ·

حمل الشّاب و فكّت قيوده و هو غائب عن وعيه و صلب على المصلبة الخشبية و ربط بها بإحكام و اقترب الجلادون بالكلبين الجائعين و فكوا القيود عن أفواههما و تركوهما يأكلان لحم جاويد المشوي بدأت أشعر بالانهيار انّه لا زال حيّاً و الكلاب تأكل لحمه فقدت وعيي بعدها ·

لم أفق الّا و أنا أصرخ في زنزانتي كالمجنون دون أن أشعر جاويد ··· جاويد ··· أكلتك الكلاب يا جاويد ··· جاويد ··· كان اخواني في الزنزانة قد رَبطوني و أحاطوا رأسي و فمي بالأربطة حتّى لا يمسع الجلّادون صوتي فيكون مصيري كمصير جاويد أو كمصير شاهان خاني الّذي أصيب بالهستريا مثلي فأصبح يصرخ جاويد ··· جاويد ··· فأخذه الجلادون و وضعوا فوقه نصف برميل مملوء بالرّمل ثمّ سحبوه على الأسلاك الشّائكة الّتي ربطوها صفًا افقيًّا فمات بعد أن تقطع لحمه ألف قطعة و هو يصرخ : اللّه أكبر ، اللّه أكبر ··· لابد أن ندوسكم أيها الظّالمون ·

و أخيرًا أغمي عليّ فتحت عيني ، فوجئت انّني في أحد المشافي و فوجئت أكثر من ذلك بسفير بلدي يقف فوق رأسي قال لي : كيف حالك ؟ يبدو انك ستشفى ان شاء اللّه لو لم تكن غريبًا عن هذه البلاد لما استطعت اخراجك ··· ثم فاجأني سائلاً : لكن باللّه عليك قل لي مَنْ هو هذا جاويد الّذي كنت تصرخ باسمه ·

أخبرته بكلّ شيء فامتقع لونه حتى خشيت أن يغمى عليه ·

لم نكمل حديثنا الّا و الشرطة تسأل عنّي ... اقترب من سريري ضابط بوليس و سلّمني أمرًا بمغادرة البلاد فورًا و لم تنجح تدخلات السّفير في ضرورة ابقائي حتّى أشفى حملوني و وضعوني في باخرة أوصلتني الى ميناء بلدي كنت بثياب المستشفى ليس معي أي وثيقة تثبت شخصيتي اتصلت بأهلي تلفونيًا فلما حضروا لم يعرفونني لأوّل وهلة حملوني الى أول مستشفى بقيت فيه ثلاثة أشهر في بكاء مستمر ثمّ شفاني اللّه عزّ و جلّ و أنهى المسكين حديثه قائلاً :

بقى أن تعرف ان مدير السّجون يهودي و المسؤول عن التّعذيب خبير الماني نازي أطلقت تلك الحكومة في ذلك البلد الاسلامي يده يفعل في علماء المسلمين كيف يشاء .

٢ ـ (الانقلابات المضادة)

عمد الاستعمار فى العصر الحديث عند دخوله أى دولة ما الى التغلغل فى جميع أجهزتها عن طريق أبناء جلدته أن أمكن أو العمل على شراء ضمائر بعض المذبذبين من أبناء الشعب لاستغلالها فى ذلك السبيل و بالخصوص الجهاز العسكرى و الجناح الحربى فانه شدد ثقله عليهما بصورة مركزة و مكثفة لأنهما يمثلان راس الحربة فى وجه الدخلاء الأدعياء و الغرباء الأعداء ، و من الطبيعى أن يجد له أصابعَ فى الأثناء فى قلب الحوزات الدينية والزعامات الروحية بطرقه الخاصة و أساليبه الماكرة .

وكل ذلك تحسّباً لطرو ما لم يكن في الحسبان كالمفاجات الغير متوقعة من قبل الشّعوب من انتفاضة أوعصيان أو اضراب أو نحو ذلك .

وقد تمكّن الاستعمار من تنفيذ كافة مراميه و طموحاته في اطار هذا الهدف الاستعبادي بكلّ دقّةٍ و اتقانٍ و دليلنا على ذلك : الأدوار الّتي واكبتها كلّ انتفاضة و ثورة جماهيرية في عالمنا الاسلامي حيث لاحظنا كيف يهبّ الجيش لاسكاتها بكل ما أوتي من قوّة وكأنه لا يرتبط بالشّعب من قريبٍ أو بعيدٍ فتراه يقتل و يسجن و يعذب و يرابط في الطرقات لاكتساح كلّ حركة تنبض في قلب الأمة الحرّ و ارجاعه بقوّة القهر و السّلاح الى حضيرة المستعمر مرةً ثانيةً .

وقد لاحظنا كيف كانت الانقلابات للعسكرية هي الحل الأكثر فاعلية عند عجز كافة أساليب المجابهة و طرق امتصاص الاندفاع الجماهيري تجاه وبائه الدّخيل وعنصره المرفوض .

ولا ننسى الاشارة إلى اليقظة الرّائعة الّتي انتهجها الشّعب المسلم الثّائر في ايران فإنّه عند ما خرج في الشّوارع ابان ثورته الشّاملة قابل بنادق جنود النّظام الشّاهنشاهي بالورود و رصاصاتهم بالقبلات و المعانقة فأبطل بذلك ارتباطهم الّذي مازج عقولهم وكيانهم و دفعهم للانصهار مع الشّعب في صحوته ذلك الارتباط الّذي أنشأه المستعمر طيلة عشرات السّنين و ربّاهم عليه وغذّاهم بلبانه حتّى أصبح كالدّم يخالط لحومهم و يعايش وجودهم نعم انها حالة نادرة و فريدة لم تتوفر مقوماتها لغير الشّعب الايراني في العقود المتأخّرة و بعد الاطاحة بحكم الشّاه لم نجد الشّعب الباسل يقف عند هذا الحدّ بل سارع لقطع كلّ الطرق على الاستعمار و الوقوف في وجه الاعيبه و دسائسه الّتي طالما استخدمها

لاحباط كلّ ثورة أطاحت بعملائه الحكام الخونة و لذلك وجهت اللجان الثّورية الّتي تشكّلت أعقاب نجاح الثّورة رسائل عن طريق البريد إلى كافة رعايا الدّولة الاستعمارية المتواجدين داخل ايران بصورة مغادرة البلاد و الّتي تقدّر بمئات الآلاف جاء فيها :

((... ذلك انكم تعملون بوعي أو بدون وعي لصالح عدوّ امّتنا و وجودكم في ايران هو عائق أمام ثورتنا)) .

و هكذا أصبح التّصدي للأمريكيين و البريطانيين و التّعدّي على ممتلكاتهم و طردهم من أماكن عملهم جزءًا من صور احداث ايران .

و بعد اعلان الحكومة العسكرية كآخر ورقة يلعب بها المستعمرون المستبدون كانت واشنطن قد تعجلت الاطمئنان فسمحت لرعاياها بالتّخلّي عن التزام منازلهم و الخروج إلى أعمالهم توهّمًا منها ان الحكم العسكري بات ضمانة لسلامتهم .

و لكنهم فوجئوا في طهران وحدها باندفاع مئات الألوف من الشّباب المسلم و هم يهتفون ((أيها الأمريكيون اخرجوا من ايران)) و ((الموت للشاه الأمريكي)) .

و بعد انتصار الثّورة ختم الامام الخميني المسألة بصورة لا تقبل الجدل و التردّد بقوله :

((كل الأجانب المشتغلين سيطردون من ايران و أنّ الّذين سيبقون هم فقط الّذين بدأوا العمل في مشاريع تهمّ ايران)) .

و بذلك انسدّت الأبواب على الامريكيين وحلفائهم لارتكاب أي جريمة أخرى من النّوع الّذي اعتادت عليه في كافة الدّول الّتي استعبدتها بعد حدوث ثورات فيها .

و بعد أن فقدت الأمل بأي محاولة من شأنها اعادة الشعب الايراني المسلم الى حظيرته و بلغ به الوجد الى حدّ اليأس أخذ يبحث في ملفاته الأخرى عساه يهتدي إلى وسيلة غفل عنها و بعد مراجعة دقيقة وجد في سجلّاته ضمائر وطنية قد تمّ شراؤها في العهد السّابق في الخفاء وعملت له بأمانة و اخلاص و أدّت خدماتها المطلوبة و وظائفها المرسومة و ها هي اليوم تقف على أقدامها في مصاف السّلك الدبلوماسي الجديد للثّورة الاسلامية من أمثال قطب زاده و سنجابي و بازرگان و أضرابهم و لما خسرت أوراقهم أوكلوا المهمّة الى بني صدر الّذي تمكّن بدهاء وحيلة بالغة من الوصول الى السّلطة و تسلّم أول رئاسة للجمهورية الاسلامية و بعد أن قضى وطره و حقّق الكثير من المخططات المرسومة اليه وعبث بكرامة الشّعب المسلم الثّائر وعاث فسادًا في الادارات الحكومية و استغل منصبه لتمرير كثير من الدّسائس و تنفيذها بحق الحكومة و الشّعب افتضح أمره هو الآخر و انكشفت ألاعيبه و مؤامراته و خسرت أوراقه و أبطل اللّه عز و جل دهاءه و مكره و أفشل أحد وثته فهرب الى فرنسا حيث عاد الى أحضان أسياده.

و فى حالة من اليأس المميت التجأ الى سلاحه الأخير و الّذي يترتّب على فشله انتهاؤه الى حيث لا رجعة ففتش مرة أخرى ملفاته و قلبه صريع الحسرة و ألم الغصّة فما وجد غير طريق أخير و منفذ وحيد علق عليه جميع آماله الأخيرة هذا السّلاح هو علماء الدّين المأجورين خيوطا التآمر الأكثر خطورة و الأشد وقعًا و تأثيرًا.

فأوعزت الى قطب زاده الّذي أقصى من منصبه أو كاد بسبب كثير من الملابسات و الشّبهات الّتي حامت حول شخصيته للاتّصال برجل تصدّر

أسماء سجلها الوثائقي في قم الحاضرة العلمية العريقة الأولى في ايران و طلبت منها العمل بأسرع وقت في سبيل انقلاب مضاد و السّعي بقدر الامكان لاخماد أنفاس الثّورة الاسلامية بالقضاء على زعامتها و قياداتها قبل كلّ شيءٍ و تشكيل حكومة أخرى باسم الاسلام للتّغلب على أيّة ردّة فعل جماهيرى مرتقبة و شاء القدر الالهي و المدد الغيبي الرّباني لهذه الثّورة و قيادتها الرّائدة المخلصة أن تنكشف المؤامرة قبل تنفيذها فألقى القبض على جميع عناصر تغذيتها و صدرت بحقّهم الأحكام الصّارمة بعد عرض مستفيض لاعترافاتهم الحيّة أمام شاشات التلفاز حيث أطلع الشّعب بأكمله على الملابسات و الخيوط المتآمرة و مخططها الجهنمي و هكذا خسرت أوراق اللعبة الثّالثة المتمثّلة في المحاولة القطب شريعتمدارية ٠

و قد أدرك المستعمرون بعدها بفشلهم الذّريع الكامل و اخفاقهم التّام مما دفعهم للغرق للمرّة الأولى في قعر محيط الهزيمة و العار فأخذوا يستجدون البقية الباقية من أصابعهم الصّغيرة لعمل أي شيء يشفي غليلهم و يطفي نار الحنق المستعرّة الّتى باتت تحرق أعصابهم و تفقدهم صوابهم و يخفف وطأ العقدة الرهيبة الّتي باتوا يعايشونها من الاسلام و قادته المخلصين المحنكين الجدد ٠

بدأت لعبة التآمر الجديدة و الميؤوس من نجاحها بعد الاخفاق المتكرر على يد أحد تلامذة شريعتمداري٠

و كانت طبيعة التّخطيط الجديد هو استغلال الشّهرة المحرزة عن طريق النّبوغ الفكري في الأوساط العلميّة الدّينيّة للتّشكيك في اسلامية الثّورة و صحّة ادعاءاتها بشأن المؤامرات الّتي أعلنت عنها فكتب في ج ٥٥ ص ٣٦٥ من تفسيره المسمى بتفسير البصائر مانصه :

((و من أنواع الابتلاء الظلم على المبتلى في ماله و نفسه و هتك عرضه و الافتراء و التّهمة و البهتان عليه كما ابتلى استاذنا الأعظم المرجع الدّيني للشّيعة الامامية الاثني عشرية آية اللّه العظمى ـــــــ حفظه اللّه من نوائب الدّهر و طوارق الحدثان و شرّ الأشرار انما ابتلي هو بما لم يسبقه أحد من المراجع الدّينية في تاريخ الشيعة جدًا اذ اتهمته شرذمة قليلة من أبناء الدّنيا و الشّهوة وعبيد الاشتهار و الرئاسة بتهم واهية لنيل سفيه مخدوش الفكر و العقيدة المرجعية الدّينية و الولاية الفقهية و ليس له الولاية لأهل بيت النبوة)).

و صاحب الاسم الّذي استبد له بالخط معلوم شخصه غني عن التّعريف .

و قال في ص ٣٩١ من المجلد نفسه :

((و من الأسف ان الانسان يغفل عن مشاهدة البلايا و ينساها حتّى حينها كما رأينا في زماننا هذا اذ وقعت بلايا سريعة بين الأُسَر خاصة و المجتمع عامة بايران اذ رأينا كيف صار الاعزاء أذلآء ، و الأذلآء أعزّاء ، كيف صار الأقوياء ضعفاء و الضّعفاء أقوياء ، كيف صار الرّؤساء و ذو الجاه و العدد مسجونين معدومين منفيين عن البلاد و المسجونون المنفيون رؤساء و ذا جاه وعدد وعدّة .

كيف صار الأخلآء أعداء و الأعداء أخلآء ، كيف صار الأغنياء فقراء ، و الفقراء أغنياء ، كيف يُدْعَى العلماء العاملون جهّالاً و يُدْعَى الجهّال علماء ، كيف ينسب المؤمنون الى الكفر و النّفاق و المنافقون الى الايمان و الخلوص كيف ينسب أصحاب الولاية لأهل بيت النبوّة الى الخرافة و صار أعداء الولاية لأهل بيت النبوّة أصحاب الولاية كيف ينسب المصلحون الى

الفساد و الافساد ، و المفسدون الى الصلاح و الاصلاح ، كيف صار رجال الدّين معتزلين و أشباه الرّجال قائد المسلمين كيف صار أهل التّقوى مخذولين و الهتّاكون محترمين و كيف صار الأجنبي صاحب المملكة و المواطنون أجانب ، كيف صار المبتعدون عشيرة و اخواناً و العشيرة و الأخوة مبتعدين و أعداءا و كيف صار الأصحاء أعلاء و الأعلاّء أصحاء ، و كيف و كيف كل ذلك فتنة و ابتلاء و لكنّ أكثر النّاس عن ذلك كلّه غافلون فاعتبروا يا أولي الأبصار)).

أقول : الصّواب يا عديمي الأبصار والضمير والفكر والاباء والكرامة .

و ليست هذه الكلمات هي كلّ ما نفّست به نفسه الأمّارة و جادت به يراعته القذرة الملوّثة بالأهداف و المرامي الشّيطانية الخبيثة بل هناك ما يربو عليها بكثير من المطاعن و عبارات السّوء اللاذعة .

لقد تعرفت عليه كما تعرّف عليه سائر طلّاب العلم و الفضيلة من خلال تفسيره الّذي قام بطبعه أخيراً و نظراً لوجود بعض الاشكالات العلمية عليه كنت قد قصدت داره عدّة مرّات لمناقشته فيها و كنت حينها قد باشرت في تأليف كتاب الدّرّ النّضيد في علمي القراءات و التّجويد فعرضت عليه الأمر و أبدى سروره و حبّه في الاطلاع عليه و حدثت في تلك الفترة بعض الظّروف الّتي اضطرّتني للسّفر الى البحرين ، و بعد قضائي عاماً كاملاً هناك و عودتي الى قم المشرفة فوجئت بنبأ اعتقاله من قبل السّلطة الاسلامية و ايداعه السّجن رهن التّوقيف و النّظر في قضيّته و بعد فترة قصيرة بلغني نبأ اطلاق سراحه و ما مضت الا أيام قلائل حتّى أرجع الجزء الّذي تمّت مصادرته من السّوق للبيع في المكتبات التّجارية فشجّعني ذلك على زيارته للاطّلاع على حقيقة القضيّة و لم أكن قد اطّلعت على

حقيقة القضيّة و لم أكن قد اطلعت على الأوراق الّتي تحمل العار و الشّنار عليه و على أضرابه العملاء .

و ما أن استقرّ بي الجلوس في مجلسه حتّى فاتحني بالسؤال عن اطلاعي على خبر ايداعه في السجن أم لا فأجبته بالايجاب ، ثم نهض و تناول بعض الأوراق كانت موضوعة على أحد رفوف الغرفة و وضعها أمامي و قال لي اقرأ باعتزاز و افتخار ، و بعد التّمعّن و القراءة علمت بأنها الأوراق الّتي تمّ حذفها من الجزء المصادر قبل اعادته الى الأسواق مرة ثانية فرأيت كلاماً ملىء بالحقد و البغض و عدم الاتزان و التّعقّل و الطّعن الشّنيع لم يبتني على حقائق ثابتة أو فرضيات معقولة فقابلته باستهجان و سألته عن الدليل لهذا الكلام في الوقت الذي يواجه الاسلام فيه قضايا مصيرية أمام الكفر و الاستكبار العالمي مع عدم اتّزانه و فقدانه كافة المعايير العلمية و الأخلاقية فأجاب بقوله : لقد انتهى الأمر و ليس بامكاني الآن سوى السكوت لقد أرسل الى خارج البلاد قبل اكتشاف ما فيه فقلت : هل تمّت كتابة هذه الكلمات أثناء كتابة التفسير أم أضيفت اليه فيما بعد ؟

فقال : بل أضفتها فيما بعد و ليس ذلك المجلد هو الوحيد الّذي تضمّن هذه الكلمات بل قمت باضافة كلمات أشد تهجّماً و طعنا في بقية المجلدات الّتي لم تطبع بعد لو اطلعوا عليها لحكم عليّ بالاعدام .

فلما سمعت ذلك انتابني شعور بالاثم اذا أطلت الجلوس و لذا سارعت بانهاء الحديث و الخروج من عنده و تأسّفت على زيارتي له وأخذت أسترجع كلماته و أقول في نفسي لو كان انساناً صادق الايمان طاهر السّريرة لكفاه اطلاقه من السجن من دون تعذيب و ايذاء و بسرعة دليلاً على خطأه و اشتباهه الّذي وقع فيه لأنّ الأمر ، لو كان كما يدّعي لأصبح

في خبر كان .

و لكنّني جزمت فيما بعد بأن هناك عمالة مستبطنة و لعبة خبيثة يقوم بتنفيذها قد أوكلت اليه من قبل الدّوائر الاستعمارية في محاولة لضعضعة النّظام الاسلامي القائم في ايران الاسلام و الشّهادة و الفداء .

نعم لقد صرح أمامي بتلك الاعترافات و لم يكن في حساباته انها ستنشر بالنّحو الّذي هي عليه الآن بين يديك .

و جاءت محاولة أخرى مكملة للأولى على يد أحد العملاء الآخرين في كتاب أسماه الرّشاد الى ولاية الفقيه حيث قال في الصفحة التاسعة بعد ايراده لحديث الامام الصادق المتضمن لقوله :

((انّ أبي كان يقول : ان اللّه عزّ و جلّ لا يقبض العلم بعد ما يهبطه و لكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة فيضلّون و يضلّون و لا خير في شيء ليس له أصل)) .

في شرحه لقوله (فتليهم الجفاة) أي: يصير واليهم و صاحب التّصرف في أمور دينهم و دنياهم الجفاة و هي جمع الجافي من الجفاء و هو الغلظة و الخرق التّابعان للجهل يعني يتعاطى الجهّال و أصحاب القلوب القاسية الّذين لا يهتدون الى سبيل الهداية أصلاً و لا يعلمون طريق الصّواب قطعًا مناصب العلماء في الفتيا و التعليم فيفتون بمقتضى آرائهم السّقيمة فيَضِلُّون عن دين الحق و يُضِلّون النّاس عنه فيقع الحرج و المرج و ينتشر الظّلم و الجور و يرجع النّاس الى الجور بعد الكور، و قد ظهر في هذا الزمان اذ قد ولي الفتيا و التّدريس كثير من الجهّال و الصبيان و تولّى القضاء و الحكومة جماعة من أهل الجور و الطغيان نعوذ باللّه من غوائل هؤلاء العصاة و من مخائل أولئك الغواة ، انتهى كلامه زيد

في دركات الجحيم مقامه وعذابه.

فتراه يحوّر في معنى الحديث ويتكلّف له الوجوه والمعاني المتعسّفة المتكلفة الّتي لا تستفاد من ظاهره ولا مفهومه بوجه لكنه لما كان من أقطاب الجفاة وحملة لواء العصيان في زماننا هذا تراه يتخبّط خبط عشواء ويتجرّأ على مقام العلماء الأعلام وأجل أجلاّء هذا القطر الاسلامي الحديث العهد بالحكومة الاسلامية في الفضيلة والعلم والورع والتّقوى والالتزام والسّعي لاحياء أعلام الدّين الدّارسة وسننه الرّاكسة في بحر الاهمال والتّسويف والتّضييع والتعطيل.

نعم لقد أثار حفيظته وحنقه قيام حكومة اسلامية في ايران لأنها تتعارض مع أسياده في الشّرق والغرب وأطماعهم ومخططاتهم الشّيطانية ويذكرني قوله هذا بقول سمعته من أحد الطلبة في الحوزة يسنده الى أحد مرتدي لباس العلماء:

((ان علينا أن نأخذ مفهوم ولاية أمير المؤمنين علي بن أبيطالب من بريطانيا نفسها لأنها أدرى منّا بأحتياجاتنا الفكرية والعقائدية)).

وقوله (أعوذ بالله من غوائل هؤلاء) يعني بهم قائد الثّورة الاسلامية في ايران وكبار العلماء القائمين على شؤونها وآيات الشّهادة العظام من أمثال بهشتي ودستغيب وصدوقي والقاضي الطباطبائي وأشرفي اصفهاني ومطهري ومفتح الخ الّذين خطوا بدمائهم الزّكية أشرف صفحة من صفحات الشّرف والفداء والتّضحية.

أولئك الذين ذهبوا ضحيّة النّفاق والعمالة للأجنبي الكافر ومع تنامي القدرة الاسلامية وما مني به المنافقون من انحسار تام عن القدرة على تكرار تلك الأعمال اللا انسانية وأهدافهم الارهابية البشعة بدأوا

مرحلة جديدة عسى أن يحققوا ضالتهم المنشودة و ارضاء شياطين الجن و الانس من قادة قوى الكفر و الاستكبار في زماننا هذا فوجّهوا رحالهم جهة الحوزات العلمية و بالخصوص قم المقدسة الّتي أصبحت مركز الثقل الوحيد للدّولة الاسلامية وغدت عاصمة العلم و المعرفة للمذهب الشيعي بلا منازع ·

فهل هناك أقبح و أوقح من هذا الأسلوب الماكر الخبيث الطامح لضعضعة هذا البناء العظيم الّذي ساهمت في تشييد دعائمه حتّى الآن عشرات الألوف من الشّهداء بدمائها الطّاهرة الزّكية لقد مضت سبع سنوات لم تفتر خلالها عزائم أفراد الشّعب الايراني البطل عن الجهاد والتّضحية بكلّ غالٍ و نفيس مضافاً الى المشاهد و المواقف اللاانسانية العظيمة الّتي جسدتها النساء المؤمنات فضلاً عن الرّجال في معترك سوح الشّهادة و التضحية و الّتي تبكى الصخر اجلالاً و اعظاماً و اكباراً لها فهل يا ترى هناك قلب أجفى و أقسى و أصلب من هذا الجلف الجافي و العدوّ العميل الضّاري ·

قال الامام الصّادق عليه أفضل الصّلاة و السّلام :

ما من مُؤْمِنَيْنِ الاّ و بينهما حجاب فإن قال له لست لي بوليّ فقد كفر فإن اتّهمه فقد انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء ·

فأين أنت من هذا الحديث و أمثاله المتظافرة يا آية الزّيغ و الضّلال و البراءة من الهدى و الاستقامة و الحق و العزّ و الاباء والكرامة و لم أجد لك موضعاً في القرآن الكريم تستحق أن يشار به اليك أنسب من قوله عزّ و جلّ :

((أفرأيت من اتّخذ الهه هواه و أضلّه اللّه على علمٍ وَختم على

سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة)) (الجاثية / ٢٣).

فالجافي انما هو أنت و أشباهك الّذين لم يذوقوا حلاوة الايمان و لا طعم المعارف الالهية الحقة و لا اغترفوا من منبعها الصّافي الّذين قد غرقوا في أوحال العمالة و بحور الخزى و النذالة و محيطات الضلال و الرذالة.

ولاية الفقية و الضّجّة المفتعلة

مسألة ولاية الفقيه من المسائل الفقهية الّتي لم يوفق كثير من الفقهاء و المجتهدين لفهمها و استيعابها بالنّحو المطلوب، و لهذا السّبب أو غيره فقد وقعوا في تناقض و خلط عجيبين سنأتي على الاشارة اليه في محلّه أدّا بهم الى الخروج عن مقتضى أصول الاستنباط و قواعده و مبانيه.

و في الوقت الّذي طرح فيه الامام الخميني دام ظله هذه المسألة على الساحة المعاصرة كحل حاسم لانتشال العالم الاسلامي من فوضى التّخبط القيادي الدّيني و الحدّ من تدخّل القوى الاستعمارية في شؤون المسلمين عن طريق عملائها المرتدين لأقنعة الفقهاء و المجتهدين و المجاهدين و الزعماء السياسيّين الوطنيّين المختلقين.

و قد أيقن الاستعمار معها ببزوغ فجر مجد الاسلام من جديد و بروزه الى العالم كقوّة عالمية مقتدرة على صنع القرارات و الاستقلال في اعلان المواقف و تحديد الاتّجاهات في القضايا المصيريّة.

و كان ذلك هو أخشى ما يخشون وقوعه.

وقد تقدم في صدر الكتاب الاشارة الى ذلك على لسان المستشرق البريطاني مونتجو مري وات حيث قال :

((اذا وجد القائد المناسب الّذي يتكلّم الكلام المناسب عن الاسلام فإن من الممكن لهذا الدّين أن يظهر كاحدى القوى السّياسية العظمى في العالم مرّة أخرى)).

وحينئذٍ فكثرة الضّجيج والعجيج المفتعل والّذي يثيره الخونة من عملاء الاستعمار الشّرقي والغربي في الحوزات الدّينية اليوم في قبال هذه المسألة وكأنها خطر يتهدد المسلمين ويضعف الارتباط بالدّين ويؤدي لأفول نجم الشّريعة وانمحاق نور معالمها ولذلك تجدهم يضحكون على عقول المغفلين السّذج ويشبعون أذهانهم بتفسيرات مغلوطة عنها حتى أدّى بهم الحال لادراجها في مصاف البدع والزندقة والعياذ باللّه وها هم اليوم يركّزون عليها غاية التّركيز ويؤلّفون الكتب في طعنها واضعاف مستنداتها وتشويه صورتها وطمس ثمراتها وعوائدها وما يمكن أن تؤديه للعالم الاسلامي من ايقاظه من غفلته وسباته العميق والعودة به مرّة ثانية ليتسلم موقعه الطبيعي والمناسب لحجم ثقافته وشموخ مبادئه وسموّ أهدافه.

ولعل هناك من هؤلاء من قد اندفع في هذا السّبيل لا عن سوء نيّة وخبث سريرة ولكن لشبهة وغفلة والتباس فهم وضيق اطلاع، ولذا فانّا نهيب بأمثال هؤلاء لتلبية نداء قائد هذه الثورة المباركة الامام الخميني والوقوف معه يداً بيد لتحقيق حكومة العدل الالهي والاسهام بتقديم أفضل لنظام الحكومة الاسلامية والسّعي لطرحها بالصّورة الأصيلة بالاستمداد الكامل من منبعها ومعدنها الأوّل وتفسيرها بما يجلي

عنها نقاب الابهام و كثرة الايهام و اضطراب الأفهام و يرفع الحيرة عن المثقّفين و العوام في عصرٍ بات يفتقر الى أسلوب جديد لعرض الاسلام و اصطلاحات خاصّة و كلام عصري موزون ·

لقد تحمل الامام الخميني مد ظله وعمره الشريف أعباء التّصدى للثّورة و أجهد نفسه و أضنى بدنه و أرهق فكره و سهر ليله للاشراف على استقامتها و تأصيل تحركها الاسلامي و دورها الرّيادي و لم يبالى في اللّه لومة لائم على الرّغم من وعورة الطّريق المليء بالأشواك و صعوبة هذا الطّرح في عالم غلبت و طغت عليه صور الفساد و البعد عن الاسلام ، و خاطب أبناءه و اخوانه من العلماء و المفكّرين بقوله :

((اننا تعرضنا الى الأسس الأولية للموضوع (أي الحكومة الاسلامية) وعالجناه نظريًا فعلى الجيل الحاضر و الأجيال القادمة أن يفكّروا في الموضوع و يوسّعوا فيه بحثًا حتّى اذا ما وجدوا طرق تنفيده جدّوا بكلّ طاقاتهم من غير تساهل أو تكاسل أو برود و تقاعس فليذهبوا عن نفوسهم اليأس و القنوط ···)) ·

انه الرّجل الفذ الّذي استطاع أن يذوب بكله فى الاسلام و ينشأ حكومة القرآن بحكمة و حنكة و تدبير فريد فجزاه اللّه عن الاسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين و المصلحين العاملين ·

فهل بعد ذلك من حجّة و دعوة باطلة للتّقصير في معاضدته و نصرته و الوقوف معه في ساحة انهاض الاسلام و العودة به الى عهده الأول و مجده العريق ·

٣ ـ (ممارسة سياسة التغريب العقائدي)

في الوقت الّذي يحظى فيه أصحاب الدّيانات الوضعية كالهندوس و البوذيين و أضرابهما المتواجدين فى الدول المسيحية و الشيوعية باحترام كامل من قبل سلطاتها على الرغم من بشاعة طقوسهم و فظاعة عاداتهم وعباداتهم يتلقّى المسلمون الضّربات تلو الأخرى من تلك الحكومات تحت شعارات سخفية تافهة و حجج واهية ساقطة انهم يخشون من لباسهم وعاداتهم و صفاء فطرتهم و وقع أسمائهم في نفوس شعوبهم و اذكار صلواتهم و استقامة سيرتهم وعقلائية عباداتهم انهم يخشون الآثار الّتي قد تسببها تلك الأمور في ضعضعة المخطّطات الماسونية الّتي أحكمت سيطرتها و أخرجت النّاس عن عقائدهم و أديانهم.

و قد تقدّم عرض للجرائم الّتي ارتكبها الرّوس بحقّ المسلمين بعد الثّورة الدينيّة ونسوق هنا شاهداً آخر لامتداد جرائم الوجود الشيوعي في العالم فبلغاريا من الدّول الّتى كان يقطنها المسيحيون و المسلمون و بعد الحرب العالمية الثّانية سيطرت أصابع الماسونية الشيوعية على دفة الحكم و فرضت الفكر الشّيوعي على البلاد و بعد أن تمكّنت من التغلّب على السلطة المسيحية اتجهت الى المسلمين البالغ عددهم ما يقارب المليون و النصف من مجموع السكّان المقدّر عددهم بتسعة ملايين نسمة فألغت مدارسهم الخاصة و فرضت عليهم تغيير أسمائهم فمن كان اسمه سعيد أو اسماعيل أو أحمد أو جعفر أو نحو ذلك عليه أن يستبدله

بجورجي أو ميخائيل ،أو ديمتري و ما أشبه ذلك .

كما قامت بالتّدخّل السافرفي عاداتهمأو مراسمهم الدّينية فقامت بعرقلة ممارسة التّقاليد الاسلامية في مراسم الزّواج و الختان و الجنازات بحجّة ان على المواطنين احترام القوانين الوضعية في البلاد ، و ان هذا ينطبق على جميع البلغار على اختلاف قومياتهم و لمظاهر الرّفض الّتي أبداها المسلمون تجاه هذه الخطوات الاجرامية أثر كبير في ازدياد ممارسة العنف معهم بشتّى ألوانه و صوره ، و قد امتلأت السّجون بكثير منهم بينما حكم على بعضهم بالاعدام أو السجن المؤبد ، ولخطورة الموقف و اتساع المجابهة العلنية من قبل الحكومة للمسلمين داخل البلاد اتبعت الحكومة سياسة التّعتيم الاعلامي و قد ذكر شهود عيان مسلمون فروا من السّجون البلغارية الى خارج البلاد الكثير من مشاهد المآسي و الآلام و الأحداث اللا انسانية المروعة الّتي ترتكب بحقّ المسلمين هناك ولا زالت هذه السياسة متبعة الى يومنا هذا في الوقت الّذي اشتغل فيه حكام المسلمين الخونة للتّقارب مع الأنظمة الشيوعية الملحدة في العالم و زيادة توطيد العلاقات معها و السّير في طريق معاهدة كامب ديفيد الخيانية .

٤ - (التفنّن في اساليب الضّغط والتّرهيب والكبت والحرمان)

البحرين

البحرين شأنها كشأن سائر الدول الّتي ادّعى اعلان استقلالها

في حوض الخليج الفارسي (الاسلامي) على الرّغم من بقاء الارهابي الدّولى البريطانى هندرسون في منصبه كحاكم عسكري للبلاد و الارهابي البريطانى الآخر (اِي بل) كرئيس لأمن الدّولة الى يومنا هذا و مسرحية اعلان الاستقلال في أوائل السبعينات لم تحظى بالنّجاح التّام و لم تنطلي خدعتها على الشّعب المسلم الّذي خرج بتظاهراته السّاخطة على استمرار السّياسة الاستسلامية و العمالة المفضوحة و قد دفع ذلك الحكومة الى اعلان حالة الطوئ بعد عام واحد فقط من الاستقلال المزعوم ، و لازال ساري المفعول الى يومنا هذا ٠

و سننقل لك في خلال الأسطر القادمة صور و مشاهد و حقائق يعايشها شعب البحرين المسلم لتقيم بنفسك طبيعة الوضع و المأساة الّتي يشاركه فيها جميع شعوب العالم الاسلامي على يد الحكومات العميلة :

١ ــ ممارسة الضغوط و اتباع سياسة التّغريب و الحرمان لازدياد هجرة أفراد الشّعب الى خارج الوطن لتفريغ الدّولة من آثار الثقل السّكاني و الصّحوة الاسلامية المتنامية ٠

٢ ــ ازدياد نشاطات الموالين للشّرق و الغرب من الشيوعيين و العملاء الوطنيين العنصريين القوميين و البعثيين و اعلانهم الحرب العلنية ضد الشّيعة على كافة الأصعدة و المجالات ، و قد بلغني ان بعض الشيوعيين في بعض المناطق يقومون بهجمات منظمة على بعض المساجد لتدنيسها و تخريبها و العبث بقداستها ليلاً بمباركة سلطات الأمن و حمايتهم ٠

٣ ــ ازدياد ميزانية مشاريع المجون و الفساد العلني المكشوف

من قبل الدّولة و انشاء نوادي العراء و دور الخلاعة و البغاء مثل نادي البنوك المخصوص لعضوية الموظفين في البنوك من النساء و الرّجال و الّذي يحوي مسابح العراء الكامل و مرافق البغاء و بعد انتشار خبره و فضائحه سحبت بعض البنوك عضويتها حفاظاً على سمعتها و سمعة موظّفيها ·

و يقرب من ذلك النادى نادى الروتاوى الصهيونى العالمي ·

٤ ـ تركيز النشاط الاعلامى على تزوير الحقائق السياسية وبالخصوص الأخبار المتعلقة بالثورة الاسلامية في ايران و قد أخبرني أحد العاملين في القسم الخبري لوزارة الاعلام المغذي لجهازي التلفار و الاذاعة بالأنباء المستجدة يومياً على السّاحة السياسية العالمية ان وزير الاعلام يشرف بنفسه يومياً على الأخبار المتعلقة بايران و الثّورة الاسلامية فيها و يقوم باعطاء أوامره من حذف أو تزوير حسب ما يمليه عليه شيطانه ·

و في ذكري انتصار الثورة الاسلامية الخامسة قامت سفارة الجمهورية الاسلامية في الامارات العربية المتحدة و فروع البنك الوطني و التّجاري الايرانيان هناك بوضع صور قائد الثّورة الاسلامية مصدرةً بآيات التبريك و التّهاني بحلول هذه المناسبة على صفحات جريدة الخليج الاماراتية الواسعة الانتشار في كافة الدول العربية بما فيها الدّول المطلّة على الخليج ·

و لما وصلت في ذلك اليوم وعلم ما تضمنته أمر وزير الاعلام بجمعها و حرقها فوراً وعدم توزيع أيّ نسخة منها على المكتبات و اكشاك الصحف و الجرائد ·

٥ ـ ترويج مجلّات الفسق و الفساد و الخلاعة السافرة و الصّور

العارية و كتب الضلال و المذاهب الالحادية لتهيئة الأرضية الباعثة على الانحراف و الشذوذ الفكري و الجنسي .

٦ ـ تكثيف محلاّت الفيد و على يد المباحث و رجالات أمن الدّولة و التركيز على الأفلام الهدّامة المنافية للعفة و الشرف و الحياء في كافة أحياء المدن والقرى و بأسعار رمزية بواسطة التأجير أو البيع للمساعدة على التحلّل الخلقي لأفراد المجتمع و قد حدثت جرّاء ذلك مآسي يندى لها جبين الكرامة و الشّرف الانسانيّين كما أدّت الى انتشار الفساد في أوساط البراعم الصّغيرة الّتى لا يتجاوز سنّها العاشرة .

و في الوقت الّذي تدّعى فيه وزارة الاعلام بوجود مكتب مراقبة على أشرطة الفيد و الوافدة من الخارج فإنه قد كشفت قبل عدة سنوات مجلة صدى الأسبوع الأسبوعية و الّتي تصدر في البحرين عن ارتباط وكيل وزارة الاعلام نفسه طارق خليل المؤيّد بهذه المؤامرة الدّنيئة حيث يمتلك أكبر محل لترويج الأشرطة الجنسية و الخلاعية في العاصمة و على الرّغم من افتضاح أمره و الوجه القبيح له زادت نسبة الأشرطة بعد ذلك بنحو يفوق التّصوّر و بعد أن كان تعطى للكبار بطريقة مخفية و بأسعار مضاعفة أصبحت في متناول الأطفال فضلاً عن الكبار .

٧ـ انشاء كلية الخليج و طرح نظام الاختلاط بين الجنسين وافساح أكبر قدر ممكن لحالات الخلاعة و الفساد بدأت بتحوّل صالات المحاضرات الى محال عرض المفاتن و الأزياء الصّارخة و تنظيم الرّحلات المختلطة الى البساتين و بعض المناطق السّياحية الأخرى الّتي ترتب عليها بالضّرورة تفشّى الرّذيلة و الفحشاء و علاقات الغرام و الهيام .

و قد ساهم البهائيون مساهمات فعّالة في حالة التحلل والانسلاخ

هذه عن طريق البهائيات السّاقطات المُنْظَمّات في سلك الدّراسة في تلك الكلّية ٠

٨ ــ انشاء وحدات سكنيّة بعيدة عن المدن الرئيسية و توزيعها على المواطنين بنحو يفقدهم أواصر الارتباط الاجتماعي بغية الحد من ثقلهم الجماهيري و معايشتهم القضايا المصيرية ٠

٩ ــ تجنيد مجموعة من الحسناوات الأوربيات السّافلات المتحللات من كلّ عرفٍ اجتماعي و شرف انساني و ايكال مهمة اغواء المؤمنين اليهن عن طريق ضعضعة تحفظاتهم السّلوكية و خلخلة استقامتهم المستميتة فيتعمدن ارتداء الألبسة الشّفافة و المُقَصَّرة بحيث تبدي معها كافة مواضع الافتتان و يركبن دراجات هوائية و يقمن بسياقتها في وسط الأسواق و الشّوارع متحديات كافة الأعراف و التّقاليد رغم الاعتراضات العلنيّة و العنيفة على هذه المؤامرات من قبل الملتزمين و المؤمنين و الشّرفاء ٠

١٠ ــ انشاء دور الغرام و العهر و الفجور على سواحل البديع و بلاج الجزائر و تحول هذه المناطق الى أسواق جنسية حيث تتجمع السّاقطات اللاتي نزعن جلابيب الحياء و العفاف و الكرامة و ارتدين ثوب الرذيلة بدل الفضيلة و تزينّ بالملابس الصّارخة و طلين وجوههنّ بالمكياجات و الحمرة على جوانب الطّرق فيمر عليهن الشّباب السافل المنحط المتحلل مثلهن و ينتقي من بينهن عشيقته و عاهرته ٠

١١ ــ انشاء قواعد عسكرية بحرية امريكية و بريطانية في المياه الاقليمية وبجوار المرافئ الرئيسية كميناء سلمان ، مضافاً الى قواعد جويّة سرّية و قد استعملت في الغزو الامريكي الفاشل على صحراء طبس الايرانية عشية انتصار الثّورة الاسلامية و اعتقال الجواسيس العاملين في السفارة

الأمريكية في طهران كرهائن.

١٢ ـ استقطاب فرق عسكرية احتياطية من كلٍّ من الهند و كوريا بصورة أيدي عاملة فإذا جاءت اللحظة الضرورية استدعوهم من أماكن عملهم و في ظرف بسيط تنقلب الى قوّات ميدانية متأهبة و الّذي كشف حقيقة هؤلاء العمّال الظروف الّتي شهدتها ساحة البحرين بعد استشهاد العلاّمة السيد محمد باقر الصدر رضوان اللّه تعالى عليه و أخته الفاضلة بنت الهدى في العراق، حيث عاشت البلاد حالة من التواتر و الحنق و الغضب على مراكز الفساد و الفجور و معاقل البعثيين في البحرين مثل السّفارة البعثية في العاصمة و فروع مصرف الرّافدين و المركز التجاري قسماً منهم بما يكفي لمواجهة الأزمة و ظهورهم بمظهر شرطة الشّغب.

١٣ ـ تنشيط فعاليات الرصد لتحركات الأفراد العاملين على الساحة النضالية و في الأوساط الاجتماعية و اعتقال المئات و زجّهم في السّجون و ممارسة أقسى أنواع التّعذيب النّفسي و الجسدي في حقّهم و قد أسفر ذلك عن استشهاد نخبة من خيرة الشّباب المؤمن من أمثال الشّهيد عبد الكريم الحبشي، و جميل العلي، و مدن، و مجموعة من العاملين المخلصين من أمثال الشّهيد السعيد السيّد أحمد الغريفي و المناضل الثّائر الشيخ جمال آل عصفور، و الشّهيد الغريب الشّيخ عباس راستي رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين.

١٤ ـ تضييق الخناق على أبناء الشّعب و خاصة الطبقة الفقيرة و المحرومة و الاستعاضة عنها بالأيدي الأجنبيّة المستقدمة من الهند و باكستان و بقيّة أقطار شرق آسيا.

١٥ ـ فتح مكاتب لاستيراد المستخدمات للعمل في البيوت من الهند

و تايلاند و الفلبين بغية فتح باب آخر لانتشار العهر و الفجور و الفساد و تدمير طابع الأصالة الّذي تتميّز به الأسرة المسلمة في عقر دارها وتفكيكها الى حيث لا رجعة .

و قد حدث ذلك بالفعل بعد وصولهن الى البلاد و كان آخر عرض تقدمت به احدى المؤسسات الأمريكية و نشر في الجرائد يتضمن امكانية طلب مستخدمات امريكيات لتربية الأطفال في البيوت شريطة دفع أربعمأة و خمسين دولاراً في كلّ شهر لقاء الخدمات الّتي تؤديها المربيات الأمريكيات .

ولو تمعنا في ملابسات هذا العرض لأدركنا طبيعة المؤامرة المرسومة و الّتي حاكها و خطط و أعدّ لها الاستعمار حفنة من المتطوّعات وفق برنامج محكم و متقن قبل عرض الاعلان و طرحه عن طريق الصحف و المجلّات .

١٦ ـ تشجيع العمالة الأجنبية لتفتيت القوى العمالية الوطنية و ثقلها على السلطة و بالخصوص في الهيئات الادارية .

١٧ ـ محاربة الحجاب و ذلك بالتركيز على دعوة المرأة لنبذ العادات و التقاليد الاسلامية لتحريرها من القيود الّتي تفرضها الشّريعة الاسلامية و تحد من انسياقها وراء شعاراتهم و طموحاتهم المدمّرة و المطالبة بمساواتها للرّجل في كافة الميادين و الأصعدة .

و بالخصوص في مجال الألعاب الرّياضية فأنشأت النّوادي الرّياضية النّسائية و الفرق الرّياضية و الشرطة النسائية و المدارس الّتى يعلم فيها النساء الأطفال طول المرحلة الابتدائية وغيرها كخطوة أولى على طريق تطبيق نظام الاختلاط بين الجنسين في المدارس .

١٨ ـ افساح المجال أمام الأجانب من الانجليز و الامريكان و الهنود لتسلم المراكز الحسّاسة في الدّولة و اشغال الوظائف الحيوية الرئيسية في الدّوائر الحكومية ؛ و طرد أبناء الوطن و خاصة من الشّيعة لتفريغ اجهزة الدولة من ثقلهم و تأثيرهم ·

١٩ ـ جلب خبراء في كافة الميادين و خاصة ميدان التّعليم من كبار السّن المتقاعدين من مصر و سوريا و بعض دول اوربا حتّى بلغ راتب بعضهم السّنوي أربع و خمسين ألف دينار بغضّ النّظر عن ايجار المسكن و توفير المواصلات و وسائل الرّاحة الأخرى ·

٢٠ ـ تسفير الشّيعة الهنود و الباكستانيين وعدم السماح لهم بتجديد مدة بطاقات العمل بعد ازدياد حدة مشاركتهم لاحياء مواكب ذكرى عاشوراء السّنويّة ·

٢١ ـ اعتقال العلماء و بث العيون للتفرقة بينهم و رصد تحركاتهم خطوة خطوة و مراقبة هواتفهم ·

٢٢ ـ انشاء الجمعيات الهادفة لامتصاص الصّحوة الدّينية و العمل على حرف مسارها كجمعية الاصلاح ، و دار القرآن الكريم و الجمعيات المشبوهة الأخرى في المدن و الأرياف ·

٢٣ ـ مصادرة كثير من أراضي أفراد الشعب و ضمّها الى أملاك أفراد العائلة الحاكمة ·

٢٤ ـ اغتصاب الأراضي الموقوفة من قبل الحكومة و انشاء بعض المؤسّسات التّابعة لها فيها ·

٢٦ ـ تولّي ادارة الأوقاف الجعفرية الرّجل الفاسق الفاجر شراب الخمور و الممارس للعهر و الفجور المدعو بصادق البحارنة و قيامه بسرقة

عوائد الأوقاف الّتي تقدّر بملايين الدّنانير سنويا و صرفها على شؤنه الخاصّة كشراء الأراضي و بناء العمارات و شراء السيّارات الفرهة الفخمة وعمل المنكرات ٠

٢٦ ــ غياب السّلطة القضائية الفعّالة لدى الشيعة كسلطة تشريعية وغياب الشّخصيات المقتدرة على مهام القضاء و تدخّل وزير العدل الخليفي في كلّ صغيرة و كبيرة ٠

٢٧ ــ اماتة الثّروة الزّراعية في البلاد بعدم التّشجيع من قبل وزارتي الزّراعة و الصّناعة و فتح الأسواق للبضائع الأجنبية على مصراعيها و الاعتماد الكامل على الاستيراد الخارجي باتباع سياسة الانفتاح و ربط الاقتصاد الوطني بالأسواق الخارجية مأة بالمأة ٠

٢٨ ــ تشجيع التمايز الطبقي و شيوع ظاهره الواسطة ٠

٢٩ ــ عدم افساح المجال أمام الطّاقات الوطنية لاحتلال المناصب اللائقة بها و دفعها للهجرها الى الخارج أو السماح لها بالعمل في الوظائف الوضيعة ٠

٣٠ ــ تفريغ الشّيعة من جميع مناصب الجيش الحيوية و قصرها على الوظائف البسيطة ٠

٣١ ــ تعطيل بل رفع معاقبة الجاني اذا كان من أفراد العائلة الحاكمة أو كان أحد أفراد الهيئات التّابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ٠، أو أحد أفراد رعايا الدّول الكبرى، كما سيمرّ عليك مزيد توضيح تحت عنوان تطبيع قانون الكابيتالسيون عما قريب ٠

٣٢ ــ تسفير أبناء الوطن عنوة بعد احتدام المجابهة الشعبية للنّظام الخليفي العميل الى ايران الاسلام و توسيع الهُوّة بين المُهَجَّرِين

و بين أهاليهم لايجاد نوع من الحرمان و التّعذيب النّفسي .

٣٣ ـ تهجير الرّعايا الايرانيين المقيمين في البحرين باتّباع الوسائل الوحشيّة و الطرق اللا انسانية .

٣٤ ـ ممارسة الحاكم الفاجر لعملية الزّنا على النّحو العلني وانشاء نادى خاص له في منطقة بلاج الجزائر لممارسة البغاء بكلّ وقاحة وسفالة .

٣٥ ـ قيام أفراد العائلة الحاكمة بتبذير ثروات الشّعب في بارات وكازينوهات اوربا بين موائد العهر و الفجور في أحضان الفاجرات و العاهرات .

٣٦ ـ يفيد أحد الأصدقاء المقرّبين و هو أحد كبار التّجار في العاصمة الى انّ بعض أفراد العائلة الخليفية يمارس مع أبنائه أعمال اللواط و يقسم على ذلك بل ذكر الى انه أرسل بعض عماله للقيام ببعض الاصلاحات في بيت أحدهم فلما نظر هذا الخليفي الى أحد العمّال أصرّ على طلب اللواط به رغم هربه و لجوئه الى التّاجر المشار اليه فطارده بسيّارته فى الشوارع ، و لما تمكّن هذا العامل من الوصول الى صاحب الشركة منعه و ضدّه بعد اللتيا و الّتي .

٣٧ ـ دخول أفراد العائلة الخليفية كشركاء في بعض الشّركات المساهمة ثمّ تسجيل اسمها بأسمائهم و ادعاء ملكيتها و مصادرتها من بقية الشركاء بالقهر و الغلبة .

٣٨ ـ اغلاق كافة الأندية الاسلامية و الحد من نشاطاتها وتأسيس نادي الاصلاح الخليفي المخابراتي الدّيني للقيام بملىء الفراغ بدلاً عنها مع التّصدّي للجهود الّتي يبذلها المخلصون في هذا السّبيل في محاولة لقطع الطّرق عليهم و سدّ الأبواب أمامهم .

٣٩ ـ تشكيل منظّمة باسم منظّمة الطلاّب المسلمين رأيت منشوراً لهم يتضمّن شعارات معادية للثّورة الاسلامية في ايران ، و يطلب من الشعب اعلان القطيعة معها ، لأنها فارسية مجوسية حسب تعبيره ، و ان عليهم التمسك بالقومية العربية .

و يناشد الشّعب لترك مظاهر الشّعائر الحسينية لأنها تخالف الحالة العصرية للقرن العشرين بزعمهم .

٥ - (تطبيع قانون الكابيتالسيون)

من أجل ممارسة المزيد من الاذلال و التّحقير و العبث بكرامات الشّعوب و توطيد قواعد التآمر و الاجرام سنّ المستعمر البغيض قانوناً يقضي بمنح الحرية المطلقة من دون قيد أو شرط مضافاً لبعض الامتيازات الخاصة الأخرى لأفراده العاملين لحسابه الخاص من أبناء وطنه في الدّول الواقعة تحت وطأة الاستعمار .

و قد أطلق على هذا القانون اسم (قانون الكابيتالسيون) و لم يكن هذا القانون معروفاً من ذي قبل ، و انما ابتكره المستعمرون في السّنين الأولى من مطلع هذا القرن و قد حاولت كل القوى الاستعمارية سواء أكانت في روسيا أو بريطانيا أو أمريكا الدّولة الاستكبارية الناشئة أو فرنسا أو غيرها و أخذت تتسابق بكل فخر و اعتزاز لارضاخ الحكومات الضّعيفة و المقهورة لبنوده و مقرّراته .

و هذا القانون عبارة عن اعطاء الفرد التابع لأحد الدّول المستعمرة الّذي يحمل شهادات اثبات رسمية بانتمائه اليها الحرّية التّامة فيما يعمل و يقوم به من نشاط سياسي أو اجتماعي ، و في المقابل على الدّولة الّتي يتواجد فيها أمثال هؤلاء عدم تسرية قوانينها عليه حتّى لو قام بارتكاب الجرائم و فعل المنكرات و تدنيس شرف الأعراض و جرائم القتل ، و ان المسؤول الوحيد عنه هو قنصلية ذلك البلد وهي المسؤولة عن محاكمته بالنّحو الّذي ترتئيه .

تركيا

في الوقت الّذي دبّ الضّعف فيه في جسم الامبراطورية العثمانية لفساد حكامها انتهزت الدّول الأجنبيّة ذات الأطماع التّوسعية هذه الفرصة الثّمينة فمارست ضغوطا على الخليفة العثماني و حكومته من أجل تنفيذ هذا القانون و ضمانة سلامة جميع المخربين و العابثين والتّابعين لها و بعد التّصديق عليه و الاقرار به انطلق المبشرون في اصقاع العالم الاسلامي الواقع تحت السيطرة العثمانية و تبعهم الجواسيس و المخربون يعملون ما شاؤا من دون خوف أو حذر أو وجل .

((و لما اتّسع نفوذ المبشّرين الامريكيين في الامبراطورية العثمانية بين عام (١٨٤٠ م ـ ١٨٤٥م) و كثر تدخّلهم في شؤون البلاد تنفيذاً لسياسة استعمارية عزمت تركيا على اخراجهم من الامبراطورية كلّها و لكن وزير الخارجية الامريكية رفض أن يتّخذ مثل هذه الخطوة ثمّ استطاعت الولايات المتحدة أن تحوّل انتباه الباب العالي (البلاط العثماني) إلى

أمور جانبيّة و هامشيّة أخرى أى: انّ الولايات المتّحدة أثارت لتركيا مشاكل كثيرة صرفتها عن أمر المبشّرين و جرائمهم و هكذا ظلّ المبشرون الامريكيون يتمتّعون فى الامبراطورية العثمانية بحقوق الرّعايا الامريكيين.

ايران

عند ما سعت الحكومة القيصرية الى تطبيقه بحق رعاياها فى ايران اسوة بها بتركيا عن طريق التّهديد العلني للحكومة القاجارية و توعدتها في حال الرّفض باعلان الحرب و الزّحف على ايران و في الوقت الّذي رضخ فيه السّلطان القاجاري آنذاك لمطالب القياصرة و رفع مذكرته الى مجلس النوّاب للتوقيع عليها نهض أحد علماء الدّين و هو آية اللّه السيّد حسن المدرّس (ره) في وجه المؤامرة الخيانية و رفع عصاه قائلا: اذا كان لابدّ من فنائنا فلماذا نوقّع وثيقة ابادتنا بأيدينا! و قد كان لموقفه هذا و مقولته هذه الأثر الكبير الذى حمل مجلس النواب على رفض مشروع الذّلّ.

وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت فيما بعد الحكومة القيصرية و البريطانية من انتزاع التّوقيع من مجلس النوّاب و تمريره بشكل أو بآخر الى أن جاء عهد آخر شاه ايراني و هو الشاه المقبور محمد رضا بهلوي و نظرًا للصداقة الحميمة و الارتماء المطلق لهذا الشاه فى أحضانها سعت امريكا هى الأخرى لنيل شرف الحصانة لرعاياها و استغلال قوّة تأثيرها على القرارات السياسية الداخلية و الخارجية لهذا البلد و قد تضمن العرض الذى تقدمت به الحكومة الامريكية للشاه هذا النص:

((ان الامريكى العامل بايران لا يحق للمحاكم الايرانية أن تحاكمه

أو تجرى معه أيّ تحقيق مهما ارتكب من عمل اعتداء أو قتل ... أمّا لو تعرّض هذا الامريكى لاعتداء من ايرانى فانّ هذا الايراني يحاكم وينفّذ به الحكم بمحاكم ايرانيّة)).

و الظّريف تضمنه لهذه العبارة في موضع آخر:

((لو ان فردًا ايرانيًا دهس بسيارته كلبًا امريكيًا فانه سيكون خاضعًا للتّحقيق و المحاكمة ...)).

و لم تكن الموافقة من قبل الشاه عليه من الأمور التى تبعث على الاستغراب و قد أبدى رئيس الوزراء الدكتور حسين على منصور هو الآخر تحمّسه للأمر و أبدى ترحيبه الكامل به.

و لكن الشّعب لم يكن بتلك الحالة و الدرجة التى تسمح له بالسكوت و الرضوخ لموافقة الشاه و رئيس وزراء حكومته.

و وقف علماء الدّين في صفّهم و أعلنوا ضرورة القضاء على كلّ عميل متآمر مع الاستعمار لسحق كرامة الشّعب و شرفه و حكموا على رئيس الوزراء المذكور بالاعدام.

و هكذا أوكلت المهمة الى أربعة من الفدائيّين المسلمين الملتزمين الّذين قاموا بتنفيذ الحكم عند ما كان يريد الدّخول الى مجلس النّوّاب بعد أن حاصروه من جوانبه الأربعة و أمطروه بوابل من الرّصاص أدّى الى قتله و لمّا تمّ القاء القبض على المجاهدين الأربعة و تمّ مثولهم أمام المحكمة العسكرية قال أحدهم و هو محمد بخارائي للقضاة العسكريّين:

((انّي أخذت من منصور ثأر كرامتي و ثأر كرامتكم انتم أيّها العسكريّون فهل يرضى شرفكم العسكري بقانون الحصانة الامريكية)) ؟

و قال المجاهد الثّاني:

((انّ منصورًا أهدر كرامتنا فأهدرنا دمه)).

و قال المجاهد الثّالث :

((أردت أن يعرف العالم و الأجيال القادمة انا لسنا بأمـــوات فليتباه أولادنا و شعبنا)).

و قال المجاهد الرّابع :

((بما انّي لم أوفّق و يا للأسف أن أبعث الرأس الأكبر ــ يقصد به الشاه ــ من منصور الى الجحيم فلقد قتلت منصورًا)).

و بعد تنفيذ حكم الاعدام بحقّهم نفذ حكم السجن المؤبّد بآخرين ممّن كان لهم ضلع في اعدام رئيس الوزراء و كان على رأسهم الشّيـــخ الأنوارى الّذي أعلن صراحة أمام المحكمة :

((أنا الذى ضمن للشهداء الأربعة الجنّة اذا نفذوا حكم الاسلام بخائن مثل منصور)).

و أضاف :

((سأكون ضامنًا أمام اللّه لمن يقضي على أكبر منه ثم تلا هذه الآية :

(انّما جزاء الّذين يحاربون اللّه و رسوله و يسعون فـــى الأرض فسادا أن يقتّلوا أو يصلبوا أو تقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفـوا من الأرض))).

و استمرّت هذه المهزلة الى حين الاطاحة بنظام الشّاه المقبـــور و هربه الى الخارج حيث نسخت الثّورة الاسلامية الظّافرة كـــافة أنـــواع الاستسلام و الاذلال و المهانة و الاستكانة أمام القوى المتغطرســـة الكبرى و اشرق بانتصارها فجر عهد جديد .

الجبهة الماسونية

تعتبر الماسونية أعرق ظاهرة ارهابية لا انسانية عرفها التاريخ البشري منذ أقدم العهود على الاطلاق. وعانى منها أفدح المصائب و الويلات و قاسى بسببها محن الدمار و الانحطاط العقائدي و الخلقي و الفكرى و الروحى ، و كافة أصناف المصائب و البلايا و الآلام.

و تعدّ من المنعطفات المأسوية و المؤلمة التى طرأت على الأصالة الانسانية و عصفت على كيانه السّمح الشّهم الكريم و هبت بسمومها و زمهريرها القاصف و المدمّر لحياة و أمن و سلامة انسانية الانسان الّتي فُطِرَ عليها بسبب ما تحتضن بين جنبيها من أهداف تنشد افناء المبادئ السّامية و المثل العليا و العادات و القيم العظيمة عند الشّعوب غير اليهودية كافة.

نشأتها : أنشأ اليهود أوّل جمعيّة ماسونية في العالم للقضاء على الدين المسيحي و العمل على عودة المسيحيّين الى الدّين اليهودي و ظلّت تحاربه سرّاً ، و لما أتى الاسلام و أعلن دينه الجديد ضاقت به ذرعًا هو الآخر و أضافته الى أهدافها الأخرى و عملت باتّجاهه نفس العمل الذي جابهت به المسيحيّة و هو العودة بالمسلمين الى الدّين اليهودي.

اسلحتها

بدأت بالمال ثمّ ضمّت اليها المرأة ثمّ الخمر ثمّ القمار ،ثم المخدرات

و بعد الحرب العالمية الأولى ضمّت اليها سلاحًا أخطر من كلّ هـــذه الأسلحة و هو سلاح الشذوذ الجنسي (اللواط) و العياذ باللّه تعالى

لقد بلغت الجرأة بأحد زعماء الماسونيه فى المانيا عـــام ١٩٢٨ م يدعى " كورت روزنبرج " و كان عضوا بالبرلمان الالمانى أن قدم طلبًا الـــى البرلمان للتصريح لشبّان الجامعة بممارسة الشذوذ الجنسي (اللـــواط) و لم يتمالك أحد الأعضاء شعوره فتوجّه الى المنصّة و وجّه ضربة قاضية الى العضو الماسوني أوقعته صريعًا على الأرض و صفّق كل الأعضاء ما عـــدا اليهود طبعًا .

و في بريطانيا عند ما سيطر الماسونيون على مجلس اللـــوردات تمكّنوا من التّأثير عليه حتّى اضطرّوه الى اصدار قانون يقضي باباحـــة اللواط بين البالغين و الغاء قانون المنع منه في الدستور و المعاقبـــة عليه و حين وقف الجنرال مونتغمري الّذي صار لوردًا يعترض على اصداره بقوله في أحد جلساته : يا سادة ان العالم ينظر الينا باستهجـــان سخروا منه .

و لا يخفى ان هذا القانون ساري المفعول الى يومنا هذا ، بـــل دّاه الانجليز قانونا رسميًا في الدوله و بذلك فاقوا أبشع عملية عرفهـــا العالم عن قوم لوط الذين استحقّوا أعظم العذاب من اللّه عزّ و جل ، وقد بلغني انهم يقومون حاليًا بتصدير بعض الأطفال و الشبّان الى بعـــض دول الخليج من أمثال الكويت لممارسة عملية اللواط بهم حسب الطلب .

نعم لقد بلغ الحال الى هذه الفظاعة و البشاعة و بمرئى و مسمـــع من كافة الناس من دون حياء و خجل .

و يعد نادي الروتاري ذو الشّهرة العالمية و الفروع المنتشرة فـــي

بقاع الأرض قاطبه من أعظم المؤسّسات الّتي تعمل على توفير أسباب كافة أنواع الرّذائل و الفواحش و تنظيم حفلات العراء والليالى الحمراء و يتّخذ حاليًا من البحرين مركزًا اقليميًا للاشراف على بقيّه الفروع المقامه على أراضى الدّول الاسلاميه الخليجيه العربيه ·

و أكثر أعضائه من السّلك الدبلوماسي و وزراء هذه الدّول و كبار الموظّفين و الأثرياء و ضبّاط الجيش و المخابرات و الأمن العام ·

و يغذّي نادي الرّوتاري في كلّ دوله يقام على أرضه كافة مرافق الفساد من الحانات و البارات و الخمّارات و دور العهر و الفجور و السّينمات و محلاّت الفيديو و أشرطه الكاسيت و المكاتب و أكشاك الصّحف و الجرائد بأجود أنواع الخمور و البغايا العاهرات من مختلف الجنسيّات و الأفلام الجنسيه الخليعه و أشرطة الموسيقى الهستيريه و المجلاّت الجنسيه و الصّور العاريه و الذّاهب الى البحرين يلمس جميع ذلك بمشاهده الحيّه و الواقعيّه و كذلك سائر دول الخليج بل العالم الاسلامي كلّه باستثناء ايران بعد الثوره الاسلاميه المباركه الّذي أحكمت الماسونيه قبضتها عليه في كافة أرجائه عن طريق حكّامه العملاء المأجورين و السّفله المنحطّين السّاقطين ·

الماسونية و بداية العمل الجاد ضد المسيحيين

كانت الماسونيه تنتشر في معظم دول اوربا و على هيئة جمعيات بالغه السّريه تضمّ عضوية اليهود خاصه و كان رؤساء هذه الجمعيّات

من وقت لآخر يعقدون فيما بينهم اجتماعات للنّظر الى القضايا المصيريه الّتي تواجههم وكذلك تبادل المعلومات و الأسرار الخاصه بضحاياهم لوضع السبل الكفيله بفنائهم الشخصي و الروحي و الفكري، وكانت هذه الاجتماعات تتمّ على مستوى المحيط المحلي، اما على مستوى المحيط الدولى فلم يكن باستطاعتهم اقامه اجتماع واحد اذ أنهم حتى تلك اللحظه كانوا موضوعين تحت الميكروسكوب في كلّ بلد يعيشون فيه.

و في أحد الأيام تقدّمت احدى الجمعيات السريّه فى اسبانيا باقتراح: لماذا لا تفتح هذه الجمعيّات أبوابها للشبّان المسيحيين كخطوه وقائيه أولى يمكن التّترس بهم عند الأزمات لاتقاء ضربات المسيحيين الّتي كانت تُوَجَّه اليهم من وقت لآخر.

و لأجل تبرير هذا المخطّط و العمل على انجاحه قامت بوضع دعامة انسانيه كشعار جميل تستر به وجهها القبيح القذر و نواياها الشريرة الخبيثه فتوصلت الى وضع فلسفة.

((تلقى على السّماء نظرة عرضية، و توجه كلّ انتباهها الى الأرض حيث يناضل الناس و يتعذّبون بسبب أخطائهم على الغالب و انها تهذف فى مخططها الرئيسي و كذلك أخلاقياتها ـ المبطنه بالسّم النّاقع و الدّاء اللاذع الى جعل الحياه على الأرض أكثر عذوبة و سهوله و تزعم انها لا تعرف سوى فصل واحد من كتاب الحياه هو واجبات الانسان حيال الانسان و قد ضَمَّنت هذه الأخلاقيه كلمات ثلاثاً :

مساواه، تسامح، إخاء.

و من مهمّتها أن تدخل في روع النّاس انهم متساوون جميعهم بالطّبيعه و ان المميزات الطبقية و القومية و المعتقدات كلّها اصطناعيّه

لا قيمة لها و ان عليهم أن يتحابّوا و يتعاونوا كأنهم اخوة من دم واحد و ينسوا ما يشغلهم شيعاً و أحزاباً و لا يفكروا الا بما يقرّب بعضهم من بعض و ان الاقتتال و الاضطهادات و الحروب كلها باطلة مشؤومة و ان عليهم أن يسعدوا بتنمية عواطف الايثار اللطيفة المحسنة)) (١) .

و لتنفيذ مآربهم تحت هذا الشّعار سعوا الى تحقيقه عن طريق مجموعة من اليهوديات الحسناوات اللاتى قمن بدور الاغراء للشباب المسيحى فى البداية و ربطه بحكايات الغرام و الهيام و الاختلاء به لممارسة البغاء و أضيف الى سجل ذلك المخطّط كبار الموظّفين و المدراء و الوزراء وبعد برهة يسيرة ارتمى نتيجة لذلك هؤلاء في أحضان اليهوديات و في بحور الخمر و الفساد حتّى أصبحوا من تلقاء أنفسهم يهوداً أكثر من اليهود أنفسهم .

يقظة الحكومة الاسبانية للمؤامرة

بعد أن دبّ الفساد الادارى و الانحراف الفظيع بين الشّباب المسيحي في الخُلُق و السّلوك وعت الحكومة الاسبانية خطورة الموقف و طبيعة المؤامرة و توجّهت أنظار المسيحيّين الى اليهود طلباً للفتك و الانتقام و لما بلغ اليهود ذلك تحصنوا في مواقعهم و استعدوا للقتال و أوشكت أن تحدث حرب دموية لو لا تدخّل الحكومة في الوقت المناسب حيث أصدرت بياناً للشّعب بلزوم ضبط النّفس ليس خوفاً على الدم

(١) هذه هى الماسونية ، تأليف : ر. فورسية ، ترجمة بهيج شعبان ص ١١ ـ ١٢ .

اليهودى، و لكن حفاظاً على الدّم المسيحي من أن يهراق بسبب اليهود زيادة على ما عانوه من مخطّطاتهم المدمرة و لذا جاء في ضمنه: ان دم كلّ اليهود الذين يعيشون في اسبانيا لا يساوى دم مسيحي واحد و بادرت الحكومة بعد ذلك الى اصدار أمر ينصّ على طرد كافة اليهود من البلاد على أن يتم تنفيذ هذا القرار في مدة أقصاها عام واحد و هكذا قضت على اليهود و ان عادوا بعد خمسين عاماً من هذا الحدث الا انهم أصبحوا أكثر تحفّظاً من عهدهم السّابق(١).

الخطوة الماسونية الأولى ضدّ المسلمين

جاء الاسلام في عصر أوشكت البشرية فيه على أفول نجمها و انمحاق عراقتها و اضمحلال كيانها و ضياع وجودها لكثرة ما أصابها من التشتّت و الانحطاط و التخلّف و الصراع القبلي و النسبى و غلبة أجواء الرذيلة و من الطبيعى أن يواجه الاسلام بعد تثبيت دعائمه تلك التيّارات مجتمعة و أن يتحمل محنها و آلامها فى عملية التغيير الشاملة التى تبناها وهذا ما نلاحظه فى جانبين هدّامين و تيارين مضلّين بارزين تيار ببني أميّة وتيار أبي هريرة و كعب الأحبار.

---

(١) و قد تقدمت اشارة مقتضبة عن عملية اجلاء اليهود من دول اوربية و غير أوربية نتيجة لممارستها المؤامرة الماسونية على امتداد التاريخ ص٤٥ ـ ٤٦.

تيّار بني أميّة

أجمع المؤرّخون على أن بني أميّة هم أوّل من عبث بالاسلام و بتعاليمه العالية ابتداءً من أبي سفيان و مرورًا بمعاوية صاحب مرحلة التثبيت و التوطيد و الترسيخ للأوبئة المزمنة و الفتاكة للدّين الاسلامي ثم يزيد الفسق و الفجور و العهر و الجريمة ، ثم بقية الشجرة الأمويّة الملعونة .

و قد ساهم جميع أولئك فى حرف الدّين عن خطّه النبوي الأصيل و تحريف معانى قرآنه الحنيف و ابطال الفرائض و السنن و تعطيل الأحكام و افساد العباد و اخفاء الحق و اعلاء الباطل و ازهاق النور و احياء ظلام الجاهليّة الدّامس و العودة بالأمة الى عهد الجاهلية الأولى و ارجاع الناس القهقرى فسنوا القوانين المجحفة باسم الدّين للحفاظ على عروشهم المغتصبة و اذلال المسلمين بكل وسيلة و طريقة للسيطرة عليه و على مقدراته و ثرواته و خيراته و تسخيرها لصالح وجودهم الخاص و نفعهم الشخصى ضاربين بذلك عرض الجدار كلّ حق و حرمة و كرامة .

تيار أبي هريرة و كعب الأحبار

تعدّ بني أمية منشئة مجد الدّس الرّوائي لليهود و الدّعامة الأساسية الّتي اعتمدوا عليها في حربهم ضدّ المسلمين و بالخصوص في

عهد معاوية حيث حدث التحام و التئام في الأهداف و الطموحات بين معاوية الذى غصب الخلافه و أحكم سيطرته على رقاب المسلمين بالدّهاء و المكر و الخذيعه و الحيله و بين اليهود المتمركزين في الشام فحدث الاتّصال و توطدت دعائم العلائق الوشيجة بعد دراسة فاحصة لكلٍّ من الطرفين للآخر و تلتقي وجهات اليهود وفق النظرة و المخيلة الماسونيه مع معاوية في ضرورة العمل على هدم دين الاسلام .

و دافع اليهود كما تقدم هو العمل على عودة المسلمين الى اليهودية ان كانوا يهوداً فيما مضى أو ضمّهم اليهم ان أمكن ، والاّ أبادتهم ابادةً فكريةً و سلوكيةً و عقائديةً .

و أما دافع معاوية فهو اشفاء غليل بني أميه مما الم بهافى بدايه المد الاسلامى من موتورين و مفقودين و أفول نجم تبجحوا به طويلاً وكشف عن حقيقة التّكالب الأموى على وجوب الانحراف بالأمة عن خطّها السّماوي ابنه يزيد بعد أن فعل فعلته الشنيعه و جريمته البشعة النكراء بحق البيت النّبوي و الذّرية الطّاهرة المطهرة و اهراق دمائها و هتك حرمتها حيث قال عند دخول السّبايا عليه فى قصره بالشام :

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا و استهلّوا فرحاً	ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
لست من خندف ان لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

كعب بن مانع بن هبسوع
مبعوث المحفل الماسوني

انتخبه الماسونيون من بني اسرائيل المتواجدين باليمن و أرسلوه للكيد و الفتك بالاسلام وفق مخطط مدروس و ليلعب أدوارا توجه ضرباتها الى عمق الجذور التشريعية للدّين الاسلامي الحنيف فتظاهر بالاسلام أولاً و دخل في صفوف المسلمين و أصبح يتجسّس عليهم من جهة و يبث سمومه في قلب الأمّة عن طريق الأحاديث المختلقة بيُن صفوفهم مدّعيًا بأنه سمعها من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله علمًا بأنه لم يصاحب الرسول مطلقًا فقد جاء من اليمن في خلافة عمر و أسلم اسلامًا ظاهريًا كما أشرنا اليه بغية اعمال مآرب اليهود و ترويج الفتن و بث الدّسائس و لما ضاق عليه الخناق في المدينة المنوّرة و لم يجد الأجواء المناسبة لمهمّته و سيرها الطّبيعي هاجر الى الشّام و التحق بمعاوية زعيم المنافقين في تلك الفترة بايعاز من قادته و موجهيه الذين اتّصلوا بمعاوية و خبروه عن كثب و دراسة تامة فأوكلت اليه مهمّة اختراع الأحاديث المكذوبة بعد وصوله مع سبق ضمان من معاوية بحمايته و بثّها بين المسلمين عن طريق البلاط الحاكم و أجهزته المختلفة و لعظم هذه المهمة وصعوبتها واحتياجه لها أصاب كعب الأحبار الطمع فكان يشترط لقاء كل حديث يختلقه مبلغًا من المال و كلّما ازدادت أهمية ظرف الحديث و أثرها في قلوب الضّعفاء ضاعف السّعر و القيمة.

قال طه حسين في وصفه في ص٢٥٤ و٢٥٥ من كتاب الشّيخان:

كان غريب الأطوار عرف كيف يخدع كثيراً من المسلمين و منهم عمر، و هو كعب الأحبار و كان كعب يهودياً من أهل اليمن، زعم انه سأل علياً رحمه الله عن النبي حين ذهب علي الى اليمن مرسلاً من رسول الله صلى الله عليه و آله فلما أنبأه على بصفة النبي عرف هذه الصفة مما كان يجده بزعمه في التوراة و لم يأت المدينة أيام النبي و انما أقام على يهوديته في اليمن، و زعم هو بعد ذلك للمسلمين انه أسلم و ذعا الى الاسلام فى اليمن و قد أقبل الى المدينة أيام عمر فأقام فيها مولىً للعباس بن عبد المطلب رحمه الله و كان بارعًا في الكذب على المسلمين يزعم انه يجد صفاتهم في الكتب، و كان المسلمون يعجبون بذلك و يتعجّبون له و لم يلبث أن كذب على عمر نفسه فزعم له انه يجد صفته في التوراة.

فتعجب عمر و قال: تجد اسم عمر في التوراة؟

قال كعب: لا أجد اسمك و انما أجد صفتك (١).

و قال الفاضل الشيخ أبو ريّه رحمه الله في كتاب شيخ المضيرة:

كان الأستاذ الأفغاني قد نشر مقالاً بمجلّة الرسالة المصريّة قال فيه:

ان وهب بن منبه هو الصهيوني الأوّل فصححت هذا الرّأي بمقال نشر في العدد ٦٥٦ من هذه المجلّة اثبتُّ فيه بالأدلّة القاطعة ان كعب الأحبار هو الصهيوني الأوّل ثم أضاف قائلاً:

و ما كاد هذا المقال ينشر حتّى هب في وجهنا شيوخ الأزهر و أمطرونا وابلاً من طعنهم المعروف، و قالوا: كيف تصف (سيّدنا كعبًا)

(١) كتاب الشيخان: ص٢٥٤ و٢٥٥.

بأنه الصّهيوني الأوّل و هو من كبار التّابعين و خيار المسلمين و مما يؤسف له انهم لا يزالون يذكرون اسمه بالسّيادة الى اليوم(١).

ابوهريرة أوّل صحابي ينضمّ الى المحفل الماسوني ويتحمل اعباء التّصدي للإسلام

و لأجل تمرير هذا المخطّط بسلام وصرف الأنظار بعيداً عن حقيقة ملابسات هذه المؤامرة نسبوا تلك الأحاديث المجاهرة بالعقائد الانحرافية و البلبلة الفكرية الى عبد اللّه بن عمر(٢٦٣٠) حديثًا و عائشة (٢٢١٠) احاديثً في الوقت الذى كان ابن عمر في العشرين من عمره، و كانت عائشة في الثّامنة عشر حينما انتقل الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله الى الرّفيق الأعلى و لا يخفى ان مثل هذا العدد الكبير من الأحاديث يحتاج الى فترة زمنيّة طويلة و صحبة دائمة للرسول و استيعاب و حافظة قويّين بغضّ النّظر عما تضمنته هذه الأحاديث ممّا لا يليق بمقام الباري جلّ و علا و رسوله الكريم و شريعته المقدّسة السّمحاء.

و قد تأسّس على أمثال هذه الأحاديث المذاهب الأربعة المشهورة بين عموم المسلمين و التى من أبرز ما يلاحظ فيها تحفّظها الشديد حيال الحكّام و وجوب اطاعتهم و الانضواء تحت لوائهم و امرتهم فى سائر الأحوال و الظروف و ابن بلغ بهم الأمر ما بلغ من الانحراف و الفسق و الخيانة و لا نذهب بعيدا فحادث زيارة أنور السادات للقدس ومعانقته

لمناحيم بيغين بمرئى من العالم و بالخصوص الشّعب المصري ثمّ توقيعه على معاهدة كامب ديفيد الخيانيّة وغير ذلك و الحملات الدّفاعيـــــة المنظّمة من قبل قادة الجامع الأزهر الّتي صاحبت ذلك عن هذه المؤامرة السّاداتيه و أمثال ملك المغرب الّذي يستضيف مؤتمرات اليهود العالميه على أرض المغرب و سائر حكّام الدّول العربيّة على امتداد رقعتها خيـر شاهد لذلك الكلام.

بداية الالتحاق

استشاط أبو هريرة غضبًا و حنقًا بعد عزله عن ولاية البحرين و أضمر حقدًا دفينًا على الاسلام و أهله الّذين تسبّبوا في اقصائه عن منصبـــه الدّنيوي و الّذي لم يكن يحلم به قط و يتصوّر انّه سَيُنَصَّبه يومًا من الأيّـام للفقر المقذع و الحياة الصّعبة و القاسية الّتي أخذت شطراً وافرًا مـــن حياته.

فلما علم بحاله و ما صار اليه كعب الأحبار وجد فيه أرضيةً صالحـةً لاشباع نقمة اليهود على المسلمين و الاسلام مضافًا الى اشباع نقمتـه العدائية هو شخصيًّا.

كانت البداية اتّصال أبو هريرة ببلاط معاوية حيث استضافه الأخير و قربه و احتبى به و بارك فيه تلك الرّوحية العالية الّتي يتحلّى بها مـن ضغائن و أحقاد ملأت صدره و حنايا فؤاده و مكنون سرّه و لمّا اطمأنّ الى حاله و دعاواه عرض عليه المخطّطات الّتي تؤدّي الى تحقيق الأهـداف المشتركة المنشودة و طلب منه الاتّصال في السّر و العلانية بكعب الأحبار

و الأخذ عنه و اطاعته فيما يملى عليه ، و لم يكن على معرفة مسبقة به فذهب للبحث عنه و ابلاغه بأوامر معاوية و سبل التكاتف للوصول الى الأهداف المشتركة و تحقيق اشباع الأنانية الذّاتية .

و في ذلك روى ابن سعد في طبقاته الكبرى عن عبد اللّه بن شقيق إنّ أبا هريرة جاء الى كعب يسأل عنه و كعب في القوم فقال كعب : ما تريد منه؟ فقال : اما انّي لا أعرف أحداً من أصحاب رسول اللّه أن يكون أحفظ لحديث رسول اللّه منّي إ فقال كعب : اما انّك لم تجد طالب شيء إلّا سيشبع منه يوماً من الدّهر الاّ طالب علم أو طالب دنيا إ فقال أبو هريرة : أنت كعب ؟ فقال : نعم ، فقال : لمثل هذا جئتك (١) .

قال الشّيخ أبو رّيه في بيانه لطبيعة القصد و الدّافع لطلب أبي هريرة الالتحاق بكعب الأحبار :

انّي جئتك لأطلب عندك العلم و استقي من معينك الغزير ، و قد وجد كعب بغيته في أبي هريرة الّذي يزعم انّه أحفظ النّاس لحديث رسول اللّه و انّه نعم التلميذ النّجيب الّذي يحمل عنه ما يريد بثه مما يفسد عقائد المسلمين .

أقول : وعلّة مجاهرة أبي هريرة الاتّصال بكعب الأحبار تنبع من طبيعة المهمّة الموكلة اليهما و الّتي تتطلب أمثال هذا التّظاهر لتوقف بث الأخبار و الروايات النبويّة الكاذبة على جرأة بالغة و حنكة عظيمة فكان كل واحد منهما بذلك يسدد الآخر و يقوى عزيمته و يريد من قابلياته الشّيطانية و دسائسه المؤثرة .

---

(١) ص ٥٧ ج ٤ ق ١ و قال الحاكم في المستدرك حديث صحيح على شرط الشيخين ص ٩٢ ج ١ .

و بعد تدارس امكانيّات العمل المشترك و مجالاته اتّفقا على مقدمة تمهيدية لفتح الباب أمامهما على مصراعيه و كانت بهذا النحو:

(أوّلاً) الاشادة بعظم شأن أبى هريرة و مبلغ علمه و جلالة قدره.

و فى ذلك أخرج البيهقى فى المدخل عن طريق بكر بن عبد اللّه عن أبى رافع عن أبى هريرة قال: ان أبا هريرة لقى كعبا فجعل يحدثه و يسأله فقال كعب: ما رأيت رجلا لم يقرأ التوراة أعلم بما فى التوراة من أبى هريرة(١).

و فى ذلك أيضا قال الذهبى فى طبقات الحفّاظ و فى أعلام النبلاء فى ترجمة أبى هريرة ان كعب الأحبار قال فيه أى فى أبى هريرة:

ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة(٢).

(ثانيًا) لتلافى تضارب الأقوال و الذى و الوضع بين أبى هريرة و كعب الأحبار و التناقض الذى قد ينجم من عدم التخطيط المدروس المسبق و تفوق كعب الأحبار فى هذا المجال وقع الاتّفاق على أن يظهر أبو هريرة بما يحمل من لقب الصحبة بصورة تلميذ صغير لكعب الأحبار و هذا ما تمّ التظاهر به فعلا و ثبت النقل عنهما.

قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء: انّ أبا هريرة قد حمل عن كعب الأحبار(٣).

قال الشيخ محمود أبو ريّه:

ما كاذ أبو هريرة يرجع الى المدينة معزولاً عن ولاية البحرين حتّى

---

(١) ص٢٠٥ ج ٥ من الأصابة.

(٢) ص٤٣٢ ج ٢ أعلام النبلاء و ص٣٤ ج ١ من تذكرة الحفّاظ.

(٣) ص٤١٨ ج ٢.

تلقفه الحبر الأكبر كعب الأحبار اليهوذى و أخذ يلقنه من اسرائيلياته و يدس له من خرافاته و كان المسلمون يرجعون اليه فيما يجهلون وبخاصة بعد أن قال لقيس بن خرشة هذه الأكذوبة : ما من الأرض شبر الا مكتوب فى التوراة التى أنزل على موسى ما يكون عليه و ما يخرج منه (رواه الطبرانى و البيهقى فى الدلائل) .

و من أجل ذلك هرع أبو هريرة اليه ليأخذ منه و يتلمذ عليه و سال سيل روايتهما و لا سيما بعد أن خلا الجو لهما بموت عمر و اختفاء ذرّته و لا يزال هذا السيل يتدفق بالأحاديث الخرافيه و المشكلة و قد سمعت مرّة من أحد أحرار الفكر المحقّقين ان أبا هريرة و كعبا هما اللذان أفسد الاسلام بما بثّا فيه من الخرافات و الأوهام .

و من عجيب أمر هؤلاء الذين يطلقون عليهم جمهور المسلمين انه على رغم ما قيل فيهما و ما ثبت من أكاذيبهما ثبوتا بيّنا لا يزالون يقون بهما و يأخذون بما يرويانه و فيه ما لا يقبله عقل صريح و لا نقل صحيح ثم يجعلون الأوّل من خيّار التابعين و يجعلون الآخر راوية الاسلام من بين جميع المسلمين (١) .

و قال بعض الشعراء :

اذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً
ينجيك يوم الحشر من لهب النّار
فدع عنك قول الشّافعي و مالك
و أحمد و النّعمان أو كعب أحبار
و والِ أناسًا قولهم و حديثهم
روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

---

(١) شيخ المضيرة ص ٨٩ ـ ٩٠

جمعية (بناي برث) أو (ابناء العهد الجديد)

أسّسها في ١٣ / ١٠ / ١٨٤٣ م يهودي الماني من هامبورغ هاجر الى امريكا و هي فرع من الماسونية العالمية و تختلف عنها في انّها لا تضمّ الاّ محافل اليهود و اتّخذ رئيسها (هنري جنز) مدينة نيويورك عاصمة اليهود العالمية مقرّاً للجمعيّة ، و من نيويورك انتشرت فروع الأخطبوط اليهودي على شكل محافل يهوديّة ماسونيّة خالصة لا تضمّ أحداً من (الجنتايل الكفّار) و هو اصطلاح يريدون به غير اليهود .

و تظاهر المسؤلون عن هذه الجمعيّة بالبراءة الانسانيّة و حبّ الخير و العمل الانساني و ادّعوا انّ أهداف الجمعيّة تتلخّص في مساعدة الضّعفاء و منع الاهانة بسبب الجنس اليهودي و العطف على المضطهدين اليهود .

و لكنّ الأهداف الحقيقيّة لهذه الجمعيّة الخطيرة كانت تدور حول دعم الماسونيّة العالميّة و مساندتها في جميع الخطط الجهنميّة الّتي ترمي الى سيطرة اليهود على العالم بعد تدمير الأخلاق و الحكومات الوطنيّة المخلصة و الدّين و القيم و المبادئ الكريمة و المثل العليا و الأخلاق المثاليّة .

لقد تأسّست فروع لهذه الجمعيّة في جميع أنحاء العالم في امريكا و اوربا و بالخصوص في فرنسا و بريطانيا و المانيا و في آسيا و استراليا و افريقيا بما فيها الدّول العربيّة و الاسلاميّة ، و قد تأسّس في مصر

و العراق محفلان سمّي أحدهما محفل (ماغين دافيد) رقم ٤٣٦ طبع قانونه باللغة العربيّة و الثّاني محفل (مبمونيث) رقم ٣٦٥ طبع قانونه باللغة الألمانيّة ، و كان أخطر محافل هذه الجمعيّة تلك الّتي انشأت في الولايات المتّحدة الامريكية و بريطانيا ، ذلك لأنها تغلغلت في صميم الحياة الاجتماعيّة و السّياسيّة و الاقتصاديّة لهٰذَيْنِ البَلَدَيْن .

و ركّزت محافل (بناي برث) جهودها في التصدّي لكلّ من يتعرّض لليهود أو يحاول الكشف عن خططهم المدمّرة للبشريّة و أخلاقهم القذرة و ضمائرهم الخبيثة .

وغدت هذه الجمعيّة سيفًا مسلّطاً على رقاب الشّعب البريطاني و الامريكي و بقيّة البلاد العربيّة و الاسلامية و استخدمت هذه الجمعيّة مختلف الوسائل لاسكات الالسن المعارضة و تحطيم الأقلام الحرّة الأبية الكريمة لمنعها من التعرّض لليهود الّذين يعيثون الفساد و التآمر و التّدمير في بلاد العالم .

و لما كانت الكنيسة المسيحيّة هي المعنية بجميع الأخطار الّتي تتحدّق بها من قبل الحركة الماسونيّة اليهوديّة فقد تفطنت لطبيعة مبادئها و خططها ممّا حذى بها لمواجهة عنيفة مباشرة مع الماسونيّة فرشقت بالجرم و الخطيئة كلّ من ينتمي اليها من الكاثوليك و فصلته عن شركة المؤمنين و حرمته الأسرار و منعت اشتراكه في الاسعافات الرّوحية و الدّفنة الكنيسية الاّ اذا تاب على شروط معلومة و قبل الحلّ ممّن له سلطان الحل كما يشير الى ذلك الفقه الكنيسي و نظراً لهالة التقديس الّتي تحاط بالمرسوم البابوي فإنّ طاعته تعدّ واجبة على كلّ من دان بالمسيحيّة و اعتقد بها .

و في المقابل أعلن الماسونيّون على رؤوس الملأ :

ألف ـ ((انّ الحرب المنتشبة بين الكثلكة و الماسونية حرب استماتة لا هدنة فيها و لا شفقة)) (١).

ب ـ ((يجب علينا نحن الماسون أن نتتبع تقويض أركان الكثلكة النهائي)) (٢).

ج ـ ((لا تنسوا انّنا جماعة معاكسة للكنيسة و ان الماسونية الّتي لعبت أكبر دور عام ١٧٨٩ م عليها أن تكون مستعدّة لتجهز أركاناً لثورة لا يزال وقوعها ممكناً)) (٣).

د ـ ((علينا أن ننشر روح الثّورة بين العمّال ، و هم الّذين سنقذف بهم الى خطوط دفاع العدوّ واثقين من انّ رغباتهم لا نهاية لها و نحن بحاجة ماسّة الى (عدم رضاهم ـ تذمرهم و كثرة شكاواهم) من أجل تخريب المدنية المسيحيّة و الاسلاميّة كذلك و الاسراع في نشر الفوضى و لسوف يأتي الوقت الّذي يسارع فيه المسيحيّون أنفسهم طالبين من اليهود أن يتسلّموا السّلطة)) (٤).

---

(١) مذكرة محفل الشّورى الأعلى العدد ٨٥ وجه ٤٨ سنة ١٨٩٥ م.

(٢) نشرة محفل الشّرق الأكبر الفرنسى ايلول و١٦٨.

(٣) محفل انجير نشرة المحفل الأكبر الرسميّة تشرين الأول سنة ١٩٢٢ م وجه ٢٨١.

(٤) من تصريح لرئيس الوفد الأمريكى لجمعيّة (بناي برث) في المؤتمر الّذي عقد فى ٢٣ اغسطس سنة ١٧٨٩ م لوضع الدّستور الجديد للماسونية.

وعلى الرغم من يقظة الكنيسة و صمودها و شعاراتها المعادية فقد كان لها اليد الطولى وراء الثّورة الفرنسيّة التى أطاحت بسلطة الكنيسة و تأجيج الحماس و لهيب النّفوس المضطهدة و المعذّبة من جراء سياسة الكنيسة التعسفية كما مرّ عليك ·

و استغلال حالة العذاب الّتى يعايشها المسيحيّون و الكبت و الحرمان ·

وكان لهذه الجمعيّة اصبع رئيسيّة فى اشعال الحرب العالميّة الأولى ، بالتعاون مع رجال المال من آل روتشيلد ، وحينما جاء هتلر الى الحكم سنة ١٩٣٣ م و تفطّن لمؤامرات اليهود كما ذكر هو بنفسه فى مذكّرات حياته التى أسماها (كفاحى) و ما كان يرتكبونه بحقّ الشعب الألمانى دفعت الماسونيّة بقوّات الحلفاء لشنّ حربها على هتلر و حكمه ، و مهّدت بذلك للحرب العالميّة الثانية ·

و فى أثناء الحرب العالميّة الأولى و بعد مضى ثلاث سنوات على نشوبها شعر الماسونيّون بالخوف و الهلع من امكانيّة تأديتها لاضمحلال أحلامهم و آمالهم و طموحاتهم فعقدوا مؤتمرا فى غمرة انشغال العالم باصداء و فجائع الحرب استغرق ثلاثة أيّام ٢٨ ـ ٢٩ ـ ١٩١٧/٦/٣٠ م انتهوا فيه الى بيان جاء فيه :

((انه لمهمّ جدّا أن نبني مدينة المستقبل السّعيدة و من أجل تلك المهمّة الماسونيّة الصادقة دعيتم اليوم لقد حوّلنا هذه الحرب الى نزاع

→ و قد رضخ لهذه التهديدات الانكليز حينما سلموا حيفا و فلسطين الى اليهود ، و قاموا بتأسيس جيوش عسكريّة لهم تحت الاشراف البريطاني ·

رهيب بين الدّيمقراطيّات المنظّمة و القوى العسكريّة الجبّارة لقد تحطّمت في هذه الأعصار القوى القديمة ـ القياصرة ـ و الخلافة الاسلاميّة العثمانيّة و لسوف تجرف رياح الحريّة المزيفة بقيّة الحكومات فلا مندوحة اذن من خلق سلطة عالميّة عليا ان الماسونية صانعة السلام تطرح على بساط البحث موضوع هذه الهيئة الجديدة عصبة الأمم)).

و لم تزل جمعيّة (بناي برث) قوّة يهوديّة عاتية تسيطر على مقدّرات حكومات غربيّة عديدة و خاصّة في امريكا و بريطانيا كما تقدّم، و لم تزل سلاحاً ماضياً في يد اليهوديّة العالميّة تستخدمه للسّيطرة على العالم، و يكفي أن نعلم انّ أحد رؤساء هذه الجمعيّة اليهوديّة (فيليب كلوزنيك) قد عيّن في عهد الرئيس الامريكي آيزنهاور(١) رئيساً للوفد الامريكي لدى الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة الّتى تشكّلت على اثر فشل عصبة الأمم و الحرب العالميّة الثانية.

و انّ مستشار آيزنهاور حينما كان قائداً لقوّات الحلفاء في اوربا، أي قبل تسلّمه مقاليد الرئاسة اليهودى سدنى هيلمان.

الماسونية تخطط لابادة البشرية

مع تنامي الحركة العلميّة في اوربا حاول اليهود عبر مؤسّساتهم

---

(١) و هو من سلالة يهودية و قبل وصوله لسدة الرّئاسة كانت عواطفه يهودية ماسونية صهيونية، و كان عضواً موازراً للجمعيّة الارهابيّة اليهوديّة (بناي برث) و صديقاً لجماعة (شهود يهوه).

الماسونيّة السيطرة على بعض المجالات العلميّة الحسّاسة و ذات الأهميّة المَصيريّة للشّعوب كجزء من مخطّطها الطبيعي و كخطوة جديدة في سياستها الجهنميّة بحقّ الانسانيّة و الضّمير البشري.

و نظراً للقدرات الرّهيبة و امكانية التّغلغل السّريع الّتي امتازت بها التحرّكات الماسونيّة تمكّنوا من السّيطرة على كثير من المعامل الكيماويّة باعتبارها أفضل منطلق للارهاب الخفي ، و امتدّت أيديها لمراقبة الأبحاث العلميّة و متابعة سبيل تسخيرها في مجال الاضرار بالشعوب ، و خاصّة الاسلاميّة منها علاوة على المسيحيّة.

و تزداد أهميّة المستحضرات الكيماوية شيئاً فشيئاً و تمتزج امتزاجاً حيويّاً في الحياة اليَوميّة و شتّى مجالاتها و ميادينها بمضي الأيّام.

فها هي اليوم تدخل في تصنيع الأطعمة و تحضير المبيدات الحشرية و تركيب الأدوية لعلاج الأمراض المختلفة و غير ذلك.

و لهذا الدّور الّذي تلعبه هذه المواد الحديثة الاكتشاف والابتكار فقد سعى الماسونيّون للاستفادة منها في تحضير الأطعمة المسبّبة للأمراض بصورة تدريجيّة و الأدوية المؤدية للمضاعفات الجانبيّة في الوقت الّذي تقضي فيه على المرض المبتلى به و صناعة المبيدات الحشريّة المضرّة بعنصر الانسان و سلامة التّربة الزّراعيّة و التّركيب العضوي للفواكه و الخضروات و غير ذلك.

و لمواجهة الآثار الّتي لحقت بالأوربيين جرّاء مؤامرات الماسونيّة المتصاعدة هبّ لمواجهتها المخلصون من أبنائهم كما نقلت جريدة الجمهورية العراقية بتاريخ ٣ / ١٠ / ١٩٦٥ م عن البرفسور (روشه) مدير معهد الطبّ الجنائي بجامعة ليون في وصف محاولة التّصدّي هذه قوله :

((انّ المنتجات الكيماويّة أصبحت جزءًا من الحياة اليوميّة في الوقت الحاضر و تزداد أنواعها باستمرار .

ففي المانيا وحدها هناك ٥٠ ألف نوع منها و المركّبات الكيماويّة تستخدم في الصّناعة باستمرار كما انّ الزّراعة تستخدم أنواعًا عديدةً منها في تسميد التّربة و مكافحة الحشرات .

و في أغلب المنازل تجد أنواعًا مختلفة من المركّبات الكيماويّة و المستحضرات الصيدلانية تزدحم بها الدواليب و الرّفوف)) .

و أضاف البروفسور (روشه) قائلاً :

و ليس من العجيب و الحالة هذه أن يتفاقم خطر السّموم و من مظاهر هذا الخطر ما يلي :

أ ـ العواقب الوخيمة الّتي تنجم عن قيام الأطفال بابتلاع الحبوب المغلفة بالسّكر أو الموضوعة داخل علب ذات علامات جذّابة .

ب ـ ردود الفعل العكسية الناتجة عن تعاطى الأدوية بشكل واسع أو الناجمة عن عدم وجود قدرة لاحتمالها من قبل متعاطيها .

ج ـ قيام بعض الأفراد من ذوي الأعصاب الضعيفة بالانتحار عن طريق تناول كميّات كبيرة من بعض الأدوية .

و قال :

بأنه من الضّروري و الحالة هذه دراسة الحوادث الّتي تنجم عن استعمال السّموم و التّحرّي عن أحسن الأساليب لمنع مخاطر تعاطي السّموم في البلدان الأوربية مع أخذ المشاكل الطبّية الّتي لها علاقة بالموضوع بنظر الاعتبار .

و قال أيضًا : انّ كوبنهاكن قد أسّست أوّل مستشفى في العالم

لمعالجة هذه المشكلة فقد تضاعفت حوادث التسمّم في الدّانمارك خلال الخمسة عشر عاماً الماضية و بسبب اتّباع الوسائل الفعّالة لمجابهة هذه الحوادث ، فإنّ حوادث الموت نتيجة التسمّم قد تضاءلت ٠

و أظهرت الاحصائيّات في الدنيمارك بأن (١٥٠٩) أشخاص من المصابين بالتسمّم أدخلوا الى المستشفيات في عام ١٩٤٥ م ، وكان عدد الأشخاص الّذين توفّوا نتيجة التسمّم ٢٦٩ شخصاً مقابل (٣٧٢١) شخصاً دخلوا المستشفيات في عام (١٩٦١ ــ ١٩٦٢) م لم يتوفَ منهم غير ٤٧ شخصاً ٠

و في فرنسا ازدادت حوادث التسمّم ، أمّا في بريطانيا فان (٦٠٨٥) شخصاً ماتوا نتيجة التسمّم في عام ١٩٦٢ م مقابل (٦٢٣٠) شخصا قتلوا في حوادث الاصطدامات على الطرقات ٠

هذا و قدم البروفسور روشة الى اللجنة عرضا كاملا للمؤسّسات الخاصّة بالتسمّم الّتي أنشأت في مختلف البلدان الأوربية فبلجيكا الّتي سجّلت ٤٣٠ حادثة وفاة بالتسمّم في عام ١٩٦٢ م انشأت في عام ١٩٦٣ م مركزاً لمنع و معالجة حالات التسمّم و قد قامت جماعة من الأساتذة و الأطبّاء التابعين الى أربع جامعات بلجيكيّة بانشاء هذا المركز الذي يموّل من قبل بعض الأشخاص ٠

كما انّ مركزاً للاستعلامات خاص بهذا الغرض قد افتتح في براغ بتشوكوسلوفاكيا ٠

و في هلسنكي بفنلندا أقيم مركز آخر للاستعلامات ، أمّا في المانيا بقسميها فتوجد مستشفيات عديدة خاصّة لمعالجة حالات التسمّم ، هذا بالاضافة الى مؤسّسات أخرى أنشأت في هولندا و النرويج و اسبانيا ٠

ثم ذكر البروفسور روشه بأنّ هناك عدداً كبيراً من المستشفيات والأطبّاء المختصّين بهذا الموضوع في الاتّحاد السّوفيتي، كما انّ هناك مصحّة خاصّة تهتمّ بالحالات الطّارئة في موسكو وطالب في نهاية حديثه بأن يكون لكلّ بلد أوربي مركز استعلامي خاص بالاضافة إلى مركز عام لمعالجة حالات التسمّم.

وقد كرست الماسونية جهوداً أخرى للاحتواء على الطبيب، لأنّها تفطّنت دورة الحيوى ومقدرته الخاصة التى تفرضها طبيعة علاقته المباشرة بالمرضى ومن يرتبط بهم وامتلاكه لمفتاح حياتهم وانقاذهم أو اهلاكهم وابادتهم.

وهكذا قفز هذا الهدف ليحتلّ الصّدارة في لائحة المخطّط اللا انساني الجديد لبرامج المحافل الماسونيّة وقد تمكّنت من استقطاب معظم أطبّاء امريكا ودول الغرب وأضيف اليهم الكيميايون والصيادلة.

وتمكن الماسونيون بعد ذلك على أيدى الكيماوييّن اليهود ومن دار في فلكهم من اغراق العالم بملايين الأطنان من الأدوية المسكّنة التجاريّة الّتى تخدّر المريض فيشعر بالراحة بصورة مؤقّتة دون أن يشفى من علّته الحقيقيّة.

انّ المريض يبتلع أقراص (الاسبرين) أو (بندول) لكثير من الأمراض، اعتماداً على الورقة المدرجة في علبتها فيتماهل عن مراجعة الطبيب، فتزداد علّته يوماً بعد يوم على الرّغم من عدم صحّة ما تضمّنته تلك الورقة، وعدم تأدية تلك الأقراص مجموع هذه الآثار السّحرية المُدَّعاة.

ويحقّ لنا بعد ذلك أن نقول: انّ عشرات الألوف من ضحايا السّموم الكيماوية (اليهوديّة) يموتون في كلّ مكان من العالم يوميّاً دون أن تعرف

الأسباب و السبب في ذلك الدّهاء العجيب و التّقنية العالية الّتي يعتمدها اليهود في ذلك المجال .

و قليل أولئك الّذين يعلمون انّ تجارة الأدوية في أغلب دول العالم يسيطر عليها اليهود كما سيطروا على أجهزة الاعلام فهم يسعون لتصفية الشّعوب جسديّاً عن طريق المواد المخدّرة السامّة ذات المضاعفات المهلكة و يخطّطون لتخدير عقول الشباب المؤمن و حرفه عن عقيدته .

و نضيف الى ذلك فائدة أخرى، و هي : انّ جميع المواد الكيماوية الّتي تمّ تسخيرها كأسلحة مدمّرة للبشريّة في الحروب العسكريّة انّما هي ثمرات جهود ماسونية مضنية ونتاج مراحل متواصلة و سعي مكثف حثيث في هذا السّبيل .

و في البحرين تمّ اكتشاف كثير من المؤامرات الّتى ربما لم تسنح الفرص لغيرها من البلدان العربيّة و الاسلاميّة الالتفات اليها ، فقد اكتشف الأخصائيّين الكيماويّين الوطنيّين ان بعض أنواع العصير المعلّب المستورد من خارج يحتوى على مواد سامّة خطيرة تسبّب أمراض خبيثة .

و كذلك زيت الذرّة فقد ثبت ان بعض أنواعه يحتوي على نسب مئوية معيّنة من مشتقّات البترول مذابة به تسبّب مرض السرطان و التسمّم الغذائي بصورة تدريجيّة بطيئة .

و أمّا المبيدات الحشريّة فقد أعلن في تقرير علمي كشف النّقاب عن تآمر استعماريّ فظيع ضدّ شعوب العالم الثّالث و الدّول النامية على ان أكثر الأنواع المصدرة اليها قد ثبت احتواء قناني و اسطوانات تلك المبيدات على مركّبات سامّة للانسان و تلافيًا لتضرّر الشعوب المصدرة لها تحضر حكوماتها تداولها فيها مع ترخيصها بتصديرها لتباع في أسواق

الشعوب المضطهدة .

و أما (ماء الغريب) الّذي يعطى للأطفال والمنتشر بصورة رهيبة في أسواق الدّول الاسلاميّة الى يومنا هذا و الّذى تقوم بريطانيا بتصنيعه و تسويقه فقد أخبرني أحد الأشخاص انّ له صديقًا ذهب الى بريطانيا نفسها للعلاج، و في أيّام اقامته فيها احتاج لشراء قنينة ماء الغريب لابنه و بعد البحث و التفتيش عنها لم يجد لها أثرا في صيدليّات بريطانيا فاعتراه الذّهول و الاستغراب ممّا دفعه للاستفهام عن علّة ذلك من أحد الأطبّاء الّذي فاجأه بأنّ الحكومة قد منعت منعا باتًا تداولها في الأسواق أو بيعها بأيّ شكلٍ من الأشكال بعد حوادث وفاة متكرّرة تسبّبت عنها لكثير من الأطفال ممّا دفع بالحكومة لحضر تسويقها بينما تقوم بافساح المجال لتصديرها من بين منتجاتها الى دول العالم الثالث ، و هذه القناني لا تحتوي على أيّ مركّبات غذائيّة سوى مادّة مخدّرة مذابة في ماء تعمل على تنويم الأطفال و قد تصل بهم الى الوفاة في بعض الأحيان كما أسلفنا .

و لم يقفْ الأمر عند هذا الحد فالمواد الكيماوية المستعملة في عمليّة تشميع و حفظ الفواكه من التّلف تؤدّي في كثير من الحالات الى تسمّم الفواكه نفسها كما أفادت بذلك تقارير علميّة مختلفة .

و من هنا تدرك السرّ في ارتفاع معدل حالات التسمّم يومًا بعد يوم و الوفيات بين الشّباب و قصر الأعمار ، و ضعف البنية الجسديّة على الرغم من أن الأطعمة أصبحت أوفر من الزمن السّابق ، و تعامل بالطرق الحديثة الصحيّة المعقدة و تقدّم الى الأسواق محفوظة في علب جميلة براّقة زاهية الألوان .

ولو قمنا اليوم بفحص دقيق و تحليل لكافة مركّبات الأغذية المستوردة من الدّول الاستعماريّة الكبرى ذات النفوذ اليهودي الماسوني لانتبهنا الى عمليّة الانتحار الّتي نرتكبها بحقّ أنفسنا عند ما نقوم باستيراد هذه الأطعمة و تغذية أجسامنا بها .

و لذلك فالواجب على جميع الدّول الاسلاميّة التزام الحيطة و الحذر و بذل المساعي المكثفة لتحقيق الاكتفاء الذّاتي فيما بينها في مجال توفير الأطعمة و كافة أصناف الأغذية بصورها المختلفة .

و ليضعوا في حسبانهم ان كل قطعة حلاوة أو علبة كعك أو علبة عصير أو نحو ذلك يقومون باستيرادها من قبل امريكا أو بريطانيا أو فرنسا و من حذا حذوهم تعادل نسبة اشتمالها على مواد ضارّة أو سامّة للبدن من (١) الى (٢٠) بالمأة و عليهم أن يحكموا عليها بذلك حتّى يثبت العكس .

الماسونية والاباحة الجنسية

تنصّ التّعاليم الماسونية السّرية على تقديس (الجنس) و الحريّة التامّة الاباحية ، كما نصّ على ذلك ارنولد ليز في كتاب (العزيمسن) طبع لندن سنة ١٩٣٥ م :

((انّ امنيّتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحرارًا جنسيًا نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسليّة(و في هذه الأيّام التى تسود فيها المدنيّة المسيحيّة نجد صعوبات جمّة ، و لكن البداية قد رسمت فعلاً و مهما تكن صغيرة الاّ انّها ناجحة و على نطاق

واسع لابدّ من النصر المحقّق اذا استطعنا أن نغذّي الشباب منذ سنوات أعمارهم الأولى بأسس هذه الآداب الجديدة !! على الشباب أن يدركوا منذ ولادتهم ان أعضاء التناسل مقدّسة))

وقد نجحوا فى ذلك ، فأسّسوا نوادى العراة فى دول أوربية كثيرة ، وهاهم اليوم ينشرون فكرة التّعرّى فى جميع شواطى امريكا واروبا .

وقد بلغت بهم الوقاحة الى توجيه دعوات علنية لرؤساء وكبار المسئولين لزيارة معسكرات العراء التّى تنظم بين الحين و الاخر فى ابقاع مختلفة كما حدث قبل عده سنوات حيث سمعت باذنيى لأحد نشرات الاخبار الاذاعية ان احد جمعيات العراء البريطانيه وجهت دعوة الى تشارلز ولىعهد بريطانيا الحالى لزيارة معسكر لها اقامته فى احد الغابات.

الماسونية في العالم الاسلامي

تغلغلها في جسد الامبراطورية العثمانية واسقاطها

أنشأت الماسونية أول محفل علني لها في تركيا مقرّ الخلافة العثمانية في ازمير سنة ١٨٨٧ م و بعد خمس أعوام فقط كان عدد المحافل الماسونية في تركيا قد بلغ ١٧٠ محفلاً و كان عدد الأتراك المنضمّين الى هذه المحافل قد وصل الى عشرة الآف تركي مسلم معظمهم من الوزراء و من كبار الموظفين و بعد مضي سنوات قلائل تمكّنت من تحكيم ثلاث أمراض مزمنة في جسد الشّعب التركي : الخمر، و القمار، و البغاء الرّسمي للنساء ، و بذلك تمكن الماسونيون من تثبيت دعائمهم و خلق أرضية صلبة لدسائسهم و خدعهم و مؤامراتهم و بفعل جرائمهم هذه بدأ الدّين الاسلامي في تركيا ينهار في قلوب معتنقيه .

و انهار بانهياره الشّعب التركي نفسه بطبيعة الحال ، و لمّا تولى السّلطان عبد الحميد حاول انقاذ ما يمكن انقاذه ، فصدر مرسومًا بغلق المحافل الماسونية في جميع أنحاء البلاد و طرد منتسبيها و لكن الماسونية و بعد أن تمكنت من نشب مخالبها في جميع مرافق الدّولة لم تكن تغفل عن امكانية نشوء خطر يداهمها من قبل السّلطان بل كانت تحسب لذلك اليوم ألف حساب و لذلك تعمدت ضم أكبر قدر ممكن من ضبّاط الجيش حيث أوكلت اليهم في تلك الأثناء مهمّة خلع السّلطان عبد الحميد و طرده و بعد أن نفذوا الأوامر بعثوا برجل يهودي ماسوني

يدعى (حاييم نحوم) الى السلطان لكي يقرأ عليه وثيقة العزل .

و من تركيا بدأت الماسونية توجه ضرباتها الموجعة للمسلمين العرب وعلى أيدى حكام تركيا و الذين كانوا يحكمون الشعوب العربية عن طريق نفوذهم الممتد الى مساحات شاسعة من أجزاء العالم الاسلامي الكبير .

فنجم عن ضغوط البلاط الامبراطوري التّركي و الّذي أصبح دُمْيَةً في يد الماسونية و عبداً مطيعا اصدار قانون يسمح لنساء العرب بممارسة البغاء الرسمي و يعد ذلك الحدث و ما واكبه من انحلال كامل لجسد الأمة العربية أول حدث خطير نخر جسدها و بدد قوّتها و انهك قدرتها على التصدّى بقوه لأيّ غزو خارجي على أيّ مستوى كان ثم باشرت الدّوائر الماسونية و بعد الحصول على تصاريح رسمية من البلاط العثماني بفتح دور العهر و الفجور في لبنان و سوريا و الأردن وفلسطين و مصر و سائر الدّول العربية الأخرى و انشاء النوادي الليلية للممارسة القمار و شرب الخمور ثم عقبتها بادخال المخدرات و ترويجها و كل ذلك كان لأول مرة فى تاريخ العرب بعد عهد الاسلام الأوّل الذى أبعدهم عن نخوة الجاهلية و مفاسدها و مساوئها و انحطاطها و أعزهم بمبادئه و سموّ ايد لوجيته .

كان الماسونيون يهدفون من وراء ذلك كله الى التمهيد لاغتصاب فلسطين و تهيئة الأرضية الصالحة الّتي تمكنهم من ذلك و تضمن لهم ديمومة الاغتصاب و الاحتلال الى ماشاء اللّه عز و جل لهذا الكون من بقاء و استمرار و قد حدث ذلك بالفعل بعد ذلك .

و في ظلّ غمرة النشوة و الفرح الماسونية و في الفترة الّتي أطبق النفوذ الماسوني سيطرته على كافة المرافق الحيوية و الدّوائر الحكومية

و تسلم أحد أقطابها السلطه كمال اتاتورك بزغ نجم ثائر مصلح مجاهد سعى لانتشال الأمه المسلمة في تركيا من أوحال الخزي و الرذيلة و الدمار و التحلّل و الشنار ذلك المصلح هو سعيد النورسي الّذي لقّب فيما بعد ببديع الزّمان نظراً لاعلانه و مجاهرته الحرب العلنية على النّظام الماسوني المستعمر البغيض في أصعب فتره و أحلك ظاهره تمر بها تركيا المسلمة.

حيث أصبح بديع الزمان رمز الحرب الاسلامية لحكم العميل كمال أتاتورك الصهيوني الخبيث ، و هكذا أصبح المحور الّذي استقطب حوله ملايين الشبّان المسلمين للصّمود في وجه الحكم الأتاتوركي الماسوني ولمّا قضى اتاتورك نحبه كثّف بديع الزّمان نشاطاته الدّاعية لعوده الاسلام وعهده السّابق و أبدى استبسالاً يبعث على الاعجاب و التّقدير فأسّس مدرسة الزهراء الّتي قيل في شأنها انها تضاهي الأزهر في مصر و كانت حركته تنصب على مجابهة الأحزاب الّتي تتقنع بالدّين ظاهراً و تخفي رجس الماسونية و اليهودية باطناً ، و لذا أسّس مضافاً لما سبق جمعية اسلامية باسم الاتحاد المحمدي في قبال جمعية الاتحاد والترقّي الماسونية و سرعان ما اكتملت استقطبت اليها آلافاً مؤلّفه من الشّباب المتحمّس لقضيته و الدّفاع عن دينه لقد أثار عمل بديع الزّمان هذا مخاوف الماسونيين الّذين كانوا من وراء الحركة الاتحادية فأرسلوا رئيس محفلهم الثّري اليهودي الكبير (قرصو) لمقابلته.

و لكنه ما لبث أن خرج من عنده قائلاً لرفاقه:لقد كان هذا الرّجل العجيب أن يزجّني في الاسلام بحديثه.

و قرصو هذا هو أوّل صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافه

العثمانيه و خلع السلطان عبد الحميد و استلاب فلسطين و هو من طائفه اليهود المعروفين باسم (الدونمة) .

و لم يجد الاتحاديون بدّاً من القاء القبض على بديع الزمان في حادثة ٣١ آذار سنه ١٩٠٩ م و الّتي أعدم فيها خمسة عشر مسلماً و كان الغرض من ذلك تخويفه و لكنه كان أقوى من الخوف و في أثناء محاكمته انتصب قائلاً : أو كانت جريمتي الأولى انني تصدّيت للرّد على دعاة الماسونية و الالحاد من أصحاب الصّحف .

و بلغ موقفه الذّروة و منتهى العظمة مع اتاتورك فقد استطاع أن يؤثر على نوّابه و جعلهم يؤدون الصّلوات الخمس و خاطب اتاتورك نفسه بهذه العبارة : (انّ أعظم حقيقة تتجلّى بعد الاسلام انّما هي الصّلاة ، انّ الذي لا يصلّي خائن ...) .

و في المجال الفكري المضاد للحركة الماسونية و اضرابها ألّف بديع الزمان مجموعة من الرّسائل تتألّف من (١٣٥) رسالة تتناول جميعها الجواب على مختلف المشكلات الرّوحية و النفسية و العقلية و هي تنطلق من محور أساسه القرآن و تفسيره و كان يلقي أفكاره على تلاميذه الّذين سرعان ما يقومون بطبعها بحماس ثم يوزعونها و قد أخذ كلّ فرد على نفسه كتابة ما يمكنه من النّسخ عن كلّ رسالة تظهر فاذا وزعها على القرّاء كان على كلّ من هؤلاء أيضاً أن يقوم بنفس الوظيفة و هكذا تتكاثر هذه الرّسائل في الأيدي عن طريق التّوالد المطّرد و شعر حيال ذلك كمال اتاتورك بالزلزال يسري في كيان حكومته و اذهله ما تفعله هذه الرّسائل فعقد اجتماعاً سرّيًا دعا اليه كبار رجال الماسونيه الّذين ساهموا مساهمةً فعّاله في تقويض الخلافة الاسلامية و بناء الحكومة العلمانية (اللادينية)

على انقاضه تمخّض عنه اتفاق الأصوات على احاله بديع الزمان مرّه أخرى للمحاكمه .

و لكن فوجئوا بعد اجرائها بما قامت به المحكمه من تبرأته و ألقى فى تلك الأثناء كلمه عزّت مشاعر الأحرار و الغيارى انتشرت كالبرق الخاطف جاء فيها :

بأيّ وجه تستطيعون ايقاف حركة النور، و انما هى عبارة عن خدمة حقائق القرآن ، و القرآن حقيقه مرتبطه بعرش اللّه العظيم .

و أخيراً ضاقوا به ذرعاً فضيقوا عليه فزجّوا به في زنزانه لا تتسع لأكثر من فراش صغير قذر على أرض رطبه نتنه امّا طعامه فلم يكن أكثر من قدح ماء و كسره خبز يابسة مرّتين في اليوم و مع ذلك فقد دسّت له السّلطات في احدى الوجبات سمّاً ناقعاً للتّخلّص منه و لكن أعاجيب لطف اللّه عز و جل و قدره خيّبت آمالهم في مؤامرتهم هذه .

و بقي بعد ذلك فتره طويله الى أن قضى نحبه في زنزانته ليلة القدر في اليوم السّابع و العشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩ هـ صابراً على ما لاقاه من الماسونية الغدّاره محتسباً على الأذى منقطعاً الى الحق تعالى في أشرف السّاعات و الأيام فضلاً و كرامةً .

الماسونية في مصر

استطاعت الماسونية أن تلعب دورًا بارزًا في مصر على الساحة الاجتماعيّة و السّياسيّة و الاقتصاديّة و الفكريّة فقد ضمّت اليها كبار السّاسة و المفكّرين ، وعلماء الدّين و أصحاب الثّروات الطّائلة و الموظّفين المرموقين .

و قد تلقّت ضربة مروعة في عهد جمال عبد الناصر على يد القوّات المسلّحة و ذلك عند ما طلبت الجمعيّات الماسونية في أوائل السّتينات بالجمهورية العربيّة تسجيل تنظيماتهم بوزارة الشؤون الاجتماعية طلب منهم المسؤولون تطبيق قانون الجمعيّات عليهم ، و هذا القانون يحتم خضوع كل الجمعيّات داخل الجمهورية لاشراف وزارة الشؤون الاجتماعيّة ، و يكون للمسؤولين في الوزارة حق التفتيش على أعمال الجمعيّة للتّأكد من عدم مخالفتها للقانون ، و رفضت الجمعيّات الماسونية ذلك لأنه يتعارض مع السّريّة التامّة الّتي تعيش فيها ممّا أثار الشّكوك حولها و أصابع الاتّهام و الرّيب فقرّرت الحكومة الغاء هذه الجمعيّات و مصادرة جميع ممتلكاتها و أموالها في المصارف و البنوك ، حيث صرفت للمحتاجين كمعونات لشتاء تلك السنة .

و قد أثارت هذه العمليّة طيش الصّهاينة و أجّجت حنقهم و نقمتهم على الحكومة المصرية و على رئيسها جمال عبد الناصر بالذّات ، فاغتالته خلسة ، و قامت بتغطية اعلامية كاملة على أخبار هذه الحادثة لتصوّرها أمام الرأي العام العالمي بأن الوفاة قد تمّت بفعل سكتة قلبيّة ، و قد

نجحت بالفعل من ذلك ، و جاءت بأنور السّادات الصهيوني الماسوني المعروف كرئيس جديد خلفاً للعهد الناصري، ثم فسح المجال للوجود الماسوني في مصر ثانياً و سعى بكلّ جهده لتمكين الوجود الصهيوني و الماسوني في مصر و بعد مساعٍ و جهودٍ مثمرة في هذه السّبيل تَوَجَّهَا بمعاهدة الصّلح مع العدوّ الصهيوني "كامب ديفيد" و زيارته لفلسطين المحتلّة ليعانق مناحم بيغين و أعضاء الكيان الصهيوني الغاصب كاعلان صريح بضمّ مصر هي الأخرى للهيمنة الصّهيونية و ليحقّق حلمها بتكوين دولة اسرائيل الممتدّة من النيل الى الفرات و بعد تنفيذ حكم الاعدام الثّوري بحقّه خلفه الصّهيوني الماسوني الآخر المدعو "حسني مبارك" الّذي أكّد النّهج السّاداتي و العمالةواستمرارية العملية الخيانية الاستسلامية .

و ها هي مصر قد غدت دمية سهلة يعبث بهاالصهاينة كيف شاؤوا

و أما في المجال الاجتماعي فقد نشروا الفساد و الخلاعة و المجون و التحلّل الخلقي في كافة أرجاء مصر عن طريق سيطرتهم على المؤسّسات المسرحيّة و السينمائيّة و تسخيرهم لحفنة من العاهرات و الساقطات و الماسونيات المصريات و جمع من الرجال يعدون قمم فى الرذيلة و الانحطاط بتمثيل الأفلام العارية و الجنسيّة و الخلاعية ، و قد بلغت ذروتها فى هذه الأيام ، فقد قرأت في أحد الصّحف أن بعض أصحاب السينمات فى القاهرة و بقية المدن المصرية قد رفعوا لافتات على واجهات صالات العرض تنصح بعدم الدّخول لأقل من سنّ الثامنة عشرة لاشتمالها على اللقطات العارية و الممارسات الجنسيّة و المشاهد السّاقطة المنحطّة .

مع العلم بأنّ هذه الأفلام يقوم بأدورها مصريون و مصريات و بمرئى و مسمع من مديرية الجامع الأزهر قمة الزّعامة الدينية للدّول الّتي تدين

بالمذاهب السنيّة الأربعة .

و في الوقت الّذي كان ينبغي مقابلة هؤلاء الممثّلين و الممثّلات بعنف من قبله و اصدار الأحكام الشّرعية بشأنهم و المطالبة بانزال العقوبة الشّرعية بهم لما يرتكبونه من جرائم بشعة تجلّ البهائم و الحيوانات عن النزوع الى مثلها ، و من دون خجل و حياء ليفسدوا بها الشّباب المصري المسلم و الشابّات المصريّات ، بل شباب العالم الاسلامي ، و يلقوا بهم في اتون عذاب الدّنيا قبل الآخرة ، نجد الجامع الأزهر يلتزم الصّمت وكان الأمر لا يعنيه .

و يجدر بنا أن نوجّه عتابا آخر له على تبعيّته و عمالته المطلقة لكلّ حاكم يتولّى الزّعامة في مصر و مباركته و تأييده المطلق لمؤامرة كامب ديفيد الّتى هتف الشعراوى و كان يومها مديرًا للأزهر بقوله : انّ السادات لا لا يسأل عمّا يفعل منزّلا ايّاه ايّاه لمنزلة الربوبيّة .

التى نطق بها الذكر الحكيم فى قوله :

((لا يسأل عمّا يفعل ، و هم يسألون)) ! !

و غيرها من الكلمات الّتي هتفت بها حناجر علماء الأزهر ، و الّتي أرضخت جموع الشّعب المصري لتقبّل وقع أصدائها و تجرّع عارها و شنارها و جعلته يفقد القدرة على ابداء أيّ معارضة أو يهتف بعبارة سخط ، أو أدنى ابداء لشعور الرفض .

و من كريم قدر الحكمة الالهية أن يوجد قبال الجامع الأزهرى الذى تحوّل الى جهاز سلطوى بيد الحكام و الخونة العملاء ينفذ ارادتهم و يمرر مؤامراتهم بحقّ الاسلام و الشّعوب المسلمة الاخوان المسلمين الّذين انشقّوا

عن المذاهب الأربعة و رفضوا الاذعان للتأويل المحرّف لقوله عزّ و جل :

((و أطيعوا الله و رسوله و أولى الأمر منكم)) بأنّ المراد بأولى الأمر الحكّام المتصدّين لحكم المسلمين و وجوب طاعتهم مهما ارتكبوا من جرائم و اقترفوا من آثام وعاثوا من فساد و نطقوا من ضلال و سفه .

ليتصدوا للتآمر الماسوني البغيض و يمهّدوا لصحوة دينية يعود على اثرها الشّعب المصرى المسلم الى دوره الحقيقي وعقيدته المستقيمة الأولى قبل جريمة خراب الدّين الأيوبي عقيدة الولاء الحقيقي للرّسالة المحمديّة و الارتباط الواقعي بأهل البيت الامتداد الطبيعي لمعدن النبوّة ، و يعود الأزهر فاطميّاً وجهاده حسينيّا في وجه كلّ باغٍ و طاغٍ و طامعٍ و يهودىّ ماسوني .

الماسونية فى لبنان

انخرط في سلك الماسونية في لبنان بعد الأربعينات من القرن العشرين مئات من القادة و أهل الشرع و رجال المال و الاقتصاد من أمثال موسى تمور و شبل رموس و حبيب أبو شهلا و الشيخ ابراهيم المنذر و سعد الدين خالد وعبد الغنى مخزومى و فضل الله أبو حلقة و الدكتور فؤاد غصن و جورج رزق الله ، و فى مطلع الستّينات رئيس مجلس النوّاب صبرى حماده و نائبه أديب الفرزلى و حسين العويني و سامي الصلح وابن عمه رشيد و نائب طرابلس هاشم الحسيني و المطران نيفن سابا و قاضي الشّرع السّابق مصطفى الرّافعي .

و المحامي عادل خلف وعشرات غيرهم من ذوي الرّتب الرّفيعة في

البلاد مضافًا الى الأفراد من ذوي الرّتب العادية بلغ ألفي شخص.

وفي التاسع من شهر آب سنة ١٩٦٥ م وصلت وفود ماسونية قادمة من أنحاء العالم المختلفة قُدّر عددها بألفي ماسوني حيث استقبلها الفرزلي نائب رئيس المجلس اللبناني ثمّ صحبها الى السّراي حيث زارت رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية آنذاك، والّذي أعيد إلى منصبه في أيّامنا هذه، وهذا ان دلّ على شيء فانّما يدلّ على استمرار سيطرة المحافل الماسونيّة على جميع مرافق الدّولة الى وقتنا الحاضر، وانّ لها الدّور الأكبر في رسم الأبعاد الرّئيسيّة للسّياسة اللبنانية وتعيين قادتها ورجالاتها عن طريق أصابعها ونفوذها الفعّال.

وللماسونية تاريخ حافل في جميع الدّول الاسلاميّة وأدوار مشهودة لعبتها طيلة السّنوات الماضية وتواصل حلقاتها في وقتنا الحاضر حيث الارتماء المطلق لأغلب حكوماتها في أحضانها بشكل مباشر أو بآخر.

لذا نكتفي بما تقدّم كأمثلة وشواهد جزئيّة لماحدث ويحدث في دول عالمنا الاسلامي اليوم، لنستفيد العلّة الّتي جعلته يغرق في سبات نوم عميق وغفلة تامّة في وجه المؤامرات والدّسائس الّتي ترتكب بحقه يوميّاً دون أن يحرك ساكنًا أو طرفًا للردّ والمجابهة والاقتصاص.

نظرة على المحفل الماسوني

انّ أعضاء أيّ جمعيّة ماسونيّة في أيّ مكان في العالم مُقَسَّمون إلى ٣٣ درجة يبدأها العضو من الدّرجة الأولى والثّانية وهكذا، ويؤدّي اختبارًا للتّرقي من كلّ درجة الى الدّرجة الّتي تليها حتّى الدّرجة

الثّلاثين ، ويكون التّرقّي بعد ذلك بتصويت خمسة من الأعضاء العظام بالجمعيّة ، ويتمّ الادلاء بالأصوات للموافقة على ترقية عضو للدّرجات الثلاث العليا بالجمعيّة بأحجار بيضاء و سوداء ، فاذا كان بين الأحجار الخمسة حجر أو حجران أسودان فقط رقي العضو و اذا زادت على ذلك أجّل للنّظر في ترقيته عامًا كاملاً .

و السّريّة مطبّقة حتّى داخل الجمعيّة الماسونية فالعضو في الدّرجة الأولى لا تكشف له سوى أسرار الدّرجة الأولى .

وعند ما يرقّى الى الدّرجة الثّانية تكشف له أسرارها ، و لكنّه يقسم ألاّ يكشفها حتّى لمن هم في الدّرجة الأولى و الاّ استحقّ الموت .

و طالب العضويّة في الجمعيّة الماسونية يمرّ بطقوس و مراسم في منتهى الغرابة و حتّى يصبح عضوًا عاديا عليه أولاً أن يدخل هذه الحجرات .

الحجرة المقدسة

و فيها يصلّي و يقسم انّه لم ينضم للجمعيّة لأيّ غرض سوى التّزود بمعارف الماسونية و الاخلاص لها .

حجرة المعرفة

و يجرد الطالب بعد ذلك من كلّ ملابسه و يدخل غرفة المعرفة عاريًا حيث يتلُون عليه بيانًا لتعريفه بالماسونية و الغريب ان هذا البيان

لا يمكن أن تفهم منه شيئاً واضحاً .

الغرفة السوداء

أو غرفة التكريس ، و هي صورة حيّة من صور القبور و المدافن ، انّها الغرفة الّتي يجري فيها أخطر امتحان و جزء من طقوس الاعداء ، انها الغرفة الّتي كان ينفذ فيها حكم الاعدام لقتل شخصيّة أى عضو جديد و مسخها من كلّ قيمها و مبادئها ثم تحويله بعد ذلك الى آلة تحرّكها الماسونية أينما شاءت و كيف أرادت فيوضع قبل دخولها على رأسه عصابة سوداء تربط عند عنقه و تربط رقبته بحبل يمسك بزمامه عشماوي ، و عشماوي هذا هو أحد الأعضاء الّذين يرافقون العضو الجديد طول مدّة الامتحان في الغرفة .

أوّل احساس يقابلك في هذه الغرفة هو الاحساس بالموت ، فالغرفة معتمة تماماً جدرانها سوداء لا منفذ فيها سوى الباب الذي دخل الطالب منه ، و في الظلام ترفع عنه العصابة السّوداء ليتخبّط في الجماجم البشريّة الحقيقيّة المنتشرة في الغرفة يقومون باستيرادها من المقابر .

و بالغرفة تابوتان أحدهما به جثّة من الشّمع مغطاة بكفن أسود ، و بجواره تابوت آخر معدّ لاستقبال جثّة أخرى و لكنّها على قيد الحياة ، انها جثة العضو الجديد الّذي سيجرى عليه الامتحان لمعرفة مدى استهتاره بالموت و مدى ما يمكن أن يقدمه للماسونية من تضحيات حتّى الموت .

فيؤمر العضو الجديد بالنّوم فيه و يوضع على صدره جمجمة حقيقيّة

و يستمرّ في هذا الجوّ المخيف ساعتين .

و توجد بالغرفة أيضا مغارة تمتد من الأرض حتّى السّقف في شكل هرمي و تحتل في ركن من الأركان الأربعة للغرفة ربع مساحتها تقريبًا و الهيكل الخارجي للمغارة مرصّع بالجماجم البشريّة من الأرض حتّى السّقف و المغارة لها فوهة في القاعدة تشبه فوهة الفرن و تتسع بسهولة لكي يجلس بداخلها أربعة رجال أو ينام فيها رجلان و بها من الدّاخل لمبة كهربائية حمراء اذا أضيئت أصبحت فوهة المغارة و كأنها قطعة من جهنّم و أرضية الفوهة أيضًا مرصّعة بالجماجم البشريّة .

و بعد انتهاء السّاعتين على استلقاء العضو في التابوت يؤمر بدخول هذه المغارة حيث تقرأ عليه التّعاليم الّتي تحذره من افشاء ما يُحدّث به و يطّلع عليه من خفايا و أسرار .

قاعة المحفل الماسوني

ثم يخرج العضو الجديد من الغرفة السّوداء بعد تعصيب عينيه مرّة ثانية و فكّ الحبل من عنقه الى قاعة فسيحة حيث يكون بانتظاره أسرة المحفل المكونة من رئيس و أربعة مساعدين و بوّاب من الدّاخل و حارس في الخارج و كلّهم مسلّحون بالسّيوف فيدخل العضو الجديد عاريًا أيضا و فور دخوله يؤخر بطرف خنجر و خزة خفيفة في صدره ثم توضع في رقبته انشوطة حبل المشنقة مرّة ثانية يسحب به لمدّة دقيقة واحدة في أرجاء القاعة .

ثم يمسك به مرشدان من جانبيه و يأخذانه الى الرئيس الجالس

على العرش الماسوني ، و هناك يؤمر بالرّكوع فيبارك له الرئيس بالسّيف ، و يؤمر عندها بتأدية قسم الدّرجة الأولى و فيه يتعهّد بأن لا يفشي سرّاً يطّلع عليه و الاّ استحقّ القتل ثم يأمر الرئيس بأن تفك العصابة عن عينيه و أن يلبس ملابسه .

وعند ما يعود بعد ارتداء ملابسه يؤمر بالرّكوع ثانياً أمام الرئيس الّذي يسرّ في اذنيه بما يقرب من الهمس :

((قد نجوت من خطرين عظيمين و بقي خطر ثالث يتعيّن عليك أن تجدره الى آخر نفس من حياتك ، فالخطران اللذان نجوت منهما هما الطعن بالسلاح و الخنق بالحبال ، فلقد كان الخنجر موجّهاً الى صدرك عند دخولك من باب الهيكل حتّى اذا بدر منك سوء نيّة كنت ساعياً الى قتل نفسك طعناً به و يكون الأخ الّذي يحمله قد قام بما وجب عليه)) .

بعد ذلك تلقى عليه بعض خطب التّرحيب و قد أصبح فردا آخر ثم يقسم على التوراة أن كان يهودياً أو الانجيل ان كان مسيحيًا أو القرآن ان كان مسلماً كلّ حسب ديانته على أن لا يفشى أىّ سرّ من أسرار الماسونية حتى الموت ثم يذهب العضو الجديد الى بار الجمعيّة و يغرق في الويسكي و الشمبانيا حتّى الثمالة ، ثم يعود الى منزله بعد أن أصبح ضحية من ضحايا المحفل الماسوني .

اختصاص عضوية المحافل بالرجال

في خريف سنة ١٧٢٢ م انتخب مندوبو محافل العالم لجنة من جهابذة الماسون برئاسة فيلسوفها اندرسون لوضع الدّساتير و الأنظمة

الماسونية الّتي أصبحت فيما بعد تؤلف الدّستور العام لجميع ماسون العالم و قد نصّت هذه الدّساتير في فصلها الثّاني على تحريم دخول النّساء في عشيرة البنائين الأحرار(التكتل الماسوني)منعت اشتراكهنّ في أيّ اجتماع أو مناقشة تتعلّق بشؤون الماسونيّة ، ثم فرضت عقوبات شديدة على كلّ من يتكلّم أو يحاول ادخال امرأة في عضويّة المحافل الماسونية و السّبب في ذلك المنع و التحريم خشيتهم من ثرثرة النّساء و تأثير عواطفهنّ و رقّة قلوبهنّ على قراراتها الجهنميّة اللا انسانيّة الاجرامية ٠

المحفل الماسوني النسائي

كان الدّور النّسائي في الحركة الماسونية يرتكز على اعتباره كسلاح فعّال لضمّ الأعضاء الجدد أو تمرير المؤامرات و الدّسائس أو نحو ذلك بالنّحو الذى يعتمد الجانب الجنسي الاّ انه اتّسع ليشمل التنظيم المستقل بعد عهد طويل من التبعيّة المطلقة ٠

ففى السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٨٩٩ م عقدت نخبة كبيرة من السيّدات الامريكيات اجتماعاً في مدينة واشنطن قرّرن فيه الدّخول في محادثات مع أقطاب الماسون لانشاء محفل نسائي للسيّدات المتعلمات من زوجات الرّجال الماسونيين و بعد مفاوضات و مداولات و اجتماعات بين الحين و الآخر استغرقت طيلة عشر سنوات تقرّر انشاء جمعيّة خاصّة للسيّدات باسم (النجمة البيضاء) يحقّ لها أن تعقد محفلاً خاصّا له رموزه و نظامه الخاصّ ممّا لا صلة له بتاتا برموز المحافل الماسونية و اشاراتها لتلافي الأضرار المتوقّعة من العنصر النسائي عند اطلاعهنّ على الأسرار

أو تأثيرهن على قراراته لما يتميّزن به من عواطف و أحاسيس تتنافى مع انسانية الانسان كما تقدّم ٠

وعلى غرار جمعيّة النجمة البيضاء أنشأت جمعيّة نجمة الشّرق في لبنان في أواسط سنة ١٩٥٠ م برئاسة الماسونية لميس أويب و بعد ثلاث سنوات شغلت منصبها زوجة ماسوني آخر تدعى (جوليت حداد) ٠

و تدور مهام هاتين الجمعيّتين على تكريس الجهود المكثفة لتنظيم فعّاليّات مراكز البغاء و الفجور و السّهرات العارية و الليالي الحمراء و ما الى ذلك و تجميع المومسات و البغايا من كل مكان لأجل هذا الغرض ، و سلب العفاف و الحياء من المخذرات المصونات و اخراجهنّ من بيوتهنّ للمشاركة في الانحراف و الاغراء و الفساد ٠

الجبهة القيصرية
ونشأة الكشفية والبابية والبهائية والقرتية

أرسلت الحكومة الروسية القيصرية جاسوسًا يدعى (كنياز د الكوركي) الى طهران عاصمة ايران في أواخر القرن التّاسع عشرللقيام بمهمّة تخريبية و د راسة التّركيبة العقائد ية و أصولها و منابعها و العلائق الاجتماعية ومنافذ تغذ يتها و دعامات تأصيلهاوو مقوماتها عن كثب و العمل بقد ر الامكان على تفريق شمل المسلمين و تفتيت وحد تهم و ضعضعة أسسهم و أصولهم العقائد ية و بناء قواعد ممهد ة لاخضاعهم للامبراطورية القيصرية الرّوسية .

قال في مذكراته :

وصلت طهران سنة ١٨٣٤ م بصفة مترجم في السّفارة الروسية بطهران ، ثم د خلت معهد الفنون و بعد ذلك التحقت بكلية الحقوق و السّياسة التّابعة لوزارة الخارجية الايرانية و تمكّنت بعد جهود أن أوثق الصّد اقة مع بعض شخصيات البلاط الايراني و حيث اني كنت توّاقًا لمعرفة اللغة العربية و قواعد أصول الدّ ين الاسلامى لتسهيل عملي فقد حصلت على معلم من رجال الدّ ين المعروفين اسمه الشّيخ محمد و هو أحد طلاّب المجتهد المعروف الشيخ أحمد الگيلاني كبير علماء ايران للقيام بتد ريسي مقابل تومانين في الشهر و أسلمت على يد يه اسلامًا ظاهريًا و طلبت منه كتمان الأمر و اعفائي عن عملية الختان و ارتد يت العمامة و العباءة و صرت واحدًا من رجال الدّ ين من الطراز الأوّل و كنت

أتردد على دار الشيخ أحمد الگيلاني وأحضر مجالس درسه وكان مجلسه في ليالي الجمعة يضم عدداً من كبار شخصيات وزعماء البلد وكنت أحصل منهم على معلومات سياسية كثيرة أثناء حديثهم وأبعث بها الى السّفارة الروسية فوراً ·

وفي ذلك المجلس عقدت الصّداقة مع بعض طلاّب الدّين كالشيخ حسين على النّوري(١) والشّيخ يحيى على النّوري(٢) وغيرهم وكان هؤلاء يظهرون لي المودّة ويطلعاني على بعض الأسرار السّياسية مقابل ما أقدمه لهم من المعونات المادية ·

وبدستور من وزارة الخارجية الروسية كنت أعارض كلّ تجديد وكلّ فكرة تدعو الى تقدّم البلاد بلباقتي الخاصّة وحينما كنت في مجالس الدّرس كنت أفكر عن أفضل طريقة تساعدني على تفريق كلمة المسلمين واذلالهم ·

وذات يوم قدّم لي الشيخ حسين على النّوري تقريراً يحتوي على الحديث الذي دار بين المجتهد الشّيخ أحمد الگيلاني وبين الصّدر الأعظم ـ رئيس الوزراء ـ حول سياسة الشّاه وانتقادهم له ورغبتهم في عزله، اذ قال الصدر الأعظم للگيلاني :

((ان هذا الشّاب المراهق ـ يقصد الشّاه ـ الّذي يخدم الأجنبي سيلقي مصيره والوه ويختفي من الوجود)) ·

وحينما اطّلعت على ذلك التقرير توجّهت فوراً الى قصر الشاه

---

(١) مؤسّس البهائيّة ·

(٢) وهو أخ الحسين المتقدم لقب بصبح الأزل، وسيأتي مزيد من الكشف عن حالهما ومؤامراتهما ودسائسهما وعمالتهما ·

و طلبت من رئيس الدّيوان أن يأخذني لمقابلته لأمور خاصّة فوصلت الى الشّاه و أخبرته عن المؤامرة المبيّتة له و طلبت منه ضرورة التّخلّص من الصّدر الأعظم و الشّيخ الگيلاني ، فقال لي الشاه :

((انّ الصّدر الأعظم سيلاقي جزاءه على يدي ، و لكنّ الشّيخ الگيلاني أمره صعب لمكانته و منزلته لدى الشّعب)) .

فقلت للشاه بأني سوف أتولّى القضاء على الشّيخ ففرح الشاه بذلك و قبّلني و أهدى لي خاتمين ثمينين أحدهما من الماس و الآخر من الزمرّد .

عدت الى داري فوراً و أحضرت شيئاً من السم القاتل و أرسلت في طلب الشّيخ ميرزا حسين على النّوري و أمرته أن يسقي ذلك السّم المجتهد أحمد الگيلاني بأسرع وقت و في يوم ٢٨ صفر نفذ ما طلبته منه بأحسن وجه و قضى على المجتهد المذكور و بعد يومين أحضر الشاه وزير الأعظم من منزله في بستان لاله زار و قتله في القصر الملكي .

و هكذا استطعت بالتّدريج أن أقضي على الوطنيّين و على عملاء بريطانيا لفسح المجال لحكومتي الروسيّة و ذات يوم استدعتني الحكومة الرّوسية لاستجوابي في بعض الأمور .

فحضرت الى روسيا و قدّمت تقاريري الخاصة الى وزارة الخارجية الّتي شكرتني على خدماتي ثمّ صدرت الأوامر بنقلي الى العتبات المقدسة في العراق فشددت رحالي و توجّهت الى مدينة كربلاء باسم مستعار هو الشّيخ عيسى اللنگراني و كان ذلك في عام (١٨٤٠ م ـ ١٢٥٦ هجرية) التحقت فور وصولي بمدرسة السّيد كاظم الرّشتي .

(١)

الكشفية

كان السّيد كاظم الرّشتي من الجواسيس القدامى لروسيا القيصرية قال عنه الشيخ محمد الخالصي : ((انه قسيس روسي جاء من مدينة (فيلاد فستك) موفداً سرّاً من قبل قيصر الرّوس لالقاء الفتن في البلاد الاسلامية فانتسب الى مدينة رشت)).

وكانت هجرة الجاسوس الرّوسي (كنياز د الكوركي) الى كربلاء تعتبر من المثابة كضوء أخضر للرّشتي لتنفيذ المؤامرة الّتي طالما أعد لها خلال السّنوات الماضية بصورة أكبر و أوقع في المجتمع الاسلامي هناك و كعملية اسناد و تقوية لتسير الأمور على أحسن ما يرام.

لقد قضى الرّشتي فترة طويلة من الزّمن منخرطاً في سلك التلمذة في الحوزة الكربلائية حتّى نال بغيته منها و ملأجرّته بالقدر الّذي يمكّنه من اعلان اجتهاده و بناء مدرسة تابعة له باسمه و تصديه فيها لالقاء الدّروس العالية في علم الفقه و الأصول بدعواه و الوصول عن طريق ذلك كلّه الى حياكة مؤامراته و اعلان دعوته الهدّامة و أفكاره المدمّرة.

كانت البداية في سنة (١٨٤٠ م ـ ١٢٥٦ هـ) حيث ادّعى الاجتهاد و تصدّى للتّدريس في مدرسته الخاصة به و الّتي انشأت على حساب روسيا القيصرية و سرعان ما أعلن مخالفته الصّريحة لجميع علماء الشّيعة آنذاك في كثير من المسائل الفقهية و المعتقدات المذهبية بما لديه من آراء و معتقدات شاذّة و مخالفة للضّروريات في أصل الدّين و المذهب.

فقد كان يرى في ظواهر الدّين خلافاً لبواطنه فالتجأ الى التفسير و التأويل و قسم الشريعه الى أقسام .

و من أشهر عقائده الّتي أفتى و جهر بها علانية على رؤوس الملأ و الأشهاد و بين طلاّب درسه المصطنعين هو تصريحه بقرب ظهور الامام الغائب المهدي بن الحسن العسكرى عليه السلام إذ كان يدّعى بأن الامام الموعود سوف يظهر قريبا فيما بينهم و من المحتمل أن يكون الامام واحدا من طلاّبه و كان يشيع بين الناس بأنّ الامام الغائب سوف يظهر عن طريق الولاده و النمو و ذلك خلافاً لما يقول به الشّيعه الاماميه من ان الامام حى يرزق بلحمه و دمه لكنه غائب عن الأنظار بأمر اللّه سبحانه و تعالى لاقتضاء حكمته .

و كان يقول ان من بين كلّ مليون نطفه تتكوّن نطفه كاملة التّكوين أما النّطف الأخرى الّتي خلقت منها البشرية فهي نطف ناقصة و كان يدّعي بأنه خلق من تلك النّطف الكامله ، و ان الامام المهدّي الذي سوف يظهر قريباً من بين طلاّبه هو أيضاً مخلوق من النطفه الكامله .

و ممّا ادّعاه أيضاً قوله بأن غيبة الامام المهدي عليه السّلام حسبما يعتقده الشيعه تعتبر غيبة ميته و ان الامام الغائب لا يختلف عن الرسول الميّت اذ لا نفع فيه و لا فائده و هي شبة قديمة أجاب عنها جلّ علماء الطائفة المحقة على رأسهم شيخها و مفخرتها الشّيخ الطّوسي رضوان اللّه تعالى عليه فى كتاب الغيبه و سائر كتبه العقائدية الأخرى ، و في العصر الحديث ألّف الشهيد السعيد السيّد محمد باقر الصدر رضوان اللّه تعالى عليه رساله أخرى بأسلوب عصرى مدعّم بالأدلة العلمية مضافاً لما استفاض به النقل و العقل باسم بحث حول المهدي .

و تحت ستار هذه الخزعبلات و الشبهات المستهجنة كان يطمح الى تحقيق المخطط الأكبر و كان يهيّء النّفوس لتقبّله و استيعاب دعوته و هذا ما يعكسه مذهبه القائل بأنّ الذّات الالهية تدخل في أجسام بعض البشر و قد دخلت هذه الذات المقدسة و تركزت في نفوس وأجسام محمد وعلى و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و ان هؤلاء الخمسة شيئًا واحداً و نفساً واحدةً و انهم بمستوى الالهة قادرين و خالقين و رازقين و من بعدهم تدخل هذه الذّات الالهية المقدسة في بعض النفوس الخيّرة و الّتي أَطْلَقَ عليها الرّكن الرّابع ثمّ أعلن بعد ذلك بأنه هو الرّكن الرّابع الذي حلّت و تجلّت فيه الذّات الرّبانية المقدسة فقال في كتابه دليل المتحيّرين :

((لقد انكشف لي ملكوت السّماوات و الأرض !! و مشاهدة الأيّام و ملاحظة الأسماء و الصّفات بانحاء التجلّيات في نقطة البدء و انّ الأكوان كلها مجتمعة في البسملة و كل ما في البسملة في بائها و كلّ ما في باء البسملة مجتمعة في نقطة الباء و أنا نقطة الباء ، وعليه فمن لم تكن في قلبه محبّة الرّكن الرّابع و نقطة الباء لا تنفعه حسنة و ان صام الدّهر و قام ليالي عمره و أفنى حياته في العبادة و فعل الخير و ان المسلمين اليوم كلّهم كفّار وعباد أوثان فالصوفية نحتوا الأقطاب وعبدوا المرشدين و الشيعة الامامية عبدوا المجتهدين الا الكشفية أصحابي فإنّهم عبدوا اللّه الواحد الّذي يتجلّى في صور مختلفة و ان اللّه قد كشف عنّا غطاء الجهل و البصيرة فالكشفية هم الذّين كشفت عن أبصارهم الغشاوة وعن قلوبهم الشكوك)) انتهى كلامه زيد في دركات الجحيم مقامه .

و بناء على هذا الكفر العلني و التّناقض العقائدي ثار في وجهه

علماء كربلاء و أشبعوه تقريعاً و تجريحاً و تصدّى لقتله جمع من الأحرار الشّرفاء مراراً لكن كثرة الجواسيس و المرتزقة الّذين كانوا يحيطون به حالوا ذلك و قد جاء على لسان أحد أقطاب الكشفية في ذلك ما نصه :

ضرب السّيد كاظم الرشتي برصاصة و لم تصبه ببركة سيّد الشهداء عصر يوم الجمعة ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٨ هـ في الصّحن المقدس .

و لعظم دهاء و مكر الرّشتي كان يعمل مضافاً لحكومته الرّوسية للحكومة الانجليزية و تمكن أن يعقد روابط متينة مع الولاة العثمانيين الأتراك على الرغم من تباعدهم و تنافرهم و تضارب مصالحهم و كان يظهر التّفاني بالدّرجة الأولى و الحبّ و الاحترام للحكومة العثمانية الّتي كانت تحكم العراق يومذاك لتمرير مؤامراته و ضمان تمتّعه بالحماية الكافية من قبلها له ضد الأخطار الّتي تحدق به و تتربّص به الدّوائر من قبل المؤمنين .

و قد دلّت على جميع ذلك وثائق تاريخية و رسائل سريّة كان يبعث بها الى بقية الجواسيس الرّوس و الانجليز و بالخصوص الرّسائل الّتي عثر عليها المختصون فيما بعد في السّفارة الرّوسية بطهران .

و كان مجلس درسه يضم عدداً كبيراً من أولئك الأجانب في لباس طلبة العلوم الدّينية .

و من أفظع جرائمه الّتي ارتكبها في حق المسلمين الخيانة العظمى الّتي أبداها حينما ثارت جماهير كربلاء على سياسة الحكومة العثمانية الجائرة آنذاك و توجّه الوالي التّركي الجلاّد محمد نجيب باشا اليها على رأس جيش جرّار لضرب الحركة الشعبية و حاصر المدينة من جميع الجهات مما دفع بالكربلائيّين الى الدّفاع عن مدينتهم ببسالة منقطعة

النظير و تحصنوا بسورهم المحيط بالمدينه فلما أعيت نجيب باشا الحيل لاختراقه لم يجد بدا من الاستعانه بالرشتى العميل المعتمد في الأزمات و حين النكبات للانتقام منهم .

و في مساء السابع من ذي الحجّه عام ١٢٥٨ هـ و المصادف لعام ١٨٤٢ م توجّه الرّشتي الى الصحن الحسيني الشّريف و صعد على المنبر محاطاً بمئات من أنصاره و أخذ يحثّ الناس و يطالبهم على الانقياد التام و المباشر لأوامر الحكومه العثمانيه و الانصياغ لنجيب باشا ويدعوهم للكف عن مظاهر السّخط و ابداء صور المعارضه و أنهى خطبته بقوله :

((عليكم أن ترضخوا لارادة وليّ الأمر ـ يريد به نجيب باشا ـ فستكونون في مأمن و أنتم على ما أنتم عليه الآن ...)) .

فتصدّى له أحد الكربلائيين المجاهدين و ألقى على مسامعه كلاماً جارحاً مبطناً بالوعد و الوعيد له و لأسياده .

فما كان جواب الرشتي الاّ هذه العبارة :

((انّ موعدكم الصّبح .. أليس الصّبح بقريب)) ؟

و في صبيحة اليوم التّالي و هو اليوم الثّامن من ذي الحجّه بعث الرّشتي بعدد من أتباعه الّذين قاموا بالهجوم على الحرّاس خلسه و مباغته و فتحوا احدى بوابات سور المدينة المهمة و قد كان نجيب باشا على اهبة الاستعداد حينها للدّخول فهجم الجيش العثماني على المدينه الآمنه و وقع في الناس قتلاً و هتكاً و تعذيباً ، و أعلن بعد سيطرته على منافذ المدينه و طرقها بأن كلّ من دخل دار السيّد الرشتي فهو آمن فتوجهت جموع الكشفيه الى دار زعيمهم الواسعة جداً و الّتي شيدها العميل نظام الدّوله الأفشاري قائد قوّات الحكومه

الايرانية عند قدومه الى العراق بغية الاستيطان عام ١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤ م و أخذوا يرقصون فيها و يترنحون و هم يهتفون (دار السيد مأمونة) في الوقت الذي كانت حمامات الدم تسيل في شوارع و أزقة و بيوت كربلاء .

و لقد بلغت الجرأة بنجيب باشا حدا جاوز التصورات فدخل الى مرقد سيّدنا أبي الفضل العبّاس مع عدد من الجنود المسلّحين و هو راكب صهوة جواده فقام هذا الجزار بقتل جميع اللاجئين في الحرم المطهّر ثم توجّهوا بعدها نحو السرداب الأرضي الواقع تحت الرواق المقدس فوجدوا فيه من الأفراد قرابة الثلاثمأة فقتلوهم عن بكرة أبيهم و قد سمى المؤرّخون هذه الحادثة بحادثة غدير الدم .

و اما هول الاحصائيات التي نجمت عن هذه المجزرة الرهيبة فقد حكاها السيد حسن آل طعمة في كتاب مدينة الحسين عن كتاب الدرّ المنثور قوله :

سلب جيش نجيب باشا من الأموال و الأطعمة من مخازن الكربلائيين في هذه الواقعة الّتي سميت غدير الدم حسب احصاء دفاتر التجّار سبعة عشر ألف طغار ـ ٣٤ ألف طن ـ من الحنطة و الرز عدى غيرها من الحبوب ، و أحصى عدد القتلى بما يقارب ٢٤ ألف شخص بين رجل و امرأة و طفل و منهم سحقًا بالأرجل لازدحامهم في الهرب .

و هكذا انقلبت أيام عيد الأضحى الى مآس و كآبة و أحزان و فجائع مؤلمة تهزّ كل ضمير حرّ أبي ببركات السّيد كاظم الرّشتي .

و استمرّ الرشتي بعد هذه المجزرة و بعناية الحكومة العثمانية

ورعايتها يدسّ الفتن في كربلاء وغيرها من الأصقاع ويبث أساطيره الخرافية حتّى وافته المنيّة عن عمر يناهز الثالثة والأربعين سنة ١٢٥٩ هـ ـ ١٨٤٣ م.

وفي تلك الأثناء وبعد فترة وجيزة تنفّست همم أصحاب الفضيلة من العلماء ووجوه المدينة فشنوا حربًا شعواء على أتباعه وأنصاره ومريديه وضيّقوا عليهم الخناق وسدوا عليهم الأبواب حتى سنة ١٩١٤ م أيام الحرب العالمية الأولى قامت ثورة بكربلاء بقيادة الشّيخ فخري كمونة قضى فيها على الكشفيين عن بكرة أبيهم ووقع بهم قتلاً وتشريداً ونبش قبر الرشتي وعفى أثره وأحرق ما فيه.

ومن أعجب العجب ما وقفت عليه في كتاب روضات الجنّات للخوانساري عند ترجمته للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، حيث تعرض فيها لذكر الرشتي الذي تقدم ذكره واطنب في الثناء عليه بما يبعث على الاستغراب والدهشة حيث قال:

((وقد يحكى أيضا ان الحكيم المتألّه المحقّق النّوري المعاصر أيضًا كان ينكر فضله بل كونه في عداد الفضلاء الا ان تلميذه العزيز وقدوة أرباب الفهم والتمييز بل قرّة عينه الزّاهرة وقوّة قلبه الباهرة الفاخرة بل حليفه في شدائده ومحنه ومن كان بمنزلة القميص على بدنه أعني السّيد الفاضل الجامع البارع الجليل الحازم سليل الأجلّة السّادة القادة الأفاخم الأعاظم ابن الأمير سيد قاسم الحسيني الجيلاني الرّشتي الحاج سيد كاظم النائب في الأمور منابه وامام أصحابه المقتدين به بالحائر المطهر الشريف الى زماننا هذا صاحب اللوامع الحسينية والحجة البالغة والمحجّة الدّامغة ومقامات العارفين وأسرار الشهادة وكتاب

اسرار العبادات و شرح دعاء السمات و شرح القصيدة البائية من شذور الذهب و اللامية فى مدح الكاظم عليه السلام و رساله فى وجود الجن و حقيقتهم و ما يتعلّق بهم و كتاب شرح الكلمات المنسوبة الى فخر الدين الرازى فى التوحيد و كتاب علم الأخلاق و السلوك و الرساله فى أجوبة المسائل التى أتت اليه من بعض العلماء فى مراتب التوحيد الى غير ذلك من الرسائل فى أجوبة المسائل وغيرها التى تقرب من مائة وخمسين رساله منفرده كما استفيد من فهرست نفسه لها في كتابه الآخر المسمّى بدليل المتحيّرين و ارشاد المسترشدين .

لقد أطرا و أفرط فى الثناء على هذا الشيخ و تفضيله على من كان فى عصره من الأفاضل المشهورين و ادعائه الاجماع منهم على ثقته و فضله و جلالة قدره و نبله تعريضا على من أنكر طريقته من القوم و الحاقا له بالمعدوم الخ)) .

ـ ٢ ـ
البابية

كانت الحكومة القيصرية في روسيا تطمح الى تحقيق حلم بطرس الكبير أحد حكامها المتمثّل بالوصول الى المياه الدافئة في الخليج الفارسي و لذلك لم تألوا جهداً في احكام مؤامراتها و مواصلة سعيها الرامى لتقويض كل سلطة اسلامية و تكتل اسلامي يحيل دون ذلك الهدف و من أجل ذلك كانت تعد عدّتها الى مرحلة ما بعد الرشتى و فرقته التى أسّسها و على وجه السرعة ثم الاعداد لمذهب و عقيدة

جديده قبل رحيل الرّشتي وكان هذه المرة على يد الجاسوس الرّوسي المتقدّم (كنيازد الكوركي) صادف ذلك الجاسوس عند حضوره لحلقة تدريس الرشتي شاباً ايرانياً في مقتبل العمر قدم الى كربلاء من مدينة شيراز يُدعى السيد على محمد الشّيرازي لدراسة العلوم الاسلامية وعندما عقد صداقة متينة معه وخبره عن قرب وجده شخصاً فيه شذوذ فكري وعدم اتزان نفسي مكبّاً على تتبع الخرافات والأساطير وبثها عاشقاً للسحر والشعوذة وباختصار وجده أرضية خصبة لبذر المخطط الجديد والّذي سيحتل مرحلة ما بعد الرّشتي والّذي قد فارق الحياة في تلك الأثناء.

واستطاع كنياز أن يصطاده بحبائله واتّفق معه أن يسكنا معاً في غرفة واحدة وبدأ الجاسوس الروسي يخطط ويمهد الطريق لادخاله في عصب المؤامرة الجديدة وصار يردد على مسامعه بأنه هو الامام الغائب المنتظر الذي بشّر السيد الرّشتي بقرب ظهوره لأنّ جميع الأوصاف والشّروط متوفّرة فيك وليس هناك أيّ شكّ أو شبهة في كونك الامام المهدى المنتظر.

وكان السّيد محمد على الشيرازي يعارض هذه الفكرة قائلاً: انّ الامام المهدي (عليه السلام) هو ابن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) وأنا ابن بزّاز شيرازي اسمه محمد رضا وان امه نرجس خاتون وامّي فاطمة ولقبها السّيدة الصغيرة.

الا ان الجاسوس الروسي كان يقنعه ويشرح له بأن المرجع الأعلى السّيد كاظم الرشتي قال: ان الامام الموعود سوف يولد من جديد وينمو كسائر الناس وهذا هو أنت لا غيرك.

يقول كنياز في مذكّراته:

و لكي أشجّع السيد على قبول الأمر ليعلن عن نفسه بأنه صاحب الزمان كنت أهيّيء له الحشيش ليدخنه في غليونه كذلك ذهبت الى بغداد و أحضرت عدّة زجاجات من الشراب المعتق و قدّمت له منها في كلّ ليله و كنت أقرأ في أذنيه و هو في حالة السكر و التخدير و أخبره بأنه هو الامام الثاني عشر المهدي الموعود ، و كلّما كان يعارض الفكرة كنت أصرّ عليه و أؤكّد على قولي قائلا له :

((سيّدي و مولاي إ أنت تعلم بأنّ البشر لا يعيش ألف سنة أبدًا و هذه موهبة نوعيّة و أنت سيّد و من صلب أمير المؤمنين ، و من المحقّق لدي و الثابت عندي أنك أنت باب العلم و صاحب الأمر)) .

ثم قال :

كان السّيد أحسن آلة لهذا العمل شاء ذلك أم لم يشأ فقد تمكنت أن أحرّكه و أروضه و أوجّهه نحو الهدف المنشود .

قال عبد الأمير الأرشدي في كتاب الاسلام و دسائس الاستعمار :

يخيل لي ان كنياز دالكوركي كان منومًا مغناطيسيًا اضافه الى عمله الجاسوسي فاستطاع أن يوحي للسّيد الشيرازي عن طريق التنويم بأنه الامام المهدي المنتظر فنحن نجد ان السّيد كان يعارض هذه الفكرة في بادئ الأمر و يستنكر اعلان نفسه مكان الامام الغائب ثم وجدناه بعد ذلك يعلن عن ذلك الأمر و باصرار شديد حتّى كلّفه حياته و استمرّ على اصراره حتّى ساعة اعدامه ، و هذا يؤكّد لي بأنّ الجاسوس الروسي استعمل مع السّيد الشّيرازي طريقة الايحاء ما بعد التّنويم ، و قد ثبت علميًّا بأن التنويم قادر على القيام بخوارق الأمور و ان الطريقة المذكورة تفعل مثل هذه الأمور و ذلك ان المنوّم يطلب من أحد الأشخاص بعد

تنويمه أن يقوم باجراء عمل معيّن بعد استيقاظه و في الوقت و المكان الذى يعيّنه المنوّم و حينما يستيقظ النائم يقوم باجراء ما طلبه منه المنوّم سواء فى نفس اليوم أو فى وقت آخر دون زيادة أو نقصان ، و مهما كانت الظروف و الأحوال فقد ظهرت حوادث عديدة اقترف فيها بعض الأشخاص أعمالا مخالفة للقانون أو العرف الاجتماعي دون أن يشعروا بما يفعلون يقول البروفسور لويس استاذ علم النفس :

((ان المنوم المغناطيسي قادر على أن يجعل من الذين يقعون تحت تأثير التنويم آلات بيده يحركهم كما يشاء)) .

ثم قال : و لهذا فليس من المستبعد أن يسلك الاستعمار هذا الطريق و يوعز الى جاسوسه المدرّب أن يقوم بتطبيقه اضافة الى الرشوة و الدسائس الأخرى ، إذ من العجب ان نجد انساناً طبيعيّاً واعياً و هو يندفع في عمل اندفاعاً لا شعورياً و يعيش مشردا و بالتالي يفدي حياته لذلك الأمر دون أن يعرف السبب ـ انتهى .

أقول : لا حاجة لهذا التكلّف و الاحتمال البعيد لما سيأتي ذكره من اعلانه التوبة عما أعلنه من عقائد ثمّ معاودته لها هذا من جهة ، و من جهة أخرى لو كان الأمر كما احتمله و استقربه لماذا لم يفصح به كنيازنفسه لأنه أولى بذكره من غيره و لعدّه مفخرة في سجلّ مذكّراته و من جهة ثالثة طبيعة السيد على محمد المضطربة و المريضة و الّتي يسهل التأثير فيها و تلقينها ما يراد أن تعتقد به من تلقاء نفسها و كم أولئك الّذين ساروا في ركب مذاهب الضّلال و قدموا أرواحهم قرابين رخيصة .

و على كلّ حال فقد صمم السيد على محمد الشيرازي أن يعلن بأنّه الامام الغائب الّذي بشّر الرّشتي بقرب ظهوره و لكنه وجد الظرف لا

يساعده على الافصاح بذلك على النحو العلني في كربلاء لذلك قرّر الرحيل الى ايران ليعلن دعوته من هناك بعد أن أعطاه كنياز دالكوركي وعداً بارسال الأموال و الأعوان معه أينما حلّ .

و في ذلك يقول دالكوركي :

لقد بذلت جهوداً مضنيةً و أموالاً طائلةً و أقنعت السيد على محمد بأن يتوجّه الى ايران ليبدأ نشر دعوته من هناك و في شهر آذار من سنة ١٨٤٤ م وردتني منه رسالة يقول فيها بأنه في مدينة بوشهر و قد أعلن دعوته من هناك و أطلق على نفسه اسم باب اللّه و صاحب الأمر فقمت أنا بدوري بنشر الخبر في مدينة كربلاء و اعلام الناس بظهور صاحب الزمان .

بدأ نشاطه في مدينة بوشهر بممارسة السّحر و قراءة الكف و الرموز الكاذبة و تسخير الجن و الأفلاك من أماكن بعيده فعلى سبيل المثال صعد في أحد الأيام أحد سطوح المدينة المعروفة بمناخها الحار من أجل تسخير الشمس و استمرّ لساعات طويلة في أداء حركات غريبة و قراءة الكلمات السحرية .

و اشتغل مدة بعد ذلك في كتابة الأدعية و الأحراز الموهومة للأفراد البسطاء في هذه المدينة كما كان يزعم في البداية بأنه نائب الامام المهدي (عج) و بعدها أدّعى بأنه هو الامام المهدي ، و من ثمّ ادّعى النبوّة و الاتيان بدين جديد و قرآن جديد ، سمّاه البيان ، ملأه بالخرافات الشّنيعة و العبارات السّخيفة أثبت فيه ضلاله و كفره و جهله بأساليب العربيّة و فنونها و قواعدها .

قال خدله اللّه تعالى في أوّله مفترياً على امام العصر أرواحنا لتراب

مقدمه الفداء :

((الحمد لله الّذي لا اله الاّ هو العلي يا أيّها الحبيب اكتب من أيدي مولاك العجيب حجة اللّه الأكبر محمد بن الحسن صاحب الزمان سلام اللّه عليهما لشيعتك انّ هذه الصحيفة العظيمة في سبل الزيارة لأهل العصمة سلام اللّه عليهم قد خرجت من عندي ليعلم الموحّدين سبيل المعرفة في حقّ آل اللّه مواليهم الحقّ تاللّه الحقّ لو اجتمع أهل الأرض و السّماوات على أن يأتوا حرفًا بمثل بعض من أحرف هذه الصّحيفة الكريمة لن يستطيعوا و لن يقدرن ولو كنّا نمدّهم على سبعة آلاف بمثلهم على الحقّ الخالص و ان هو اللّه مولى العالمين قد كان على كلّ شيء شهيدًا و انّ تلك الصحيفة الجليّة قد كانت حجّة اللّه الأكبر من عند عبدنا هذا الفتى العربي الفصيح الّذي لا يعلمه أحد فى المقام الاّ اللّه و نحن آل اللّه الأطهار وكفى بحجّته باللّه و بنا على الحقّ بالحقّ شهيدًا و ما من نفس قد ردّ حرفًا من تلك الصّحيفة الأكبر أو يأوّل على غير قصد منشأه فتاللّه الحقّ لأقيمنّه على الصّراط في يوم الفصل حتّى أقرّ بالتقصير الأعظم هنالك أمزّقنّه بكلّ الممزّق بالعدل الخالص و انّ اللّه ربّكم الرّحمن قد كان عادلاً فى الحكم و هو اللّه قد كان على كلّ شيء قديرًا و لكلّ شيء محيطًا وعن العالمين غنيًّا و لقد فصّلته باذن اللّه على أربعة عشرة أبواب ، و لقد كتب اللّه بأيديه على كلّ باب في يوم الانشاء باسم نفسه بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و لذلك قد فرض اللّه على الكاتبين طاعته و ما من نفس قد تخطر بباله بالحقّ الخالص من أحرف هذه الصّحيفة القديمة حرفًا الاّ و قد كتب اللّه له ورود الجنّة و الأمن عن الفزع فى يوم المفزع ، و انّ وعد اللّه قد كان في تلك الصّحيفة المعظمة على الحقّ بالحقّ مقضيًا يا ملاء الأنوار

خذوا حظّكم بالاستكتاب بماء الصّفراء من الذّهب الحمراء أو المداد الحمراء على لوح البيضاء من هذه الصّحيفة مستتر الأسرار و آيات الطّور على هذا الجبل السّينا المستقرّة على نقطة وصف من وصف هذا الباب الأعظم المُدَّثِر منتهى مبلغ الثّنا و الهاء و هو اللّه قد كان بما تفعلون خبيرًا)) .

و قال لعنه اللّه في سورة سماها بسورة الأمر :

((انّا نحن نعطى ملكنا باذن اللّه على من نشاء من عبادنا و انّ اللّه قد كان واسعًا عليمًا انّ آية الملك من عند اللّه ذلك الكتاب و هذا في كتاب اللّه سكينة التابوت ممّا قد ترك آل اللّه تحمله الملائكة الى ذكرنا الأكبر هذا و هو اللّه كان على كلّ شئ شهيدًا)) .

و قال في موضع آخر منها :

((انّا قد فضّلناك على الأبواب بكلمتنا و انّك صراط علىّ فى كتاب اللّه قد كنت حول النّار مسطورًا و أنّا أشهدناك عند خلق الأشياء أجمعهم و انّك قد كنت بعين اللّه ناظرًا و منظورًا ، انّا جعلنا لكلّ وجهة و قد قدّرنا للسّابقين وجهتك أين ما تكونوا يأت بكم اللّه على ذلك الباب جميعًا)) .

و ممّا جاء فيها أيضًا :

((انّ في بدع السّماوات و الأرض و الجبال و البحار و الفلك المسخّر على الماء آيات لذكر اللّه البديع و كانّ اللّه عزيزًا قديمًا)) .

و جاء في سورة أخرى سمّاها بزعمه سورة الحزن :

((يا أهل الأرض لو اجتمعتم على أن تعملوا حرفًا بمثل حرف من عملي لن تستطيعوا بمثله و انّ اللّه كان على كلّ شئ شهيدًا)) .

و جاء فى سورة ثالثة سمّاها سورة الأفئدة :

((يا أهل الأرض تالله الحقّ انّ هذا الكتاب قد ملأ الأرض والسّماوات و بالكلمة الأكبر للحجّة القائم المنتظر بالحقّ الأكبر و انّ اللّه قد كان على كلّ شيء شهيداً هذا كتاب من عند اللّه قد أحكمت حجّته لمن في المشرق و المغرب ألاّ تقولوا على اللّه الحقّ الاّ الحقّ فوربّكم الرّحمن انّ حجّتي هذا (يقصد به نفسه) قد كان على كلّ شيء شهيداً أوحى اللّه اليك اقامة الأمر في الكلمة الأكبر و ادعُ النّاس الى الحقّ الخالص فإنّ اللّه قد كان عليك شهيداً و انّا نحن قد أوحينا الى داود و سليمان على حرفين من ذلك الكلمة و لذلك الحرفين قد كانا على الملك أميناً و انّ ذا النّون و ادريس و اسماعيل و ذا الكفل قد أدخلناهم في الظّلمات حتّى شهدوا في نقطة الباب للّه الحقّ أن لا اله الاّ أنت سبحانك انّا كنّا على الكلمة الأكبر حول الماء وِقافاً)).

و قال لعنه اللّه و ضاعف في جهنّم عليه سوء العذاب : في سورة سمّاها بسورة الذّكر :

((يا أهل العرش تالله الحقّ قد جاءكم الذّكر بالأمر البديع من عند اللّه ربّكم الّذي لا اله الاّ هو العليّ و هو اللّه كان عزيزاً حكيماً ، و انّ كلّ الأمّة نقطة حول الباب واحدة قد أوحى اللّه اليهم ألاّ تعبدوا الاّ اللّه الحقّ في سبيل هذا الباب لأنّه هو الغنيّ و أنّي أنا العليّ قد كنت بالحقّ قديماً و انّ يومكم هذا قد طوى السّماء في أيدي الباب كما بدعناكم على الحقّ بديعاً نعيدكم باذن اللّه على الأمر بديعاً و لقد كتبنا في كلّ الألواح ملك الأرض للذّكر الأكبر و انّ أمر اللّه قد كان في أمّ الكتاب مقضيّاً يا عباد اللّه اسمعوا نداء الحجّة من حول الباب انّ اللّه ربّي قد أوحى الى ربّي انّا قد أنزلنا هذا الكتاب على عبدك ليكون على العالمين

على الحقّ بالحقّ نذيرًا و بشيرًا)) .

و قال في سورة سمّاها بسورة الجبن :

((**تاللّه الحقّ** انّ الذكر ليجمعنّكم على الصّراط بالحكم و من أعرض عن الباطل و اتّبع الذّكر بالحقّ فقد فاز فوزًا كبيرًا ، يا **أهل السّماء** لقد ناديكم اللّه من شجرة السّينا انّي أنا اللّه الّذي لا اله**الّاهومن زار الذّكر** بالحقّ الأكبر فقد زارني على العرش ، و من أعرض عن كتابه و ندائه **فقد** ضلّ عن الصّراط و دخل النّار انّ المشركين يريدون أن يفرّقوا بين اللّه و ذكره و انّ اللّه قد أراد لذكره أن يتمّ نوره و أنّا قد رفعناك **فوق الطّور** لتأخذ عن ما في السّماوات و الأرض عهد اللّه الأكبر و لئلاّ يدخل النّاس باب المدينة الاّ سجّدًا للّه و انّا قد أشهدناك بالميثاق في الحقّ العلّي على الحقّ القويّ غليظًا فبنقضهم عهد اللّه و كفرهم بالذّكر لنطبع على أفئدتهم بالشّبه)) .

و لا حاجة بنا لسرد المزيد من خزعبلاته أو التعليق و الرّدّ و الدّحض و التفنيد ، و ما عليك الاّ أن تقرأها و تنفجر من **الضّحك** و الاستهزاء بأمثال هذه العقول الّتى صاغت أمثال هذه **العبارات** .

و نظرا لضعف عقيدته فقد أعلن توبته و ادّعى **البراءة من عقيدته** أمام الناس فى أحد مساجد شيراز ، و ذلك بعد مجلس بحث و نقاش بينه و بين الحاضرين الذين أوثقوا رجليه لضربه .

و قد تكررت هذه الحاله في مدينه تبريز و في هذه **المرّة أرسل** رسالة **الى شاه ايران** آنذاك يعلن فيها توبته .

الاّ أن **علماء** تبريز رفضوا توبته و حكموا باعدامه ثم تنازلوا **عن الحكم** لاعتقادهم باحتمال جنونه .

و انتشرت دعوة الباب فى بعض أنحاء العراق و ايران وواصل العلماء مجابهتهم لهذه العقيدة الباطلة العاطلة وهب الجواسيس في المقابل و أعداء الاسلام يدافعون عنها لما فيها من تنفيد لمآربهم .

و كان فى تلك الأثناء كنياز دالكوركى في كربلاء يتابع الأحداث و يتولى ادارة المؤامرة قال في مذكراته :

((كنت أقوم بارسال تقاريري الشهرية الى روسيا بواسطة أحد الأرامنه الساكنين في بغداد و ذات يوم علمت بوجود جواسيس انكليز ضمن طلاب مدرسة الرشتي و كانوا يرتدون ملابس رجال الدين برئاسة الجنرال الانكليزى جعيفرعلى خان و قد علم الانكليز بأني جاسوس روسي فأرادوا الوقيعة بي و ايذائي مما اضطررني الى الفرار من كربلاء و التوجّه الى روسيا ، و حين وصولي الى بلادي شكرتني حكومتي على ما قمت به في سبيل تمزيق الوحدة الاسلامية و أصدر القيصر أوامره بتنصيبي سفيرًا لروسيا في ايران)) .

و لمّا وصل الى طهران ثانيًا و قد خلع البزة الدّينية وعاد الى صورته الأصلية و حالته السّابقة كانت الأمور على أشدها و كان الباب قد وقع في الشراك الّتى احتفرها لنفسه حيث ثار الرأي العام الايراني على الباب و أنصاره الّذين عاثوا في الأرض فساداً و أثاروا القلاقل في أنحاء مختلفة من ايران مثل قزوين و مازندران و يزد و تبريز و زنجان للمطالبة باطلاق سراح الباب و الّتي أريق فيها الكثير من الدماء .

و قد وقع ذلك بالحكومة الايرانية الى أن تتدخّل لحسم الموقف وأصدرت أمراً باعدامه فتدخل حاكم اصفهان المدعو منوچهر خان گرجي العميل لروسيا وعاضدته السّفارة الرّوسية و كذلك السفارة الانكليزية ممّا

دفع بالحكومة الى تخفيف الحكم الى النفى من مدينه الى أخرى ومن سجن الى سجن ، و قد حاول السيّد على محمد الشيرازي أن يرتدّ عن رأيه ثانيًا لسنوح الفرصة خوفًا على حياته ، لكنّه فشل فى ذلك فآثر أن يختتم حياته بدعواه بأنه باب اللّه .

يقول كنياز د الكوركي عن تلك الفترة :

((و لمّا علمت بالقاء القبض على الباب خفت أن يفضحني لذا طلبت من الشّاه أن يتخلّص منه فورا باعدامه فأوعز الشّاه الى ولي عهده ناصر الدين أن ينفذ اعدامه فساقه ولي العهد الى قلعة ماكو حيث سجنه هناك و في تلك الأثناء رفع السّفير البريطاني تقريرًا الى حكومته جاء فيه :

((ان عقائد هذا الواعظ علي محمد الشّيرازي الّتي لا تخلو من شيء جديد ستذهب هباءً اذا ما تركت و شأنها و اذا ما أريد الحفاظ على هذه العقائد فإنّ الحاله تستدعي استخدام التّعذيب و العقوبات ضد من يعترض طريقها .

فعاودت الحكومه الانكليزيه تدخلها للحيلوله دون اعدام الباب الا ان الميرزا تقي خان الملقّب بأمير كبير أحبط مساعيهم و صدّر قرارًا قاطعًا في شأنه بوجوب الاعدام فورًا فأعدم شنقًا في ذلك السجن بواسطة سليمان خان الأفشاري رئيس أركان الجيش الايراني ، و كان ذلك سنه ١٨٥٠ م .

٣ ـ القرتية

شاركت الباب في تزعم حركة التمرّد و الردّة عن الاسلام امرأة تدعى زرّين تاج و تكنّى بأمّ سلمة تنتمي هذه المرأة الى عائلة دينيّة عريقة فوالدها الشّيخ محمد صالح البرغاني القزويني من علماء و مجتهدي ايران المعروفين و على الرغم من انها قد حظيت باهتمام و اعتناء بالغين من والدها الّذى كان يتعهّد تربيتها و تثقيفها و يكنّ لها حبّاً شديداً الاّ انّها قد أتّصفت بسلوك منحرف منذ أيّامها الأولى و شذوذ فكري و عقائدي، و هذا ما حذى بها لأن تعشق أحد المسيحيّين يدعى رافائيل و تتّصل به سرّاً و قد اتّفق ان كان جاسوسًا يعمل لحساب الدّولة القيصريّة في روسيا فنمّى في نفسها روح الانحراف و المروق حتّى آل بها الأمر الى أن تعلن عصيانها لأبيها و تخرج عن مجتمعها و محيطها و بيتها الّذي ضماها و اكتنفها منذ نشأتها الأولى لتلتحق كليّاً به و تسكن معه فى بيته بصورة دائمة من دون حياء و خجل و خوف لما بلغ بها الحال من طغيان و انحراف و بغي و فساد خلقي وادّعت الزواج به، و لمّا علم أبوها بخبرها انصدم و تأثّر أثرًا بالغًا و تبرّأ منها الاّ انّ عمّها الشّيخ محمّد تقي البرغاني أخرجها من دار رافائيل بالقوّة و تكفّلها لكي لا يصيبها سوء من أقربائها، و بعد فترة زوّجها بابنه لكي يحفظ شرف العائلة و ينهي حالة شذوذها و تمرّدها و انحرافها لما ستحظى به من استقرار نفسيّ و جوّ عائليّ و مسؤوليّة اجتماعيّة.

و في تلك الأثناء كانت الحكومة القيصريّة تتابع أخبارها بشغفٍ و ولعٍ شديدين عبر عميلها رافائيل و اعتماداً على ما أفادها في تقاريره عنها من تحلّيها بالمقدرة العلميّة و الثقافة الدّينيّة و اتّصافها بالانحراف الفكـرى بما يتّفق مع أهدافها و مخطّطاتها ...

و ما يدعم ذلك كلّه من الجمال الفائق الّذي امتازت به و القـدرة البيانيّة و الشّخصيّة الجذّابة و لذلك اضطرّت لأن توعز الى رافائيـل محاولة تهريبها الى العراق لتتعاضد مع كاظم الرّشتي في كربـلاء و تدعمه بوجودها و تؤدّي دورها المترقّب و المؤمّل .

و هكذا هجرت ابن عمّها الّذي تزوّجته أخيراً و فرّت الى كربـلاء متناسية عظمة حنو و عاطفة عمّها و سعيه الحثيث لضمان سعادتهـا و مصلحتها .

و قبل وصولها الى كربلا انهالت التقارير على الرّشتي من روسيا في وصفها و بيان خصائصها فاستبشر بها كثيراً و ترقّب قدومها بفارغ الصّبر و أطلق عليها لقب قرّة العين الاّ أنّ المنية قد عاجلته قبل وصولها فحطّت رحالها في مضيف الرّشتي و مجلسه و اتّصلت بعدها بأقطاب المدرسـة الرشتيّة و تعرّفت على فضلاء حوزتها العلميّة من أمثال الجاسوس الرّوسـي المتقدّم ذكره كنياز دالكوركي أو الشيخ عيسى اللنگراني و الجنـرال البريطاني جعيفر على خان و السيّد على محمد الشّيرازي و شيخ البهائيّة حسين على النّوري و خليفة الباب يحيى على النّوري و جمع من العمـلاء و المأجورين الآخرين .

كان على محمد الشّيرازى يتهيّأ لاعلان دعوته الجديدة في تلـك

الأثناء فأعطيت الأوامر لها بالانضمام اليه و مؤازرته و بعد رحيله الى ايران قامت بتأدية أدوارها الموكّلة اليها فصارت بالتّدريج تلقي دروسًا خاصّة على طلاّب الحوزة العلميّة في مدرسة الرّشتي خلف ستار نصب لها و استحوذت على عقول و قلوب الطلبة بلباقتها وعذب بيانها وجمال صوتها حتّى فاقت حلقة درسها جميع الحلقات الدراسيّة الأخرى في مدينة كربلاء .

و في تلك الأوقات تردّدت الأنباء من ايران لتقرع مسامع النّاس بدعوة الباب و أفكاره الهدّامة .

استغلّت قرّة العين تلك الأجواء الشّاعريّة الّتى خلقتها وحالة الهيام .

لتعلن على مسامعهم هذا البيان :

((انّ هذا اليوم يوم عيد و سرور عام .. انّ أحكام الشّريعة المحمّديّة قد نسخت بظهور الباب)) .

فأحدثت به هزّة عنيفة فانبرى لها جمع بصورة خصوم يغلي في قلوبهم الحنق و ثائرة الانتقام في الوقت الّذي تصدّى جمع آخر من العملاء و الأُجَراء للوقوف في وجه أولئك و تولّى الدّفاع عنها بكلّ وسيلة و حيلة .

و نتيجة لذلك انقطع عن درسها كلّ مغرّر به و غافل بينما لازمها آخرون ، و لمّا علمت بذلك أمرت برفع السّتار الّذي كان حائلاً بينها و بين طلاّبها و أخذت تلقي دروسها و قد أسدلت خماراً على وجهها ، و لم تمض مدّة على ذلك حتّى دخلت في أحد الأيّام على طلاّبها مكشوفة الوجه و بكامل زينتها ممّا أثار دهشة الطلاّب بجمالها الصّارخ ، فصعدت على المنبر و بدأت بمدح الباب فقالت :

((لقد ظهر الموعود .. لقد ظهر الربّ الودود .. و انّكم ميّتون أيّها الغافلون)).

لقد رفعته هذا المرّة الى مقام الربوبيّة مرّة واحدة و وقف الى جانبها و صرف أنظار الناس عن التفكير بالتصدّي لها حسين على النوري مستفيداً من نظرتهم لبزة علماء الدّين الّتي كان يرتديها و الوقار و الهيبة المستشعرة في نفوسهم تجاهها.

و قد تجرّأت ذات يوم فنسخت حكم الحجاب اذ دخلت على حاشيتها و طلاّبها و هي سافرة تماماً و بكامل زينتها ممّا أثار عملها و جمالها دهشة الحاضرين بدرجة أكبر من الأولى و وقف الجميع حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر و لم يكن عملها هذا جزافاً فقد كانت تهدف لاعلان أمر خطير لا يمكن التصريح به و تقبله في حالة غير هذه الحالة الّتي ظهرت عليها في هذه المرّة، و قد انقطع الدّرس الى حيث لا رجعة و أصبح للظرف صورة كلاميّة أخرى فقد ألقت خطاباً طالبت فيه بتحرير المرأة من كلّ قيد و عرف شرعيّ و اجتماعيّ و بالغت في ذلك لتنهي حديثها باعلان الكفر و الالحاد بقولها:

((انّ اللّه ليس له وجود بالمعنى الصحيح و ليست له صفات و انّما يتمثّل في بعض الأشخاص كما حلّت ذاته المقدّسة في نفسي و لذا فأنا طاهرة و على الجميع اطاعتي)).

و نتيجة لذلك و ما سبق انحصر الحضور لدرسها في الشباب و المراهقين و المتسكعين في الشوارع الّذين أخذوا يحومون حولها و يدعونها بشمس الضّحى و بدر الدّجى و ما الى ذلك من الألقاب المزركشة و كانت تنتقد الأحكام الاسلاميّة على الدوام و تأتي بآراء

المخالفة لها ، و قد سألتها أحد النساء الكربلائيّات السذج ذات يوم عن الحكمة الّتي اعتمدها الشارع المقدّس حين سمح للرجل بالزواج من أربع بينما لم يسمح للمرأة بذلك فأجابتها بقولها :

((انّى لا أرى مانعاً شرعيّاً للمرأة أن تختار لنفسها تسعة أزواج في وقتٍ واحدٍ)) .

و بلغت بها الجرأة ذات يوم و هي تخطب أمام طلاّبها و عشّاقها أن كشفت عن صدرها و أبدت ثدييها و خاطبتهم بقولها :

((لماذا تذهبون الى الكعبة لتقبيل الحجر الأسود ، تعالوا و قبّلوا هذا الصّدر الأبيض)) .

فتبعها جمع غفير من الشباب الطائش و المنحط الّذين كانوا يتفانون في حبّها حتّى عرفوا ((بالقرتيّة)) .

و صارت تحت حماية الكشفيّة و البابيّة و العملاء من مبعوثي الدّوائر الاستعماريّة ترتقى المنبر في الحائر الحسيني الشريف و هي سافرة فجنّ جنون العلماء و الغيارى المخلصون الملتزمون فأبدوا ردود فعل عنيفة و محاولات مستميتة لطردها من كربلاء و كادت تحدث ثورة شعبيّة ضدّها فاضطرّت لهجرة كربلاء لاستحالة الصمود مع تلك الأجواء الرافضة و الاقامة في بغداد فى بيت أحد المأجورين يدعى الآلوسي لمدّة عدّة أشهر .

و قد نقل عنها أن كانت تقول بحلّ الفروج و رفع التكاليف ، و يظهر من كلامه هذا انه كان من أعظم الدوافع التي أدّت به الى استضافتها هذه المدّة الطويلة و في أعقاب اجبار الحكومة العثمانيّة لها على مغادرة بغداد تلافياً لأحداث العنف و السخط توجّهت الى قزوين مسقط رأسها مع حاشيتها و لمّا استقرّ بها المقام أخذت تعزف بنغمتها القديمة بعد

أن تنازلت عن ادّعاء مقام الربوبيّة و تدعو الى الباب و انّه صاحب الزمان ، فاختنق عمّها بعبرته و جاش في قلبه ألم مرير لما ترتكبه من جرائم و تصلف و مكابرة وعتوٍ وعناد على الضّلال و التمسّك بالباطل رغم محاولاته الحثيثة لاصلاحها و هدايتها ، و لم يجد بدّاً هذه المرّة من مقاومتها ومناهضتها و اشهار السلاح في وجهها بعد اليأس الذي دبّ في قلبه من احتمال عودتها الى رشدها و استقامتها فصار يحرض الناس عليها في كلّ مناسبة و بعد كلّ صلاة و يلعنها و يلعن من وقف معها و أيّدها و جرأها على اضلال العباد و افساد البلاد .

و لمّا رأت قرّة العين تنامي مظاهر السخط ضدّها بسبب عمّها الّذي كان من أبرز علماء قزوين دبّرت مؤامرة لاغتياله بالاتّفاق مع حاشيتها لتخمد أنفاسه و تستريح من شرّه ، و بينما كان عمّها يؤدّي صلاة الصبح في مسجده اذ هجم عليه المتآمرون تتصدّرهم قرّة العين الّتي بدأته بضربها ثمّ انهال عليه بقيّة الأزلام الخونة بالطعن و التجريح بالسكاكين فخرّ صريعاً مضرجاً بدمائه .

و لمّا علم الناس بالخبر المفجع ثارت ثائرتهم و عظم حنقهم وسخطهم وحدث هياجاً عارماً ضدّها و ضدّ أتباعها من الكشفيّة و البابيّة ممّا دفع الحكومة الى القاء القبض عليها وعدد من حاشيتها و أودعتهم رهن الاعتقال بعد انكشاف خيوط المؤامرة و ملابساتها ولم تلبث في سجنها طويلاً فقد أرسل اليها حسين على النوري بعدد من أنصاره و أعوانه ساعدوها على الفرار و الهرب حيث توجّهت مع كبار الكشفيّة و البابيّة الى قرية "بدشت" على نهر شاهرود وعقدت أكبر مؤتمر للبابيّة هناك ضمّ اليه عدداً كبيراً من أبناء تلك المنطقة ، وكان ذلك في عام ١٨٤٨ م و ألقت

خطاباً أعلنت فيه نسخ جميع الأحكام الاسلاميّة بقولها :

((انّ أحكام الشريعة المحمّدية قد نسخت جميعها و انّ أحكام الشريعة الجديدة لم تصل لحدّ الآن و ان اشتغالكم بالصوم و الصلاة و الزكاة و سائر ما جاء به محمّد كلّه عمل لغو و فعل باطل و لا يعمل به بعد الآن الاّ كلّ جاهل و مغفل)) .

ثمّ تطرّقت في تتمّة حديثها الى عظمة الباب و شريعته الجديدة الّتي سوف تسحق الشرائع جميعها لملائمتها لظروف العصر و أعلنت عن تلك الفترة بأنها فترة النسخ .

فلا توجد فريضة خاصّة لحين وصول و تعميم فرائض الباب فعلى هذا لا توجد محرّمات ممنوعة مطلقاً و كلّ عمل جائز مشروع ثمّ أضافت قائلة :

((... لا أمر اليوم و لا تكليف و لا نهي و لا تعنيف فانّنا اليوم في زمن الفترة فاخرجوا من الوحدة الى الكثرة و مزّقوا الحاجز بينكم و بين نسائكم فما هنّ الاّ زهرة الحياة الدّنيا و الزّهرة خلقت للضمّ و الشمّ)) .

و ما كادت تنهي حديثها حتّى انتشر خبرها بين الناس وعلموا دخائل نفسها و ثاروا عليها كما ثاروا على الباب من قبلها فألقت الحكومة الايرانيّة القبض عليها و أودعتها السجن ثانيا و كان الباب في ذلك الوقت لا زال على قيد الحياة في سجن (ماكو) في محافظة تبريز و لمّا أرسل خبرها اليه في السجن و سئل عن صحّة ما أخبرت به عنه أقرّها و أيّد دعواها فأصدر الشاه في حينها الحكم باعدامه فوراً .

أمّا قرّة العين فانّه بعد اعتقالها صدرت الأوامر الى محمود خان كلانتر محافظ طهران بأن يكون مسئولاً عنها ريثما يتمّ التحقّق من جرائمها

وحاول الشاه في تلك الأثناء تقويمها و اعادتها الى حضيرة الاسلام بواسطة بعض علماء الدين لكنّها جابهتهم بقولها :

((الى متى تسيرون وراء هذه الأكاذيب و الخرافات الجنونيّة)) ؟

فلم يجدوا مناصاً من اعلان كفرها و ردّتها و وجوب قتلها للتخلّص من بلائها و وبائها .

و اختلفت الأقوال في طريقة اعدامها على ثلاثة أقوال :

(الأوّل) انّها وضعت في فوهة مدفع و أطلقت عليها قنبلة مزّقتها تمزيقاً .

(الثّاني) انّها ربطت من شعرها بذيل بغل فسحبت الى المحكمة و أحرقت هناك بعد خنقها .

(الثالث) بأنها قتلت خنقاً في دار المحافظ ثم القيت في بئر كانت هناك و هيل عليها التراب .

و بهذا انتهت مرحلة مروّعة على يد هذه المرأة التي باعت نفسها و وجودها للشّيطان و سخّرت نفسها كمعول هدم للدّين و أداة طيّعة في يد أعدائه لمحق وجوده و سحق كيانه .

٤ - صبح الازل

بعد اعدام علي محمد الشيرازي خلفه يحيى علي النوري الآنف الذكر و الملقّب بصبح الأزل حيث ادّعى لأتباع الشيرازي انّه قد حصل على وصيّة خطّية من علي محمد الشيرازي بعث بها اليه قبل اعدامه تأمره بتولّي زعامة البابيّة من بعده .

و اتّخذ البابيّة بعد اعدام الشيرازي السريّة و التكتّم على أفرادهم و تجمّعاتهم سمةً بارزةً لحياتهم و نشاطاتهم تلافيًا للفتك بهم و ابادتهم و خاصّة بعد افتضاح أمرهم و ذيوع أبناء انحرافهم و تآمرهم على الدين و العقيدة الاسلاميّة ·

و قد تمكّنوا من افتعال بعض الحوادث خلال السنتين الّتي تلت اعدام الباب اعدم على أثرها عدد من الأفراد بتهمة تدبير مؤامرة لاغتيال شاه ايران آنذاك، وبعض أعضاء الحكومة و لمّا انكشفت زيف الادّعاءات و بطلان دعاوي الاتّهام و الوشاية بالضحايا ازداد ضغط الحكومة القاجاريّة على أتباع الطائفة البابيّة فقتلت الكثير منهم و بعثت العيون للبحث عنهم و رصدهم و اعتاء آثارهم فاضطرّ يحيى على النوري صبح الأزل للهروب متنكّراً بملابس الدراويش خوفًا على نفسه بينما لجأ أخوه حسين على النوري الى السفارة الروسيّة في طهران و تحصّن بها بعد أن انسدّت عليه جميع المنافذ للهرب من بطش الشعب و الحكومة و نظرًا لاصرار الحكومة آنذاك على استرداده و ارسال الشاه كتابًا رسميًا يطلب فيه تسليم حسين على النوري فقد وافق السفير الروسي على تسليمه شريطة الحفاظ على حياته فأودع السجن نتيجة للضغوط التي مارسها السفير الروسي و تدخّل الحكومة القيصريّة في الأمر ثمّ سفّر الى بغداد فبعث حسين على النوري برسالة ثناء و تبجيل و شكر للامبراطور الروسي ذكر فيها خدماته لأسياده الروس كما أبلغ عظيم شكره و امتنانه للعناية الدائمة الّتي يحيطها البلاط الامبراطوري القيصري به لضمان راحته و سلامته ·

و بفضل الجهود الّتي بذلتها الحكومة الروسيّة و المساعدات الّتي قدمها والي بغداد بالايعاز من الروس فقد أصبح البابيون من أتباع

الدولة العثمانيّة و نظراً لازدهار حالتهم المعيشيّة و الرفاه المادّي فقد بدأ الصراع و الاقتتال بين زعماء هذه الفئة للسيطرة على زمام أمور هذه الفئة فكلّ من كان عنده رسالة خطيّة أو مزوّرة من الباب كان يدّعي بأنّه خليفته .

هذا من جهة ، و من جهة أخرى فانّ فتن البابيّة و فسادهم وعمليّات السرقة و السطو التي كانوا يمارسونها بحقّ المسلمين دفعت علماء الدّين في العراق للتّصدّى لهم بقوّة و شراسة فحدثت مشاحنات دمويّة بين الطّرفين .

و للدعم الّذي كان يولّيه الوالى البغدادي لهم فقد اضطرّ الناس الى تقديم شكواهم الى الحكومة الايرانيّة لأنها كانت تمثّل التكتّل الشيعي فمارست صلاحيّاتها و موقعها للتأثير على الحكومة العثمانيّة من أجل ابعاد البابيّين من بغداد فاستجابت لها الدولة و أبعدتهم الى الاستانة في بادى الأمر ثمّ الى أدرنة .

و في ادرنة ادّعى حسين على النوري بعد تزويره مجموعة من الوثائق بأنّه الممثّل الشرعي للباب و أخذ يعادي أخاه يحيى على النوري فانشقّ البابيّون الى تكتّلين بينهما و حدثت مشاجرات و اضطرابات بين مؤيّديهما ، و قد دفعت بكلا الطرفين لفضح الآخر و الوشاية به عند الحكومة العثمانيّة و قد كشفت هذه المنازعات الكثير من الارتباطات المشكوكة بين البابيّة و السفارات الأجنبيّة للدّول المعادية للدّولة العثمانيّة و قد دفع ذلك بالدّولة العثمانيّة الى القيام بمحاكمتهم ثمّ ابعادهم الى خارج قلب الامبراطوريّة فأبعدت يحيى علي النوري وأنصاره الى قبرص و حسين على النوري الى عكّا في فلسطين .

و بعد أن شعرت روسيا باضطراب يدبّ في دسائسها و مؤامراتها جرّاء ذلك الانشقاق و الانقسام سحبت تأييدها من يحيى علي النوري و فرّقت شمل أتباعه و معاونيه و ركّزت ثقلها على تأييد حسين على النوري و دعمه و تقويته لينهض من جديد بمؤامرة أخرى.

—٥—

البهائية

بعد أن صفا الجوّ لحسين على النوري لقّب نفسه بهاء اللّه، و ادّعى بأنّ الباب (على محمد الشيرازي) كان الممهّد لمجيئه و أطلق عليه لقب القائم لتهيئة الأرضيّة لدعوته و بينما لقّب نفسه بالقيّوم ثم ادّعى الألوهيّة و ذلك بادّعاء حلول اللّه في شخصه كما فعل من كان قبله و لقّب نفسه ببهاء اللّه و أعلن انّه مظهر أو منظر اللّه الّذي يتجلّى في طلعته جمال الذات الالهيّة.

و ادّعى نسخ الاسلام من جديد لأنه شغل أسياده القياصرة الشاغل و جاء بقرآن آخر أسماه (الأقدس) على غرار قرآن الباب المتقدّم.

و ضروري أن نعرف انّ الحكومة القيصريّة الروسيّة كانت تقف و بقوّة الى جانبه و تمدّه بالأموال و الاتباع حتّى استفحل شأنه و عظم خطره فوجدت الحكومة العثمانيّة ذات الصبغة الاسلاميّة نفسها في مأزق حرج للضغوط الّتى تمارسها الامبراطوريّة القيصريّة عليها فانتهجت سياسة المراقبة و المضايقة له و لأتباعه حتّى اضطرّته لطلب الرّحيل و العودة الى ايران فكتب رسالة يتضرّع فيها الى شاه ايران آنذاك ليسمح له و لأتباعه

البهائيّين بالعودة الى ايران الاّ ان عدم اكتراث الحكومة القاجاريّة بالرسالة دفع حسين علي النوري الى أن يكتب رسالة تملّق و استجداء و تأييد الى الحكومة العثمانيّة و وافاه الأجل في هذه الأثناء فخلفه ابنه عبّاس حسين على النوري.

عبدالبهاء

أطلق ابنه على نفسه اسم عبّاس أفندي و لقّب نفسه بعبد البهاء وكتم أمره في الظاهر لتظاهره بالاسلام و تأييد الحكومة العثمانيّة بصورة مستمرّة ليتحاشى قرارَ ابعاده و طرده و سياسة التضييق و المراقبة الّتي قامت بها الحكومة العثمانيّة زمن والده.

قال الشيخ أبو زهرة:

و الجدير بالذكر انّ فكرة الحلول الالهي عدلت من ابن البهاء الذي ورث أباه و هو عباس افندي الّذي لقّب نفسه عبد البهاء و قصد من هذا التعديل التخفيف من نفور الناس من البهائيّة كما عدل فكرة نسخ الأديان و سمّى البهائيّة رسالة اصلاحيّة اجتماعيّة، و ذلك ظاهراً و هو المتأثّر بالغرب الأوربي و الامريكى حيث زارهما و أدخل مجموعة تعاليم سياسيّة تناسب المكان الذي ازداد انتشار البهائيّة فيه و هو شيكاغو المركز العالمى الحالي للبهائيّة.

عبادات البهائيين

كانت الصلاة زمن الباب ركعتين فقط في الصباح ثمّ أصبحت زمن

البهاء تسع ركعات و كانت القبلة زمن الباب مسجد شيراز ثمّ تحوّلت في زمن البهاء الى مدينة عكّا حيث عاش و مات فأصبح قبر البهاء قبلة البهائيّين و في هذا يقول : ((اذا أردتم الصّلاة فولّوا وجوهكم شطري الأقدس)) كما أوصى أتباعه بهدم المسجد الحرام و الكعبة في مكّة المكرّمة

و أمّا بالنسبة للصوم فهو عند البهائيّين تسعة عشر يومًا و يكون في شهر آذار يبدأ من اليوم الثاني و ينتهي في اليوم العشرين منه .

تخضرم البهائية

بعد ثورة اكتوبر و تسلّم البلاشفة زمام الأمور في روسيا قطعت الحكومة الجديدة مساعداتها عن الفرقة البهائيّة بحجّة انّها كانت تتعاون مع الحكومة القيصريّة السابقة فقبل سقوط حكومة القياصرة كان حجم المساعدات الروسيّة للفرقة البهائيّة قد انخفض بشكلٍ حادٍ نتيجة للأزمة الاقتصاديّة الخانقة التي كانت تمرّ بها الدولة فاتّجه عبد البهاء الى الانجليز و مدّ يد التعاون لهم و أخذت الفرقة البهائيّة تتجسّس لصالح بريطانيا ضدّ مصالح الدولة العثمانيّة و قد كان للبهائيّين الفضل العظيم على بريطانيا في الحرب العالميّة الأولى بتمهيد السبل و الطرق لدخول الجيش الانجليزي الى فلسطين و تقديم الأسرار و المعلومات الضروريّة له .

و بعد أن اطّعلت الدولة العثمانيّة على حقيقة الدور الّذي لعبه عبّاس افندي من التجسّس لصالح بريطانيا و ضلوعه في مؤامرة الاجتياح و الاحتلال لفلسطين أوعزت الى (جمال باشا) قائد القوّات العثمانيّة : باعدام عبّاس أفندي غير انّ المخابرات البريطانيّة (انتجلنت سرويس)

أحسّت بذلك فقامت بحمايته و المحافظة عليه و أرسل بلفور وزير خارجيّة بريطانيا برقيّة الى الجنرال (اللنبي) قائد القوّات الانجليزية في فلسطين يؤكّد فيه ضرورة الحفاظ على حياة و سلامة عباس افندي و أفراد الفرقة البهائيّة .

و بعد انتهاء الحرب العالميّة الأولى منحت الحكومة البريطانيّة نوط الشجاعة المسمّى (نايت هود) لعباس افندي و ذلك في حفلة رسميّة كما منحته لقب (سير) و قد قابل عبد البهاء بدوره الكرم الانجليزي ببرقيّة الى الملك البريطاني أشبعها بالتبجيل و الثناء على سيادته .

و بعد موت عبد البهاء أرسلت السفارات و القنصليّات البريطانيّة في الشرق الأوسط برقيّات و رسائل تعزية و تضامن لزعماء البهائيّة كما أمر (ونستون تشرشل) وزير المستعمرات آنذاك الجنرال (اللنبى) لكي يعرب نيابة عن الحكومة البريطانيّة عن احرى تعازيها الى البهائيين ، و قد شارك (سرهربرت صموئيل) المندوب السامي لبريطانيا و (سرد ونالد هربرت) المندوب السياسي للحكومة البريطانية في الشرق الأوسط و جمع كبير من المسؤولين الانجليز في تشييع جنازة عبد البهاء .

و ممّا تجدر الاشارة اليه ان (سرهربرت صموئيل) كان أحد مؤسسي دولة اسرائيل .

و طبقًا لوصيّة عباس افندي (عبد البهاء) أصبح حفيده شوقي افندي المصاب بالشذوذ الجنسي رئيسًا لهذه الفرقة التي تحوّلت في عهده الى جهاز خطر يخدم السياسة الاستعمارية البريطانية بصورة فعّالة فقام شوقي افندى بتأسيس المحافل البهائية بالتعاون مع المخابرات البريطانية في (كمبالا) أبان سيطرة الانجليز على اوغندا كما قام أيضا بتأسيس محافل

أخرى فى امريكا و مختلف أرجاء العالم بالتعاون الوثيق مع المحافل الماسونية حيث ذاب معها في أهدافها و نواياها و مخطّطاتها .

و لما لم يكن هناك ابن يخلف شوقي افندى فقد عيّن هذا الشخص تسعة أفراد يمثّلون المجلس العالمي للبهائية كما قام قبل موته بتشكيل نواة بيت العدل الأعظم أو ما يسمّى بدائرة شؤون البهائيّة في العالم و أوصى أن يترأس دائرة بيت العدل هذه (تشارلز ميسن ديمي) و هو عضو فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

و هكذا كانت النهاية التي صارت اليها هذه الفرقة الهدامة في يومنا هذا و خاتمة سلسلة التآمر القيصري البغيض على عالمنا الاسلامي بعد أن جرعته الآلام و الغصص و أودت بحياة المئات و عقائد الألوف من أبنائه و عاثت بكرامته و قداسة عقيدته و استقامة أوده .

كلمة أخيرة

و لم يقف التآمر القيصري الروسي على العالم الاسلامي الى هذا الحد ، بل تجاوزه عند اقتطاع أراض شاسعة اسلاميّة و ضمّها الى سلطته .

بدأ ذلك الاتّجاه الخطير مع اقتراب الحرب العالميّة الأولى من نهايتها فتحرّكت قطعات عسكريّة تابعة للجيش القيصرى باتّجاه ايران و قامت باحتلال ستّ جمهوريّات اذربيجان و تركمنستان و تاجكستان و قازقستان و قرقيزيا و جزء من ارمينيا و التي كان القسم الأكبر منها واقعًا داخل لحدود الدولة الايرانيّة و نفوذها و نظرًا لضعف الدولة القاجارية

و مشارفتها على الأفول يومها و وقوع ملوكها في أحضان المستعمرين فقد قبلوا بخطوة الضمّ هذه و وقّعوا على التنازل عنها في أكبر عمليّة خيانيّة قاموا بتنفيذها .

و بهذا المنعطف المأساوي لعالمنا الاسلامي استطاعت جيوش القياصرة احتلال القسم الشمالي من ايران أما الجنوب فكان من نصيب بريطانيا بينما أقيمت في الوسط دويلة ايرانيّة هزيلة و جاء هذا التقسيم تطبيقاً لاتّفاق عام ١٩٠٧ م بين بريطانيا و روسيا القيصريّة .

و قد تحرك الجيش القيصري بعد ذلك على الحدود العراقيّة على ثلاث جبهات في خانقين و السليمانيّة و راوندوز و كانت مهمّة احدى وحدات هذا الجيش التقدّم نحو بغداد على طريق همدان كرمنشاه ـ خانقين ـ بغداد أما الوحدة العسكريّة الثانية فكانت مهمتها تهديد السليمانية و راوندوز و التقدم نحو الموصل و لكن هذه التحرّكات لم تنفذ بدقّة فلم تسفر عن أيّ نتيجة سوى بعض الاختراقات العسكرية و احتلال بعض المدن و المناطق العراقية لفترات زمنية قصيرة كما حدث في جبهة راوندوز لقد كان لتأزم الحالة السياسية في روسيا و لاندلاع الثورة في اذار سنة ١٩١٧ م و انهيار النظام القيصري أثر في ذلك فقد أدّى الى توقّف الرّوس شرق نهر ديالي و شروعهم بالانسحاب الى داخل ايران عن طريق كرمنشاه ـ همدان في حزيران عام ١٩١٨ م .

و قد تمكّنوا من السّيطرة على منطقة پنجوين أثر هجوم شديد في ٣٠ / حزيران عام ١٩١٧ م لكنهم طردوا منها بعد ثلاثة أيّام و استتب الموقف بعد ذلك على الحدود العراقية حتّى أواخر كانون الأوّل عام ١٩١٧ م اذ تمّت الهدنة الرّوسية التركية .

و بذلك تعد ايران من أشدّ الدّول تضرّراً من التكتّل الروسي و بالخصوص في العصر الحديث من قِبَل حزب توده صنيعة الشيوعيّين و الذي قضت عليه الحكومة الاسلامية بعد قيام ثورتها المباركة ، الاّ ان أراضيها الشاسعة المحتلّة لا زالت ترزح تحت وطأة الرّوس و نأمل و نسأل اللّه عزّ و جل أن يرينا ذلك اليوم الذي تسترجع فيه الى الوطن الأم الوطن الاسلامى الكبير .



الجبهة الهندوكية

يزعم الهندوكيون بأنّ الهند بلادهم و بلاد أجدادهم تماماً كما يدّعي اليهود بملكيّتهم لفلسطين أرض الأنبياء و الدّيانات السّماوية على امتداد تاريخ الانسان، و استدلّوا على ذلك باسم البلاد الذي تحمله و هو (هندستان) أي: بلاد الهناكة.

الاّ انّ التحقيقات العلميّة قد أكّدت على ان أصل سكّان الهند يرجع الى هجرة بعض القبائل من سومطرة و استراليا و سيلان، و كانوا قصار القد عريضو الأنف سمر البشرة.

ثمّ وفد عليها غزو من الشّمال للدراورييّن من سكّان شواطىء البحر الأبيض المتوسّط و قيل من سكّان العراق و استولوا عليها ممّا دفع أهلها الى النزوح للجنوب بعد هزيمتهم و أسّسوا امّة ذات مدينة و حضارة وعمران على غرار الحضارة البابليّة في العراق و الفرعونيّة في مصر، واتّصلت بهما تجاريّاً و دامت ثلاثة آلاف سنة ثمّ انقرضت و انقرض معها أهلها باستيلاء الآريين أجداد الهنادكة.

و قد اختلف العلماء في تعيين البلاد الّتي أتوا منها فقال قائل منهم انّهم من آسيا الصغرى، و قال آخر: انهم أتوا من اوربا الشرقيّة، و خاصّة المجر و النمسا، رحلوا عن بلادهم في طلب العيش، و اتّجهوا نحو المشرق، فأقام فريق منهم في ايران، و تقدّم آخرون الى الهند، فاستولوا على شمالها و استوطنوه و أقاموا فيه مدينة عظيمة على انقاض

المدينة الدراورينية و أوّل القولين أقربهما الى الصّواب لأنّ الامتداد الطبيعي للحركة الانتقالية للانسان الى كافة أنحاء العالم انما تمّت بعد الطوفان و هبوط سفينة نوح عليه السلام على الجودي باتّجاهات مختلفة الذي قيل عنه انّه في تركيا ·

وعلى كلّ حال فقد أصبحت عقيدتهم تعرف بالهندوكيّة ، و منها أخذ اسم البلاد ·

و لعلّ هناك أسماء آخر أطلقت على هذه المنطقة الّتي حلّوا فيها لم تصلنا بفعل اجتهاد الآريّين الدّؤوب في امحاء آثار أسلافهم فتمكّنوا من طمسها و أطلقوا عليها التسمية الجديدة و هي هندوستان ·

وعنوا بذلك بلاد الهندوك مثل عربستان و افغانستان وبلوچستان و نحوها ، و لفظ (ستهان) الذي خفّف حتّى صار(ستان) معناه باللّغة السنسكريتيّة البلاد ·

و أمّا بالنسبة لمنشأ هذه العقيدة فإنّ أصحابها الآريين يزعمون انّها قديمة قدم العالم لأنّ واضعها حسب قولهم هو كبير الالهة (برهما) و لكن العلماء استطاعوا بالاستقراء العلمي تحديد فترة نشوئها الى ألف سنة قبل الميلاد على أكثر تقدير اذا أخذ بعين الاعتبار الفترة الّتي تمّ فيها تدوين كتبهم الدينيّة ، و الى ألفي سنة اذا أخذ المقياس بالنظر الى تاريخ مجيئهم و احتلالهم للهند ·

وعلى هذين الاعتبارين فالدّيانة الهندوكيّة لم يكن لها سابق وجود يذكر في أيّ بقعة من بقاع العالم المختلفة قبل هذا العهد ، كما انّ أصولها الّتي عرفت عنها انّما كانت وليدة عقول حاكتها في زمن ما بعد الاستقرار و انشاء الدّولة المذكورة ، و بهذا الاعتبار فانّها تعدّ من أقدم

الديانات الوضعيّة في العالم ، و تمّ تأسيسها بعد استتباب الأمر لهم و خضوع سائر أطراف البلاد على اختلاف عقائدهم و تشتّت نحلهم فكتبوا أوّل كتبهم الدينيّة الّذي يعرف باسم ركويد ، أي: العلم الأقدس ، و هو عبارة عن مجموعة شعريّة تضمّ مأة ألف بيت من الشعر ، تحتوي على مواضيع مختلفة شتّى من قصص و تشريع فقهي عبادي سلوكي جنائي سياسي ، و يحتمل انّه قد تمّ تأليفها على امتداد مراحل متطاولة و عصور متتابعة ربّما استغرقت عدّة قرون حتّى آلت الى صورتها النهائيّة الّتي عرفت الى وقتنا هذا .

((كان تشريع الركويد ينطوي على الاعتقاد بآلهة متعدّدة منهم من يهب الخير و منهم من يدفع الضرر ، و منهم من هو شرّ كلّه ، و قد جاءتَ أسماء بعض آلهة الركويد كأسماء بعض آلهة الفرس ممّا يدلّ على انّ القوم اغترفوا غرفة أو غرفات من دين الفرس .

و بعد فترة الركويد الأولى ، بما فيها من آلهة كثيرة ، أخذت أسماء هذه الآلهة تتوارى رويداً رويداً حتّى لم تعدّ الاّ رموزاً عند الخاصّة من الناس ، و حلّ محلّها فكرة أو عقيدة الأضاحي و ما يتعلّق بها ، و لما كان البراهمة هم الّذين تولّوا القيام بمراسيم الأضاحي فقد كسوا أعمالهم هذه أنواعاً من القداسة و أسراراً غامضة و احتكروا هذه الأعمال لأنفسهم دون سواهم من النّاس ، فكان من جرّاء ذلك أن أصبح للتّعاويذ و للسّحر صولة و جولة ، و أصبح البراهمة سادةً و أرباباً و آلهةً .. و قد أهمل البراهمة الآلهة القديمة ، و صرفوا الناس الى الأضاحي على اعتبار انّها الوسيلة الّتي يكتسب بها المرء الخير و البركة في هذه الحياة و لكن يبدو بأنّ البراهمة قد اشتطوا في مطالبهم و أرهقوا العامّة بتصرّفاتهم حتّى

أعجزوهم عن الاستجابة الى ما يطلبون ، و لما كان الانسان بحاجة الى وسيلة لجلب الخير و دفع الضّر فقد اقتضت الحيلة لفريق من الناس ابتداع نوع جديد من الأضحية ، و هي تضحية النّفس لا التّضحية الحيوانية ، أي ان العامة لم يعودوا يؤمنون بفائدة الأضاحي الحيوانيّة ليتقرّبوا بها الى الآلهة بل آمنوا بأنّ هذا التقرّب يتمّ بتضحية النّفس ، أي: بقتل الأهواء و ذلك بممارسة الرياضيّات الرّوحيّة و البدنيّة الشاقّة ، و لكي لا يخسر البراهمة معركة النفوذ و السّلطة أزاء العامة و لكي لا يخسروا مكانتهم معها أيضًا ، عمدوا الى الباس أعمالهم ثوبًا قدسيًّا مستمدًّا من عالم الغيب فتوصلوا بعد بحث و تفكير الى فصل الجسد عن الروح ، أي: انّهم اعتبروا ، كما هي الحال فى جميع الأديان اليوم ، الروح شيئًا ، و الجسم شيئًا آخر ، و الجسم فانٍ ، و الروح خالدة. و من الرّوح الانساني ارتقوا الى الروح الأعظم ((برماتما)) و قالوا : انّ النجاة لا تكون بالأضاحي وحدها و لا بالرياضات وحدها ، بل باندماج الرّوح الأصغر ، روح المخلوقات ، بالروح الأعظم ، روح الآله الأعظم ، و هذا الاندماج لا يتمّ الاّ بالتناسخ ، و لكي ينال المرء الدّرجات الرفيعة في أدوار تناسخه العديدة لابدّ له من ارضاء الآلهة ، و ارضاء الآلهة يكون بأنواع من العبادات ، منها الهدايا و الأضاحي ، و منها الرياضات .

و هكذا فقد عاد البراهمة و استلموا زمام الأمور من جديد قبل أن يفلت من أيديهم ، و كان من جراء هذه الفلسفة الجديدة انّهم قسّموا الحياة الانسانيّة الى أربعة أدوار منها ما يقوم على التقدّمات ، و منها ما يقوم على الرياضات ، و قسّموا أنفسهم الى أربع طبقات رئيسيّة ، بالاضافة الى طبقات دنيا كثيرة و جعلوا منتهى الارتقاء في معارجها بلوغ طبقة

البرهمن .

وبذلك أعاد البراهمة الى أنفسهم ما كادوا يخسرونه أمام العامة وأصبح البرهمن آلهاً ، بل قد يفوق الآلهة في بعض الأحيان ، وخلال هذه الفترات التَّقَلُّبِيَّة كان الهنادكة يؤيّدون اتّجاهاتهم الجديدة بكتب جديدة يكتبونها فكتبوا ثلاثة كتب أخرى تعرف باسم (ويد) وهي : يجر ويد سام ويد ، أتهر ويد ، ثم بعد ذلك أضافوا كتاباً خامساً أسموه بالويد الخامس أو (بران) ، وكتبوا تفاسير للويد تعرف باسم أپنشد .

وفي زمن الأپنشد تحرّر الناس قليلاً من سلطة البراهمة وأصبح للملوك وللنساء الحقّ بالاشتراك بأعمال التقدّمات وكانت من قبل من حق البراهمة وحدهم .

وفى القرن الميلادى الأوّل جمعت جميع الطوائف معلوماتها الفلسفيّة ودوّنتها فى كتب أسمتها (شتر) ، وكتبوا غيرها كتبا كثيرة وكلّها اكتسبت ، مع مرور الزمن ، صبغة قدسيّة ، وليس بالامكان الخوض فى ذكر أسماء كلّ الكتب الهندوكيّة وأزمان كتابتها وأسباب ذلك ، لأنّ مثل هذا العمل يحتاج الى دراسة مستقلّة لا يتكلّف عناءها الاّ من يريد التعمّق وهى من اختصاص من يريد التعمّق فى فهم الديانة الهندوكيّة ، ولا يوجد بين علماء الهنادكة أنفسهم من قرأ كلّ الكتب الدينيّة الهندوكيّة ، واذا وجد فهو فذّ نادر .

ولذا فلاضير علينا اذا ضربنا صفحا عن هذه الناحية المعقّدة لاسيّما وان كل ما يهمّنا هو أن نلم الماما ببعض الأمور الّتى تساعدنا على فهم أهمّها وهو (منوسمرتى) أى الطّقوس والعادات ، وهو مجموعة التشريع الهندوكى .

ونحن لا نعرف متى كتب هذا الكتاب بالضّبط ، ولكن العلماء

يرجّحون بأنّه كتب في نحو المئة السادسة قبل الميلاد ، ويزعم الهنادكة بأنّ كاتبه أو واضعه هو الآله برهما وانّه علّمه الآله (منّو) وهذا بدوره علمه الحبر بهركو .

والدّين الهندوكي دين معقّد ولا يستطاع تعريفه بكلمات ، ولا بصفحات حتّى انّ الهنادكة أنفسهم لا يستطيعون ذلك ، وقد جرى بحث في الهند ذاتها ، في مطلع هذا القرن ، بين الهنادكة أنفسهم لوضع تعريف للدّيانة الهندوكية فلم يجدوا الاّ تعريفاً سلبيّاً ، وهو : انّ كلّ من يسكن الهند وليس من أهل الأديان الأربعة : الاسلام والمسيحيّة واليهوديّة والبوذية ، ويقدّس البقر فهو هندوكي ، وذلك لأنّ بعض الفرق تخالف فرقاً أخرى في اعتقادات رئيسيّة ، ثم انّها لا تخرج عن محيط الهندوكية ، وقد ينضم الى الهندوكية من الطوائف ما هو قريب منها من غير أن يكون هندوكيّاً مثل السيخ .

ويعتقد الهنادكة ، كما يعتقد اليهود ، انّهم شعب اللّه المختار ، لأنّ معنى (آريا) هو الطاهر أو المختار ، وتقوم ديانتهم على الصلة المباشرة بين البشر وبين اللّه وليس في دينهم مجال للأنبياء ولا للرسل بل انّ الانسان نفسه قد يكون انساناً وقد يكون الهاً ، ونحن لا نعرف بالتأكيد متى يمكن أن يكون المرء انساناً ومتى يكون الهاً ، أو أين تقف حدوده في الانسانيّة ومتى تبدأ في الألوهيّة لأنّنا نراهم في كثير من الأحيان ينزلون البرهمن منزلة دون منزلة الآلهة .

ويعتقد الهنادكة بالوحدة في التثليث ، فهم يعتقدون بأنّ (پرماتما) هو ربّ الأرباب وله ثلاثة أعوان يدبّرون ملكه ، وهم : برهما وشنو ومهيش ، ولكلّ واحد منهم عمل خاص ، فبرهما يخلق الخلق ،

و وشنو يتعهّدهم و يربّيهم ، و مهيش يهلكهم و يبيدهم .

بيد انّ هذا الثالوث لا يحد من عدد الآلهة بل عندهم آلهة كثيرة ، غير هؤلاء ، هي دون هؤلاء الثلاثة مرتبة ، هذا بالاضافة الى كثرة ما عندهم من أرواح خبيثة ضارّة تشبه ما نسمّيه نحن بالجنّ و الشياطين .

هذا ، و قد تطوّرت الهندوكيّة في ثلاثة أطوار ، و كانت في طورها الأوّل هنديّة خالصة ، و انتهى هذا الطّور في القرن الثالث قبل الميلاد ، ثم دخلت في طورها الثّاني و هو طور التأثّر بالعقائد الغريبة ، و ذلك بعد دخول الاسكندر الهند و اختلاط الهنود بجنوده الّذين كانوا خليطا من اليونان و المصريّين و الآراميّين و الكلدانيّين و الفرس والطورانيّين و غيرهم ، و الطور الثّالث يبدأ بالفتح الاسلامي ، في القرن السّابع الميلادي ، و ما تلاه من دخول المبشّرين المسيحيّين الهند بعد ذلك)) .

هذا بعض ما جاء في مقدّمة كتاب منوسمرتي نكتفي به على أن نقلب صفحات الكتاب قليلاً و ننقل منه بعض ما جاء فيه لتعريف هذا الدّين الى من لا يعرفه .

و أوّل ما يلفت النظر في الدّيانة الهندوكية هي الطبقات ، و ذلك انّ الهنادكة قسموا أنفسهم الى أربع طبقات رئيسيّة هي البراهمة و الكشتريين و الويش و الشودر .

وجاء في الفقرة ٣١ من الباب الأول من منوسمرتي قوله : و لسعادة العالم خلق برهما البراهمة من وجهه و الكشتريين من ذراعيه و الويش من فخذيه و الشودر من قدميه .

وجاء في الفقرة ٩٦ من الباب ذاته قوله : انّ أفضل المخلوقات هو

البرهمن و دونه الانسان و دونه الدواب .. فهو بهذه الفقرة رفع منزلة البرهمن فوق منزلة الانسان أو انّه أخرجه من الانسانيّة لكي يكون الهـًا .

و جاء في الفقرة ٩٩ قوله : انّ اللّه قد نزل الى هذا العالم بصورة البرهمن لحفظ الدّين .

و في الفقرة ١٠٠ قوله : ان كل ما في العالم هو ملك البراهمة ، لأنّ براهما خلقهم من وجهه .

هذا ، و قد اختصّت الهندوكية كلّ فرقة بعمل خاص فعهدت بالأمور الدينيّة البرهمن و بالجنديّة و الادارة للكشتري و بالزّراعة و التجارة للويش و جعلت الشّودر ، و هم الّذين يسمّون بالمنبوذين ، خدمًا للفرق الثلاث ، و لا يحقّ لامرئ من أيّ فرقة من هذه الفرق أن يتعدّى ما اختّصه به دينه ما دام حيّاً ، و لكن يحقّ للمرأ أن يرتقي من فرقة الى فرقة أعلى من فرقته بالعمل الصالح .

و ذلك لأنّ الهنادكة يعتقدون بالتناسخ فمن عمل صالحًا يرتقي مرّة بعد مرّة حتّى يكون الهـًا و من ساء عمله ينحطّ مرّة بعد مرة حتى يكون أدنى الحشرات و الديدان .

و ليس في الدّيانة الهندوكية آخرة و لا جنّة و لا نار بالمعنى الّذي يفهمه أهل الدّيانات الثلاث بل الآخرة هي آخرة المرء يوم يندمج بالاله الأعظم و يصبح الهـًا و الجنّة هي ارتقاؤه من فرقة الى فرقة أعلى بالتناسخ ، و النار هي انحطاطه ، و فناء العالم يعرف الهنادكة يكون يوم تندمج كل المخلوقات في اللّه و لا يبقى شيء في الأرض و لا في السماء سواه .

و كما يقسّم الهنادكة أنفسهم الى أربع طبقات رئيسيّة ، كما أسلفنا ، فأنهم يقسّمون حياة الانسان الى أربعة أدوار ، و قد افترضوا أن تكون

حياة الانسان مئة سنة وجعلوا كلّ دور من هذه الأدوار خمساً وعشرين سنة ، وهي دور التلمذة ثم دور العمل ، ثمّ دور العبادة ، ثمّ دور الزهد ، وهم يفترضون في كلّ هندوكي أن يقضي ٢٥ سنة في دور التلمذة أي دراسة أمور الدّين ، والتلمذة ليست كما نفهمها نحن ويفهمها كلّ العالم بأن يذهب التلميذ صباحاً الى المدرسة ويعود مساء الى دار والديه ، بل التلمذة عندهم أن يترك التلميذ دار والديه ويقصد استاذاً معروفاً في قريته أو مدينته يعيش عنده هذه المدّة ، ولما كان الأساتذة هم أنفسهم فقراء ولا يستطيعون أن يعولوا أحداً ، ولما كان التلميذ لا عمل له ، فقد فرضت الديانة الهندوكيّة على التلميذ أن يشحذ طعاماً له ولاستاذه وأهل استاذه وأسرته ، وليس في هذه الشحاذة شيء من العار بل هي ركن من أركان الدّين ، ولا يعطي التلاميذ الطعام الطبيخ بل يعطون الدّقيق والحبوب والسمن والملح والبهارات وكلّ ما يلزم للطعام فيجمع التلاميذ كلّ يوم ما حصلوا عليه مفترقين ويصنعونه طعاماً يأكلونه مع استاذهم وأهل بيته ، وهناك أصول وقواعد لدور التلمذة وللشحاذة وللحياة في هذا الدّور ، فاذا أتمّ المرء هذه الفترة من العمر تحلّل من التلمذة بحفلة خاصّة ثمّ أنه يتزوّج ويدخل دور العمل ، وعليه في هذا الدّور أن يعمل التلميذ والعابد أيضاً كما أعيل هو وهو تلميذ ، وبعد أن يقضي في هذا الدّور خمساً وعشرين سنة وينسل الأولاد يترك الدّنيا ويدخل في دور العبادة حيث يقضي خمساً وعشرين سنة ، فاذا كان من طويلي الأعمار وبلغ السادسة والسبعين يترك دور العبادة ويدخل دور الزهد ، وهو الدّور الذي يعيش فيه في الغلوات يقتات ممّا تنبته الأرض وينصرف الى العبادات والرياضات الشاقّة ، وله ان شاء

التخلّص من هذا الجسم أن ينتحر بطرق مشروعة مذكورة في كتاب منو سمرتي بالتفصيل ·

وفي الدّيانة الهندوكيّة جملة من الأمور الحسنة ولكن فيها من السيّئات ما يغطى على كلّ الحسنات ، فمن ذلك أنّ الهنادكة مازالوا الى يومنا هذا يقدسون كلّ الحيوانات والبقر بصورة خاصّة ، وقد بلغوا من تقديسهم ايّاها حدّا أنهم لا يبالون معه بأن يقتلوا مئات أو ألوفًا من البشر الأبرياء اذا بلغهم بأنّ بقرة ذبحت وكم وكم من الاضطرابات تحدث في الهند بين الهنادكة والمسلمين لمجرّد سماع الهنادكة بأن مسلمًا في قرية ما ذبح بقرة ، فينقض على تلك القرية العشرات والمئات من الهنادكة ويذبحون بدل هذه البقرة أهل القرية كلّهم ان استطاعوا ذبحهم ،وليس هذا بالحديث القديم ، بل هو حديث اليوم وحديث الغد مع الأسف ·

قبل عدّة سنوات تناقلت وكالات الأنباء العالميّة نبأ مفاده أنّ عشرات من علماء الهنادكة ذهبوا الى رئيسة وزراء الهند وطالبوها بعدم السماح بذبح البقر ، ومن الأمور المخزية الّتي تفرّق بين الهندوكي وبين كلّ الناس هو انّ الهنادكة يعتبرون كلّ الناس أنجاسًا مثل المنبوذين ، لا يجوز الاقتراب منهم أو مسّهم أو مؤاكلتهم ومجالستهم ، واذا خاطب هندوكي مسلمًا فانّه لابدّ له من الاغتسال وتغيير ثيابه حتّى يتطهّر أو حتّى يحقّ له أن يأتي بعمل دنيوي كالأكل والشرب ، وهم يرون أنّ كلّ الحيوانات أفضل من الانسان ·

ومّما يجذر ذكره ههنا أنّ نائب الملك رأى سنة ١٩٣٠ أنّ وجود آلاف من القردة الّتي تملأ شوارع العاصمة ، دلهي ، تشوه منظرها فقرّر نقل هذه القردة الى الغابات فقامت قيامة الهنادكة صحافة وجمعيّات

وعلماء تستنكر هذا العمل، لأنّه تدخّل في الدّين، ولكن نائب الملك أصرّ على تنفيذ الأمر، وقد أخذت آلاف من القرود من شوارع دلهي ونقلت على قطارات خاصّة الى الغابات من غير أن تمسّ بأذى، ولكن بقي بعض القردة في العاصمة.

واذا رأى فلاّحون صيّاداً صاد طاووساً أو قتل حيّة، قتلوه ان استطاعوا، ويكاد المرء يعجب من وجود عقول تدين بمثل هذه الحماقات وهي ليست عقولاً جاهلة بل عقول متعصّبة.

ويرى الهنادكة، مثل اليهود، انّ الغاية من الزواج نسل الأولاد فاذا لم يرزق الزوج ولداً أرسل زوجته الى شخص آخر لتحمل منه ويحمل هذا الولد اسم زوج الامرأة وليس اسم الرجل المستعار الذي حبلت منه، ولا يزال حتّى اليوم، في الهند رجال يؤجرون أنفسهم لهذه الغاية.

ولعلّ من أكره وأقبح ما يأتيه الهنادكة من أعمال هو انّهم اذا أذنب أحدهم ذنباً كبيراً ليس له كفّارة تكون كفّارته أن يمزج بول البقر بخثيها ولبنها بحليبها بزبدتها ويشرب هذا المزيج فيطهر المذنب، وهم يستعملون خثى البقر للاغتسال بدل الصّابون ويشربون أبوالها للتطهّر.

هذا قليل من كثير ممّا في الهندوكية من أمور يأباها العقل والمنطق ويمجها السّمع وتتقزّز النفس منه.

والتعصّب الهندوكي يفوق كلّ تعصّب ولا تدركه العقول السليمة، فالهندوكي لا يأكل في وعاء أكل فيه مسلم، من قبل، ولا يشرب في اناء شرب منه مسلم حتّى ولو غُسِل أو عُقِّم، ولست أقصد أن يأكل الهندوكي مع المسلم في وعاء واحد فهذا غير وارد، بل القصد انّ ما مسّه المسلم يبقى

نجساً الى أبد الآبدين ولا يجوز مسّه ، واذا لمس الهندوكي ثـــوب المسلم تنجّس بل انّ مجرّد توجيه المسلم كلامه للهندوكي ينجّســـه، واذا كان بعض الهنادكة يغفلون التقيد بهذه الأمور ظاهرًا واضطراراً خيفةً أن يكونوا هزؤاً و سخريّةً للناس فانهم في باطنهم يشعرون بأنّهـــم يرتكبون اثمًا عظيمًا تبرّره الحاجة لا غير أو أنهم من ضعيفي الايمان أو لئن شئت فقل من أهل العقول ، ولا بدّ لمن كلّم مسلماً أو سلّم عليه أو لمسه من أن يغتسل و ليطّهر .

هذا هو الدّين ، وأمّا اذا وجد أناس من الهنادكة لا يتقيّـــدون بأحكام دينهم بالمرّة فهم انّما يفعلون ذلك لأحد أمرين اما لأنّهم بلغوا منزلة رفيعة من العقل و التفكير فأدركوا الأمور على وجهها و أصبحـــوا يخجلون من أحكام دينهم و اما أنهم غير مؤمنين بدينهم أصلاً .

و الهنادكة كاليهود قد يتركون كثيراً من أركان دينهم لحاجـــات دنيويّة و لكنّهم لا يتركون تعصّبهم ، ففي شريعة موسى لا يجوز الاتيـــان بأيّ عمل يوم السبت فاليهودي لا يطبخ و لا يشعل ناراً و لا يطفئ مصباحًا و لا يركب مركوباً و لا يقطف زهرةً و لا يقتل حشرةً ، لأنّ كلّ هـــذه الأمـــور داخلة في حكم العمل ، و ها هم اليوم يعملون كلّ شيء ، و قد خرجوا من كلّ ما في الدّين اليهودي و لكنّهم لم يتنازلوا عن تعصّبهم و كذلك شـــأن الهنادكة فهم قد يستقذرون أن يشربوا بول البقر أو خثيها و قد ينكرون ، و هم خارج بلادهم ، كلّ هذه الأمور أو يقولون أنها طويت مع الماضـــي و لكنّهم ، مع ذلك ، تراهم يأبون العيش مع مسلم في بلد واحـــد ، كما يأبون مخالطته في بلادهم أو باصطلاح العصر أنهم يأبون التعايـــش السلمي .

هذا ، على الرغم من المساعي التي بذلها المسلمون في عهود حكمهم كلّها ، ولا سيّما في العهد المغولي ، للتقرّب من الهنادكة وتأليف قلوبهم ، فقد اعتبرهم بعض الأباطرة أهل كتاب و تزوّجوا منهم و أكرموهم و قرّبوهم بالوظائف العامية و الوزارات و القيادات و رفعوا عنهم الجزية و تركوا لهم الحريّة الدّينيّة و حموهم و حموا معتقداتهم و أكرموا مقدّساتهم بينما لو أرادوا القضاء عليهم جسديّا وعلى الهند وكيّة من أساسها لما كان عاقهم عائق ، و قد أراد بعض الملوك ذلك فمنعه العلماء .

و بدل أن يقابل الهنادكة هذا التسامح بتسامح مثله ، فأنهم ،على الضد ، ما كادوا يرون أفول نجم الامبراطوريّة المغوليّة و استيلاء الانكليز على البلاد حتّى انصبّوا على المسلمين يقتلونهم و يكيدون لهم بكل وسيلة و يعملون لمنعهم حتّى من أداء واجباتهم الدينيّة في كثير من الأحيان ، و كانوا يرون تغاضياً من الانكليز عمّا يفعلون لأنّ السياسة الانكليزية كانت تقضى بايقاع الفتنة بين الفريقين كما كانت تقضي باهانة المسلمين لكي لا تقوم لهم قائمة فلا يطالبون بملك و لا يسعون الى استقلال .

و انقض الهنادكة أيضاً على المسلمين سنة ١٩٤٧ بعد اعلان استقلال الهند اذ ظنّ الهنادكة أنّ معنى الاستقلال هو افناء المسلمين فكانت مذابح تشيب لهولها الأطفال و ارتكب الهنادكة أعمالاً مخزية تسود أنصع الصفحات بينما لم يكن ما يبررها أو يبرّر قيام الجار على جاره و الصديق على صديقه لا لشيء الاّ لاختلاف دينيّ بينهما .

انّ الهنادكة لا يغتفرون للمسلمين شيئاً واحداً و هو أنّ الدّين الاسلامي ببساطته و سهولته و نقائه قد جلب اليه و يجلب اليوم أيضاً ملايين من البشر الذين يقبلونه طائعين مختارين .

والهنادكة انطلاقا من تعصّبهم يخاطبون اليوم كلّ مسلمي الهند: انكم أيّها المسلمون من أصل هندوكي فامّا أن تعودوا الى دين آبائكم وأجدادكم أو أن ترحلوا عن هندوستان.

وبدهي أنّ هؤلاء المسلمين يستطيعون أن يغيّروا دينهم لو شاءوا ولكنّهم لا يريدونه أبدا بل انهم يفضلون الموت على الارتداد، وهذا ما لا يستطيع الهنادكة فهمه ولا اغتفاره لهم.

انّه لا مجال للمحبّة ولا للسلام ولا للوئام بين الهنادكة والمسلمين قط، وليس هذا قول مسلم متعصّب لدينه ولبني جلدته، بل هو قول كل منصف، وقد قال كثير من الناس مثله، وأكثر منه بينما هم بعيدون عن أهل الديانتين موطناً وعقيدة.

ومن ذلك ما قالته كاتبة امريكيّة، جاءت الهند منذ نحو أربعين سنة وكتبت كتاباً وصفت فيه الهنادكة والديانة الهندوكية بما هي أهله ويمكن تلخيص رأيها في العبارة التالية(١):

((لا يمكن أن تكون الهند امة قط حتّى تكنس منها الهندوكية مع خرافاتها وطقوسها الحيوانيّة)).

ويضاف الى قولها انه مادام نصف الهنادكة يمتهنون الاستجداء باسم

---

(١) اسم الكتاب The Land of the Lingam
واسم الكاتبة Arthur Miles .....
والجملة المذكورة جاءت في الصفحة السابعة من مقدمة الكتاب وهي بالحرف:
India can never be a nation until Hinduism with its superstitutions and bestly rits is swept out

الدين و ما دام الحيوان أفضل لديهم من الانسان فلن تقوم لهم قائمة ٠

و الهندوكيّة هى أكثر الأديان ، الموجودة فى هندوستان ، وعن الهندوكية انبثقت البوذية ، و هي ديانة تقوم على المبادئ الأخلاقية و تنكر وجود اللّه ، و أتباع البوذية قليل في الهند ، و في الوقت الذي ظهرت فيه البوذية ظهرت أيضًا الدّيانة الجينيّة أو ديانة (جين) و هي نوع من التصوّف المتزمّت و سارت على نقيض الدّيانة البوذية إذ انّها لم تكتفِ بالايمان بالرّوح الأعظم أي باللّه بل انها ادّعت لكلّ شيء روحًا في هذه الحياة حتّى الجماد ، و أتباع هذه الدّيانة لا يزيدون على بضعة ملايين و كلّهم في الهند ، و بالاضافة الى هاتين الدّيانتين اللتين انبثقتا عن الهندوكيّة من نحو ٢٥ قرنًا هناك ديانة أخرى ظهرت في مطلع القرن السادس عشر و لعب أتباعها دورًا ذا شأن في حياة شمال الهند السياسيّة ألا و هي الدّيانة الهكسيكية و التي يسمّيها العرب السيخيّة))[1]

نزعة التوسع والسيطرة

قال الدكتور مورتي الهندوكي استاذ الفلسفة في جامعة اندهرا الهنديّة في كتاب له يشرح فيه النظرة الهندوكيّة في السياسة الخارجيّة على ضوء كتبهم الدينيّة :

((انّ النظرة الهندوكيّة تشدّد على أمجاد الحرب و تدعو الى القسوة و الى الخديعة و الى الأطماع الاقليميّة))٠

---

(١) مأساة كشمير ، للدكتور احسان حقّى ٠

و أضاف كريشناشيتانيا في وصف هذه النظريّة في كتابه العلاقات الدّوليّة في التاريخ الهندي بقوله :

((انّ السياسة التوسّعية هي من تقاليدنا الأصليّة فقد جاء في كتاب برهمنا : (ان أعلى مراحل الملك هو خلق امبراطورية تمتد حتّى حدودها الطبيعية تشمل كل الأقاليم حتى البحار))) .

و يستطرد الكاتب فيقول : ان انهيار الدّول الهندية أمام ضربات الاسكندر جعل ولاة الأمور يدركون الحاجة الى قيام نظام استعماري قوي بغية توفير الاستقرار على الدّولة الامبريالية أن تجعل من نفسها مركز الجاذبية لمحيط سياسي جغرافي و لا بأس بالقضاء على استقلال الدّول المجاورة في سبيل بناء نظام امبريالي و ان الطّريقة الوحيدة للمحافظة على الحريّة هي تدمير الآخرين .

و قال في مقال له نشر في صحيفة تايمزاوف انديا التي تصدر في بمبي في عددها الصادر في ٢٤ يناير ١٩٦٥ م :

انّ الأدعاء الّذى يتردّد كثيرًا و القائل بأن الهند هي الدّولة الوحيدة في العالم التي تمارس سياسة خارجية عدوانية هو لحسن الحظ ادعاء غير صحيح و نحن لا ننكر هذه السّياسة لأنها داخلة في صميم تقاليدنا ان انهيار الدّول الهندية المقسمة أمام الاسكندر الكبير أقنع حكومة موريا بأن الحاجة تدعو الى قيام نظام استعماري قوي بغية توفير الاستقرار .

و قد نشرت صحيفة صندى ستاندرد الّتي تصدر في بمبى في عددها المؤرخ في ٢٤ يناير سنة ١٩٦٥ م كلمة عن كتاب سياسة الهند الخارجيّة لمؤلّفه ناندا مورتي استاذ الفلسفة في جامعة اندهرا جاء فيها :

((في السياسة الهندوكية الخارجية موقفان مختلفان يعتمدان على مراجع دينية و بعض أجزاء (مهابهارات) تمجد الحرب و تدعو الى القسوة و الخديعة و الطمع في بلاد الناس)) .

و قال اينكار في كتاب مبادى الدبلوماسية و ممارستها :

((اذا كانت ترغب في توجيه خصمك الى طريق خاطىء أو كنت ترغب بالحاق الضرر به و بسمعته لمّه على الرذيلة الكامنة في نفسك .

و قال في كتاب آخر له سمّاه مستقبل الهند و جنوب شرقي آسيا المطبوع سنة ١٩٤٥ م :

((اذا لم تكن القبضة قويّة على هذه المراكز البعيدة أي سنغافوره وعدن و كوريتا و اذا لم تكن السّيطرة البحرية بحيث تستطيع أن تقوم بحماية هذه المناطق فانّ الهند لا تكون في أمان)) .

((ان مستقبل هذه المناطق السياسي مرتبط ارتباطا كليّاً بهندوستان و لذا فإنه لابدّ من ايجاد نظام دفاع مشترك و تناسق بينها و بين هندوستان و ان ما نشعر بضرورة وجوده على ضوء تجارب الحرب الحاضرة هو اعادة بناء الامبراطورية الهندوكية على أسس جديدة)) .

اعلان المجابهة

أدرك الهندوك الخطر الاسلامي الذي يتهدّد وجودهم و عقائدهم الباطلة و قدرته الفائقة على جذب الناس الى جانبه من خلال حياتهم مع المسلمين و كثرة المصادمات العقائدية و السّلوكية معهم و لذلك وجدوا المجابهة العلنيّة أمراً لابدّ منه و بالخصوص في وقت تملّكوا فيه زمام سلطة

البلاد وكان أوّل شعار رفعوه في معترك الصراع هو:

((انّ الهند بلادنا وما على المسلمين الاّ أن يرتدّوا عن دينهم ويعودوا الى دين آبائهم وأجدادهم)) لأنّهم يزعمون انّ كلّ من هو في هذه البلاد من أصل هندوكي أو أن يرحلوا عن الهند الى الجزيرة العربيّة بلاد المسلمين.

وهناك أقوال لأقطاب بارزة من الطائفة الهندوكيّة ننقل لك طرفاً منها لتقف على حقيقة الحال.

قال كهانا وزير الاشغال والاعمار الهندي في ١٤ مارس سنة ١٩٦٥ م في خطاب له ألقاه فى مدينة ابناله: ان باكستان عدوّة هندوستان رقم(١) وعلينا أن نقبل تحديها.

وقال شافان وزير الدّفاع الهندي المعروف بعدائه البغيض للمسلمين في شهر مارس سنة ١٩٦٤ م:

((سوف نرى ذاك اليوم الذي تصبح فيه هندوستان مقبرة لباكستان))

وقال تهاكور براشاد أحد زعماء حزب جان سنغ وهو الحزب الّذى يمثّل التعصّب والتطرّق الدّيني بأقبح أشكاله في تصريح أدلى به في شهر نوفمبر سنة ١٩٦٤ م:

((علينا الاّ نهدأ حتّى تباد پاكستان وتندمج في هندوستان)).

وقال رام مانوهار لوهيا زعيم الحزب الاشتراكى الهندى:

((ان مهاجمة باكستان الشرقيّة هو الطريق الوحيد للقضاء على باكستان بجزئيها)).

وعلى أثر تصاعد حدة التوتّر واستنفار الحقد الهندوكي وقع أول اعتداء على باكستان ليلة السادس من شهر مايو سنة ١٩٦٥ م.

ثمّ تكرّرت الحادثة بشنّ الجيش الهندى حربه على بنغلادش (باكستان الغربيّة) عام ١٩٧١ م و اثر انتصاره على الجيش الباكستانى قتل قرابة المأة ألف من طلبة المعاهد الاسلاميّة و موظّفي الدولة و سجن خمسون ألفاً من العلماء و أساتذة الجامعات و قتل ربع مليون مسلم هندي هاجروا من الهند الى باكستان قبل الحرب و سلب الجيش الهندي ما قيمه (٣٠) مليار روبية من باكستان الشرقية من أموال و ممتلكات الشعب و الدولة.

و خلال الفترة المتآخمة لهذين الحدثين حدثت مآسي و مصائب كثيرة تجرّع المسلمون الكثير من آلامها و ويلاتها و الى يومنا هذا تزاد الغطرسة الهندوكية و جرائمها ضدّ المسلمين بنحو رهيب.

دلهي والجريمة البريطانية

أسّسها المسلمون في سنة ١١٩٣ م و دمرت عدّة مرّات بعد ذلك ثمّ أعيد بناؤها و في القرن الثالث عشر أطلق عليها اسم فيروز آباد ثمّ أصبحت فيما بعد عاصمة الدّولة المنغولية الاسلامية و في سنة ١٨٠٣ م وقعت تحت نير الاستعمار البريطاني و تحوّلت فى ظل هذا الاحتلال الى قاعدة عسكريّة بريطانيّة لقمع الانتفاضات المتكرّرة في المناطق المحيطة بها و لم يشعر المسلمون بزوال ملكهم بعد اجتياح الجيش الانجليزي شعوراً واقعيّاً الاّ يوم أبلغ الحاكم الانجليزي اللورد كيننغ سلطان دلهي (بهادر شاه) السلطان المغولي المسلم بأنّه يعتبره آخر شخص يسمح له بحمل

لقب سلطان من هذه الأسرة و آخر من يحقّ له عقد مجالس سلطانيّة و آخر من يحقّ له سكني القصر السلطاني المعروف باسم (قلعه معلّى) أو بعبارة أخرى ان جميع الامتيازات التى كان يتمتّع بها بهادر شاه على اعتبار انه سلطان تنتهي بموته و ان ولده و ان كان سيعتبر وريث هذه الأسرة و سيعطى راتبه المخصّص له الاّ انّه سيكون فردًا عاديًا من سائر أفراد الشعب ·

وقد كان وقع هذا القرار البريطاني عظيمًا على قلوب المسلمين الّذين كان يعتبرون السلطان (بهادر شاه) على عجزه و ضعفه رمز السلطة الاسلاميّة ·

و مضافًا لهذا التقويض المتعمد لصرح الدّولة المغوليّة الاسلاميّة فقد لجأ الانجليز الى محاولة استفزاز للمسلمين من أجل ايقاعهم في اتون حرب ابادة طاحنة لامتصاص ثقلهم المخوف فبثت بادئ الأمر اشاعات مفادها عزم الحكومة البريطانيّة على تنصير أهل البلاد بما فيهم المسلمين وعدم السماح لهم بممارسة فرائضهم الدينيّة فكان من نتائج هذه الاستفزازات و نحوها نشوب ثورة مسلّحة سنة ١٨٥٧ م ضدّ الانجليز كادت تقضى عليهم لولا استعانتهم بالهنادكة و نتيجة لهذا التحالف الجديد تمكّنوا من اخمادها و القضاء عليها و قد ساقوا بعدها عشرات الآلاف من المسلمين الى المحاكم بكلّ ضراوة و شراسة و تنكيل ليصدروا الأحكام القاضية بسجنهم أو قتلهم ثمّ بلغ الحد بالهنادكة الى الاعتداء على أعراض المسلمين و انتهاك حرماتهم و أشاعوا الرعب و الهلع و الخوف بين صفوفهم و انتزعت جميع وظائف الدولة من المسلمين لتعطى الى الهنادكة حتّى عدّ اسلام المرء مبرّراً كافياً للحكم عليه بالموت ·

وعلى الرغم من هذه الاجراءات الرهيبة فقد حافظ المسلمون على وجودهم و قاوموا التصفية الجسديّة بالاتّحاد و الاستماتة في المجابهة و الصبر على تحمّل غصص المعاناة أمام التنامي العددي الرهيب للتواجد الهندوكي المدعوم من قبل الانجليز في العاصمة وبقيّة المناطق المهمّة .

و بفعل هذا التحرّك قلبت الصبغة الاسلاميّة المنطبعة على أرجاء حدود الدولة المغوليّة و خاصّة دلهي الى صبغة هندوكيّة تخضع لعقائدها و طقوسها .

و بعد استكمال و احكام السيطرة أعلنت الدولة الهنديّة كخلف للدّولة المغوليّة سنة ١٩١٢ م و أصبحت دلهي عاصمة لها أيضًا ، و منذ ذلك الحين بدأت تنمو كمدينة جديدة و عرفت باسم (نيو دلهي) و تعني دلهي الجديدة .

و لا زالت الى يومنا هذا تزخر بآثار و تراث الدولة المغوليّة من قلاع و حصون و جوامع عظيمة و مساجد و تراث معماري اسلامي تشكل أهم و أبرز ظواهر تاريخيّة و حضاريّة لهذه المدينة على الرغم من المساعي الهندوكيّة لطمسها و امحاء طابعها الاسلامي كما ان المسلمين مايزالون يسيطرون على قلب المدينة و مراكزها التجاريّة و السياحيّة .

و لأجل ذلك فانّ أوّل انطباع يتبادر الى ذهن الزائر أو العابر لها انّها مدينة اسلاميّة .

كلمة مختصرة

تقوم الحكومة الهندوكيّة في الهند حاليّاً بالتعاون مع التّنظيمات

الهندوكيّة الدينيّة المتعصّبة و تعضدها من أجل ابادة المسلمين ، أو التعدّي على مقدّساتهم و قد انتهجت هذه الأيّام سياسة جديدة تعمل على مصادرة المساجد و الجوامع الضخمة و تحويلها الى معابد للهندوك و مجابهة مظاهر الرفض الّتي يبديها المسلمون جراء ذلك بالقوّات المسلّحة و شرطة الشغب .

و جرائم الحكومة الهنديّة و ان خفت وطأتها بعد الثّورة الاسلاميّة في ايران و ممارسة رجالتها الضّغوط على الحكومة الهنديّة لتعديل مواقفها تجاه المسلمين الاّ انّها بدأت تتّخذ أساليب أخرى و تنتهج سياست قمعيّة و ارهابيّة لا تقل ضراوة على ديدنها السابق .

و تعدادها يحتاج الى مجلّدات و لذلك نكتفي بما ذكرنا و الصحف و المجلاّت الّتي تصدر في كلّ يوم مليئة بالجرائم الجديدة على يد هذه الطّائفة الكافرة الحاقدة وغيرها من المذاهب الباطلة العاطلة لذلك نحيل القارئ الكريم اليها و نكتفي بما ذكرنا .

الجبهة الشيوعية

كانت الدّولة القيصريّة في روسيا من الدول التابعة للتكتّل المسيحي العالمي ، و لذا نجد انّها لم تألُ جهدًا في مشاركة العالم المسيحي الغربي نفسيّته العدائيّة و نقمته على العالم الاسلامي بالدّرجة الأولى و قد تقدّم مزيد من التفصيل بهذا الشّأن عند الكلام على الجبهة القيصريّة و قد كان من ضمن القوانين الالزاميّة الّتي سعت الى تطبيقها على المسلمين الخاضعين لسلطتها و المتواجدين داخل حدودها

قانون يقضي باجبار جميع المسلمين في روسيا الى الايمان بالمذهب المسيحي و الارتداد عن دين الاسلام .

و لمّا رفض المسلمون ذلك مارست الحكومة معهم العنف و سالت الدّماء و امتلأت السّجون .

و قد تقدّم الكلام أيضاً عن العهد الشّيوعي الماركسي الّذي قام على انقاض القياصرة و تعداد جرائمه بحقّ مسلمي الاتّحاد الروسي ، و قد سبق ان أرجعنا خيوط هذا النظام الملحد الى جذور ماسونيّة صهيونيّة يهوديّة .

اذن فقضيّتنا ثانياً مع اليهود أنفسهم ، و يمكن القطع بكلّ اطمئنان الى انّ مطلع القرن العشرين كان بداية الازدهار و رقي الوجود اليهودي الماسوني العالمي حيث تحوّلت المحافل العظمى و أذيالها من مراكز تخريب و اشاعة الفساد الى أجهزة حكم في أكثر الدّول سعة وأهميّة و استراتيجيّة وعلمنا مما مرّ انّ لليهود منذ قرون عديدة خطّة سريّة غايتها الاستيلاء على العالم أجمع لمصلحتهم الخاصّة و هم يسعون لهدم الأديان ثمّ هدم الحكومات في جميع الأقطار و ذلك عن طريق تغرير الملوك والرؤساء باضطهاد الشّعوب بحجّة الحفاظ على عروشهم و يغرّرون الشّعوب للتمرّد على تلك الحكومات و يستعينون لتحقيق تلك المطامح بالمال و النّساء و المكائد الأخرى و حينئذ فليس الحزب الشّيوعي البغيض الاّ جزء من تنفيذ تلك الخطّة .

و يؤيّد هذا الادّعاء ما أفادته التّقارير الرسميّة الّتي تصرح بأنّ أكثر أعضاء المجالس القياديّة للحزب الشيوعي المنتشرين في العالم هم من اليهود .

لقد عجزوا بمكائدهم و ضعفوا على تدمير المسلمين عن طريق ادخالهم الى اليهوديّة أو المسيحيّة أو أيّ مذهب آخر .

فصمّموا على بثّ الالحاد بينهم كأخطر خطوة انتقاميّة ضدّهم .

و لذلك نجد اليوم الكثير من الدّول الاسلاميّة كيف قد رمت بنفسها في أحضان الدبّ الروسي و بالخصوص اليمن الجنوبيّة الّتي لم تكتفي حكومتها بالعمالة المفضوحة ، بل تحوّلت الى نظام مصغّر للنّظام الماركسي اللّيننيني الأم في روسيا .

الخطوة التمهيدية

لمّا ضاقت الأرض بما رحبت على اليهود و الّذين عانوا ما عانوا من المضايقة و الارهاب لقاء التمادي المستمرّ في الاصرار على تنفيذ مآربهم تفتّحت أمامهم الآمال و الطموحات من جديد على مصراعيها لانتشار خبر اكتشاف كولومبس الرحالة الاسباني لامريكا عام ١٤٩٢ م .

نزل فيها الاسبانيّون في بداية الأمر و أخضعها الهولنديّون بعد ذلك لاستعمارهم و انتهت باحتلال انكليزي الى أن حصلت على استقلالها بعد ثورة الشاي عام ١٧٧٣ و الّتي دامت خمس سنوات بقيادة جورج واشنطن .

و في خلال تلك الحقبة ركّز اليهود وجودهم و شرعوا في السّيطرة على جميع مقدّرات هذه الدّولة الحديثة العهد و النشأة .

و على اثر ذلك قاموا أيضاً ببناء مؤسّساتهم التخريبيّة الرئيسيّة لتوجيه الخلايا الصّغيرة المنتشرة في العالم و مدّها بالمال و الرّجال .

وبالاستناد الى ما جاء في كتاب بروتوكول حكماء صهيون ص ١١٧ الّذي جاء فيه :

((انّ المحفل الماسوني الامريكي الّذي يدير الماسونيّة في العالم وكلّ أعضائه من اليهود عقد مؤتمرًا قرّر فيه خمسة أشخاص من أثرياء اليهود تخريب روسيا القيصريّة و القضاء عليها وعلى حكمها ثمّ انشاء حكومة شيوعيّة بلشفيّة فيها و قد تبرّع هؤلاء الخمسة بمبلغ مليار دولار و قرّروا تضحية مليون يهودي لهذا الغرض)) .

ندرك الأصول الحقيقيّة لهذه الثّورة و أهدافها و مراميها و الصّورة الّتي نشأت فيها، نعم انّ ستالين اليهودي استعان بهذا المليون في ثورته الّتي قوّضت النظام القيصري و أطاحت به ، و في أثناء هذه الثّورة العمليّة التآمريّة انتهز ستالين فرصة اضطراب البلد و سقوط الحكومة القيصريّة ليقوم بقتل ما يقارب من خمسة ملايين مسلم من بينهم مئات من علماء الدّين .

و لنعوذ الى امريكا و الحديث عن نشأتها الّتي سبّبت نشأة الوجود الماركسي في روسيا .

لم تكن للولايات المتّحدة الامريكيّة جذور عريقة و انّما أنشأها مجموعة عصابات ارهابيّة و قطّاع طرق و قراصنة دوليّين استعبدوا سكّانها الأصليّين (الهنود الحمر) وجدوا في أرضهم ضالّتهم فقامت في بادئ أمرها بالتعدّى على حرمات و كرامات الشّعوب الافريقيّة الفقيرة الآمنة و ساقت رجالها كقطعان الغنم ارقاء اذلاّء مكبلين بالسلاسل و القيود الرّهيبة بصورة وحشيّة رهيبة بشعة لا انسانيّة اختطفتهم من ديارهم كما يختطف الحيوان المفترس فريسته و سبوا نساءهم لممارسة اللّذة البهيميّة

معهن و العبث بشرفهنّ و حرمتهنّ و امتهان كرامتهنّ .

و يمكن الجزم بأنّ وجود امريكا بعظمتها الحالية مدين لأيدى و سواعد الزنوج المسبّيين من افريقيا .

و مثال ثانٍ للاستشهاد به على طبيعة السيطرة اليهوديّة على امريكا عن طريق تعداد المحافل الماسونيّة فيها وحدها و التّي قد بلغت (٨٦) ألف محفل ماسوني في الستّينات و بذلك تعتبر امريكا مركز الثقل لليهوديّة العالميّة و بيدهم أزمة أكثر القرارات السياسيّة المهمّة في الساحة الامريكيّة كما بامكانهم اسقاط و انجاح أي رئيس لامريكا و لذلك يلاحظ المتتبّع لأحداث انتخابات الرئاسة الامريكية كيف يقوم كل رئيس يودّ انتخابه بالذهاب الى الكنيس اليهودي و يؤدّى الصلاة على طريقتهم أمام شاشات التلفزيون ليحظى بالودّ اليهودي و التأييد و الدعم اللّازم من قبلهم .

و في عودتنا للحديث عن الفكر الماركسي البلشفي و علاقته بالمخطّطات اليهوديّة .

نكتفي بنقل بعض الكلمات العابرة مراعاة للاختصار قال لينين في كتابه الاشتراكيّة و الدّين :

((انّ من أهداف حزب العمّال الاشتراكي في روسيا هو أن يحارب بلا هوادة كلّ نزعة دينيّة في أفئدة العمّال ان منهاجنا يتضمّن الدّعوة الى الالحاد)) .

و جاء بعده ستالين ليعلن بعبارة أكثر سخافة و مزوق و كفر و الحاد :

((نحن ملحدون و نحن نؤمن بأن فكرة اللّه خرافة و نؤمن بأنّ

الايمان بالدين يعرقل تقدّمنا و لا نريد أن نجعل الدّين مسيطـــــرًا علينا)) .

و أمّا كارل ماركس في كتابه البيان الشيوعي فقد كشف النّقاب عـــن هويّته المنحطّة و شخصيّته المنحرفة و شذوذه الخلقي و سفالته العلنيّـــة وعدم تمتّعه بأدنى الخصال و المميّزات الفطريّة الّتي من ضمنها الحيـــاء و الخجل و العفّة و الكرامة .

فقال : ((انّ الدّين و الأخلاق من الأمور الوهميّة و انّ المرأة مشاعة للجميع ، و انّ زوجتي هي زوجة الشّعب)) .

و وجّه أحد الصحفيّين المصريّين سؤالاً الى جان بول سارتر أحـــد طلاّب المدرسة الماركسيّة المعروف قائلاً له : هل انّ زوجتك الحسنـــــاء تمانع لو رغبت أن تضاجع امرأة أخرى؟ فأجاب : كلاّ .. لأني لا أمنعهـــا لو أرادت أن تنام مع غيري .

و أمّا بالنسبة لتاريخ نشأة الشيوعيّة فقد جاء في مجلّة افريكـــــان هيبرو الامريكيّة :

((انّ الثّورة الشيوعيّة في روسيا كانت من تصميم اليهود و انّهاقامت نتيجة لتدبير الصهاينة الّذين يهدفون الى خلق نظام جديد في العالـم و ان ما تحقّق في روسيا كان بفضل العقليّة اليهوديّةالّتي خلقت الشيوعية))

و يضاف الى ذلك ما صرح به الزعيم الاسرائيلي موشى سينة فـــي جريدة گريش كرونكل اللندية حيث قال :

((كلّ يهوديّ يعلم من أعماق قلبه انّ الاتّحاد السوفيتي من أعظم أصدقائه)) .

كما جاء في أحد القرارات الصهيونيّة القديمة قولهم :

((نحن على الدّوام نتبنّى الشيوعيّة و نحتضنها متظاهرين بأنّنا نساعد العمّال)).

و رغم انّ الصهيونيّة كانت تتظاهر طول الوقت بأنّها على خصومة مع الشيوعيّة فانّ هذه الخصومة لم تكن الاّ للتّمويه ذلك ان نسبة كبيرة من اليهود الّذين نقلتهم الصهيونيّة الى فلسطين كانوا من الشيوعيّين و كان الشيوعيّون الّذين نقلتهم الصهيونيّة الى فلسطين هم الّذين ينشرون المبادى الشيوعيّة بين العرب و كان كلّ عربيّ يميل الى الشيوعيّة ينقل الى المستعمرات الصهيونية لكي يتغذى بالمبادئ الشيوعيّة.

و قد أصدر حاخامات اليهود قراراً بالتضامن مع الشيوعيّين نشر فى جريدة جويش لايف الامريكيّة سنة ١٩٣٨ م جاء فيه:

((يتوجب على كلّ يهودي مخلص و مهتمّ بما يحيط باليهوديّة من صعوبات أن يعرف بأنّ أفضل اليهود هم اليهود الشيوعيّون و انّ حليف اليهود المخلص هو الحزب الشيوعي في أيّ مكان)).

و سعياً وراء تنفيذ المخطّط الأساسي لنشأة الحزب الشيوعي البلشفى تقوم الحكومة الروسيّة حاليا بخلق تنظيمات شيوعيّة و أحزاب و منظّمات في كافّة أقطار العالم الاسلامي و بثّ الكتب الماركسيّة و اللينينيّة في أوساط المجتمعات الاسلاميّة و بين الشباب المثقّف في محاولة لحرفه عن عقيدته و انتزاع اسلامه منه، وكان ذلك هو الدافع الرئيسى الّذى ألزم على شهيدنا الصدر رضوان اللّه تعالى عليه، لكى يقوم بتأليف كتاب فلسفتنا فى محاولة للقضاء على الغزو الالحادى لعالمنا الاسلامى، و قد وفق تمام التوفيق بحمد اللّه فيما نشده و رام تحقيقه.

الجبهة المسيحية
ونشأة الوهابية والمهدوية القاديانية والاحمدية

يكمن الحقد المسيحى على العالم الاسلامى فى الذكريات التى عاشها مع المسلمين فى الفترة الأولى من بزوغ نجمه فى شبه الجزيرة العربية الى انطلاقه بدافع نشر تعاليم الاسلام فى عمق الدول المسيحية الكبرى انذاك عن طريق قوّة السلاح و الاخضاع القهرى و امتدت الحرب بين المسلمين و المسيحيين لتشغل خط مواجهه من حدود الدوّله البيزنطية الى فرنسا وعبر سوريا و بيت المقدس و مصر و تونس و المغرب و الاندلس كما اشتبك المسلمون فى تلك الاثناء فى حملات متعددة بالتتار الّذين تآمروا مع الصليبيّين لاقتلاع عالم الاسلام و محوه و قد بدأ الغزو المغولى التتارى للعالم الاسلامى عام ٦١٦ هـ بقيادة جنگيزخان و هاجم هولاكو بغداد سنة ٦٥٦ هـ و انتهى عهدهم بوفاة تيمورلنك الخليفة الثالث للغزو المغولى عام ٨٠٨ بعد حملة سوريا التى نفذها عام ٨٠٤هـ.

و طيلة عهد المواجهة العسكرية الأولى ظلّت الدولة الرمانية أو الدوله البيزنطينيّة المتاخمة لحدود العالم الاسلامى من الشمال هى الثغرة الخطرة ذات الأهمية الكبرى لصيانة عالم الغرب المسيحى من الغزو الاسلامى و نشر دعوته الجديدة.

كان المنعطف التاريخى الأول لبدء المواجهة العسكرية تمّ بفعل استيلاء المسلمين على الشام و ما حاذاها فى صدر الاسلام وعلى يد مؤسّسه النبىّ الأكرم صلى اللّه عليه و آله و من وليّه فى حكم الدولة

الاسلاميّة من بعده الّذى تسبب فى انهاء السيطرة الرومانية عليها و انكفائها داخل حدودها فى الشمال .

و لم يكن ذلك ليمر من دون انتقام و اثارة حفيظة الدولة الرومانيّة فأخذت تهدّد و تعلن عن رغبتها و عزيمتها و تصميمها لاستعادة ما كان تحت يد الرومان خصوصا بيت المقدس الّذى يعدّ قبلة المسيحيّين الأولى الّتى يحجّون اليها دائما اما بالنسبة لزيارة المسيحيّين لبيت المقدس فلم يحول المسلمون بينهم و بينها بل سمحوا لكافة المسيحيّين بزيارته و أداء رسوم عاداتهم و عباداتهم الخاصّة فيه من دون قيد أو شرط أو تحديد لنسبة الوافدين من قبل الأقطار المسيحيّة .

و لكن المسلمين رفضوا وقوعه مع سائر الديار المفتوحة فى يد السلطة المسيحيّة و لما لم يجد القساوسة ذريعة يتذرّعوا بها لاثارة الرأى العام المسيحى لاستعادة القدس انتهجوا سياسة التظلّم و الافتراء على المسلمين بناء على رغبة ملوك و أباطرة الروم لاستعادة الأجزاء المحتلّة فأخذوا يهتفون فى الجموع و فى سائر المناسبات و الأعياد بضرورة استعادة بيت المقدس و تطهيره من رجس المسلمين الكفّار بزعمهم و فى حالة لم تتّصف بالعقلائيّة أوجدوا روح الحقد و البغض و الطعن فى قلوب المسيحيّين تجاه المسلمين ، و قد دفع ذلك المسلمين فى المقابل لمداهمتهم فى عقر دارهم قبل اشتداد شوكتهم و تفاقم خطرهم فقاموا بمحاولات ضخمة لتطويق بيزنطة و غزو القسطنطينية للاستيلاء عليها جرى ذلك أبان حكم عثمان بن عفّان ثم استأنفه معاوية بمحاولته الكبرى فى الاستيلاء على القسطنطينية بعد بناء الأسطول الاسلامى الأوّل الّذى بلغ (١٧٠٠) سفينة مزودة بالأعتدة الحربيّة و استطاع أن يسيطر على جزيرة

رودس سنة ٥٣ هـ و جزيرة اقريطس (كريت) سنة ٥٤ هـ ثمّ غزا جزيرة صقلية و ارواد و فتح قبرص و مضى باتجاه القسطنطينية و قام بمحاصرتها حصارًا استمرّ سبع سنوات من عام ٥٤ هـ الى عام ٦١ هـ دون جدوى ، فرجعت الجيوش القهقرى و فكّت حصارها .

ثمّ جاء دور عبد اللّه بن مروان الّذي غزا الروم عام ٨٤ هـ و فتح حصن المصيصة ثم اتّجه الوليد بن عبد الملك من بعده الى ميدان آسيا الصغرى و استولى على حصون مرعش و عمورية و انطاكية و عاود سليمان بن عبد الملك من بعده الكرة للإستيلاء على القسطنطينيّة الّتي قاومت الحصار الثاني حتّى اضطرّ الى رفعه عمر بن عبد العزيز .

و توالت معارك عديدة للاستيلاء عليها استمرّت خمسة قرون متّصلة استطاع في نهايتها السلطان العثماني محمد الفاتح أن يستولي عليها عام ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م .

و في عهد هارون الرشيد أرغم الروم عام ١٨١ هـ على دفع جزية بلغت ٣٠٠ ألف دينارًا سنويًّا ثمّ كان غزو المعتصم لعمورية عام ٢٢٣ هـ حيث حقّق النصر على الروم بجيش قوامه خمسة عشر ألف فارس في قبال جيش الروم البالغ مأتي ألف .

و أعقب ذلك انشاء الدّولة الحمدانيّة على حدود الروم على يد سيف الدّولة الحمداني الّتي اعتمدت جانب الحماية ضدّ الهجمات المنظّمة الّتي كان يقوم بها الرّوم على الأراضي الاسلاميّة فأسّس سيف الدّولة قواعد حربيّة و مراكز مقاومة لصدّ الهجمات على شريط ممتدّ من مليطية و مرعش والهارونية و الكنيسة و عين زربة و المصيصة و أدنة و خرسوس غير انّ الفترة الّتي تلت الدّولة الحمدانيّة اتّسمت بالتقهقر و الضّعف و غياب القيادة الحكيمة

فتجرأت الدولة البيزنطينية على القيام بمزيد من التوغّل في ديار المسلمين والاعتداء على حدود العالم الاسلامي وقامت بفرض الجزية على الأمراء المسلمين في شمال الجزيرة وكان هذا الزحف يهدف الى الاطاحة بالدّولة الاسلاميّة وتشتيت شملها وفي تلك الأثناء ظهرت قوّة اسلاميّة جديدة هي قوّة السلاجقة فاستطاعت أن تواجه الغزوات البيزنطينيّة بصمود وبسالة وشجاعة وسار قادتها طغرلبك وألب ارسلان وملك شاه على نهج واحد وهو التصدّي لعدوان البزنطينيّين وحقّقوا في ذلك الدور انتصارات هامّة كان أكبرها في موقعة (ملاذكرد) الّتي تمكّن فيها الجيش السلجوقي بقيادة ارسلان من أسر الامبراطور البيزنطي رومانوس الّذي خرج على رأس جيش ضخم من الروم والصقالية والفرنج وفي أعظم قوّة جردتها الدّولة الرومانيّة الشرقيّة لغزو المسلمين واتّجه الى بلدة صغيرة على فرع نهر مراد سو يقال لها (ملاذكرد) وقد خاض المسلمون المعركة بقيادة الب ارسلان في عدد لا يتجاوز ربع قوّة عددهم.

وعلى اثرها استوطن السلاجقة هضاب آسيا الصغرى وأصبحت في حوزة المسلمين ثمّ استولوا على نيقة سنة ٤٧٧ هـ وبقي سلطانهم في هذه البلاد أكثر من قرنين حتّى قضى عليه المغول عام ٦٥٥ هـ قبل سقوط بغداد بعام واحد وتوفّي السلطان الب أرسلان بعد معركة (ملاذكرد) بعامين وخلفه ملك شاه واستمرّت غزوات السلاجقة لأراضي الدّولة الرّومانيّة الشرقيّة حتّى تمكّن السلاجقة من تطويق آسيا الصغرى من الجنوب ثمّ توغّلوا في داخلها وبسطوا سلطانهم عليها.

وفي الجهة الأخرى من اوربا وبعد ما يقارب الخمسة عشر عاماً استطاعت القوى الاسلاميّة في المغرب والأندلس بقيادة المرابطين أن

تسحق قوى الفرنجة الغازية في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ و قد كان لهاتين الواقعتين في طرفي العالم الاسلامي و بمحاذاة الدّولة الرومانيّة الشرقيّة الضعيفة المنهارة الّتي حمت اوربا خلال خمسمأة سنة من توسّع الاسلام و بمحاذاة فرنسا على حدود الأندلس الأثر الأكبر الّذي دفع المسيحيّين للتّخطيط للحروب الانتقاميّة و الّتي عرفت بالحروب الصليبيّة فيما بعد و قد اندلعت في أواخر القرن الخامس و استمرّت خلال القرنين السّادس و السّابع و انتهت بهزيمة ساحقة منيت بها في المشرق و بنصر تامّ في المغرب فقد تمكّنت من تصفية الأندلس كجزء من العالم الاسلامي .

غير انّ الحروب الصليبيّة لم تكن تمرّدون ردّة فعل اسلامي تردّ الصاع صاعين فقد نشأ تيّار اسلامي جديد في العالم الاسلامي هو تيّار الوحدة الاسلاميّة العثمانيّة الّتي وحدت الدّول الاسلاميّة عن طريق ضمّها الى نفوذها ثمّ انطلقت للتوغّل في اوربا و استولت على القسطنطينيّة و أقامت في آسيا الصغرى امبراطوريّة ضخمة امتدّت ستة قرون بدأت في عام (١٣٠٠ م ـ ٦٩٩ هـ) و أفل نجمها عام (١٩١٧ م ـ ١٣٣٦ هـ) بفعل العوامل الّتي سبق أن ذكرناها عند الحديث عن الجبهة الماسونيّة .

و من خلال ذلك ندرك أهداف الغزو الأوربي الاستعماري الحديث الّذي استحوذ على عالمنا الاسلامي و طبيعة جذوره الأولى الّتي انطلق على أثرها و انّه كان بدافع التشفّي و الانتقام أكثر ما يكون و بدافع حماية المسيحيّين في عقر دارهم من الخطر الّذي يتهدّدهم بين الحين و الآخر من قبل العالم الاسلامي و يعيشهم في جحيم لا يطاق من القلق و الاضطراب و انعدام الشعور بالأمان و الاستقرار النفسي و انتهاج

سياسة استغلال الامكانات المتاحة لتدمير الاسلام و ابعاده عن واقع الحياة و شؤونها و ميادينها المختلفة و للأسف انه لازالت الغالبيّة العظمى من شعوبنا الاسلاميّة ترزح بين مخالب لاستعمار و تعاني من آلامه المبرحة و تتجرّع سموم مخطّطاته و مؤامراته وغوائل دسائسه على يد الحكّام العملاء الخونة أذناب الاستعمار الشرقي و الغربي عديمي الضمير و الوجدان الانساني و الأنفة و الحميّة و الاباء و الكرامة ٠

اليهود والنصارى في القرآن الكريم :

قال سبحانه و تعالى :

((وَ قُلْ لِلّذِيْنَ أُوتُوا الكِتَابَ وَ الأُمّيّينَ أَأَسْلَمْتُمْ)) (آل عمران/ ٢٠)٠

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالوا اِلىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ)) (آل عمران / ٦٤)٠

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلوا فِي دِيْنِكُمْ غَيْرَ الحَقّ))(المائدة/٧٧)٠

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ)) (آل عمران / ٩٨)٠

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّهِ)) (آل عمران/ ٩٩)٠

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقَمُوْنَ مِنّا اِلاّ أَنْ آمنّا بِاللّهِ)) (المائدة / ٥٩)٠

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيءٍ حَتّى تُقِيْمُوا التّوْرَاةَ وَ الانْجِيْلَ)) (المائدة / ٦٨)٠

لم ينظر الاسلام الى أهل الدّيانات السماويّة الّتي سبقته نظر المكفهر الغاضب الباغض الحانق المتحامل المعادي المنتقم و انّما أمضى

ما كانوا عليه على الرغم من انحرافهم عن نهج الانجيل المنزّل الواقعي وكذلك اليهود بالنسبة الى توراتهم بل أدرج مع هؤلاء المجوس الذين آمنوا أوّل الأمر بشريعة نبيّ اللّه زراد شت ثمّ ضلّوا و انحرفوا وعكفوا على عبادة النار لقد عامل الاسلام أولئك على انّهم أهل كتاب آمنوا باللّه تعالى وعبدوه على غير هدى و استقامة و لذلك فصّل الأحكام التكليفيّة بشأنهم و حفظ لهم الحقوق و الحرمات و لم يمنع من معاشرتهم للمسلمين و دخولهم معهم في التجارة و المعاملات المالية بل دائماً يؤكّد على كونه امتداد طبيعي سماوي للرسالة المسيحيّة و الرسالة الموسويّة.

قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الاسْلَامِ وَاللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (الصفّ/ ٥ ـ ٧).

فالقرآن يدعوهم لتحكيم المنطق السليم و نبذ العصبيّة و التزام الحق بكافة أشكاله و مختلف صوره و العزوف عن الباطل و الضلال و الخرافات و قول الزّور و البهتان و الافتراء و الغلوّ و بالخصوص في شأن عيسى بن مريم.

((وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ * قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

عَلاَّمُ الغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلاّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أن اعبدوا اللّهَ رَبّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ * اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * قَالَ اللّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهم لَهُمْ جَنَّاتٌ ...)) (المائدة / ١١٥ ـ ١١٩).

ويبالغ في تشديد النكير على ذلك في مواضع متعدّدة مبالغاً في تنزيه ساحة الرّبوبيّة المقدّسة عن هنات الأوهام و وضيع الكلام و اساءة الشبه بالأجسام وعوارض الممكنات :

((و قالت اليهود عزير ابن اللّه وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُوْنَ قَوْلَ الّذين كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُوْنَ * اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون اللّه و المسيح بن مريم و ما أمروا الاّ ليعبدوا الهاً واحداً لَا اِلَٰهَ اِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ)).

و المنطق القرآني عند ما يخاطب اليهود و النصارى يتوجّه اليهم على انّهم مكلّفون بما تضمّنه ملزمون بما يقرّره و يفرضه لأنه حكاية كلام اللّه المجيد المصدر الأوّل للدّيانة المسيحيّة و الديانة اليهوديّة على السواء.

((وَلْيَحْكُم أَهْلُ الانْجِيْلِ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُوْنَ)) (المائدة / ٤٧).

((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالانْجِيْلَ وَمَا أُنْزِلَ اِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا من فوقهم و من تحت أرجلهم منهم امّة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ، يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته و اللّه يعصمك من النّاس انّ اللّه لا يهدي القوم الكافرين))(المائدة/ ٦٦).

فالاسلام حركة تصحيحيّة لمسار الخطّ الرسالي للوحي السّماوي

يهدف في دعوته الى ارجاع الناس الى الاستمداد الحقيقي للتكليف العقائدي و السلوكي و العبادي من منبع صافٍ لا تكدره أباطيل المضلّين و لا شبهات المعاندين و لا شائبة المكابرين كما ينتهج البرامج الكفيلة بارقاء المجتمع البشري في صورة بديعة تكامليّة خليقة بالاكبار و الاجلال الى أوج المظاهر الانسانيّة و المعاني الفطريّة الجليلة و هذا ما يبرهن بالدّرجة الأولى على صحّة دعواه و اصالة منطلقه الرسالي و وثاقة أطروحاته السماويّة و تكفي المقارنة البسيطة بين الاسلام في جلاله و جماله و استقامته وعمقه و شموله و دقّته و بين المسيحيّة و اليهوديّة بما يحملان من معانٍ انسانيّة و بدع و أباطيل و ضلال و مروق و انحراف و ضيق افق للحكم بأحق العقائد اتباعاً و اعتناقاً ·

قصة المسيح في المنظور الاسلامي

يعتقد المسلمون انّ اللّه عزّ و جل قد بعث مأة و أربعة و عشرين ألف نبي يجب الاعتقاد بنبوّة جميع ما تضمن الخبر المعتبر و القرآن عن نبوّته كما يجب الاعتقاد بأنهم كانوا معصومين عن الخطأ موفّقين للصواب صادقين عن اللّه تعالى في جميع ما أدّوه الى العباد في كلّ شيء اخبروا به على جميع الأحوال و انّ طاعتهم طاعة اللّه و معصيتهم معصية اللّه ·

وأنّ آدم و نوحًا و ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب و يوسف و ادريس و موسى و هاوون وعيسى و داود و سليمان و زكريّا و يحيى و الياس و ذا الكفل و صالحًا و شعيبًا و يونس و لوطاً و هودًا كانوا أنبياء للّه تعالى و رسلاً له و انّ سادة الأنبياء جميعًا خمسة : نوح و ابرهيم

و موسى و عيسى و محمّد (صلوات اللّه عليهم أجمعين) و يقال لهم أولوا العزم و أصحاب الشرائع ، لأنّ كلّ واحد منهم قد أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدّمه ، و انّ محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف صلوات اللّه عليه و آله خاتمهم و سيّدهم و أفضلهم وانّ شريعته ناسخة لما تقدّمها من الشرائع المخالفة لها و انّه لا نبيّ بعده و لا شريعة تأتي بعد شريعته و كلّ من ادّعى النبوّة فهو كافر مرتدّ كاذب على اللّه تعالى يجب قتله .

و من طريف الحكايات ما نقل عن رجل في السودان ادّعى النبوّة و سمّى نفسه (لا) و فسّر الحديث النبويّ المتضمّن لقوله صلى اللّه عليه و آله لا نبيّ بعدي بأنّه بشارة و انباء بمجيئه و انّه لم يرد عنه بصيغة النفى .

وعلى كلّ حال فانّ الاسلام يعظّم شأن عيسى بن مريم عليه السلام و يضعه في مصاف الأنبياء و يخصّه بالانجيل و يوجب الاعتقاد بذلك ويحكم بكفر من لم يؤمن به على انّه أحد أنبياء اللّه و رسله و من خاصّته كما أسلفنا لك .

و أمّا بالنسبة للطبيعة الّتي جاء عليها و الكيفيّة الّتي خرج الى عالم الوجود عن طريقها .

فقد جاء في أحد المرويّات عن أهل العصمة عليهم السلام بما معناه انّ اللّه خلق آدم و حوّاء من غير أب و أم ليبيّن قدرته على مثل ذلك ، وعدم استحالته بالنسبة لقدرته المطلقة و عجزه عنه .

و انّه خلق عيسى من امّ فقط دون أب ليبيّن وجهًا آخر من قدرته على مثل ذلك بتوسّط طرف واحد .

و انّه خلق سائر الناس من أب و امّ ليبيّن انّه كما يستطيع أن

يخلق الانسان من دون أب و امّ أو من امّ فقط كذلك هو قادر على أن يخلقه بتوسّط الأب و الأمّ ، و اشتراك الاثنين كعلّة سببيّة في ايجاد العوامل الأوليّة للانجاب و التوالد و التناسل .

وغير خافٍ على أحد انّ الاعجاز الربّاني لا يخلو من أحد هذه الحالات الثلاث و لم يقصر اعجازه عن أحدها حتّى يمتنع تعقّل الآخر ، فالكلّ خاضع لكلمه كن الوجودية و المشيئة الربانيّة لا يضنيه و لا يعييه خلق مادق و لطف و لا يسهل عليه خلق ما عظم و كبر فالكل بالنسبة لله سواء لوقوعها في دائرة القدرة المطلقة .

و روى الصدوق في العلل بأسناده عن وهب اليماني قال :

انّ يهودياً سأل النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم فقال : **يا محمد** كنت في امّ الكتاب نبيّاً قبل أن تخلق؟

قال : نعم .

قال : و هؤلاء أصحابك مثبتون معك قبل أن يخلقوا ؟

قال : نعم .

قال : فما شأنك لم تتكلّم بالكلمة حين خرجت من بطن امّك **كما تكلّم** عيسى بن مريم على زعمك و كنت قبل ذلك نبيّاً ؟

فقال النبي صلّى اللّه عليه وآله : انّه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم خلقه اللّه عزّ و جل من امّ ليس له أب ، كما خلق آدم من غير أب و لا من امّ ولو انّ عيسى خرج من بطنها و لم ينطق بالحكمة لا يكون لأمّه عذر عند الناس و قد أتت به من غير أب و كانوا يأخذونها كما يأخذون من المحصنات فجعل اللّه منطقه عذراً لأمّه .

و في هذا الحديث وجه آخر للكيفيّة الّتي درج عليها عيسى عليه

السلام و اتّصف بها من خوارق العادات كاعلان النبوّة في المهد و النطق بالحكمة و فصل الخطاب و انّ ذلك كان بالدرجة الأولى لدفع رمي امّه مريم بالفسق و الزّنا و الخطيئة و اتّهامه هو شخصيّاً بعدم الشرعيّة و طهارة المولد و ذلك ممّا يتنافى مع عظمة اعجاز الواقعة الفريدة و قداسة أهدافها الرساليّة و الغرض الّذي طمحتُ الى اثباته و تقريره ، و هذه التعليلات هي فى نهاية الاستقامة و المنطقيّة بحيث تغنينا عن العبارات النابية و سقم آراء المذاهب الباطلة الضالّة المنحرفة بشأنه و شأن امّه .

و أمّا بالنسبة الى مدّة حياته الّتي قضاها على الأرض قبل رفعه الى السماء فقد جاء في (تفسير علىّ بن ابراهيم القمي) عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : قال الحسن عليه السلام فيما ناظر به ملك الروم : كان عمر عيسى في الدنيا ثلاثة و ثلاثين سنة ثمّ رفعه اللّه الى السماء و يهبط الى الأرض بدمشق و هو الّذي يقتل الدجّال .

و أمّا بالنسبة لنقش خاتمه فقد جاء في (عيون الأخبار) بأسناده الى الرضا عليه السلام قال :كان نقش خاتم عيسى حرفين اشتقّهما من الانجيل طوبي لعبد ذكر اللّه من أجله ، و ويل لعبد نسي اللّه من أجله .

و مصادر التشريع الاسلامى غنيّة بأحوال عيسى عليه السلام و سرد أقواله و حكمه و توضيح غوامض حياته و أسرار دعوته و مرامي رسالته و تكريس الجهود في سبيل جمعها و شرحها تستوعب مجلّداً ضخماً يفوق كلّ ما يمكن أن يأتي به المسيحيّون أنفسهم في هذا المجال و بصدد هذا الموضوع و ذلك لالمام المأثور عن النبيّ و عترته الميامين و آيات الذكر الحكيم بكافة ما يتّصل به و يتعلّق برسالته و دعوته و لأجل ذلك يمكننا اعتبار القرآن وحده كوثيقة وحيدة يستدلّ بها على كلّ ذلك لتصدّيه بشكل

مثير للاعجاب و خارق لكافّة التصوّرات دعت المسلمين فيه أنفسهم الى الاعتقاد بوجوده و تنزيهه ممّا ألصقه به سماسرة الكنيسة و دعاتها المنحرفين و لم يقتصر على ذلك ، بل دخل مع المذاهب المسيحيّة بحوار بديع رسم فيه صورة المسيح كانسان و كرسول منكرًا انكارًا باتًا و قاطعًا الوهيّته و هذا نلمسه من خلال العرض المقتضب لبعض آيات القرآن الكريم :

ـ ((واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ اِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا)) (مريم / ١٧) .

ـ ((وَ اِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ اِنَّ اللّهَ اصطفاك وَ طَهّرك وَاصطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِيْنَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرّاكِعِيْنَ ، ذلك مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيْهِ اِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يُلْقُوْنَ أقلامهم أيّهم يكفل مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يَخْتَصِمُوْنَ ، اِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ اِنَّ اللّهَ يُبَشّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيْحُ عِيْسَى بنُ مَرْيَمَ وَجِيْهًا فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ وَ مِنَ المُقَرّبِيْنَ وَ يُكَلّمُ النّاسَ فِي المَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصّالِحِيْنَ)) (آل عمران / ٤٦) .

ـ ((فَأَرْسَلْنَا اِلَيْهَا رُوْحَنَا فَتَمَثّلَ لها بشرًا سويًّا قَالَتْ اِنّي أَعُوْذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ : انّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلامًا زكيًّا ، قالت : انّي يكون لى غلام و لم يمسسني بشر و لم أك بغيًّا ؟ قال : كذلك قال ربّك هو علىّ هيّن و لنجعله آيةً للنّاس و رحمةً منّا و كان أمرًا مقضيًّا)) (مريم / ٢١) .

ـ ((قالت ربّ أنّى يكون لى ولد و لم يمسسني بشر؟ قال : كذلك اللّه يخلق ما يشاء اذا قضى أمرًا فانّما يقول له كن فيكون و يعلّمه الكتاب

و الحكمة و التّوراة و الانجيل و رسولاً الى بني اسرائيل)) (آل عمران/ ٤٨)

ـ ((و مريم ابنت عمران الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدّقت بكلمات ربّها و كتبه و كانت من القانتين)) (التحريم / ١٢).

ـ ((و الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا و جعلناها و ابنها آية للعالمين)) (الأنبياء / ٩١).

ـ ((و جعلنا ابن مريم و امّه آية)) (المؤمنون / ٥٠).

ـ ((فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً فأجائها المخاض الى جذع النّخلة)).

ـ ((و جعلنا ابن مريم و امّه آية و آويناهما الى ربوةٍ ذات قرارٍ و معينٍ)) (المؤمنون / ٥٠).

ـ ((قالت ياليتني متّ قبل هذا و كنت نسياً منسيّاً* فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربّك تحتك سريّاً* و هزّي اليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً* فكلي و اشربي و قرّي عيناً فاما ترينّ من البشر أحداً فقولي انّي نذرت للرّحمن صوماً فلن أكلّم اليوم انسيّاً* فأتت به قومها تحمله * قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً* يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء و ما كانت امّك بغيّا)).

((فأشارت اليه* قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً قال انّي عبد اللّه آتاني الكتاب و جعلني مباركاً أين ما كنت و أوصاني بالصّلاة و الزّكاة ما دمت حيّاً* و برّاً بوالدتي و لم يجعلني جبّاراً شقيّاً* و السّلام عليّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيّا)).

((و لقد أرسلنا نوحاً و ابراهيم و جعلنا في ذريّتهما النبوّة و الكتاب فمنهم مهتدٍ و كثير منهم فاسقون * ثمّ قفّينا على آثارهم برسلنا

و قفّينا بعيسى بن مريم و آتيناه الانجيل)) (الحديد / ٢٧).

((فيه هدى و نور و مصدّقا لما بين يديه من التوراة و هدى و موعظة للمتّقين و ليحكم أهل الانجيل بما أنزل اللّه فيه ، و من لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الفاسقون)) (المائدة / ٤٧).

((و اذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل انّى رسول اللّه اليكم مصدّق لما بين يدي من التوراة و مبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)) (الصف / ٦).

((انّي قد جئتكم بآية من ربّكم انّي أخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن اللّه و أبرئ الأكمه و الأبرص و أحيي الموتى باذن اللّه و أنبّئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم انّ في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين و مصدّقاً لما بين يدي من التوراة و لأحلّ لكم بعض الّذي حرّم عليكم و جئتكم بآية من ربّكم)) (آل عمران / ٥٠).

((و قال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا اللّه ربّي وربّكم انّه من يشرك باللّه فقد حرّم اللّه عليه الجنّة و مأواه النّار و ما للظّالمين من أنصار)) (المائدة / ٧٢).

((فلمّا جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين)) (الصف / ٦).

((فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى اللّه؟ قال الحواريّون نحن أنصار اللّه آمنّا باللّه واشهد بأنّا مسلمون ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرّسول فاكتبنا مع الشّاهدين)) (آل عمران/ ٥٢ـ٥٣).

((اذ قال اللّه يا عيسى انّي متوفّيك و رافعك اليّ و مطهّرك من الّذين كفروا و جاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا الى يوم القيامة ثمّ اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)) (آل عمران / ٥٥).

((و قولهم انّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول اللّه و مـــا قتلوه و ما صلبوه و لكن شبّه لهم و انّ الّذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم الاّ اتّباع الظنّ و ما قتلوه يقيناً بل رفعه اللّه اليه و كان اللّه عزيزًا حكيمًا* و انّ من أهل الكتاب الاّ ليؤمننّ به قبل موته و يوم القيامة يكـــون عليهم شهيدًا)) (النّساء / ١٥٩).

المسيحية ديانة بينيه

قال سبحانه و تعالى حكاية عن لسان عيسى عليه السلام :

((و مصدّقاً لما بين يدي من التّوراة)) (آل عمران / ٥٠).

((مبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)) (الصف / ٦).

في الوقت الّذي يعترف فيه المسيحيّون بموسى عليه السلام كنبـــيّ مبعث من قبل اللّه عزّ و جل و يعتبرون الدّيانة المسيحيّة كرسالة الهيّـــة أخرى مكّملة و متمّمة لها يشددون النكير على الدّيانة الاسلاميّة كما سيأتي تفصيل ذلك عمّا قريب و ينكرونها من الأساس و بالاعتبار المبدئي ينكـــر اليهود الديانة المسيحيّة و يقبحونها أشدّ تقبيح و يطعنون في عيســـى و امّه و يسمّونه بابن الخطيئة الى غير ذلك من العبارات الجارحة المعنّفة كما يقابلون الاسلام بنفس النظرة و يكنون له بالغ الحقد و الكراهـــــة و العداء.

و في معترك هذه الآراء السقيمة يقف الاسلام ليؤكّد على اصالتـــه و يعلن امضائه للديانتين كامتداد له واقع أصيل و حقيقة ثابتة و يفصـــح عن النظرة المستقيمة للديانة المسيحيّة في حكاية له على لسان عيسى عليه

السلام ، و انّه انّما كان فى الواقع صاحب رسالة بينيّة تمهيديّة للرسالة المحمديّة الخاتمة الّتى بلغت الكمال في أهدافها و مبادئها و أخلاقيّتها و برامجها و أطروحاتها و تعاليمها و أحكامها و سموّها .

الاسلام فى نظر المسيحيين

قد لا تقبل اوربا المسيحيّة تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية و لكنّها تحتفظ دائمًا فيما يتعلّق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن و مبنيّ على التفكير المجرّد عن العصبيّة و الهوى الاّ انّها حالما تتّجه الى الاسلام يختل التوازن و تنعدم الأسس المنطقيّة المستقيمة و تأخذ نزعة الحقد و الحنق تغلي حتّى تسيطر على المخيلة و الانطباع العام عاكسة بذلك الحقائق رأسًا على عقب و يبدو معها الصحيح سقيمًا و المستقيم معوّجًا و المثل العليا خرافات و سخافات و ترّهات .

و لذلك فهم يصوّرون النبيّ محمدًا صلّى اللّه عليه و آله على انّه رجل حاول الاصلاح الدّيني نسج له شريعة سمّاها الاسلام و اخترع لها كتابًا سمّاه القرآن .

يقول المستشرق نيكلسون في كتابه الصوفيّة في الاسلام :

((و القارئون للقرآن من الأوربيين لا تعوزهم الدّهشة من اضطراب مؤلّفه ، و هو محمّد وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات و هو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات كما لم تكن حجر عثرة في سبيل صحابته الّذين تقبّل ايمانهم السّاذج القرآن على انّه كلام اللّه ، و لكن الصدع من هنا وجد و سرعان ما ظهر نتائج بعيدة الآثار)) (١) .

---

(١) الصوفيّة في الاسلام صفحة ٧ــ ٨ ترجمة نور الدين شريبة .

كما انّهم يرجعون أصول التعاليم الاسلاميّة الى اليهوديّة والمسيحيّة بمعنى انّه اقتبس وأفاد منهما كثيراً وجسّد فهمه الانساني خلال صياغته لهذه التعاليم وعلّلوا انكاره لألوهيّة المسيح لتأثّره بنفسه كانسان ولم يرقَ في تصوّر نفسه الى منزلة عيسى حتّى يتصوّر انّه (اله) كما كان عيسى !!

وقد قدمنا لك كيف انّ منظّمة اليونسكو العالميّة نفسها لا تعترف بالاسلام كرسالة سماويّة بل تقرنها بالعقائد الوضعيّة البشريّة وتعبّر عنها بأسلوب لاذع مستهجن كتعبير مستمدّ من نظرة المسيحيّين واليهود على السواء وامتداد طبيعي لنظرتهما الحاقدة البغيضة.

قال اللّه عزّ وجل:

ـ ((وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملّة ابراهيم وما كان من المشركين)) (البقرة / ١٣٥).

ـ ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم، قل انّ هدى اللّه هو الهدى، ولئن اتّبعت أهواءهم بعد الّذي جاءك من العلم ما لك من اللّه من وليّ ولا نصير)) (البقرة / ١٢٠).

ـ ((قولوا آمنّا باللّه وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولّوا فانّما هم في شقاق)) (البقرة / ١٣٦ ـ ١٣٧).

ـ ((زيّن للّذين كفروا الحياة الدّنيا ويسخرون من الّذين آمنوا والّذين اتّقوا فوقهم يوم القيامة واللّه يرزق من يشاء بغير حساب))

(البقرة / ٢١٢).

ـ ((يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا الّذين اتّخذوا دينكم هزوًا و لعبًا من الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم و الكفّار أولياء و اتّقوا اللّه ان كنتم مؤمنين)) (المائدة / ٥٧).

ـ ((يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود و النّصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولّهم منكم فإنّه منهم انّ اللّه لا يهدي القوم الظّالمين)) (المائدة / ٥١).

المبدأ الكهنوتي

يحصر الفكر المسيحي الكنيسي استغفار المذنبين من ذنوبهم و آثامهم و خطاياهم في اطار محدود و يُضَيّقُ مجالاته الى أبعد الحدود فلا يسوغ الاتّصال المباشر المستقلّ بين العبد و بارئه في ذلك ، بل يلزمه الرجوع الى الكنيسة ليتّخذ من القسيس حلقة وصل و مَعْبَرَ ارتباط لكي يتّصل باللّه عزّ و جلّ و يسأله الصّفح و العفو و المغفرة و الرّضوان.

و الأمر بالنسبة الى الرجال هيّن امّا النساء فأمرهنّ من أعظم الخطوب و البلايا فانّه ما ان تختلي معه في غرفة المغفرة الّتي توصد بالأقفال من الداخل و تخبره بما ارتكبت من جرائم خلقيّة و جنسيّة يطلب منها القسيس أن تقوم بممارسة بعض الأعمال الجنسيّة معه من مداعبة و مصّ و تقبيل و شمّ و معانقة و ضمّ لكي تساعده على الوصول الى حالة القرب من الربّ و يبالغ في الاندفاع بذاته و وجدانه نحو ذلك الهدف لينتهي به للمقام لمخاطبة اللّه عزّ و جل من منطق الشفقة و الرحمة بحالها

وعمق الارتباط الّذى ناله منها وحقّقه معها . ومن الطبيعي انّه كلّما ازدادت تلك الممارسات لذّةً وعنفًا ازداد الأمل في سرعة الغفران والاحسان والصّفح .

وفي ذلك يقول أحد الشعراء الطرفاء :

ومن أفظع الأشياء حسناء غادة
كأن بعينيها اذا نظرت سحرا

سبى الناس منها ردفها وقوامها
ومقلتها الغيدا ووجنتها الحمرا

تجيء عليها الحلي والحلل انطلت
معطرة معقولة سفرة الشعرا

بها يختلي قسيسها وهو أعزب
شقاشقه من ثوبه هدرت هدرا

فتعترف الأنثى له بذنوبها
ولو بالزنا سرًّا ليمنحها الغفرا

ولا جائز منهم دخول عليهما
ولو بقيا في السرّ وحدهما شهرا

وربّ امرئ من غير قصد رآهما
فشاهد مدهوشًا بعروتها الزرا

ومن لم يكن يجرى اعترافا كهذه
فذلك أغبى القوم أجهلهم طرا

فأفٍّ لدين يهتك العرض بالرضا
ويوهم أهل العرض انّ له أجرا

مساكين أهل العلم منهم فكم رأوا

مناكير لكن ما استطاعوا لها نكرا

وأخبرني أحد الفضلاء انّ له صديقا عراقيّا يقطن بريطانيا ولذلك الصديق صديق انجليزي كان مبتعدا عن المشاركة الفعليّة في عبادات الكنيسة مستهترًا بشأنها منصرفًا لحياته العمليّة تزوّج امرأة تشبهه في المنحى فاتّفق معها على أن يذهبا الى الكنيسة ويستغفرا الله ممّا سلف منهما من تقصير وتسويف، ولمّا وصلا الكنيسة طلب من زوجته أن تبادر الى الدخول على القسيس أوّلاً، وعندما خرجت أخبرت زوجها بما فعله القسيس معها فاشتاط غيظه وحنقه وأقسم على الانتقام فرجع الى البيت وارتدى ثيابًا نسائيّة ووضع على رأسه شعرًا مستعارًا وبالغ في حلق ذقنه وتنعيمه وطلي شفتيه بالحمرة ووجهه بالألوان المغرية الجذّابة، وكان وسيمًا حتّى بدى مظهره مظهر امرأة حقيقيّة تمامًا ثمّ توجّه الى الكنيسة ثانيًا ودخل على القسيس الذي طار فرحًا وخال انّه غنم بصيد ثمين فبادره على عادته بالغمز واللمز من دون شك في حقيقته ولم يتمالك الزوج نفسه وهو يرى زيف القساوسة وحقيقة ما أخبرته به زوجته فأخذ القسيس وعصره عصرة قويّة وافترش به الأرض وجرده من سرواله وأعمل مرامه في سؤاته ثم خرج من الكنيسة بعد ذلك وأعلن اسلامه هو وزوجته وتبرأ من الكنيسة وما ترتكبه بحق الضمير الانساني وشرفه وكرامته باسم الدين والمسيح.

وحدّثني أحد الطلبة الجامعيّين الّذين أوفدوا الى بريطانيا من البحرين لغرض الدراسة الجامعيّة في مجال تقنية الكهرباء والتخصّص في ميدان التجهيزات الكهربائيّة للطائرات المدنيّة.

انّه عند ما وصل الى بريطانيا مع مجموعة من الطلبة الآخرين زارهم

وفد من قبل الكنيسة الكاثوليكيّة للنظر في شأنهم و جس النبض بشأن امكانيّة تنصيرهم .

و كانت اللهجة التي بادروهم الحديث بها لهجته الحاد و كفر بمعنى انّ الوفد الكنيسي كان في اعتقاده انّه لم يبقَ شاب (عربي) تتلمّذ في الجامعات و الدراسات الاكاديمية التابعة له يحمل عقيدة اسلاميّة ، و لذا فانّه بحسب حساباتهم أصبح أرضيّة صالحة للتنصير و لما كان أمره على خلاف ما تصوّروه أظهر تجاوبه ليرى بام عينيه الخاتمة السعيدة للعبة الكاثوليكية فطلب منهم ايضاح العقيدة المسيحية و أهدافها و قد كان مما تطرق اليه رئيس الوفد الكنيسي حرمة الزواج على كافة القساوسة فبادره ذلك الطالب باستغراب و استعجاب ، الآ ان رئيس الوفد ادّاركه بقوله انّ ذلك لا يمنع من مجامعتهم للنساء ، و ذلك لأنّ المرأة الّتى ترتكب الزنا و الخطايا عندما تأتي للاستغفار الى الكنيسة يختلي بها القسيس في غرفة خاصّة و ينام معها ليطهر جميع ما مسّه الباغي عليها من ايلاج في الفرج و تقبيل وعناق و شم و مص و نحو ذلك و لا يعتمد ذلك على مدّة معيّنة فالأمر يرجع الى القسيس فاذا قضى و طهره منها منحها مغفرة الربّ و ضمن لها قبول توبتها و تطهير صحيفة أعمالها من ذنوبها .

و قد شاهدت بأم عينى في أثناء جولة قمت بها في مدينة اصفهان شملت متحف كنيسة الأرامنة الرئيسية في منظر غير متوقّع و متعمد خروج امرأة حسناء فاتنة من غرفة الخليفة الأرمني وهى تزرر قميصها و قد وضعت على رأسها الچادر في صورة غير طبيعيّة ذلك الخليفة الذى حرموا عليه الزواج و فرضوا عليه الاقامة في الكنيسة للعبادة و الانقطاع بزعمهم .

الى غير ذلك من الفضائح و الفضائع التي يجلّ عن الدعوة اليها المسيح نفسه عليه السلام و يبرأ الى الله منها ·

و قد قرأت الكثير في الصحف بين الحين و الآخر من التجاوزات الكنيسيّة و قساوستها من أمثال ممارسة اللواط و اقامة سهرات العراء الحمراء مع الراهبات في سراديب الكنيسة كما حدث اكتشاف ذلك قبل عدّة سنوات في بريطانيا ·

معاوية وبداية التآمر المسيحي

قال سبحانه و تعالى : لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود و الّذين أشركوا و لتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا انّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين و رهباناً و انهم لا يستكبرون (المائدة / ٨٢) ·

لم تكن الجهود الّتي بذلها معاوية لهدم الاسلام مقصورة على ابرام التعاون الوثيق مع اليهود على النحو الّذي قدمناه بل تعداه بمعاهدة أخرى مع المسيحيّين الّذين كانوا في تلك الأثناء يرابطون في معاقلهم بين أظهر المسلمين و يتحيّنون الفرص للفتك بالمسلمين و يتربّصون بهم الدّوائر للانقضاض عليهم و نحن عند ما نقول ذلك لا نوقع أنفسنا في شراك التناقض و ذلك عند ما قدمنا لك ان معاوية كان ممّن حارب المسيحيّين و ضم قواطع جديدة من عالمهم الى الحاضرة الاسلاميّة لقد فعل ذلك فعلاً و هو مما ثبت تاريخيّاً الاّ انه لم يكن ذلك بدافع اعلاء دين الله و صيانة حوزته و كيانه و وجوده من الأخطار الّتي

تحدق به من قبل المسيحيّين .

بل بدافع بسط السلطان و التمادي في الجبروت و العظمة و اشباع حبّ الذات و الكبرياء و تلبية رغبات نفسه الامارة و نهم جانبه الشيطاني و اعظام الكرسي و العرش الملكي و ليس ذلك الحبل الوحيد الذي تمكّن معاوية من اللعب عليه بنجاح على الرغم من كونه على مفترق ساحتين و تناقض مصلحتين بل هناك شواهد و أمثلة أخرى بارزة في حياته جعلته آية في الدهاء و المكر و الحيلة حتّى عرف عنه ذلك و اشتهر به و في ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام بما معناه : ليس معاوية بأدهى منّي و لكنّه يكذب و يغدر و يفجر و لو لا تقوى اللّه و خوف عقابه لكنت أدهى الناس .

و هناك ملاحظة جديرة بالالتفات و هي انّ معاوية لم يكن طيلة فترة حكمه المديدة في مواجهة مع جيرانه البيزنطيين .

و انّما كانت المواجهة في الدور الأوّل من عهده و انتهت الى تمتين أواصر المحبّة و الوئام و ابرام المعاهدات السريّة التي ركزت على ثلاث بنود رئيسيّة :

١ ــ أن يأمن معاوية على أطراف دولته في الشام من تحرشات الرومان .

٢ ــ و في المقابل حصول البيزنطينيين على ضمان بعدم اختراق للقوّات الاسلاميّة لأراضيهم .

٣ ــ الاستفادة من العداء المسيحي لتدمير الاسلام في قلوب معتنقيه أو حرفه عن مساره الصّحيح و تشويه اصالته و في هذا المجال تمّ التوصّل الى ضرورة انجاز حركتين :

أ ــ فسح المجال للمسيحيّين ليتغلغلوا بين صفوف المسلمين

و تسلّم بعض المراكز الحساسة فى الدولة الاسلاميّة .

ب ـ تسخير الأديرة و الكنائس لأغراض افساد شباب المسلمين فتحوّلت الراهبات من حالتهنّ اللاهوتيّة نزولاً عند رغبة المخطّط التآمري الى سلع جنسيّة مبتذلة و قد استطاعوا بذلك التأثير على كثير من المذبذبين و المتزلزلين من أبناء المسلمين ليحولوهم الى المسيحيّة بعد قضائهم ليالٍ و أيام في أحضان الراهبات الفاتنات و هذا واحد من أولئك الضحايا يسجل اعجابه باحدى راهبات دير الخوات بقوله :

أهل دير الخوات باللّه ربّي
هل على عاشق من جناح
و فتاة كأنّها غصن بان
ذات وجه كمثل نور الصباح

و هاك آخر يتغزل بدير الروم :

ريم بدير الروم رام قتلي بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلي و حسن وجه و قبيح فعل
يا ليتني كنت له صليبا أكون منه أبدًا قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا لا واشيا أرى ولا رقيبا

لقد تمّ ذلك بمباركة الدولة الأمويّة و في أوساطها و كنفها و تحت حمايتها حتّى أضحى الاسلام مع ما دبره و حاكه أبو هريرة و كعب الأحبار و انجزاه باسم الدّين عن طريق الدّس و الافتراء و الكذب نسخة اخرى لا تمّت الى منبعه بوشيجة أو ارتباط و أصبح معه معاوية هو الوارث الوحيد للنبوّة بيده تبديل أحكامها و التصرّف بمبادئها كيف شاء و المتتبّع لتاريخ معاوية و ما فعله مع أهل الشام يدرك ذلك ، و كيف تمكّن

من التأثير بهم حتى أضحى يوم سبي ذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأمر ابنه يزيد بعد واقعة الطف المفجعة يوم عيد و فرح و سرور و ابتهاج عم جميع مناطق و مدن الشام لانتصار خليفة النبي على البغاة و المارقين من ذريته بزعمهم و قد انطلت بفعل الحنكة المعاوية جميع الادعاءات الباطلة و الافتراءات الواهية على أهل الشام عامتهم و خاصتهم دون أن يشك فيها شاك أو يختلج في قلبه شبهة و ريب.

و بعد افول الدولة الأموية و تقوض أركانها على يد العباسيين عاود الروم هواجسهم و تخوفهم و هلعهم و فقدوا بسقوط الأمويين القدرة على ضمان سلامة عالمهم و حدود دولتهم و لذلك لعب المسيحيون المتواجدين في الشام دوراً حيوياً و مهماً في جس نبض تحركات المسلمين و رصد طموحاتهم و التجسس على مخططاتهم.

يقول جرجي زيدان عن تلك الفترة في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي:

((كان نصارى الشام لا يدخرون وسعاً في هذا السبيل فينقلون أخبار المسلمين الى الروم و اذا جاء جواسيسهم آووهم في منازلهم و أعانوهم في استطلاع الأخبار فربما دخل النصراني بين المسلمين و هو في مثل لباسهم و قد نقش اسمه بالعربية على خاتمه مثلهم و حفظ شيئاً من القرآن ليوهم المسلمين انه منهم)).

و قد بزغ في تلك الفترة نجم سوسن النصراني و هو راهب نصراني أعلن اسلامه كذباً و نفاقاً و دخل بين صفوف المسلمين و أخذ يكيد بهم و يشعل نار الفتن و الفرقة و الشقاق بين الأمة و شاركه ابن كلاب حيث ادعى هو الآخر دخوله في الاسلام و استطاع هذا المتآمر أن ينقل طائفة من المسلمين الى المسيحية عن طريق الرشوة و الاحتيال و العبث

بأفكارهم ردحًا من الزمن.

قال أبو العبّاس البغوى:

((دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الرّوم بالجانب الغربي فسألته عن ابن كلاّب فقال: رحمه اللّه... لو عاش ابن كلاب لحوّلنا جميع المسلمين نصارى)).

أقول: ان عمليّة تنصير المسلمين من العمليّات الفاشلة مبدئيًا لأنه لم يتفق شعب دخل الاسلام ثم عاد نصرانيًا وقد طالعتنا مجلة العالم الغراء الّتي تصدر في لندن في بعض أعدادها بظاهرة غريبة باتت تثبت دعائمها في دولة باكستان حيث تنامي الدور التبشيري في أوساط المسلمين البسطاء السذج وتكلل جهوده بالنجاح التام في جذبهم الى حضيرته علاوة على ذلك تزايد انشاء الكنائس والمدارس التبشيريّة والمؤسّسات التابعة لها على أرض هذه الدّولة الاسلامية والمتمعن في هذه الظاهرة ينطبع في مخيلته على وجه السرعة الوجه القبيح والقذر للدّور الذي يلعبه الرئيس الباكستاني الحالى ضياع الحق حيث تتمّ كل هذه الأحداث مجتمعة بمباركته ودعمه في الوقت الذي يتبجح فيه بمحاولته لأسلمة نظام الدّولة ولا يفوتنا التنبيه على ان عملية التنصير تلك لا تعتمد في أسلوبها وسياستها على احداث نقلة مباشرة من الدّين الاسلامي الى الدّين المسيحي وانما تقوم باشاعة الالحاد والمروق والتحلّل الخلقي والجنسي بين صفوف المسلمين حتّى اذا فرغت قلوبهم من الاسلام بذلوا جهودهم الرّامية الى ضمه للمسيحية عن طريق وسائلها الخاصة وطرقها الماكرة وعلى رأسها سلاح الجنس السلاح الأكثر فاعليّة وتأثير.

و ملاحظة أخرى جديرة بالذكر و هي انّ المسيحيّين على الرغم من جميع الحروب الّتي خاضوها ضدّ المسلمين و الحقد الّذي أججه القساوسة في قلوبهم الاّ انّهم أكثر وداعة من اليهود و مسالمة وعلى الأخص المسيحيّون الّذين يعيشون في ديار المسلمين بين أظهرهم و في فترة الصِّدَام المسلّح و أثناء اشتباك سنابك الخيل كانت المعاملات التجاريّة بين المسلمين و الرومان قائمة كما تخلّل ذلك فترات سلام تبادل فيها المسلمون و الروم العلاقات الثقافيّة و الاقتصاديّة وكان التبادل الثقافي من أهمّ المبادلات الّتي شهدتها ساحة الاتّصالات بين الجانبين، و قد جعل الخلفاء المؤلّفات اليونانيّة و الرومانيّة القديمة بديلاً للمبالغ المفروضة و الجزية المقرّرة في بعض الأحيان.

و الّذي خلق أمثال هذه الأجواء الاستثنائيّة هو طبيعة المسيحيّين وعدم تطرّفهم عقائديّا بشكل حاد ضدّ المسلمين بالنظر الى اليهود الّذين يمتلكون كتاب التلمود المتطرف في كلّ شيء و المتحامل على غير اليهود كافة و بالخصوص المسلمين و المسيحيّين و يسعى لابادتهم و يطرح نظرة جهنّمية لابادتهم أو تشويه عقائدهم ولو افترضنا ان عدد اليهود فى العالم بمثل حجم العالم المسيحى لرأينا كيف يُعْمِل هؤلاء السيف بلا هوادة و لا رحمة في المسيحيّين و المسلمين لكن قلّة عددهم نسبيّاً هو الّذي يدفعهم للتّكتّم على مخطّطاتهم و العمل في الخفاء و خلف الأستار.

الحروب الصليبية

يجدر بنا و نحن نحاول استعراض خطوطها العريضة ان نصنفها الى اتّجاهين حاولت من خلالهما جهدها اشباع النقمة العدائيّة وتنفيس الأحقاد المستبطنة ·

فأمّا الاتّجاه الأوّل فهو الاتّجاه المالئ الذي يعتمد على تركيز الجهود للنفوذ الى جسد الأمّة الاسلاميّة و العمل على نخر هيكلها و ضعضعتها و الاستحواذ على نقاط الضعف و منابع القدرة و الفاعليّة في أجهزة الدّولة مهما أمكن و بأيّ وسيلة متاحة ·

و شحذ الطاقات و الهمم عند سنوح الفرص للإنقضاض بلا رحمة و هوادة على كيان المسلمين و العبث بكراماتهم ومقدّراتهم و مقدّساتهم ·

و أمّا الاتّجاه الثاني فهو الاتّجاه المنازل و الّذي لا يعرف موضعًا للشّفقة و الرّحمة الانسانيّة في طموحاته و مساعيه سوى اراقة المزيد من الدّماء و ازهاق أكبر قدر من الأنفس و هذا الاتّجاه الدموي اللاّ انساني لم يكن المسلمون السبب الرئيسي في نشوئه بقدر ما ساهم الصليبيّون ، لقد كان الامتداد الطولي و العرضي للدّولة الاسلاميّة في عهدها الأوّل من الأمور الطبيعيّة و انّ الخطوة الأولى الّتي قام بها النبيّ الكريم عند ما أرسل الرسائل الى ملوك الامبراطوريات آنذاك و أمراء الأصقاع و البلدان المختلفة من أوّل التطوّرات الّتي كانت تعتمد الجانب السلمي و المنطقي و العقلي في الرؤية المحمديّة و المخيلة النبويّة حيث دعاهم فيها الى اعتناق الاسلام كدين سماوي خاتم ، و لم يكن خطابه الى الامبراطور الرومي

خطاباً غير مرتقب أو عديم الجدوى و الفائدة أو مخالفاً للمنطق السّليم ، و ذلك لأنّا قدّمنا لك انّ الديانة المسيحيّة كانت ديانة بينيّة بين التوراتيّة و القرآنيّة ممضية للأولى و مبشّرة بالثانية .

و الامبراطور الرومي المسيحي هو من الملزمين حينئذ باتّباع محمد صلّى اللّه عليه و آله باعتباره قد ذكر في الانجيل نفسه و بشّر به فيه لكن البطاركة و القساوسة هم السبب الأوّل في تحريف هذه القضيّة و ذلك عند ما التجأ اليهم و سألهم عن صحّة هذه الدّعوى فأجابوه بخلاف ما في الانجيل بل و طلبوا منه العمل على القضاء عليه لأنّه سيشكّل خطرًا يتهدّد العقيدة المسيحيّة اذا ما ترك و شأنه .

و هذه الحقيقة يستعرضها القرآن بهذا النصّ الشريف :

((الّذين يتّبعون الرّسول النبيّ الأمّي الّذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التَّوْرَاةِ وَ الانْجِيْل ، يَأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ، و يحلّ لهم الطّيّبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم و الأغلال الّتي كانت عليهم فالّذين آمنوا به و عزّروه و نصروه و اتّبعوا النّور الّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)) (الأعراف / ١٥٧) .

و المبادى الّتي أعلنها و جاهر بها الرّسول الكريم لم تكن تتنافى مع المبادئ السامية المأثورة عن موسى و عيسى و سائر الأنبياء الماضين لكي تقابل بالرفض ، بل كانت تثبت ما استقام منها و تقوّم ما اعوجّ منها في محاولة تصحيحيّة شاملة يدرك حسنها و بداعتها و جميل أياديها من طهرت فطرته و صفت سريرته و خلت نفسه من شوائب العصبيّة و الضلال و المروق .

الاتجاه الدموى

كان هذا الاتّجاه هو الحلّ الحاسم الوحيد بنظرهم للقضاء على الاسلام عن بكرة أبيه و يكمن السرّ في ذلك التصوّر لما يترتّب على الانتصار الّذي قد يتحقّق عن طريقه من دحر للجذور و اعفاء للأثر و ابادة للأجسام و اخماد للأنفاس و من الطبيعي أن يحدث هناك تحول سريع و شامل مع ذلك يطمأنّ فيه المسيحيّون على عدم وجود منافس و مجابه يتهدّد عقيدتهم و أمن و استقرار وجودهم و هذا هو العامل الأكثر تأثيرًا في دفع جميع دول اوربا للمشاركة الفعّالة في خوض غمارها ، و قد كان ممّا شارك فيها بصورة فعّالة النورمانيون و الايطاليّون و البريطانيّون و الفرنسيون و الالمانيون و النرويجيون و السويسريّون .

و سارت جميع تلك الجيوش تحت توجيه و رعاية الكنيسة الكاثوليكية و هذا ما حذى بهم لابراز النزعة الدينيّة أكثر من غيرها و يبرز ذلك جليّاً من أناشيدهم الّتي كانوا يتغنّون بها في أثناء الزحف لقتال المسلمين حيث كانوا يردّدون مثل هذه العبارة كما قدّمنا لك في صدر الكتاب :

((أنا ذاهب لسحق الأمّة الملعونة لأحارب الدّيانة الاسلاميّة و لأمحو القرآن بكلّ قوّتي)) .

و أمّا بالنّسبة لأهداف هذه الحملات فقد صرح غاردنر عن ذلك بقوله :

((انّ الحروب الصليبيّة لم تكن لانقاذ القدس انّها كانت لتدمير الاسلام)) .

نعم ذلك الدّين الّذي سعى لتبديد ظلمات الجهل الّذي يحيط بعالمهم و ازاحة غشاوات العمى عن قلوبهم و يحاول الاسهام في اسعادهم و انتشالهم من تيارات الوثنيّة الّتي طغت على عقائدهم و سبّبت شقاءهم ردحًا متطاولاً من الزمن الى يومنا هذا يجابهونه بمثل هذا الموقف اللّامنطقي و اللّاعقلائي ٠

و في ذلك يقول المستشرق النمساوي ليو بولد فايس الّذي اعتنق الاسلام و سمّى نفسه باسم محمّد أسد و تولّى رئاسة قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجيّة الباكستانيّة فترة من الزّمن في كتابه : " الاسلام على مفترق الطرق " :

((٠٠٠ الا ان الشر الّذي بعثه الصليبيّون لم يقتصر على صليل السلاح و لكنّه كان قبل كلّ شيء و في مقدّمة كلّ شيء شرًّا ثقافيًّا لقد نشأ تسميم العقل الأوربي عما شوّهه قادة الأوربيّين من تعاليم الاسلام و مُثُلِهِ العليا أمام الجموع الجاهلة في الغرب في ذلك الحين استقرّت تلك الفكرة المضحكة في عقول الأوربيين من انّ الاسلام دين شهوانيّة وعنف حيواني و انّه تمسّك بفروق شكليّة و ليس تزكية للقلوب و تطهيرًا لها ثمّ بقيت هذه الفكرة حيث استقرّت ٠٠٠ انّ من أبرز الحقائق على ذلك الفيلسوف و الشاعر الفرنسي فولتير و هو من ألدّ أعداء النصرانيّة وكنيستها في القرن الثامن عشر ، لكنّه كان في الوقت نفسه مبغضًا مغاليًا للاسلام و لرسول الاسلام)) (١) ٠

و أمّا بالنسبة الى تسلسل الغزو المسيحي على العالم الاسلامي فقد تمّ في أدوار متعاقبة و فترات متلاحقة بهذا الترتيب :

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق ، الترجمة العربيّة ، ص٥٨ ٠

١ ــ الحملة الصليبيّة الأولى :

أعلن عن بدء زحفها عام ٤٨٩ هـ وكانت باتّجاه الشام، واستولت على بيت المقدس بعد ثلاث سنوات من انطلاقها عام ٤٩٢ هـ الصادف للخامس عشر من يوليو سنة ١٠٩٩ م.

وجاء في كتاب التاريخ العام للافيس ورامبو: ان الصليبيّين في هذه الحملة سفكوا دماء المسلمين حتّى في المسجد الأقصى بحيث كان الفارس منهم وهو راكب تصل الى رجليه دماء المسلمين الّذين قتلوا.

٢ ــ الحملة الصليبيّة الثانية :

جرت رحاها في عام ٥٤٢ هـ ــ ١١٤٧ م وكانت باتّجاه الشام.

٣ ــ الحملة الصليبيّة الثالثة :

زحفت جحافلها باتّجاه الشام أيضًا عام ٥٨٤ هـ ــ ١٨٨ ام واستولت فيها على الساحل الشامي سنة ٥٨٩ هـ ــ ١٢٠٣ م أي بعد خمسة عشر عاما من بدئها.

٤ ــ الحملة الصليبيّة الرابعة :

نشبت عام ٥٩٩ هـ ــ ١٢٠٣ م بدأت في نفس العام الّذي انتهت فيه الحملة الثالثة بهدف استرجاع القسطنطينيّة أعقبها عصابات وفدت من اوربا للسلب والنهب.

٥ ــ الحملة الصليبيّة الخامسة :

كانت على عكا بفلسطين عام ٦١٣ هـ ــ ١٢١٧ م.

٦ ــ الحملة الصليبيّة السادسة :

بدأت عام ٦١٥ هـ ــ ١٢١٨ م بقيادة لويس باتّجاه دمياط بمصر، وتمكن من الاستيلاء عليها عام ٦١٦ هـ ــ ١٢١٩ م أي بعد معارك ضارية

استمرّت سنتين ، ثمّ انسحبوا منها عام ٦٢٥ هـ ـ ١٢٢٨ م بعد هزيمة لويس التاسع ملك فرنسا بالمنصورة و لم يمض على ذلك الاّ سنوات قليلة حتّى استولى المغول على بغداد و أسقطوا الخلافة العبّاسيّة و قتلوا المستعصم العبّاسي سنة (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) ثم اجتاحوا حلب ، و استولوا على دمشق و استطاعت مصر أن ترد الحملة الصليبيّة سنة ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م و الحملة المغوليّة سنة ٦٥٩ هـ ـ ١٢٦٠ م في خلال عشر سنوات بعد سيطرة قوّة المماليك عليها و على مقدّرات العالم الاسلامي ممثّلة في قطز و الظاهر و بيبرس و قلاوون والناصر و في هذه المرحلة حقّق المماليك ثلاثة أمور هامّة :

أ ـ تصفية المماليك اللاتينيّة الصليبيّة و انهاء مملكة بيت المقدس .

ب ـ تصفية قلاع الباطنيّة في الشام و القضاء عليها .

ج ـ الحفاظ على الشام و مصر من غزو المغول .

٧ ـ الحملة الصليبيّة السّابعة : بدأت عام ٦٣٩ هـ ـ

بدأت عام ٦٣٩ م بقيادة فردريك الثاني و صبت حمامها على بيت المقدس حيث تمكّنت من احتلاله و بعد مضي ثمان سنوات تمكّن العرب بقيادة الملك الصالح نجم الدين من استرجاعه ثانيًا و قد كان ذلك عام ٦٤٧ هـ ـ ١٢٤٩ م .

٨ ـ الحملة الصليبيّة الثامنة :

اتّجهت الى شمال افريقيا (تونس) عام ٦٩٠ هـ ـ ١٢٩١ م .

وكان أهمّ هذه الحملات الأولى و الرّابعة و الخامسة ، وقد استطاع الفرنجة عندما اندفعت حركتهم الصليبيّة في خطّ ممتدّ من القسطنطينيّة الى غزة و توجيه حملاتها الى شواطئ الشام و مصر من اقامة دولة ذات

أربع امارات على الساحل الشامي خلال مأتي عام :

١ ــ امارة الرّها استمرّت من عام ٤٩٢ هـ الى ٥٣٩ هـ حينما أزالها عماد الدين زنكي .

٢ ــ امارة طرابلس ، و استمرّت من عام ٤٩٦ هـ الى عام ٦٨٨ هـ .

٣ ــ امارة انطاكية : استمرّت حتّى عام ٦٦٧ هـ .

٤ ــ امارة بيت المقدس : سقطت عام ٦٩٠ هـ .

و لا زالت ذكريّات الحروب الصليبيّة تعشعش الى يومنا هذا في قلوب المسيحيّين ، و تخيّم على مخيلتهم و تدفعهم الى بذل المزيد من الجهود لأجل الانتقام و الأخذ بثارات الماضين ، و هذا ما يدلّ عليه قول أعلنه مستشار الاستراتيجيّة الأميركية في أيّامنا هذه يدعو فيه الى حرب صليبيّة جديدة .

فقد نقلت وكالة الأنباء الكويتيّة في الواحد و العشرين من نيسان (ابريل) الجاري من مراسلها في روما انّ مستشار الادارة الامريكيّة للشؤون الاستراتيجيّة و العسكريّة ادوارد لوتواك قد دعا بشكلٍ واضح الى اعتقال جميع العرب في اوربا وغزو ليبيا من البحر بواسطة مشاة البحريّة الأمريكيّين و حرّض اوربا و ايطاليا على شن حملة صليبيّة جديدة ضدّ العرب و المسلمين و كشف لوتواك عن طبيعة التفكير الرسمي الأمريكي تجاه العرب و المسلمين في مقابلة أجرتها معه مجلّة اسيرسو الايطاليّة حين قال : البحر الأبيض المتوسّط هو حدّ فاصل بين حضارتين هناك الساحل المسيحي الّذي يجيز الاختلافات في وجهات النظر و الساحل الاسلامي الّذي يبرز فيه كلّ من يهاجم الحضارة الغربيّة و يكتسب اعترافاً معنويّاً من الجميع وعاد لوتواك الذى يزعم انّه استاذ تاريخ عسكري الى عهد الحضور

الاسلامي في اسبانيا و ايطاليا ليحرض الايطاليين على العرب ويذكرهم بأيام القرصنة البحرية في المتوسط و أردف قائلاً : ((أمامكم في جنوب آوربا بديل واحد اما أن تغلقوا حدودكم على العرب بشكل كامل أو تستسلموا على أساس الواقع أمام القرصنة الجديدة عليكم أن تراقبوا بشدة كل حركات العرب دون استثناء عليكم أن تناضلوا ضد القراصنة الجدد — العرب — و أن لا تسمحوا لهم بحرية حركة واحدة على أراضيكم كما فعلت دوقية توسكانا وانكلترا في الماضي اذا لم تقوموا بشن حملة صليبية جديدة ستكون لديكم الفوضى العارمة آوربا الجنوبية أي ايطاليا و اسبانيا و فرنسا و اليونان ستضعف اقتصادياً من وراء القراصنة الجدد و ها هو مدخول السياحة لديكم يخسر مليارات الدولارات و تخاطرون الآن بأن تتحول بلدانكم الى صحاري)) (١) .

---

(١) مجلة العالم الغراء العدد (١١٥) المؤرخ بيوم السبت ٢٦ نيسان — ابريل — ١٩٨٦ م — ١٨ شعبان ١٤٠٦ هـ .

٢- الاتجاه المخادع و المماكر
(الحرب الباردة)

يعتمد هذا الجانب بالدرجة الأولى على سياسة الخطوة خطوة ذات النفس الطويل و المرحلية المدروسة وهذا ما تنصح به كوادرها وعناصرها الأعضاء و توجه انظارهم اليه انها تأمرهم ان يبذروا بذور مؤامراتهم لا ليجنوا ثمرتها بأنفسهم و انما عليهم ان يتركوا البذرة تأخذ مأخذها بتؤدة و ثبات ليقتطف ثمرتها من يأتى بعدهم من الجيل المستخلف فعلى الاباء ان يزرعوا ليقتطف الابناء و هذا ما يتصح لك جليا من خلال ما صرح به وزير المستعمرات البريطانى عام ١٧١٠م حين قال :

((... ان الحروب الصليبية لم تكن ذات جدوى كما ان المغول لم يتمكنوا من قلع جذور الاسلام اما اليوم فان دولة بريطانيا وضعت مخططات مدروسة لهدم الاسلام بصورة تدريجية و بطريقة مثمرة)) .

و اليك مقوله لقطب اخر من أقطاب حلقة التأمر الاستعمارى على العالم الاسلامى .

انه لويس التاسع ملك فرنسا الذى اسرفى دار ابن لقمان فى المنصورة حيث قال فى وثيقة محفوظة فى دار الوثائق القومية فى باريس :

انه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب و انما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع مايلى :

١ـ اشاعة الفرقة بين قادة المسلمين و اذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما امكن حتى يكون هذا الخلاف عاملا فى اضعاف المسلمين.

٢ـ عدم تمكين البلاد الاسلامية و العربية من ان يقوم فيها حكم صالح.

٣ـ افساد انظمة الحكم فى البلاد الاسلامية بالرشوة و الفساد و النساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

٤ـ الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه أن يضحى فى سبيل مبادئه.

٥ـ العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية فى المنطقة.

٦ـ العمل على قيام دولة غربية فى المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوباً الى انطاكية شمالاً ثم تتجه شرقا و تمتد حتى تصل الى الغرب.

و لو تمعّنّا فى طبيعة التخطيط الكنيسى المضاد للأسلام و ما تمخض عنه من برامج و شقوق و شعب و اتجاهات من تبشير و استشراق و استعمار وعبث بالفكر و العقائد على نحو ما سنأتى على الاشارة اليه لوجدنا حقيقة العلاقة بين بعضها البعض و تناسقها فى اهدافها لينصب ثقلها فى الأخير على تأصيل و فاعليه المجابهة و التأثير و التجريح فى جسد امم العالم الاسلامى و جعله شذر مذر.

و فى الواقع ان هذه الحقيقة المرة لم نزل نقبع بين مخالبها و نتجرع غصص الأمها و نذوق و بال شرورها و جراحها ببركة العمالة المفضوحة السافرة لحكام الدول الاسلامية و تواطئهم مع الدوائر الاستعمارية لاضطهاد شعوبهم جسمانيا و روحيا و المسؤولية الكبرى فى استمرار هذه العجرفة و التمادى الحقود تنبع من انفسها بالذات و قبل

كلّ شئ قال السيد جمال الدين الأفغانى :

((لو لم تكونوا شِيَاءً لما اصبح اولئك عليكم ذئابا)) ·

نعم طريق تعبيد صور الخضوع و الذل و الاستكانه و التسليم للعدو تنبع من انفسنا قبل كلّ شئ و بالدرجة الأولى لان الرفض الباطنى و اعلان صور العصيان و المجابهة مع اليقظة التامة تؤدى بطيعتها الى بعث حالة من اليأس و القنوط و الرهبة و الرعب فى قلوب الاعداء و لا تترك لهم متسعا من الوقت يهنؤن فيه بنشوة الانتصار و طيب الافتخار تماما كما فعل و يفعل اخواننا اللبنانيون اليوم الذين بالرغم مما هم عليه من قلة العدد و العدّة مرغوا انفوف جبابرة الشرق و الغرب فى اوحال الخزى و العار و الهزيمة و سجلوا بذلك اروع صور الفداء و البطولة و التضحية ·

١ـ الارساليات الخيرية

من اجل كسب عواطف الشعوب و استمالة جانبهم و الحظو باحترامهم قامت بعثات هادفة ومنظمة بصورة جماعات طبيّة أو مساهمات خيريّة تقوم ببناء وحدات سكنيّة عمرانيّة كملاجئ للأيتام أو فصول لتعليم أبناء المسلمين أو مستوصفات لعلاج الحالات المستعجلة و الطارئة و مستشفيات للقيام بمهام أداء وظيفة الخدمات الصحيّة و العلاجيّة و صيدليّات لبيع العقاقيد الطبيّة و الأدوية الضرورية و الوسائل والأدوات الصحيّة التجارية ٠

يقول الدكتور اراهاس طبيب ارسالية التبشير فى طرابلس:

((يجب على كل طبيب ارساليات التبشير ان لا ينسى و لا فى لحظة واحدة انه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك))) ٠

و قال القسيس المبشر سن كلير :

((و اكتسب المبشرون محبة الناس لهم بسبب الاعمال الطبية التى تصدر عنهم فتجعل اعداء هم يعترفون بان النصرانية مصدر كل خير ٠

و قال القسيس سلستين فى تقريره الذى القاه فى مؤتمر لكناو الهندى :

و توجد ارسالية تبشير طبية دانماركية تقوم بها النساء و وظيفتها التبشير بين النساء المسلمات و هى على اهبة الوصول الى كابل عاصمة

الافغان)) .

و لم يكن حظ البحرين بأحسن من جاراتها فقد انشأفيها مستشفى باسم مستشفى الارسالية الامريكية ضم الى جنبه مكتبة ضخمه لبيع الكتب المسيحية و الأناجيل و نحو ذلك و كنيسة شامخة تقع على مساحة كبيرة و يقع بالقرب من هذه المؤسسات التبشيريّة الثلاث مقبرة للشيعةولنشاطات

هذا المستشفى و جهوده الملحوظة فى علاج ابناء الوطن تقدم احد كبار تجار العاصمة فى احد المناسبات بشكره لرئيس المستشفى على خدماته الانسانية و بوادره الطيبة فأجاب الرئيس فى ردّه عليه نحن لم نطمئن على جناح مهمتنا الا بعد ان ملأنا هذه المقبره من موتاكم .

نعم بهذه العبارة نطقت شفتاه حسبما نقل لى و تناقله الناس منذ اكثر من عشرين سنة خلت و لا ادرى بالضبط العلة التى دعته للكشف عن مخططاتهم الاجراميّة الا ان القدر شاء ان ينطق لسان الباطل بالحق رغما عنه و يطلعنا على طبيعة المهمة الموكلة اليهم و من العجيب و المستغرب انه لم يتغير شئ على الرغم من ذلك فلا زال المستشفى المذكور يمارس اعماله و يزاول مخططاته الى يومنا هذا .

٢ـ التبشير

و هو عبارة عن الحرب العقائدية التى يشنها العالم المسيحى ضد الاسلام بالذات تتخذ فى دعوتها لتنفيذ مآربها منطق مظاهر العقلية العامة اى العقلية الشعبية ٠

و سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة و رياض الاطفال و المراحل الابتدائية و الثانوية للذكور و الاناث على السواء كما سلك سبيل العمل الخيرى الظاهرى فى المستشفيات و دور الضيافة والملاجئ للعجزة ودور اليتامى و اللقطاء و استغلال وسائل النشر و الطباعة و الصحافة للوصول الى غاياته و اهدافه ويمكن ايجاز اتجاهات العمل المنظم فى اجهزة التبشير بالنقاط التالية :

١ـ انكار المقومات التاريخية والثقافية و الروحية فى ماضى هذه الامة و التذيد و الاستخفاف بها ٠

٢ـ صياغة هذا الانكار والتنديد و الاستخفاف فى صورة بحوث و مقالات وعلى اساس من اسلوب الجدل و النقاش فى الكتابة او الالقاء عن طريق وسائل الاعلام المرئية و السمعية ٠

٣ـ توهين القيم الاسلامية و الطعن فى اللغة العربية الفصحى ٠

٤ـ تقطيع اواصر القربى بين الشعوب الاسلامية و الازدراء بها

فى المجالات الدولية و المحافل العالمية ٠

٥ ـ بعث الالحاد فى نفوس شباب المسلمين ثم السعى لضمهم لحضيرة الدين المسيحى و نسوق اليك بعض اقوال اقطابهم ليتضح لك اهمية هذا الجانب فى المنظور الكنيسى و مدى فعاليته و خطره على عالمنا الاسلامى الكبير :

قال الراهب اليسوعى ميلينر :

((٠٠٠ ان الحروب الصليبية الهادئة التى بدأها المبشرون منذ القرن السابع عشر ما زالت مستمرة الى الآن ٠٠٠ و ما زال عدد الرهبان و الراهبات الفرنسيات فى تزايد ملحوظ فى منطقة الشرق الأوسط)) ٠

و قال روجرز بيكون :

((ان الحروب الصليبية فى القرنين الثانى عشر و الثالث عشر كانت مجرد سفك دماء بلا جدوى و ان الواجب على كل مسيحى هو تبشير المسلمين و دعوتهم الى اعتناق المسيحية)) ٠

و قال صموئيل زويمر فى التقرير الذى كتبه سنة ١٩٢٦م :

((لقد جرت الدعوة الى النصرانية فى انحاء كثيرة من البلاد الاسلامية و قد استنتجت من تجاربى ان الطريقة التى سرنا عليها لا تجدى نفعا و لا توصلنا الى غايتنا الكبرى فقد كتبنا كثيرا و خطبنا كثيرا و صرفنا من الذهب كثيرا دون ان نتمكن من اخراج المسلم عن دينه و عندى انه قبل بناء النصرانية فى قلوب المسلمين علينا هدم الاسلام فى نفوسهم حتى اذا اصبحوا غير مسلمين سهل علينا او على من يأتى بعدنا ان يبنى النصرانية فى نفوسهم)) ٠

و قال أيضا فى كتاب الغارة على العالم الاسلامى :

((ان للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتان مزية هدم و مزية بناء اما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه و لو بدفعه الى الالحاد واما البناء فنعنى به تنصير المسلم ان امكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه)).

و فى عدد يونيه من مجلة العالم الاسلامى الانجليزية جاء سنة ١٩٣٠م ما نصه تحت عنوان الجغرافيا السياسية للعالم السلامى :

((ان شيئا من الخوف يجب ان يسيطر على العالم الغربى و لهذا الخوف اسباب منها ان الاسلام منذ ان ظهر فى مكة لم يضعف عدديا بل دائما فى ازدياد و اتساع ثم ان الاسلام ليس دينا فحسب بل ان من اركانه الجهاد و لم يتفق قط ان شعبا دخل فى الاسلام ثم عاد نصرانيا)).

و قال اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا :

((ان المبشرين هم سواعد لكل الحكومات فى الأمور الهامة و لولا هم لتعذر علينا مقاومة العقبات)).

و قال قطب اخر :

((ان ارتقاء الاسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم و لهذا نشير على الذين امسكوا زمام المستعمرات ان يقاموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام و ان يعتمدوا على التبشير المسيحى بين المسلمين)).

و قال شنكال رئيس غرفة تجارة هامبورغ:

((ان نمو اقتصادنا متوقف على اهمية الرجال الذين يذهبون الى المستعمرات لترويج الدين المسيحى لان هذا هو الشرط الوحيد من الجهة الاقتصادية)).

تبصير

١ــ ١٧٩٥م انشأت مراكز ارتباط عديدة للقيام بمهمة محاربة الاسلام والدعوة الى المسيحية فى كل من اسكتلنده و نيويـــــورك و المانيـــا و الدانمارك و و هولندا و السويد و قد قامت هذه المراكز بافتتاح فروعها بعد ذلك فى كافة الاقطار الاسلامية لمباشرة برامجها التخريبية .

٢ــ ١٨٧٠م قام الارثوذكس الأرامنة بافتتاح اكثر من سبعمائـــة مدرسة فى مناطق المسلمين الواقعة داخل الحدود الروسية .

٣ــ ١٨٧٥م فتح ملك اوغندا الافريقيه ابواب بلاده على مصراعيهـا للمبشيرين و الفكر الغربى طمعا منه فى رقى و ازدهار البلاد وكان مسلما فتمكنت من تنصير حفيده و من ثم ازاحه طابع السلطة الاسلامية هناك الى الأبد .

٤ــ ١٩٠٢م صدرت قائمة عن النفقات العامة للارساليات التبشيرية جاء فيها :

م ــ ارسالية التبشير الانكليزية (٢١٠٠٠٠٠) جنيه استرلينى
ب ــ ارسالية التبشير الامريكية (٢٠٠٠٠٠٠) جنيه استرلينى
حـ ــ ارسالية التبشير الاسترالية (٣٠٠٠٠٠) جنيه استرلينى
هـ ــ ارساليات بقية الدول الاوربية (٧٠٠٠٠٠) جنيه استرلينى

هذه هى المخصصات الرسمية اما الغير الرسمية فقد جاء فى تقرير مالى عن حجم التبرعات التى تصل الى الجمعيات التبشيرية من الشعوب المسيحية ما نصه :

م ـ (٦٠،٥٠٠،٠٠٠) مليون فرانك فرنسى سنويا للارساليات البريطانية .

ب ـ (٦٧،٠٠٠،٠٠٠) مليون فرانك فرنسى سنويا للارساليات الامريكية .

جـ ـ (٧،٠٠٠،٠٠٠) ملايين فرانك فرنسى للارساليات الاسترالية .

د ـ (٢١٠٠،٠٠٠) مليون فرانك فرانسى للارساليات الاخرى .

ه ـ ١٩١١م صدرت احصائية عن مؤتمر ادنبرع التبشيرى جاء فيها .

((ان عدد الارساليات الرئيسية بلغ (٣٨٣٨) والارساليات العامة (٣٤٧١٩) وعدد الاساتذة والتلاميذ الذين يعملون على تنصير المسلمين (١٤١٢،٠٤٤) اما الجامعات والكليات فعددها (٨٨) ولدى المبشرين (٥٢٢) مدرسة عاليه لتخريج المبشرين)) .

٦ ـ ١٩٧٢م بلغ عدد الكنائس فى اندونيسيا وحدها والتى تعد من اكبر الدول الاسلامية (٩٣١٩) كنيسة و (٢٣٩٧) قساوسة و (٦٥٠٤) مبشرين .

٣ـ الاستشراق

يعتمد المستشرقون فيما كتبوا و الفواعن الاسلام على نزعة التطرف و الحقد الأعمى فى الوقت الذى يزعمون فيه انه ينتهج فى مجابهته تلك الطابع العلمى الأكاديمى و سيتخدم الكتاب و المقال فى المجلات العلمية وكرس التدريس فى الجامعة و المناقشة و الحوار فى المؤتمرات العلمية العامة ٠

نشأته :

يرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الاوربية الى القرن الثالث عشر الميلادى و يكاد المؤرخون يجمعون على ان ظاهره الاستشراق انتشرت بصورة جدّية فى اوربا بعد فترة عهد الاصلاح الدينى ٠

يقول مصطفى السباعى :

ان المستشرقين فى جمهورهم لا يخلو احدهم ان يكون قسيسا أو يهوديا ان الدول الاستعمارية كبريطانيا و فرنسا ما زالا حريصين على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه اداة هدم للاسلام و تشويهها لسمعة المسلمين ٠

اهداف المستشرقين

١ــ اساءة الظن و الفهم لكل ما يتصل بالاسلام و اهدافه و مقاصده.

٢ــ اساءة الظن بالمسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣ــ تصوير المجتمع الاسلامى فى مختلف العصور و خاصه فى العصر الأول بمجتمع متفكك تقتل الانانية رجاله وعظمائه.

٤ــ تصوير الحضارة الاسلامية تصويرا دون الواقع بكثير تهوينا لشأنها و احتقارا لآثارها.

٥ــ تصوير الاسلام على انه دين مادى لا روحيه فيه يدعو الى الدنيا و ليس الى صفاء النفوس و المحبة وانه اى الاسلام يميل الى الاعتداء و الاغتيال و يحرض اتباعه على القسوة على غير المسلمين عامة و انه يدعو الى الحيوانية و البهيمية وعلى الاستغراق فى الملذات الدنيوية.

٦ــ الطعن فى اللغة العربية الفصحى و التشكيك فى صلاحيتها لمواكبه العصر الحديث و بدلا منها يجب ان تستخدم العامية واللهجات الدارجة كما يجب ان تستخدم الحروف الاتينية عوضا عن الاحرف العربية كما تقدم بيانه بمزيد من العرض و التفصيل.

٧ــ التنفير من حياة المسلمين الحاضرة لانها حياة بدائية ذليلة بزعمهم و الايعاز بذلك الى تعاليم الاسلام البدائية و اثار التمسك

بها ٠

٨ــ التأكيد على ارضية الديانة الاسلاميه و نفى ارتباطها بالسماء ٠

٩ــ ترجمة القرآن الى اللغات الدارجة فى اروبا و غيرها بنحو يسلبه كافة مميزاته و خصائصه و اعجازه و ليشوه مقامه السامى الرفيع وعرضه بصوره مبتذله علميا و منطقيا و التركيز على عرض ايات الناسخ و المنسوخ على انها شواهد حية على تناقضه و تهافته و تضاربه مع بعضه البعض ٠

و قد قام روبرت راتين تبر باوّل ترجمه له عام ١٤٣ ام ثم اعقبه جمع من القساوسة و المترجمين بتراجم عديدة بلغت خمسة و تسعين ترجمة كلها مشحونه بالأغلاط المعنوية و التحويرات المتعددة للحط من نشأته وعظمته امام الرأى العام العالمى تزامنا مع الدعاية المغرضة ضد الاسلام التى تنتهجها الكنيسة على المستوى العالمى ٠

١٠ــ ارجاع المفاهيم و القيم الانسانية الحسنة التى تضمنها القرآن الى اصل يهودى أو مسيحى ٠

١١ــ اثارة النزعة الشعوبية و احياء الفكر القومى و تجديد عهد الشعوب الاسلامية بعصور ما قبل الاسلام و تمجيد ذكريا تهم المشهودة فيها و محاولة جذبهم اليها و شذهم باتجاهها بأكبر قدر ممكن و تأصيل واقعيتها فى معايشتهم التاريخية لها و الفكرية المعاصرة ٠

١٢ــ تشويه الحقائق التاريخية و السعى لعزل النشئ المسلم عن روابطه المتينة بالدين من ادابه و رسومه و اخلاقيته و نسق افكاره ٠

١٣ــ التركيز على مسألة المرأة و السعى لعزلها عن اجوائها التى رتعت فى كنفها تحت ظلال الاسلام و اظهارها بمظهر المعذبة المضطهدة المحرومة المغلوبة على أمرها ٠

١٤ــ تشكيك المسلم فى عقيدته و صحة ايمانه و انطباعاته عن الاسلام.

١٥ــ طرح الفكر الغربى بحلة قشيبة مثالية جميلة والتأكيد على ضرورة تطبيقه كبديل مهم و فعال و حيوى عن الاسلام و انه طريق الخير و السعادة و الرخاء و الازدهار .

١٦ــ الحد من سلطة الزعامة الدينية و اثرها و البحث عن رجالات مفكرة حوكية مريضة قابلة لتنفيذ برامج الدوائر الاستعمارية و اسداء الخدمات الحيوية لها .

١٧ــ التدخل فى كافة مجالات الثقافة و الفكر و الأدب و بذل الجهود لقلب المعادلات الضرورية و تشويه الأصالة التى تتميز بها .

١٨ــ العمل على تشكيل اتجاهات فكرية منحرفة و مذاهب مناوئة للاسلام باسم الاسلام و قد مضى شطر منها و سنأتى على الاشارة لشطر آخر ايضا عما قريب.

١٩ــ تنفيس الأحقاد الكنيسية و ابراز النقمة العلنية العدائية للاسلام كما نلمسه من عبارات بعضهم من امثال المستشرق الفرنسى كيمون حيث يقول فى كتابه باثولوجيا الاسلام مانصه :

((ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس و اخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هو مرض مريع و شلل عام و جنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول و الكسل و لا يوقظه من الخمول و الكسل الا ليدفعه الى سفك الدماء و الادمان على معاقرة الخمور و ارتكاب جميع القبائح و ما قبر محمد الاعمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين فيأتون بمظاهر الصرع و الذهول العقلى الى ما لا نهاية و يعتادون على عادات تنقلب الى طباع اصيلة ككراهة لحم الخنزير و الخمر و الموسيقى ان الاسلام كله قائم

على القسوة و الفجور فى اللذات اعتقد ان من الواجب ابادة خمس المسلمين و الحكم على الباقين بالاشغال الشاقة و تدمير الكعبة و وضع قبر محمد و جثته فى متحف اللوفر)) .

و امثال المستشرق اديسون :

محمد لم يستطع فهم النصرانية و لذلك لم يكن فى خياله منها الاصورة مشوهة بنى عليها دينه الذى جاء به للعرب و امثال هندى جيست المبشر الامريكى :

((المسلمون لا يفهمون الاديان و لا يقدرونها قدرها انهم لصوص و قتلة و متأخرون و ان التبشير سيعمل على تمدينهم)) .

و امثال جوليمين فى كتابه تاريخ وفرنسا حيث قال :

ان محمدا مؤسس دين المسلمين قد امر اتباعه ان يخضعوا العالم و ان يبدلوا جميع الديان بدينه هو ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين يعنى المسلمين ــ و بين النصارى ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة و قالوا للناس اسلموا أو موتوا بينما اتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم و احسانهم ماذا كان حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين و المراكشيين .

اسباب الاستشراق

قال الدكتور البهى فى كتابه الفكر الاستعمارى الحديث مانصه :

و السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوربيين الى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الاولى ·

فقد تركت الحرب الصليبية فى نفوس الأوربيين ما تركت من اثار مرة عميقة ، و جائت حركت الاصلاح الدينى المسيحى فشعر المسيحيون بروتستانت و كاثوليك ، بحاجات ضاغطة لاعادة النظر فى شروح كتبهم الدينية ، و لمحاولة تفهمها على اساس التطورات الجديدة التى تمخضت عنها حركت الاصلاح و منهنا اتجهوا الى الدراسات العبرانية ·

و هذه أدت بعم الى الدراسات العربية فالاسلامية ، لأن الاخيرة كانت ضرورية لفهم الاولى ، و خاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوى·

و بمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت اديانا و لغات و ثقافات غير الاسلام و غير العربية ·

و من جهة اخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة و ارسالهم للعالم الاسلامى ·

و التقت مصلحة المبشرين مع اهداف الاستعمار فمكن لهم و اعتمد

عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق و أقتع المبشرون زعما الاستعمار بأن ((المسيحية)) ستكون قاعدة الاستعمار الغربى فى الشرق ٠

و بذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم و بسط عليهم حمايته و زودهم بالمال و السلطان و هذا هو السبب فى أن الاستشراق قام فى اول أمره على أكتاف المبشرين و الرهبان ثم اتصل بالاستعمار ٠

و بجانب هذا و ذاك كان هناك اسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق :

أسباب تجارية ، و أسباب سياسية ديبلوماسية ، و أسباب شخصية مزاجية عند بعض الناس الذين تهيا لهم الفراغ و المال و اتخذوا الاستشراق وسيلة لاشباع رغباتهم الخاصة فى السفر أو فى الاطلاع على ثقافات العالم القديم و يبدو أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عند ما ضاقت بهم سبل العيش العدية أو دخلوه هاربين عند ما قعدت بهم امكانياتهم الفكرية عن الوصول الى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى أو دخلوه تخلصا من مسئولياتهم الدينية المباشره فى مجتمعاتهم المسيحية ٠

أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم الدينية امام اخوانهم فى الذين و تغطية لعجزهم الفكرى و اخيرا بحثا عن لقمة العيش اذ ان التنافس فى هذا المجال اقل منه فى غيره من ابواب الرزق ٠

و هناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة فظاهر ان هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ــ و هى محاولة اضعاف الاسلام و التشكيك فى قيمه باثبات فضل اليهودية على الاسلام بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الاسلام الأول ولأسباب

سياسية تتصل بخدمة الصهيونية :

فكرة اولا ثم دولة ثانيا هذه وجهة نظر ربما لا تجد مرجعا مكتوبا يؤيدها غير ان الظروف العامة و الظواهر المترادفه فى كتابات هؤلاء المستشرقين تعزز وجهة النظر هذه و تخلع بعض خصائص الاستنتاج العلمى ·

و قد تركزت اهداف الاستشراق مع تنوعها اخيرا فى خلق التخاذل الروحى و ايجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين و الشرقيين عامة و حملهم من هذا الطريق على الرضا و الخضوع للتوجيهات الغربية ·

و من المبشرين نفر يشتغلون بالآداب العربية و العلوم الاسلامية أو يستخدمون غيرهم فى سبيل ذلك ثم يرمون كلهم مما يكتبون الى ان يوازنوا بين الآداب العربية و الآداب الاجنبية أو بين العلوم الاسلامية و العلوم الغربية (التى يعدونها نصرانية لأن امم الغرب تدين بالنصرانية) ليخرجوا دائما بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية و الاسلامية و بالتالى الى ابراز نواحى النشاط الثقافى فى الغرب و تفضيلها على امثالها فى تاريخ العرب و الاسلام ·

و ما غايتهم من ذلك الا تخاذل روحى و شعور بالنقص فى نفوس الشرقيين و حملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدينة المادية الغربية ·

من مظاهر نشاط المستشرقين

حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل : ألفوا الكتب و ألقوا المحاضرات و الدروس و ((بشروا)) بالمسيحية بين المسلمين

وجمعوا الأموال وأنشأوا الجمعيّات وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف وسلكوا كل مسلك ظنّوه محقّقا لأهدافهم.

وهذه نماذج من صور نشاطهم المتعدد الجوانب :

* فى عام ١٨٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعيّة للمستشرقين ألحقوها بأخرى فى عام ١٨٢٠، واصدار ((المجلة الأسيوية)).

* وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣، وقبل أن يكون الملك ولى أمرها، وأصدرت" مجلة الجمعية الآسيوية الملكية".

* وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم" الجمعية الشرقية الأمريكية"، وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، كذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وايطاليا وروسيا.

* ومن المجلات التى أصدرها المستشرقون الأمريكيون فى هذا القرن" مجلة جمعية الدراسات الشرقية" وكانت تصدر فى مدينة جامبير Gambier بولاية أهايو Ohio ولها فروع فى لندن وباريس وليبزج، وتورونتو فى كندا، ولا يعرف ان كانت تصدر الآن، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسى وان كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وخاصة فى باب الكتب.

* ويصدر المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر" مجلة شئون الشرق الأوسط"، وكذلك" مجلة الشرق الأوسط": وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسى كذلك.

وأخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون فى الوقت

الحاضر هى مجلة" العالم الاسلامى" The Muslim World' أنشأها صموئيل زويمر S. Zweimer فى سنة ١٩١١ ، و تصدر الآن من هاتفورد Hartford بأمريكا و رئيس تحريرها كنيث كراج K. Cragg و طابع هذه المجلة تبشيرى سافر .

و للمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة" العالم الاسلامى" فى روحها و اتجاهها العدائى التبشيرى و اسمها أيضا Lemonde Musulman

و لعل أخطر ما قام به المشتشرقون حتى الآن هو اصدار" دائرة المعارف الاسلامية" بعدة لغات ، و كذلك اصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التى صدرت بها الدائرة ، و قد بدءوا فى الوقت الحاضر فى اصدار طبعة جديدة تظهر فى أجزاء ، و مصدر الخطورة فى هذا العمل هو أن المستشرقين عبثوا كل قواهم و أقلامهم لاصدار هذه الدائرة و هى مرجع لكثير من المسلمين فى دراساتهم ، على ما فيها من خلط و تحريف وتعصب سافر ضد الاسلام و المسلمين .

و استطاع المستشرقون أن يتسللوا الى المجمع اللغوى فى مصر ، و المجمع العلمى فى دمشق و المجمع العلمى فى بغداد .

و يعتمد المستشرقون ــ فيما يعتمدون ــ على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، و أول مؤتمر عقدوه كان فى سنة ١٧٨٣ ، و ما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم .

و فى العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية و السياسية و الاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك و الأمراء فى الماضى من الاغداق على المستشرقين و حبس الأوقات و المنح على من يعملون فى حقل الاستشراق .

و اتّجه المستشرقون و المبشرون بمعاونة الاستعمار الى مجـــال التربية ، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتـى يشبوا "مستغربين" فى حياتهم و تفكيرهم ، وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الاسلامية (انظر ص١١٤ من مجلة "الاسلام" Al-Islam الصادر فى ١٦ مارس سنة ١٩٥٨) (١).

و نستعرض لك الآن ثلاث جداول تتناول بالعرض و الايجاز ثـلاث جوانب استشراقية لها ثقلها وحساسيتها المتأخرين منهم و الخطريـــن وكتبهم وحركتهم التأليفية ننقلها لك بالنحو الذى استعرضها البهى فى كتابه الفكر الاستعمارى الحديث :

١ ــ (الجدول الأول) و فيه استعراض لجملة من مستشرقى النصف الثانى من هذا القرن.

* ابرهام كاش :

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية فى الاسلام).

* س. س. أدامز.

انجليزى باشر التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة مـــن الزمن و مؤلف كتاب (الاسلام و التجديد فى مصر) المترجم من الانجليزيـة الى العربية تحت العنوان المذكور.

* أدوارد أبر :

استاذ فى الجامعة الكاثوليكية فى واشنطن.

* ادوارد فرمان :

من ألد أعداء الاسلام و أكثر المستشرقين طعنا فيه ، له كتـــاب

---

(١) ص٥٣٣ ــ ٥٣٧.

بالانجليزية عن(تاريخ المسلمين و فتوحاتهم) .

* أدوين كالفرلى :

أمريكى متعصب رئيس تحرير مجلة" العالم الاسلامى " الأمريكية لفترة من الزمن ، و من محررى(دائرة المعارف الاسلامية) ، و من الذين باشروا التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات ، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة .

* أريك شرودر :

مؤلف كتاب (أمة محمد) الذى صدر بالانجليزية فى سنة ١٩٥٥ .

* ج . س . آرثر :

مؤلف " العناصر الصوفية من محمد " الذى صدر بالانجليزية فى سنة ١٩٥٤ .

* آرثر جيفرى :

معروف بتعصّبه السافر ضد الاسلام و المسلمين ، و من كتبه :

ـ (مصادر تاريخ القرآن) ، صدر بالانجليزية فى سنة ١٩٣٧ .

ـ (الكلمات الدخيلة فى القرآن) بالانجليزية .

ـ (القرآن ككتاب دينى) صدر بالانجليزية فى سنة ١٩٥٢ .

* ت . و . آرنولد :

انجليزى اشترك فى تحرير (دائرة المعارف الاسلامية) و من كتبه :

ـ (الدعوة الى الاسلام) ، ترجم من الانجليزية الى العربية تحت العنوان المذكور .

ـ (الخلافة) ، صدر بالانجليزية فى سنة ١٩٢٤ .

ـ (تراث الاسلام) صدر بالانجليزية فى سنة ١٩٣١ .

* ارنولد توينبى :

انجليزى له أخطاء فيما كتب عن الاسلام و الرسول فى كتابه العالمى (دراسة فى التاريخ) و خطؤه هنا شديد الخطورة لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ فى العصر الحديث فى نظر كثير من الناس و خاصة الشرقيّين و العرب منهم بوجه أخص .

* ا . ف . الدر :

قسيس يساهم فى تحرير (مجلة العالم الاسلامى) التى تصدر بالانجليزية فى أمريكا .

* الفرد كارلتون :

امريكى كان مديرا لكلية حلب ثم عين نائبا لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية فى الخارج .

* ج . ا . ايزنبرج :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* و . ايفانو :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ف . بابنجر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا . باجليارو :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ج . بارت :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ر . باريت :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ر . باست :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا . بشوب :

قسيس يساهم فى تحرير مجلة (العالم الاسلامى) الأمريكية .

* براون :

انجليزى كان عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق .

* ل . ل . بروان :

قسيس أمريكى يساهم فى تحرير مجلة (العالم الاسلامى) الأمريكية .

* س . س . برج :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* هـ . هـ . برو :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا . ل . بروفنسال :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ر . بل :

انجليزى كثير الخطأ فى حديثه عن الاسلام و القرآن ، و من كتبه :

ـ (أصول الاسلام فى بيئته المسيحية) ، صدر فى سنة ١٩٢٦ .

ـ (القرآن) صدر فى سنة ١٩٣٧ .

ـ (مقدمة القرآن) صدر فى ١٩٥٤ .

* ر . بلاشير :

فرنسى و مؤلف كتاب (مقدمة القرآن) صدر فى ١٩٤٧ .

* م · بلسنر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* ف · بول :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* ت · ف · بوتشنر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* ج · بيدرسن :

دانيمركى و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ، وكان عضـــوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ، والآن استاذا فى جامعة كوبنهاجن

* ك · بيكنز :

قسيس يساهم فى تحرير (مجلة العالم الاسلامى) الأمريكية ·

* ا · س · بيفريدج :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* س هـ · بيكر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* ا · س · تريتون :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* ر · تشودى :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* توماس جوينبول :

من كبار محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ·

* نيودرى نولدكه :

ألمانى معروف بعدائه للاسلام ، له كتاب عن القرآن ، وكتاب آخر عن التاريخ الاسلامى ظهر بالانجليزية فى " سلسلة تاريخ العالم " .

* جايتانى :

ايطالى وكان عضوا بالمجمع العلمى فى دمشق .

* ا . جروهمان :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* جريفنى :

ايطالى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

* جوتهيل :

كولومبى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

* ل . جوثهر :

فرنسى متعصب دينيا وجنسيا ، كثير التشهير بالاسلام والحقد عليه ، من أتباع رينان فى فكرة تمييز الآريين فى السيادة على غيرهم (انظر ص ٢٥ وما بعدها من العدد ١ ، ومن المجلد ٩ ، يناير سنة ١٩٢٥) من (مجلة جمعية الدراسات الشرقية) .

* جود فروى ديمومبنز :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) له كتاب عن " الحج " فيه كثير من الخلط والتشويه (انظر ص ١٣ من العدد ١ ، من المجلد ٩ ، يناير سنة ١٩٢٥ من " مجلة جمعية الدراسات الشرقية ") .

* و . جوركمان :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* جويدى :

ايطالى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

* ب . جويل :

من محررى " دائرة المعارف الاسلامية " :

* جى دوسو :

فرنسى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

* جيمس هنرى بريستيد :

أمريكى يدير معهد الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو فى امريكا .

* ج . ل . دلافيدا :

من كبار محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا . هـ . دوجلاس :

من محررى مجلة " العالم الاسلامى " الأمريكية .

* د . م . دونالدسون :

قسيس أمريكى يساهم فى تحرير مجلة " العالم الاسلامى " الأمريكية

و من كتبه :

ـ ((دين الشيعة)) صدر فى عام ١٩٣٧ .

ـ ((دراسات فى علم الأخلاق الاسلامية)) صدر عام ١٩٥٣ .

* دى بور :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) و له كتب عن الفلسفة الاسلامية ترجم بعضها الى العربية .

* ديتريش :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا . دينيه :

فرنسى شديد التعصب ضد الاسلام ، له كتاب بالفرنسية " الشـــرق والغرب " .

* ر . روبرتز :

انجليزى و مؤلف " القوانين الاجتماعية فى القرآن " ، و هو دراســة مقارنة بين القرآن و التوراة فى القوانين الاجتماعية صدر فى عام ١٩٢٥ .

* هـ . ريكندروف :

من محررى " دائرة المعارف الاسلامية " و له بعض الكتب .

* ك . ف . زيترستين :

من كبار محررى " دائرة المعارف الاسلامية " .

* و . سبايز :

من محررى " دائرة المعارف الاسلامية " .

* هـ . سبير .

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* م . سترك :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ستيفن رونسمان :

مؤلف " تاريخ الحروب الصليبية " صدر الجزء الثالث منه عام ١٩٥٤ .

* م . سميث .

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* سنوك هورج رونجه :

هولندى و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) حارب الاســـلام و المسلمين بكتبه ، وكان مستشارا لحكومته فى شئون أندونيسيا ، له كتـاب

" الاسلام" .

* ر . شترونمان :

ألمانى الأصل و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ب . شريك :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ج . شليفر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* سمويل مرسر :

أمريكى و كان رئيسا لجمعية الدراسات الشرقية الأمريكية التى تأسست فى مدينة حامبير بولاية اوهايو و كان لها فروع فى أوربا و كندا ، كما كان رئيسا لتحرير مجلة هذه الجمعية .

* سى . فان اريندونك :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* هـ . فوخس :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ك . فوللرز :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ف . فوكا :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ل . فيشر :

ألمانى الأصل و من محررى " دائرة المعارف الاسلامية" .

* كارل بروكلمان :

ألمانى الأصل و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ، صاحب أكبر موسوعة فى تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية ، و من مؤلفاته الهامة " تاريخ الشعوب الاسلامية " المترجم من الألمانية الى الانجليزية ، كان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ، (انظر الاشارة الى بعض أخطائه التاريخية و العلمية فى مجلة الاسلام) التى تصدر بالانجليزية فى كراتشى ـ پاكستان ص ١٤١ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨) .

* ر . ا . كرن :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ل . كور .

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* كوستى ولسون :

يساهم فى تحرير مجلة (العالم الاسلامى) الأمريكية .

* ج . هـ . كريمرز :

هولندى من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) كثير الطعن فى الاسلام و صاحب ميول تبشيرية سافرة .

* لونجوورث دايمز :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ت . لويشى :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ب . لويس :

انجليزى له مقالات كثيرة و بعض الكتب منها : (العرب فى التاريخ) ، صدر فى عام ١٩٥٠ ، و الآن استاذ بجامعة لندن .

* ر . ليفى :

متخصّص فى الدراسات الاجتماعية الاسلام ، و من كتبه :

ــ مقدمة لدراسة علم الاجتماع الاسلامى صدر فى عام ١٩٣٣ .

ــ " الهيكل الاجتماعى للاسلام" ، ظهر فى عام ١٩٥٧ ، و يصدر فى أجزاء متتالية .

* ج . مارسايز :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* هـ . ماسى :

فرنسى و يعرف من مؤلفاته كتاب (الاسلام) صدر فى عام ١٩٣٠ .

* ل . ا . مرل :

أمريكى يساهم فى تحرير مجلة " العالم الاسلامى " الأمريكية .

* ت . منتزل :

من محررى " دائرة المعارف الاسلامية " .

* سى . موريسون :

أمريكى و مؤلف كتاب (التوتر السياسى و الاجتماعى و الدينى فى الشرق الأوسط) عام ١٩٥٤ .

ف . مينورسكى :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) و الآن أستاذ بجامعة كمبردج

* نالينو :

ايطالى و كان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ، معروف بكتاباته ضد الاسلام .

* هـ . سى . نيبرج :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* م . نيتس :

كان محررا فى مجلة العالم الاسلامى (الأمريكية) .

* و . هارنتر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* هارتمان :

ألمانى الأصل وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ويعرف من مؤلفاته (الاسلام و القومية) ظهر فى عام ١٩٤٨ .

* هاورث دن :

من أصل ألمانى ويعيش فى أمريكا الآن ، يسمى نفسه جمال الدين ويعرف من مؤلفاته (مقدمة لدراسة التربية فى مصر) بالانجليزية .

* هاورد ريد :

أمريكى نشأ فى بيئة تبشيرية فى تركيا وتخصص فى التاريخ الاسلامى والشئون التركية ، كان أستاذا ببعض الجامعات الأمريكية ثم ممثلا لمؤسسة فورد فى بيروت له بعض المقالات ولا تعرف له كتب تذكر .

* م . هوتسما :

هولندى وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ومن محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* هورفيتس :

ألمانى الأصل من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا . هونجمان :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

* ا ٠ ج ٠ هويسمان :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ٠

* ب ٠ هلر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ٠

* و ٠ هيفننج :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ٠

* هيورت :

من المستشرقين المشهورين بالتخبط فى عرض الاسلام و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ٠

* م ٠ وات :

انجليزى له بعض المقالات و من كتبه :

ـ (الجبر و الاختيار فى الاسلام) صدر فى عام ١٩٤٨ ٠

ـ (محمد فى مكة) صدر فى عام ١٩٥٣ ٠

* ج ٠ وكر :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) و مؤلف كتاب : (ملامح عن التوراة فى القرآن) ، صدر فى عام ١٩٣٦ ٠

* ب ٠ ويتك :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ٠

* ت ٠ هـ ٠ وير :

من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ٠

* ك ٠ يانج ٠

امريكى مارس التبشير فى ايران ، كان أستاذا فى قسم الدراسات

الشرقية بجامعة برنستون فى امريكا ، و الآن مدير هذا القسم و مستشار وزارة الخارجية الامريكية فى شئون الشرق الأوسط و خاصة فى شئون ايران له مقالات متفرقة و لا يعرف له كتب تذكر .

* يوليوس ولهاوزن .

ألمانى الأصل ١٨٤٤ ـ ١٩١٩ اشتهر بتعصبه ضد الاسلام و تشويه مبادئه ، يعرف من كتبه (تاريخ اليهود) .

٢ ـ (الجدول الثانى)

و فيه استعراض للخطرين من المستشرقين ...

الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين أو لآرائهم شبه حجية بين المسلمين :

* ا . ج . اربرى :

انجليزى معروف بالتعصب ضد الاسلام و المسلمين و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) و الآن أستاذ بجامعة كمبردج و من المؤسف انه استاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا فى الدراسات الاسلامية و اللغوية فى انجلترا ، و من كتبه :

ـ (الاسلام اليوم) صدر فى عام ١٩٤٣ .

ـ (مقدمة لتاريخ التصوف) صدر فى عام ١٩٤٧ .

ـ (التصوف) صدر فى عام ١٩٥٠ .

ـ (ترجمة القرآن) صدر فى عام ١٩٥٠ .

* الفرد جيوم :

انجليزى معاصر اشتهر بالتعصب ضد الاسلام ، حاضر فى جامعات انجلترا و امريكا ، و تغلب على كتابته و آرائه الروح التبشيرية ومن كتبه " الاسلام " و من المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية فى بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية .

* بارون كارادى فو :

فرنسى متعصب جدا ضد الاسلام و المسلمين ، ساهم بنصيب بارز فى تحرير (دائرة المعارف الاسلامية) .

* هـ . ا . ر . جب :

أكبر مستشرق انجلترا المعاصرين ، كان عضوا بالمجمع اللغوى فى مصر ، و الآن استاذ الدراسات الاسلامية و العربية فى جامعة هارفرد الأمريكية من كبار محررى و ناشرى (دائرة المعارف الاسلامية) له كتابات كثيرة فيها عمق و خطورة و هذا هو سر خطورته ، و من كتبه :

ـ (طريق الاسلام) ألفه بالاشتراك مع آخرين و ترجم من الانجليزية الى العربية تحت العنوان المذكور .

ـ (الاتجاهات الحديثة فى الاسلام) .

صدر فى عام ١٩٤٧ و أعيد طبعه و ترجم الى العربية تحت العنوان المذكور .

ـ (المذهب المحمدى) صدر عام ١٩٤٧ و أعيد طبعه .

ـ (الاسلام و المجتمع الغربى) يصدر فى أجزاء ، و قد اشترك معه آخرون فى التأليف ، و له مقالات أخرى متفرقة .

* جولد زيهير :

مجرى عرف بعدائه للاسلام و بخطورة كتاباته عنه ، و من محررى

(دائرة المعارف الاسلامية) كتب عن القرآن و الحديث و من كتبه (تاريخ مذاهب التفسير الاسلامى) المترجم الى العربية تحت العنوان السابق .

* جون مايناردد :

أمريكى متعصب كان يساهم فى تحرير (مجلة جمعية الدراسات الشرقية) الأمريكية ، و خاصة باب الكتب الجديدة التى لها صلة بالاسلام و بالشرق على العموم (انظر ـ مثلا ـ ص ٢٢ و ما بعدها من العدد ٢ ، من المجلد ٨ ، أبريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة .

* س . م . زيمر :

مستشرق مبشر اشتهر بعدائه الشديد للاسلام ، مؤسس مجلة (العالم الاسلامى) الأمريكية التبشيرية ، مؤلف كتاب (الاسلام تحد لعقيدة) صدر فى سنة ١٩٠٨ ، و ناشر كتاب (الاسلام) و هو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيرى الثانى فى سنة ١٩١١ بلكنو فى الهند ، و تقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت و اعداد المبشرين .

* عزيز عطية سوريال :

مصرى مسيحى ، كان أستاذا بجامعة الاسكندرية و الآن يدرس باحدى جامعات أمريكا ، شديد الحقد على الاسلام و المسلمين و كثير التحريف للتعاليم الاسلامية ، يستعين على الحقد و التحريف بكونه بعيدا عن مصر و المسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .

* غ . فون جرونباوم :

من أصل ألمانى يهودى مستورد الى أمريكا للتدريس بجامعاتها و كان أستاذا بجامعة شيكاغو ، من ألد أعداء الاسلام ، فى جميع كتاباته

تخبط و اعتداء على القيم الاسلامية و المسلمين ، كثير الكتابة و لـــــه معجبون من المستشرقين . و من كتبه :

- (اسلام العصور الوسطى) صدر فى عام ١٩٤٦ .
- (الأعياد المحمدية) صدر فى عام ١٩٥١ .
- (محاولات فى شرح الاسلام المعاصر) صدر فى عام ١٩٤٧ .
- (دراسات فى تاريخ الثقافة الاسلامية) صدر فى عام ١٩٥٤ .
- (الاسلام) مجموعة من المقالات المتفرقة ، صدر فى عام ١٩٥٧ .
- (الوحدة و التنوّع فى الحضارة الاسلامية) ، صدر فى عام ١٩٥٥ .

* فيليب حتى :

لبنانى مسيحى تأمرك ، كان استاذا بقسم الدراسات الشرقيـــــة بجامعة برنستون بأمريكا ، ثم رئيسا لهذا القسم ، و هو الآن بالمعـــاش ، من ألد أعداء الاسلام ، و يتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية فى امريكا ، و هو مستشار غير رسمى لوزارة الخارجية الامريكية فى شئون الشرق الأوسط ، يحاول دائما أن ينتقص دور الاسلام فى بناء الثقافة الانسانية و يكـره أن ينسب للمسلمين أى فضل ، فقد كتب ـ على سبيل المثال ـ فى (دائـــرة المعارف الأمريكية) طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان (الأدب العربى) ص ١٢٩ ، يقول : ((و لم تبدأ امارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور الى فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، و كان الكثرة من قادة هذه الحركـــــة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا و استوحوا من جهود المبشريـــــن الأمريكيين)) . و محاولات "حتى" انتقاص فضل الاسلام و المسلمين ليســت فقط قاصرة على العصر الحديث و لكنها تنطبق على جميع مراحل التاريـــخ الاسلامى كما هو موضح فى كتبه نذكر منها :

ـ (تاريخ العرب) ظهر بالانجليزية و أعيد طبعه عدّة مرّات، وهو ملىء بالطعن فى الاسلام و السخرية من نبيه و كله حقد و سم و كراهية، انظر ـ مثلا ـ مجلة " الاسلام " الانجليزية التى تصدر فى كراتشى ـ باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨، ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ٥٨ ـ (تاريخ سوريا).

ـ (أصل الدروز و ديانتهم) صدر فى سنة ١٩٢٨.

* ا. ج. فينسينك :

عدو لدود للاسلام و نبيه، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون و الاسلام) صدر فى سنة ١٩٣٦، وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه فى القرآن و الرسول مدعيا أن الرسول ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية و الفلسفية التى سبقته، أنظر (المستشرقون و الاسلام) ص ٧١ وما بعدها، هذا و المعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان (عقيدة الاسلام) صدر فى سنة ١٩٣٢.

* كينيت كراج :

امريكى شديد التعصب ضد الاسلام، قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت و الآن رئيس تحرير مجلة " العالم الاسلامى " الأمريكية التبشيرية و رئيس قسم اللاهوت المسيحى فى هارتفورد (و متعهد " مبشرين، و من كتبه (دعوة المئذنة) و صدر فى عام ١٩٥٦.

* لوى ماسينيون :

أكبر مستشرق فرنسا المعاصرين، و مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شمال افريقيا، و الراعى الروحى للجمعيات التبشيرية

الفرنسية فى مصر، زار العالم الاسلامى أكثر من مرة وخدم بالجيش الفرنسى خمس سنوات فى الحرب العالمية الأولى، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى والمجمع العلمى العربى فى دمشق، متخصص فى الفلسفة والتصوف الاسلامى، ومن كتبه: (الحلاج الصوفى الشهيد فى الاسلام)، صدر فى سنة ١٩٢٢ وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار محررى (دائرة المعارف الاسلامية).

* د. ب. ماكدونالد:

أمريكى من أشد المتعصبين ضد الاسلام والمسلمين، يصدر فى كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة، من كبار محررى (دائرة المعارف الاسلامية) ومن كتبه:

ـ (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الاسلام) صدر سنة ١٩٠٣.

ـ (الموقف الدينى والحياة فى الاسلام) صدر سنة ١٩٠٨.

* مايلز جرين:

سكرتير تحرير مجلة (الشرق الأوسط).

* مجيد خورى:

مسيحى عراقى، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز فى واشنطن، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن، متعصب حقود على الاسلام وأبنائه، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء (الحرب والسلام فى الاسلام) صدر فى سنة ١٩٥٥، وله مقالات أخرى.

* د. س. مرجوليوث:

انجليزى متعصب ضد الاسلام و من محررى (دائرة المعارف الاسلامية) .

كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى و المجمع العلمى فى دمشق ، ومن كتبه :

ـ (التطورات المبكرة فى الاسلام) صدر فى سنة ١٩١٣ .

ـ (محمد و مطلع الاسلام) ، صدر فى سنة ١٩٠٥ .

ـ (الجامعة الاسلامية) ، صدر فى سنة ١٩١٢ .

* ر . ا . نيكولسون :

كان من أكثر مستشرقى انجلترا المعاصرين و من محررى (دائرة المعارف) تخصص فى التصوف الاسلامى و الفلسفة ، وكان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ، و هو من المنكرين على الاسلام أنه دين روحى ، و يصفه بالمادية وعدم السمو الانسانى ، و من كتبه :

ـ (متصوفوالاسلام) ، صدر فى سنة ١٩١٠ .

ـ (التاريخ الأدبى للعرب) ، صدر فى سنة ١٩٣٠ .

* هارفلى هول :

رئيس تحرير " مجلة الشرق الأوسط " الأمريكية ، و خطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشئون الشرق الأوسط السياسية و الثقافية فى العصر الحديث .

* هنرى لامنس اليسوعى :

فرنسى ١٨٧٢ ـ ١٩٣٧ ، من محررى دائرة المعارف شديد التعصب ضد الاسلام و الحقد عليه ، مفرط فى عدائه و افتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم (انظر ص ١٥ ـ ١٦ من ١ ، من المجلد ٩

يناير سنة ١٩٢٥ من " مجلة جمعية الدراسات الشرقية " الأمريكية و من كتبه :

ـ (الاسلام) .

ـ (الطائف) .

* يوسف شاخت :

ألماني متعصب ضد الاسلام و المسلمين ، له كتب كثيرة عن الفقه الاسلامي و أصوله ، من محرري " دائرة المعارف الاسلامية " و دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، و أشهر كتبه : " اصول الفقه الاسلامي " :

٣ ـ (الجدول الثالث)

و فيه

استعراض لبعض الكتب الخطيرة

المشوهة للاسلام ، و الشائعة الانتشار أو لها شبه حجية عند المسلمين .

الموسوعات :

* (دائرة المعارف الاسلامية) TheEneyelopaedia Of Islam صدرت بعدة لغات حية و يعاد طبعها في الوقت الحاضر ، و قد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل .

* (موجز دائرة المعارف الاسلامية) Shorter Encyelopnedia Of Isiam

* (دائرة معارف الدين و الأخلاق) Eneyelopaedia Of Religion And Ethies

(المقالات المتعلقة بموضوعات اسلامية) .

* (دائرة معارف العلوم الاجتماعية) EneyeloPacdia Of Social Sciences

(الموضوعات المتصلة بالاسلام و العرب) .

* (دراسة فى التاريخ) .

(القسم المتصل بالاسلام و رسوله) من تأليف أرنولد توينبى A. Toyndee

الكتب :

* (حياة محمد) من تأليف سير وليام موير

* (الاسلام) من تأليف الفرد جيوم

* (دين الشيعة) من تأليف د . م . دونالدسون

* (تاريخ شارل الكبير) من تأليف القس تيربن

* (الاسلام) ظهر بالفرنسية من تأليف هنرى لامنس

* (الاسلام) (تحد لعقيدة) ظهر بالانجليزية من تأليف المبشر ذويمر

* (دعوة المئذنة) ظهر بالانجليزية من تأليف كينيت كراج

* (الاسلام اليوم) بالانجليزية من تأليف ا . ج . آربرى

* (الترجمة الانجليزية من وضع ا . ج . آربرى

* (تاريخ مذاهب التفسير الاسلامى) ظهر بالألمانية و ترجم الى العربية من تأليف جولد زيهر

* (تاريخ العرب) ظهر بالانجليزية و العربية و طبع عدة طبعات ، من تأليف فيليب حتى .

* (اليهودية فى الاسلام) ظهر بالانجليزية من تأليف ابراهام كاش.

* (عقيدة الاسلام) ظهر بالانجليزية من تأليف ا . ج . فينسينك

* (الحلاج الصوفى الشهيد فى الاسلام) ظهر بالفرنسية من تأليف لوى ماسينيون

* (الحرب و السلام فى الاسلام) ظهر بالانجليزية من تأليف مجيد ى قدورى .

* (تطور علم الكلام و الفقه و النظرية الدستورية فى الاسلام) ظهر بالانجليزية من تأليف د . ب . ماكدونالد

* (الاتّجاهات الحديثة فى الاسلام) ظهر بالانجليزية و ترجم الى العربية ، من تأليف هـ . ا . ر . جب

+ (طريق الاسلام) ظهر بالانجليزية و ترجم الى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترك فى تأليفه و نشره هـ . ا . ر . جب .

* (التصوّف فى الاسلام) ظهر بالانجليزية و ترجم الى العربية من تأليف ر . ا . نيكلسون

* (مصادر تاريخ القرآن) بالانجليزية من تأليف آرثر جيفرى

* (أصول الاسلام فى بيئته المسيحية) بالانجليزية من تأليف ر . بل

* (مقدمة القرآن) بالانجليزية من تأليف ر . بل .

* (التطورات المبكرة فى الاسلام) بالانجليزية من تأليف د . س . مرجوليوث

* (محمد و مطلع الاسلام) بالانجليزية و لنفس المؤلّف .

* (الاسلام) بالانجليزية و لنفس المؤلف ·
* (الجامعة الاسلامية) بالانجليزية و لنفس المؤلف ·
* (قنطرة الى الاسلام) ظهر بالانجليزية من تأليف أريك بيتمان ·
* (اسلام العصور الوسطى) ظهر بالانجليزية من تأليف ج · فون جرونباوم
* (الاسلام) مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالانجليزية للمؤلف السابق ·
* (الأعياد المحمدية) بالانجليزية و لنفس المؤلف ·
* (الوحدة و التنوع فى الحضارة الاسلامية) بالانجليزية و لنفس المؤلف ·
* (دراسات فى تاريخ الثقافة الاسلامية) بالانجليزية و لنفس المؤلف ·
* (محاولات ··· فى شرح الاسلام المعاصر مجموعة مقالات ظهرت بالانجليزية لنفس المؤلف ·

الدوريات :

* (مجلة العالم الاسلامى) The Muslim World مجلة تبشيرية تصدر بالانجليزية فى هارتشورد بأمريكا و توزع فى جميع أنحاء العالم ·
* (مجلة العالم الاسلامى) Le Monde Musalman مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا و توزع فى جميع أنحاء العالم ·
* (مجلة جمعية الدراسات الشرقية) أنشأها المستشرقون الأمريكيون

فى جامبير Gambier بولاية أوهايو Ohio وكان لها بعض فروع فى اوربا وكندا .

* (مجلة شئون الشرق الأوسط) تصدر بالانجليزية فى أمريكا ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين واهتمامها موجه فى الدرجة الأولى الى الجوانب السياسية .

* (مجلة الشرق الأوسط) مجلة أمريكية سياسية تعرض للاسلام من وقت لآخر فى بعض المقالات ...

٤ـ الاستعمار الفكرى

استعمار الفكر هو نمط جديد من صور الاستعباد الحديث ويعد أكثر الأساليب ثمرة وذلك لأنّ تسخير قوّة القرار فى الانسان بما يتفق وتطلعات الأسياد المستعمرين من أبلغ الأساليب والسبل التى ينتج عنها استعمار حقيقى وشامل فى كافة المجالات والأصعدة والميادين الفكرية والعملية واستنتاج حالة متميّزة من الخضوع والخشوع والخنوع أمام المخططات الابتزازية والانتهازية والتفاعل الحى فى بوتقة المصالح الاستعمارية وتجنب الاضرار بها على كافة المستويات وثمرات ذلك الاستعمار يتضح لك من خلال ما أفصح به جملة من أقطابهم .

يقول بنروز أحد الرؤساء السابقين للجامعة الامريكية فى بيروت التى تأسست عام ١٩٦٢ م .

((ان الغاية من تأسيس الجامعة الأمريكية فى بيروت لم تكن لخدمة العلم بل كانت من أجل نشر المذهب البروتستانى المسيحى .

و أضاف أحد الرؤساء الآخرين لهذه الجامعة :

نلاحظ ان المعتقدات الدينية الاسلامية و المبادئ الخلقية عند المسلمين آخذة بالانحلال ... ان الطالب المسلم الذى يتركنا يمكنه أن يعتبر نفسه مسلما غير انه فى هذه الحالة يكون شخصا آخر غير الذى جاءنا (١) .

و يقول القس ويتبرتشت فى مؤتمر تبشيرى عقد فى القاهرة سنة ١٩٠٨ م ـ ١٣٢٦ هـ .

((... ان تعاليم اوربا تقرب المسلمين من النصرانية و تغرض عليهم حب المسيحية)) .

((... ان المدارس هى أفضل ما يعوّل عليه المبشرون بالنصرانية فى التحكك بالمسلمين)) .

و قال مبشر آخر فى خطاب له :

((... ان المدارس هى من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشّرين فقد كان عدد التلامذة فى المدرسة التبشيرية فى طهران (٤٠) طالبا فى البداية اما الآن فعددهم (١١٥) طالبا مسلما و هم يتلقون التربية النصرانية بكل اتقان)) .

و قال القس سيمون فى كلمة له فى مؤتمر لكناوى الهندى التبشيرى .

... و لكن عبثا يبغى المسلمون آمالهم على الجامعة الاسلامية لأن التربية النصرانية قد تركزت فى نفوسهم بفضل المدارس التبشيرية التى من شأنها ان تزعزع عقائد المسلمين الباطلة)) .

و نشرت جريدة المؤيد المصرية بعددها ٦٧١٦ جانبا من مقررات

---

(١) الاسلام فى غزوة جديدة لأنور الجندى .

مؤتمر لكناو الهندى عن التبشير فى القطر السودانى جاء فيه :

((... وقد أرصدت الجمعية التبشيرية بعض الأموال لاقامة ذكرى المبشر غوردون بعد موته فى الخرطوم وهذه الأموال مكنت الجمعية من تأسيس مدارس تبشيرية فى أم درمان والخرطوم وابتره وفى أواسط السودان مع مدارس بنات فى السودان الشمالية وان أحوال مدرسة ابتره سائرة من حسن الى أحسن لأن التلاميذ الصغار أقاموا الصلاة المسيحية مع المبشّرين)).

وجاء فى العدد (٤٧٠٦) من الجريدة المذكورة نقلا عن مجلة العالم الاسلامى الفرنسية :

ان مؤتمر ـ لكناو الهندى ـ تلى فيه تقرير القسيس ويس وفيه : ان التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الاسلامية)).

وقال البرفسور هانوتو :

((... ان السياسة الاستعمارية لمّا وضعت يدها على برامج الدراسة فى المدارس الاسلامية أخرجت منها القرآن الكريم وبذلك تمكنت من اخراج جيل مضطرب لا يؤمن بعقيدة ولا يعرف حقّا فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة)).

وحكى السيد قطب عن أحد أقطاب التبشير فى كتابه جاهلية القرن العشرين قوله :

((ينبغى على المبشرين أن لا ييأسوا اذا رأوا ان نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق ان المسلمين قد نما فيهم الحب الشديد للحياة الغربية وتحرير النساء وان المرأة المسلمة المتعلمة هى أبعد أفراد المجتمع الاسلامى عن تعاليم الدين وأقدر أفراده على جرّ الجيل

الجديد بعيدا عن الاسلام.

وجاء في أحد فصول كتاب البحث عن الدين الحق تأليف المونيسنيور كولى و الذي قررته الهيئة المشرفة على المدارس التبشيرية في بيروت ضمن برامجها التدريسية اولاً ثم عمم الى جميع المدارس التابعة لها فى الشرق و الغرب الى يومنا هذا و قد نال رضا البابا ليون الثالث عشر فى سنة ١٨٨٧ م:

((فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد ذلك هو الاسلام الذى تأسّس على القوّة و قام على أشد أنواع التعصب لقد وضع محمد السيف فى يد أتباعه و تساهل فى أقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لأتباعه بالفجور و السلب و وعد الذين يهلكون (يستشهدون فى سبيل اللّه) فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذّات (الجنّة) و بعد قليل أصبحت آسيا الصغرى و افريقيا و اسبانيا فريسة له حتّى ايطاليا هدّدها الخطر و اجتاح المسلمون نصف فرنسا لقد اصيبت المدنية و لكن هياج المسلمين تناول فى الأكثر كلاب النصارى.

و لكن انظرها هى النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدّا فى وجه سير الاسلام المنتصر عند بوانية (٧٥٢ م) ثم تعمل الحروب الصليبيّة فى مدى قرنين تقريبا (١٠٩٩ ـ ١٢٥٤ م) فى سبيل الدين فتدجج اوربا بالسلاح و تنجى النصرانية و هكذا تقهقرت قوّة الهلال امام راية الصليب و انتصر الانجيل على القرآن و على ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة.

٥-١-٥ - احياء الفكر القومى

قال الامام الخمينى دام ظلّه العالى :

((من الفتن التى يطرحها المخطّطون لايجاد الفرقة بين المسلمين و يقوم عملاء الاستعمار بالتبليغ لها هى القوميّة و الوطنيّة)).

أقول : انّ فكرة احياء الفكر القومى فى العالم الاسلامى و تجديد عهد المسلمين بالجاهليّة الأولى التى قضى عليها الاسلام فى دعوته الأولى و سعى جهده لاستئصال جذورها و قواعدها من الأساس حيث قال عزّ من قائل :

((يا أيّها النّاسَ انّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ اُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوْبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا اِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ)).

من أمضى الأسلحة الّتى استطاع الاستعمار الغربى و الشرقى أن ينجز بها ما لم تستطع و لن تستطع المجاميع التبشيريّة و الحملات الصليبيّة و مدافع البارود و الأسلحة الفتاكة المروعة انجازه .

لقد أمضى المبشّرون ردحاً كبيراً من الزمن فى حرب شعواء ترتكز على اثارة الدسائس و تهويد عرش الاسلام عن طريق اثارة الشبهات و الطعون فى العقيدة و المبدأ و كذلك فعل المستشرقون و بلغت ذروة المصادمة والمجابهة فى سنى الحروب الصليبية التى امتدت لعشرات السنوات الاّ انّ كلّ ذلك لم يؤدّى الى مرحلة حاسمة فاصلة على الرغم من الآثار الرهيبة الّتى خلّفها الغزو المتعدّد الجبهات .

و اليك بعض أسماء تلك الجمعيّات الّتى صاغها الاستعمار لأغراضه الشخصيّة و اشباع نهم مطامعه التوسّعيّة :

١ ــ جمعيّة العهد تأسّست فى باريس ٠

٢ ــ جمعيّة العربيّة الفتاة تأسّست فى باريس عام ١٩١١م ٠

٣ ــ جمعيّة النهضة اللبنانيّة ٠

يقول أحمد عزه الأعظمى :

((انّ جمعيّة النهضة اللبنانيّة و أعضاءها و شعبها فى باريس وكان يرأسها شكرى غانم اما فى بيروت فكان يرأسها خليل زينبيّة و فى القاهرة كان يرأسها اسكندر عمون ــ بأنها كانت تمهّد الطريق لاستيلاء فرنسا على سوريا و وضعها تحت حمايتها و قد طالب شكرى غانم فى مؤتمر السلام بالوحدة السورية تحت اشراف فرنسا)) ٠

٤ ــ جمعيّة الآداب و العلوم أنشأها الامريكيّون المقيمون فى لبنان عام ١٨٤٧ م منهم القس غالى سميث و القس وليم طومسن بمساعدة بعض النصارى مثل الشيخ ناصيف اليازجى و المعلم بطرس البستانى ٠

٥ ــ الجمعيّة السوريّة أنشأها المسيحيّون برئاسة سليم البستانى و حنين الخورى ٠

٦ ــ الجمعيّة السريّة تأسّست عام ١٨٧٥ م ٠

٧ ــ جمعيّة حقوق الملّة العربيّة تأسّست عام ١٨٨١ م ٠

٨ ــ جمعيّة المنتدى الأدبى ٠

٩ ــ الكتلة النيابية العربيّة انشأت عام ١٩١١ م ٠

١٠ ــ حزب اللامركزية الادارية العثمانى المؤسس فى القاهرة ٠

١١ ــ جمعيّة القحطانية و قد انبثقت منها جمعيّة العهد عام

١٩٠٩ م على يد كبار الموظّفين العرب لدى الدولة العثمانيّة من أمثال خليل حمادة المصرى وعبد الحميد الزهراوى وعزيز على المصرى.

١٣ ـ الجمعيّة الثوريّة العربيّة أسّسها عزيز على المصرى وحقّى العظم وفؤاد الخطيب.

١٤ ـ جمعيّة الاصلاح العام.

قال عنها مارلنغ :

((يبدو فى الواقع ان الدوافع الحقيقيّة التى كانت تحدو بجمعيّة الاصلاح البصراوية للوقوف فى صف المعارضة كراهيتهم لحكم جمعيّة الاتّحاد والترقى أكثر ممّا كانت المطالبة بالانفصال عن العثمانيّين وحكمهم)).

وغيرها من الجمعيّات والتنظيمات الّتى نخرت فى جسد الأمّة الاسلاميّة وعبثت بكيانها ووجودها وهوّدت اصالتها ومسخت تراثها التليد وماضيها العريق فى رحاب العقيدة والمبدأ الالهى الخاتم.

والّتى أنشأها التكتّل الاستعمارى العالمى وبالخصوص فرنسا وبريطانيا عدوتى الاسلام اللذوذتين.

الوهابية

من المواضع الهامة الّتى تحتلّ مكاناً بارزاً فى ساحة الفكر الاسلامى الحديث وتفرض نفسها كجذور لها الأثر الأكبر فى حرف مسار الارتباط الحقيقى بالدين هى تلك الأسئلة الّتى تصب ثقلها وتركز غاية جهدها وتلقى بكلّها على السبب فى ظهور وبروز العقائد المنحرفة والمذاهب

الباطلة و الحركات القوميّة و العلمانيّة على النحو الّذى أشبعنا الكلام عليه فيما مضى فى البلدان الاسلاميّة فى القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين و استمرارها الى يومنا هذا ٠

و بالخصوص فى المناطق الّتى عاشت الدعوات الالهيّة و الرسالات السماويّة فى مهدها و ترعرعها و نشوئها و ارتقائها ٠

و لمّا كانت مكة و المدينة عاصمتا مجد العالم الاسلامى الأوّل لم يكن نصيبها بأحسن من غيرها ان لم نقل بأنّهما أولى من غيرهما فى ذلك المضمار و هكذا بزغ نجم شخص الوجود الوهّابى كضرورة ملحة فى نظر الاستعمار و بما يتلاءم مع الأهميّة الاستراتيجيّة لهاتين البقعتين فى قلوب المسلمين الذى شهر سيف التكفير و الطعن فى عقائد المسلمين قاطبة مدعيا انحرافها و ضلالتها و مروقها و غروقها فى بحور الخرافات و الترهات و من المثير للعجب و الحيرة كيف يقوم بعض الكتاب من أمثال البهى فى كتاب الفكر الاسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى بعد محمد بن عبد الوهّاب من القادة الاسلاميّين المصلحين من الطراز السلفى فى الوقت الّذى لا يشكّ فيه أدنى ذى بصيرة بحال هذا الشخص و مساعيه الساعية و الهادفة لضرب الاسلام و قلع جذوره من الأساس و فى مواضع انبثاقه و انطلاق اشعاعاته الأولى ٠

و من خلال القاء نظرة عابرة و سريعة على عقائد هذا الرجل الضال المنحرف المارق الكافر الزنديق ندرك طبيعه مرامه الّتى تتكالب على مسخ الدين الاسلامى الحنيف و نسخ اصالته و استبدالها بأفكار غريبة كلّ الغرابة عن الاسلام و أهدافه العليا و مبادئه السامية و شموخ تطلّعاته و علوّ مقاصده تلك العقيدة الّتى يتباهى آل سعود فى يومنا هذا بحمل

لوائها و الدعوة لها فى ربوع العالم و أقطاره المختلفة باذلين كلّ غال و نفيس فى هذا السبيل و تؤكد على وجوب حرف مسار الاسلام بكامله و من دون قيد أو شرط أو تسامح أو تساهل و كأنّ الاسلام قد فقد وضاع و ها هوقد جاءثانياعلى أيديهم ليستعيد مكانه المرموق تلك الأيدى الملوّثة بالعار و الشنار و معانقة المومسات ومعاقرة المسكرات و مصافحة أقطاب الاستعمار فى الشرق و الغرب و التعدّى على الحرمات و الكرامات و سلب و نهب حقوق المحرومين و سفك الدماء بلا رحمة و لا هوادة باسم الاسلام و تقديم يد العون للكتائب المسيحيّة فى لبنان لضرب الاسلام و وجوده الثائر هناك بكلّ قوّة و شراسة وغيرها من الجرائم الّتى لا عدّ لها و لا حصر و العمالة المفضوحة للتكتّلات الاستعماريّة .

العرش السعودى وصلته بالاستعمار

جاء فى مذكرات حاييم وايزمن أول رئيس للكيان الصهيونى الغاصب فى فلسطين المحتلّة ان تشرشل وزير الخارجية البريطانى قال له :

((ان انشاء الكيان السعودى هو مشروع بريطانيا الأول و المشروع الثانى من بعده انشاء الكيان الصهيونى بواسطته)) .

و أضاف حاييم بقوله :

أبان وداعى للسيد جون مارتن سكرتيل تشرشل الذى كان السكرتير العام للجنة بيل قال تشرشل : اريد ك أن تعلم مكررا يا وايزمن اننى وضعت مشروعا لكم و هو لا ينفذ الا بعد نهاية الحرب ـ أراد بها الحرب العالمية الثانية ـ و هذا المشروع هو اننى اريد أن أرى ابن

السعود سيّدا على الشرق الأوسط وكبير كبراء هذا الشرق على شرط أن يتّفق معكم أوّلا و متى تمّ هذا المشروع فعليكم أن تأخذوا منه ما أمكن أخذه و ليس من شك اننا سنساعدكم فى هذا ، وعليك أن تحتفظ بكتمان هذا السرّ و لكن انقله الى روزفلت و ليس هناك شىء يستحيل تحقيقه حين أعمل لتحقيقه أنا و روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

عقيدة الوهابيه

قال العلاّمة مغنية فى كتاب هذه هى الوهّابية :

انّ الوهابية حشوية أو أشبه بالحشوية الذين يتمسّكون بحرفيه الألفاظ و ان قام ألف دليل من العقل على المجاز و التأويل ، و انهم يضيقون معنى الاسلام و يتوسّعون فى مفهوم الشرك بحيث لا يصدق التوحيد الاّ عليهم ، و اليك الدليل :

يرى الوهابيون ان جميع المسلمين ــ غيرهم ــ قد فسّروا التوحيد تفسيراً خاطئاً و فهموه فهماً لا ينطبق على الواقع و لا يخرجه عن حقيقة الشرك وعملوا بما فهموا اذن جميع المسلمين مشركون من حيث لا يريدون و لا يشعرون فالانسان عندهم لا يصير موحّداً بمجرّد أن يشهد و يعتقد بلا اله الاّ اللّه محمد رسول اللّه و بأنّ اللّه هو الخالق الرازق وحده لا شريك له و انّه لا يرزق الاّ هو و لا يدبّر الاّ هو و بان جميع السماوات و الأرض و من فيهنّ و الأرضين السبع و من فيها كلّهم عبيد و تحت تصرّفه كل ذلك لا يفيد و لا يجعل الانسان موحّداً و لا مسلماً وكما لا تنفع كلمة الشهادة كذلك لا تنفع كثرة العبادة و لا الايمان بأنّ محمّداً

لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا ولا قول الانسان أنا مذنب والأنبياء لهم جاه عند الله وأتوسّل بهم اليه تعالى كى يعفو ويصفح .

كل ذلك وغير ذلك لا يجعل الانسان موحّداً ولا مسلماً الاّ أن يترك أموراً معيّنة :

(منها) أن لا يتوسّل الى الله بأحد أنبيائه وأوليائه فان فعل وقال مثلاً يا الله أتوسّل اليك بنبيّك محمد أن ترحمني فقد سلك مسلك المشركين واعتقد ما اعتقدوا ـ ((تطهير الاعتقاد ص٣٦ الطبعة الأولى والرسائل العملية التسع ص٤٥ وما بعدها طبعة ١٩٥٧م)).

(ومنها) أن لا يقصد قبر النبى للزيارة ويشد اليه الرحال وأن لا يتمسح به ولا يمسه ولا يدعو الله ويصلى لله عنده ولا يقيم عليه بناءً ولا مسجداً ولا ينذر له ـ ((تطهير الاعتقاد ص٣٠ و٤١ ونقض المنطق لابن تيمية ص١٥ طبعة ١٩٥١م وفتح المجيد ص٢٣٩ طبعة ١٩٥٧ واقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لابن تيمية ص٣٦٨ طبعة ١٩٥٠م)) وفى صفحة ٤٠٤ من هذا الكتاب (وان كان المصلّى لا يصلّى الا الله ولا يدعو الاّ الله فانّه مشرك .

(ومنها) أن لا يطلب الشفاعة من النبى لأنّ الله وان أعطاها لمحمد صلى الله عليه وآله وغيره من الأنبياء ولكنّه نهى عن طلبها منهم ومن طلب الشفاعة من محمد كان كمن طلبها من الأصنام سواء بسواء ـ ((الرسائل العملية التسع ص١١٠، و١١٤)) ـ أرأيت الى هذا المنطق من يعظم الرسول لقربه من الله سبحانه كافر مشرك ومن يساويه بالأصنام التى حطمها الرسول مؤمن موحّد ؟ !

(ومنها) أن لا يحلف بالنبى ولا يناديه ولا ينعته بسيّدنا كأن

يقول بحق محمد و يا محمد و سيّدنا محمد بل الحلف بالنبى وغيره من المخلوقات هو الشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار، قال حفيد محمد بن عبد الوهّاب فى فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٤١٤ طبعة ١٩٥٧م:

((قال ابن مسعود: لأن احلف باللّه كاذبًا أحب الىّ من أن احلف بغيره صادقًا)) لأن الحلف باللّه كاذبًا كبيرة من الكبائر و لكن الشرك أى الحلف بغير اللّه من الكبائر، فاذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار))·

ثم قال: و قال السيد الأمين فى كتاب كشف الارتياب ص ١٢٧ الطبعة الثانية جاء فى خلاصة الكلام صفحة ٢٣٠: كان محمد عبد الوهاب يقول عن النبى صلى اللّه عليه و آله انه طارش و ان بعض أتباع هذا الشيخ كان يقول: عصاى هذه خير من محمد لأنه ينتفع بها فى قتل الحيّة و محمد قد مات و لم يبق فيه نفع و انما هو طارش و مضى·

(و منها) ان لا يتطير و لا يتشاءم((فتح المجيد ص٣٠٥ و ما بعدها))·

(و منها) ان لا يعمل عملاً للدنيا كالمدح و الثناء((فتح المجيد ص٣٧٢ و ما بعدها))·

ثم عقب ذلك بقوله: ان ترك هذه الأمور و ما اليها يتّصل اتّصالاً وثيقًا بمفهوم التوحيد و من فعلها فهو مشرك يحل دمه و ماله و ذراريه سواء افعلها عن علم بتحريمها أو جهلاً و اشتباهًا لأن فعلها يفضى الى تكذيب الرسول و ان لم يتعمّد الفاعل منكرًا ـ ((الرسائل العملية التسع ص٧٩)) و ليس من شك انك قد لاحظت أيها القارئ انهم عدوا عدم زيارة النبي و طلب الشفاعة منه شرطا فى التوحيد و لم يعدوا قتل النفس

المحترمة ولا الزنا ولا اكتناز الذهب من منافيات التوحيد والايمان وبعد فان ما ذكرناه من الشواهد والأرقام يعطى الصورة الوافية للفهم الوهابى للتوحيد والاسلام والنزعة المتعصبة ضدالانسانية وضد رسالة محمد التى تنظر الى البشرية نظرة حبّ ورحمة تتسع للقريب والبعيد فى كل عصر وجيل انتهى كلامه ٠

أقول : ومن خلال ذلك ندرك ان الدعوة الوهّابية ركزت جهدها على اقتلاع جذور الاسلام بطريقة ماكرة خبيثة تتضح لك من خلال عرض هذه النقاط :

١ ــ الحط من منزلة صاحب الرسالة الالهية الخاتمة والتوهين بقداسة مقامه الشريف وتنزيله الى مستوى متدنى يتساوى فيه بكافة المخلوقين وعامة الناس أجمعين ٠

٢ ــ تضعيف العلاقة وتشويه النظرة واشابة الوشائج وأواصر المحبة والولاء والارتباط الوثيق بالرسل والأنبياء ٠

٣ ــ التشكيك فى استقامة عقائد عموم المسلمين تجاه الرسالة والنبوّة ٠

٤ ــ خلق الذرائع والمبررات لاباحة دماء المسلمين ٠

٥ ــ اماتة روح الصحوة والاباء للظلم والضيم وفسح المجال لتشبيث مخالب القوى الاستعمارية الكبرى فى قلب العالم الاسلامى النابض وبالخصوص فى مكة المكرمة وما قرب منها فى الأهمية والمكانة الاستراتيجية ٠

٦ ــ الدعوة الى اعتناق العقيدة الوهّابية بالمال والسلاح والترغيب والترهيب كبديل للعقيدة المحمدية ونجاح هذه الفكرة من

الناحية التطبيقية و العملية يعنى افول نجم الاسلام و العودة بالمسلمين الى القهقرى الى زمن الجاهلية الأولى و الكفر و الالحاد .

و قال العلاّمة مغنية فى موضع آخر من كتابه المتقدّم :

و أول كتاب قرأته فى هذا الموضوع هو كتاب كشف الارتياب فى أتباع محمد عبد الوهّاب للمرحوم السيد محسن الأمين و كنت طالباً فى النجف الأشرف و قد مضى على ذلك ٣٥ عاماً أو تزيد و ارتاع الوهابيّون يومذاك من هذا الكتاب و ضاقوا به ذرعا لأن المؤلف رضوان اللّه عليه ناقشهم نقاشاً علميّاً و نازلهم بكتاب اللّه و سنّة نبيّه كما ارغمهم على تعديل موقفهم من شيعة الاحساء و القطيف بعد أن طلب أربعة عشر عالماً وهابيّاً من الملك عبد العزيز أن يرغم هؤلاء الشيعة على اعتناق الوهّابية و من أبى أخرجه من دياره و نفاه الى حيث يشاء الملك السعودي الوهّابي و بعد مضى أعوام طوال على قراءتي كتاب المرحوم الأمين قرأت رسالة التوحيد و رسالة كشف الشبهات و رسالة شروط الصلاة و رسالة هذه أربع قواعد لمحمد عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابية و فى هذه السنة ١٣٨٣ هـ صحبت معي من مكة كتاب مسائل الجاهلية لمحمد ابن عبد الوهاب و كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لحفيده عبد الرحمن و كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد لمحمد بن اسماعيل الصنعاني و كتاب شرح الصدور بتحريم رفع القبور لمحمد بن على الشوكاني و كان الصنعاني و الشوكاني معاصرين لمحمد بن عبد الوهّاب و قد أرشد الى هذه الكتب الشيخ سليمان بن عبيد رئيس قضاة مكة حين قلت له : سأضع كتاباً فى عقيدة الوهابيّة و سألته عن أوثق مصادرهم و أهم ما يلفت النظر فى هذه الكتب هو الحرص الشديد على تكفير أمة محمد صلى اللّه

عليه و آله و سلم غيرهم حرصًا بلغ حدّ الشهوة أو الانتقام فمبدأهم الديني و الاجتماعي و السياسي هو: اما أن تكون وهابيًّا و امّا القتل لك والنهب لأموالك و السبى لذراريك)) .

و ما على من يريد التثبت من قولى هذا الاّ أن يقرأ فى هذه الصفحات ما نقلته عنهم و قد مهدت للقارئ و يسّرت له طريق مراجعة كتب العقائد عندهم فذكرت اسم الكتاب و رقم الصفحة و سنة الطبع و الاخراج .

و من المّ بهذه الكتب الصحيحة المعتبرة الموثوقة عند كل وهّابى لا يخامره الريب بأن الهدف النهائي للوهابية هو ابادة المسلمين ابادة تامّة غيرهم أو ابادة من يستطيعون ابادتهم كمسلمى المملكة العربية السعودية من غير فرق بين السنّة و الشيعة و انه لا يروى عطشهم الاّ هذه السياسة الجهنميّة و ما أوقفهم عن محاولة تنفيذ هذه السياسة الاّ قوّة المسلمين و نقمة الرأى العام فى الشرق و الغرب و قيام الثورات ضد الظلم و التحكم هنا و هناك و ايمان الناس كل الناس الاّ الوهابيّة بالحرية فى ممارسة الدين و التعبير عنه بكلّ اسلوب يريده المتديّن .

و أضاف فى موضع آخر بقوله :

زرت مكتبات مكة التجارية و لم تفوتني واحدة منها فيما أعتقد و قلبتها أو قلبت أكثرها ظهرًا لبطن كعادتى مع مكتبات لبنان فلم أرَ كتابًا للشيعة يباع علانيةً الاّ مجمع البيان و مكارم الأخلاق للطبرسي طبع مصر و رأيت روايات الجنس العاري حتى من المايو تغطى الواجهات و تحتلّ الصدور من المكتبات التى تحيط بالكعبة الطاهرة المطهّرة بخاصّة المكتبات المقابلة للمسعى وجهًا بوجه .

ولاجابه الوهابيّين بهذه الحقيقة في الساعة الراهنة كتبت أسماء الكثير منها ... وهذا بعضها : نساء الليل .. شهر العسل .. امرأة من باريس ... الشريرة ... الخ مع العلم بأني لا أعرف المحتوى والمضمون .. ولكني رأيت على الغلاف صوراً لرجال يفترشون العاريات المثيرات مع العناق والقبلات ... فما يخرج المحرم الطائف العاكف من الكعبة المعظّمة حتى تواجهه هذه المنكرات وصور الفاحشات والّتى سمحت بها جماعة الأمر بالمعروف لأنها لا تنافي الدين والآداب ، أمّا اللمس والتمسّح بقبر النبي صلى اللّه عليه وآله فشرك والحاد ، هذا هو منطق الوهابيّين انتهى

أصل . أصل محمدبن عبدالوهاب

جاء فى خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام للشيخ أحمد بن زينى دحلان ما نصّه :

((ولد محمد بن عبد الوهّاب سنة ١١١١ هـ وتوفى سنة ١٢٠٧ فيكون عمره ستّا وتسعين سنة وأخذ فى أوّل أمره عن كثير من علماء مكّة والمدينة وكانوا يتفرسون فيه الضلال والاضلال وكان والده عبد الوهّاب من العلماء الصالحين وكان يتفرس فيه ذلك ويذمّه كثيرا ويحذر الناس منه وكذلك أخوه سليمان بن عبد الوهّاب أنكر عليه ما أحدثه وألّف كتاباً فى الرد عليه وكان فى أول أمره مولعًا بمطالعة أخبار مدعى النبوّة كمسيلمة وسجاح والأسود العنسى وطليحة الأسدى وأمثالهم وخلف محمد بن عبد الوهّاب بعده أربعة أولاد ، وهم عبد اللّه وحسن وحسين وعلى

فقام بالدعوة عبد الله أكبرهم و لما مات خلّف سليمان و عبد الرحمن و كان سليمان متعصّبا تعصّبا شديدا فى أمرهم فقتله ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ هـ و قبض على عبد الرحمن و أرسله الى مصر فمات بها و خلف حسن عبد الرحمن و ولى قضاء مكة ايّام استيلاء الوهابيّين عليها و عمّر عبد الرحمان حتى قارب المأة و خلف عبد اللطيف و خلف كل من حسين و على أولادا كثيرة و لم يزل نسلهم باقيا بالدرعية الى الآن يسمونهم أولاد الشيخ و كان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهّاب و نشر عقيدته محمد بن سعود ، انتهى)) .

هدم القبور

كان على قبور الأئمّة الأربعة الامام الحسن الزكى ، و الامام زين العابدين ، و الامام محمد الباقر ، و الامام جعفر الصادق عليهم السلام بناء تعلوه قبّة فهدمه الوهابيون سنة ١٣٤٣ هـ حين انتزعوا الحجاز من الشريف حسين و استولوا عليه .

و لم يحجموا عن هدم الحرم النبوى الاّ بعد أن ثارت ثائرة المسلمين قاطبة عليهم و قامت الدنيا على رؤوسهم و لم تقعد الاّ بعد أن تأكد لهم ان المسلمين لا يدعون وهّابيّاً على وجه الأرض لو مسّوا القبر الشريف بسوء .

الهند وحركة أحمدخان التمهيدية

تذكر مجلّة العروة الوثقى للسيّد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فى أحد أعدادها وصفا لهدف هذه الحركة التخريبية التى قام بها السيد أحمد خان فى الهند فتقول:

((... لما استقرت أقدامهم ـ أى الانجليز ـ وألقوا به عصاهم ومحيت آثار السلطنة التيمورية نظروا الى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليونا من المسلمين، كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم، وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأحسّوا أن المسلمين ما داموا على دينهم، وما دام القرآن يتلى بينهم، فمحال أن يخلصوا فى الخضوع لسلطة أجنبى عنهم، خصوصاً ان كان ذلك الأجنبى خطف الملك منهم بالخديعة أو المكر تحت ستار المحبة والصداقة! فطفقوا يفتشون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الاسلامى، وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل، محشوة بالطعن فى الديانة الاسلامية، مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة ـ برّأه الله ممّا قالوا، فأتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه الطباع، ولا يمكن معه لذى غيرة أن يقيم على أرض تنتشر فيها تلك الكتب، وأن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبى ذلك الافك العظيم!)).

((وما قصدهم بذلك الاّ توهين عقائد المسلمين: وحملهم على

التديّن بمذهب الانكليز! هذا من جهة، و من جهة أخرى أخذوا فى تضييق سبل المعيشة على المسلمين و تشديد الوطأة عليهم و الاضرار بهم من كل وجه: فضربوا على أيديهم فى الأعمال العامة، و سلبوا أوقاف المساجد و المدارس، و نفوا علماءهم و عظماءهم الى جزيرة "اندومان" رجاء أن تفيدهم هذه الوسيلة، — ان لم تفدهم الأولى — فى ردّ المسلمين عن دينهم باسقاطهم فى أغوار الجهل بعقائدهم حتّى يذهلوا عمّا فرضه اللّه عليهم!)).

((فلمّا خاب أمل أولئك الحكام الجائرين فى الوسيلة الأولى، وطال عليهم الأمد فى الاستفادة من الثانية، نزعوا الى تدبير آخر فى ازالة الدين الاسلامى من أرض الهند أو اضعافه، لأنهم لا يخافون الاّ من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب و التحق المسلوب! فاتفق أن رجلا اسمه ((أحمد خان بهادور)) — لقب تعظيم فى الهند —، كان يحوم حول الانكليز لينال فائدة من لديهم، فعرض نفسه عليهم و خطا بعض خطوات لخلع دينه، و التديّن بالمذهب الانجليزى! و بدأ الأمر بكتابة كتاب (١) يثبت فيه أن التوراة و الانجيل ليسا محرّفين و لا مبدّلين لينال بذلك الزلفى عندهم! ثم راجع نفسه فرأى أن الانجليز لن يرضوا عنه حتى يقول: انّى نصرانى، و أن هذا العمل الحقير لا يؤتى عليه أجرًا جزيلاً، خصوصا و قد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس و البطارقة، و ما أمكنهم أن يحوّلوا من المسلمين عن الدين أشخاصا معدودة! فأخذ طريقًا آخر فى خدمة حكامه الانكليز: بتفريق كلمة المسلمين و تبديد شملهم، فظهر

---

(١) عمل فى هذا التفسير من سنة ١٨٨٠ م الى سنة ١٨٩٥ م.
و انتهى فيه الى سورة الكهف.

بمظهر الطبيعيّين الدهريّين و نادى بأن لا وجود الاّ للطبيعة العمياء ، و ليس لهذا الكون اله حكيم ((اِنْ هٰذَا اِلاّ الضَّلَالُ المُبِيْنُ ... إ)) ، و أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيّين لا يعتقدون بالاله الذى جاءت به الشرائع ـ ((نعوذ باللّه إ)) و لقب نفسه بالطبيعى ، و أخذ يغرى أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين ، فمال اليه أشخاص منهم ، تملصا من الشرع الشريف و سعيا خلف الشهوات البهيميّة إ فراق الحكام الانجليز مشربه ، و رأوا فيه خير وسيلة لافساد قلوب المسلمين فأخذوا فى تعزيزه و تكريمه و ساعدوه على بناء مدرسة فى "عليگره" و سموها مدرسة "المحمديين" لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل "أحمد خان بهادور" إ)) .

((و كتب "احمد خان" تفسيرا على القرآن الكريم ، فحرف الكلم عن مواضعه و بدّل ما أنزل اللّه إ)) .

((و أنشأ جريدة باسم "تهذيب الأخلاق" لا ينشر فيها الاّ ما يضل عقول المسلمين ، و يوقع الشقاق بينهم ، و يلقى العداوة بين مسلمى الهند وغيرهم خصوصا بينهم و بين العثمانيين ، و جهر بالدعوة لخلع الأديان كافة ، لكن لا يدعو الاّ المسلمين إ! و نادى : الطبيعة الطبيعة ، ليوسوس الناس بأن اوربا ما تقدمت فى المدنية ، و ما ارتفعت فى العلم و الصنعة ، و ما فاقت فى القوة و الاقتدار ، الاّ برفض الأديان ، و الرجوع الى الغرض المقصود من كل دين ـ على زعمه ـ و هو : بيان مسالك الطبيعة ... قد افترى على اللّه كذبا إ)) .

((و لما كنا بحيال الدين فى الهند ـ فى سنة ١٨٧٩ ـ أحسسنا من بعض ضعاف العقول اغترارا بترهات الرجل و تلامذته ، فكتبنا رسالة

فى بيان مذهبهم الفاسد وما ينشأ عنه من المفاسد ، وأثبتنا أنّ الدين أساس المدنيّة وقوام العمران ، وطبعت رسالتنا فى اللغتين الهندية والفارسية (اسمها : الرد على الدهريّين)٠))٠

((هؤلاء الدهريّون ليسوا كالدهريين فى اوربا ، فان من ترك الدين فى البلاد الغربية تبقى عنده محبّة أوطانه ، ولا تنقص حميّته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب ، ويفدى مصلحتها بروحه ، أما أحمد خان وأصحابه ، فانهم كما يدعون الناس لنبذ الدين ، يهونون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكم الأجنبى فيها ، ويجتهدون فى محو آثار الغيرة الدينية والجنسية ٠٠٠ لا لأجر جزيل ولا شرف رفيع ، ولكن لعيش دنىء ونفع زهيد ، وهكذا يمتاز دهرى الشرق عن دهرى الغرب : بالخسّة والدناءة ، بعد الكفر والزندقة))!(١)٠

ويقول السيد جمال الدين الأفغاني فى عدد آخر من أعداد هذه المجلّة :

((٠٠٠ من هذا ــ من أسباب السياسة الأوربية ــ ما سلك الإنجليز فى الهند لما أحسوا بخيال السلطنة يطوف على أفكار المسلمين منهم ، لقرب عهدها بهم ، وفى دينهم ما يبعثهم على الحركة الى استرداد ما سلب منهم ، وأرشدهم البحث فى طبائع الملل الى أنّ حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية ، وما دام الاعتقاد المحمدى والعصبيّة الملية سائدة فيهم فلا تؤمن بعثتهم الى طلب حقوقهم٠

فاستهووا طائفة ممن يتسمون بسمة الاسلام ويلبسون لباس المسلمين ، وفى صدورهم غل ونفاق وفى قلوبهم زيغ وزندقة ، وهم

(١) "العروة الوثقى" ص٥٧٢ ــ ٥٧٥٠

المعروفون فى البلاد الهندية" بالدهريين و الطبيعيين" ! فاتّخذهم الانجليز أعوانا لهم على افساد عقائد المسلمين ، و توهين علائق التعصّب الدينى ليطفئوا بذلك نار حميتهم و يبددوا جمعهم و يمزّقوا شملهم و ساعدوا تلك الطائفة على انشاء مدرسة عليگرة و نشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف فى العقائد و تهن الصلات بين المسلمين فيستريح الانجليز فى التسلّط عليهم انتهى كلامه ٠

القاديانية

اغتنمت الحكومة البريطانية الأجواء التى أشاعتها حركة أحمد خان التشكيكية و مقدار ما ضمته الى صفها من كوادر و فئات وعقول متذبذبة و انطلت عليها الشعارات الجوفاء البرّاقة المعسولة لتوعز الى عميل آخر من عملائها يدعى ميرزا غلام أحمد القاديانى لينتهج السياسة القاضية باستمرارية حلقات التآمر و الهدم للاسلام على غرار ما قدمناه لك فى جرائم الروس فى العالم الاسلامى ٠

فأسّس المذهب القاديانى نسبة الى مسقط رأسه مدينة قاديان احدى اعمال اقليم البنجاب ٠

و تمّ تسجيل هذا المذهب كمذهب رسمى معترف به فى سنة ١٩٠٠ م ٠

و فى سنة ١٩٠٢ م قام باصدار مجلّة شهريّة اسمها مجلّة الأديان

باللغة الانجليزية .

وتعد هذه المجلّة لسان حال هذه العقيدة المنحرفة وتتّخذ من مدينة قاديان مركزا رئيسيّا لها منذ عهدها الأولى الى يومنا هذا حيث تقوم بالتغذية الفكريّة لأتباعها المتواجدين فى اقليم البنجاب وافغانستان وايران .

وقد أحيط بهالة من القداسة والتكريم والحفاوة طيلة فترة حياته وبعد مماته كلّ ذلك لضمان سلامة مخطّطه التآمرى .

يقول ((صدر الدين أحمدى)) مترجم كتاب ((البراهين الأحمديّة)) :

((ولد سيّدنا الميرزا غلام أحمد فى الثالث عشر من شهر شباط عام ١٨٣٥ م ، الموافق للرابع عشر من شهر شوّال عام ١٢٥٠ م . ق ، فى منطقة البنجاب ... وفى سنة ١٨٧٦ أوحى الى سيّدنا — من خلال الرؤيا — بأنّ عليه أن يجاهد نفسه وروحه ويصوم لكى يحصل على الفيض الالهى ، وبعد هذه الرؤيا بدأ صيامه الّذى استمرّ ستّة أشهر متوالية ، وفى الثالث والعشرين من شهر آذار عام ١٨٨٢ م منحته الربوبيّة لقب ((المجدّد)) .

ويقول المترجم فى مقدّمة الكتاب :

رغم انّ الناس كانوا — قبل هذا التاريخ — يطلقون عليه لقب " المجدّد " الاّ أنّه أعلن — وبشكل رسمى — بأنّه المجدّد فى القرن الرابع عشر الهجرى عند نشره كتاب " البراهين الأحمديّة " على شكل اعلانات (يوجد نموذج منها فى الكتاب المذكور) وكان يستند — فى ذلك — الى حديث نقله أبو هريرة عن الرسول (ص) ، والحديث هو :

((انّ اللّه يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مأة سنة من يجدّد لها

دينها)) .

(سنن أبى داود ، المجلّد الثانى ، كتاب الملاحم) .

* * *

و بعد أن أحكم موقعه من خلال الحديث المذكور ، بدأ يدّعى بأنّه المسيح الموعود ! و المهدى المنتظر ! ! و قد أعلن بعد ذلك ـ وبصورة رسميّة ـ عن ادّعائه الجديد ، و سنشرح سبب تدرّجه فى ادّعاءاتـــــه و مطامعه الدنيئة التى كان يصبو الى تحقيقها .

و يقول صدر الدين أحمدى :

(فى عام ١٨٨٤ م ـ و حسب البشارة الالهيّة ـ اختار الميرزا غلام أحمد زوجته الثانية و هى السيّدة نصرت جهان بيگم ، و كانت هذه المرأة تنتمى الى عائلة من سادات مدينة دلهى تنسب الى عائلة ميرورد) .

و الملاحظة الملفتة للنظر هى مدى دهاء رئيس فرقة الأحمديّـــــة (القاديانيّة) فى تنفيذ خططه الشيطانيّة و تمرير خدعه على الناس .

فهو يستند الى حديث أبى داود فى ادّعائه بأنه المجـــــدّد ، و يستخدمه كوسيلة للتوصّل الى المراحل الأخرى من ادّعاءاته كادّعائه بأنّه المهدى الموعود ! و المسيح المنتظر ! بينما يشير الحديث الى أنّ شخصا يظهر كلّ قرن يحيى التعاليم الاسلاميّة و يعيد زعامة الاسلام و يوصـــل الأمّة (الّتى وقعت أسيرة بيد الاستعمار نتيجة اللامبالاة و عدم التوجّه الى التعاليم الاسلاميّة الراقية) الى ساحل النجاة .

كما أنّ الحديث المذكور يعنى بأنّ شخصًا قائدًا أو مجتهدًا واعيًا يقود هذه المسيرة ، و هذا لا يعنى أن يصبح الحديث المذكور وسيلـــة للوصول الى المراحل الأخرى من الادّعاءات الجديدة كادّعاء الوصول الى

المهدويّة و تمثيل المسيح ٠

انّ كلّ مسلم واع يدرك ـ من خلال القائه نظرة عابرة على كتاب ((البراهين الأحمديّة)) بأنّ كل آية أو رواية أو حديث يستند اليها مؤلّف الكتاب ، يفسّرها حسب ميوله و أهوائه الشخصيّة ، أو يقوم بتطبيقها على نفسه ٠

كيف يمكن لفرد يدّعى حبّ خاتم المرسلين (ص) و ايمانه بالقرآن الكريم ، لكنّه يدّعى ـ فى نفس الوقت ـ النبوّة ، أى : يعمل خلاف نصّ و حكم القرآن الّذى يعلن بأنّ سيّدنا محمّدا (ص) كان خاتم الأنبياء؟

((ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول اللّه و خاتم النبيّين)) ٠ (الأحزاب / ٤٠) ٠

انّ الرّسول الأعظم يبيّن فى حديث ((المنزلة)) الّذى يعتبر من الأحاديث المعتبرة عند المسلمين ـ سندا و دلالة ـ بأن لا نبىّ بعده :

((أنت منّى بمنزلة هارون من موسى الا أنّه لا نبىّ بعدى)) ٠

لقد استخدم ((الميرزا غلام أحمد)) الآيات و الأحاديث لأغراضه الشخصيّة ، و خطا خطوة أوسع من خطوته الأولى الى درجة أنّ الاستعمار البريطانى العجوز اعترف بالأساليب الشيطانيّة و الغاوية التى استخدمها الميرزا غلام ٠

فقد كتبت مجلّة " تايمز " الصادرة فى لندن تقول : ((انّ الميرزا غلام أحمد الّذى اتّخذ لقب الميرزا صاحب فيما بعد يعتبر رجلا داهية ، كما و ظهر بين أتباعه علماء عظام متمسّكون بالقانون ، و يعتبر هذا الأمر فخرا كبيرا لمؤسّس هذه الفرقة)) ٠

ممّا لا شكّ فيه انّ المتمعن البصير يمكنه من خلال هذه السطور

ـ الّتى كتبتها الصحيفة المذكورة فى مدح هذا الشخص ـ أن يتيقن بأنّ بريطانيا لا تعتبره داهية فحسب ، بل و تعتبره مع أتباعه أناسا يؤيّدون القوانين الّتى يضعها الاستعمار ، كما و انّهم أصبحوا حجر عثرة أمام المسلمين المجاهدين ، و لذلك فانّها تمنح زعيمهم وساما فخريّا ! و تشير الصحيفة الى اغفاله للنّاس قائلة : (انّنا نؤيّد رأى الدكتور كرسفولد القائل بأنّ سيادة الميرزا صاحب ، كان منخدعا ، و لم يكن مخادعا فى ادّعاءاته أبدا) .

هذه الصحيفة لا تريد أن تعترف بأنّ الميرزا صاحب ، قد أسّس فرقته الضّالّة بأمر و دعم من بريطانيا ، حيث تصر على انّ هذا الشخص كان منخدعا لا مخادعا ، فهى تعتبره شخصا غير مخادع لأنها تريد ابقاء أتباعه عبيدا لبريطانيا ، كما و لا ترغب فى زرع أدنى شكّ بين أتباعه ، الاّ أنّ هناك ملاحظة يجب أن لا نغضّ الطرف عنها ، و هى : كيف خدع الميرزا صاحب ، و من الّذى خدعه؟ هل خدع من قبل أسياده الانجليز ، أم من قبل أشخاص آخرين؟ لماذا يقرّ بأنّه كان منخدعا؟

انّ السياسة الاستعماريّة تقتضى اثارة الفرقة وايجاد خلافات واسعة بين المسلمين و مجتمعاتهم ، لذلك يلزم علينا أن نعطى ايضاحات أكثر تبيّن تبعيّة مؤسّس فرقة الأحمديّة (القاديانيّة) الّذى أفنى عمره فى خدمة الانجليز ، و سنبدأ أوّلا ببيان تبعيّة والد مؤسّس هذه الفرقة للانجليز .

يقول ((الميرزا صاحب غلام أحمد)) عن والده فى احدى كتبه :

كان والدى " ميرزا غلام مرتضى " من الأصدقاء المخلصين للحكومة البريطانيّة ، و قد اشترك مع خمسين فارسا الى جانب الانجليز فى الحرب

الّتى وقعت عام ١٨٥٧ بين الانجليز و السكان المحلّيين الّذين ينتمى اليهم ، انّ مساعدته لبريطانيا كانت ايثارا عظيما ، أكبر من طاقته .

و يعترف الميرزا غلام فى الصفحة العاشرة من كتاب ((ملحق شهادة القرآن)) بالخدمات الّتى أسداها للانجليز ، حيث يقول :

((لقد قضيت عمرى كلّه فى تأييد الحكومة البريطانيّة ، ولأجل ترسيخ الأهداف الاستعماريّة لبريطانيا ألّفت عدّة كتب ، نهيت الناس فيها عن جهاد الانجليز ، و بيّنت لهم بأنّ عليهم أن يعتبروا الحكومة البريطانيّة وليّة أمرهم ، و قد نشرت هذه الكتب فى مصر و الشام و أفغانستان و بلدان أخرى)) .

و يقول فى نفس الصفحة : ((لقد أفنيت شبابى فى خدمة بريطانيا ، و الآن و قد أصبحت فى الستّين من عمرى أدعو المسلمين بقلمى و لسانى الى التوجّه نحو الحكومة البريطانيّة و الاخلاص لها ، كما و أرفع صوتى مناديا بالغاء فكرة الجهاد ، و أدعو المسلمين الى نبذ الجهاد ضدّ الانجليز و أمنعهم من ذلك)) .

هذه نماذج من الخدمات الّتى أسدتها هذه العائلة و هذا الابن وأبوه الى الحكومة الانجليزيّة المستكبرة ، ذكرناها كبراهين دامغة على طوية هؤلاء الأشخاص العملاء الخونة ، كما سنبيّن لك أيضا سبب انتخاب الحكومة البريطانية الظالمة للميرزا غلام أحمد ليقوم بخدمتها ، و سبب حمايتها له حتّى بالغت فى تعريفه بحيث أنّ صحيفة " الخريف" البريطانيّة كتبت تقول عنه فى أحد أعدادها :

((و اذا ما عاد أحد أنبياء بنى اسرائيل من عالم الملكوت ، و أراد التبليغ فى هذا العصر ، فمن المؤكّد ان وجوده فى القرن العشرين لن

يكون أكثر أهميّة من وجود الميرزا صاحب)) (نقلا عن مقدّمة كتاب البراهن الاحمدية) .

انّ بريطانيا الّتى كانت ـ آنذاك ـ تستعمر القارّة الهنديّة ، وترغب فى ارساء جذور سلطتها فى هذه المستعمرة ، لم يكن أمامها سبيل سوى استخدام عملائها الذين كانت قد تعرّفت عليهم سابقا و الّذين استمرّوا فى خدمتهم و ولائهم للتاج البريطانى و كانوا اناسا معروفين أو محبوبين من قبل الناس لكى تتمكّن من نيل مآربها المشؤومة و كانت تعلم بأنّ أغلبيّة المسلمين (ان لم نقل جميعهم) سيثورون على سلطتها الظالمة الأمر الّذى سيهدّدها أكثر من غيرها ، و لذلك كان لابدّ لها من اختلاق شخص يتقبّل هذا المقام الالهى المزيف ، و قد اختارت بريطانيا الميرزا غلام أحمد (الميرزا صاحب) ليكون الأداة فى تنفيذ مآربها ... لقد اختارته لأنّها كانت تعرفه و تعرف أباه من خلال اللقاءات التى كانت تجرى بين الطرفين فى منزل الميرزا .

و فى نفس الفترة الّتى أوجد فيها الروس فرقة "البهائيّة" فى ايران و تركوها تعبث بمسلمى ايران و العالم ، أوجد الانجليز فرقة باسم " القاديانيّة" تحت زعامة الميرزا غلام أحمد ، و قد وجدت هذه الفرقة و بشّرت بأفكارها بحماية انجليزيّة ، و لقد أدى و سيؤدى تناحر الفرق دائما الى انحطاط المسلمين ، كما أنّ ايجاد مثل هذه الفرق المعادية للأفكار الالهيّة على يد المستعمرين و القوى العظمى يأتى ـ فى الواقع ـ لتحقيق أغراض شتّى منها :

١ ـ اختراق الأمّة الاسلاميّة ، و تحقيق مكاسب سياسيّة واقتصاديّة

٢ ـ زرع الخلافات فى الصفوف المتلاحمة للأمة الاسلاميّة بغية

اضعافها ، و قد استفادوا من هاتين النقطتين كثيرا ، و هذا مما شوهد خلال الحرب العالميّة ، فقد كتب الخبراء العسكريّون فى شؤون الحرب العالميّة الّتى أشعل الاستعمار فتيلها بأنّ أغلب الضحايا فى الجيش البريطانى كانوا من الهنود حيث راح الشعب الهندى ضحية لمصالح الحكومة البريطانيّة الظالمة الّتى استغلّت ذلك أبشع استغلال .

انّ ذنب هؤلاء الّذين راحوا ضحية لسياسة القوى العظمى وجرائمها يقع على عاتق الّذين يظهرون أنفسهم بمظهر الّهى و مقدّس كالميرزا غلام أحمد و ما شاكله ممّن حرّفوا الآيات الالّهيّة و مسخوا الأحكام السماويّة و خدعوا الأفراد البسطاء .

و لكن كيف و لماذا يحاول الاستعمار الاختراق بهذه الوسيلة ويقوم بخداع الناس؟

الجواب : انّه يقوم بهذا الأمر لسببين :

الأوّل : انّ التجارب الّتى اكتسبها فى الماضى أثبتت له انّ الاسلام يعمل على تنمية روح الحركة و الثورة بين أتباعه بصورة دائمة ، و يحثّهم على الوقوف كالحديد بوجه الباطل ، حتّى انّ القاء نظرة سريعة على جهاد المسلمين تظهر بجلاء انّ رسالة الاسلام رسالة تعمل على تقوية عزيمة المسلمين و معنويّاتهم بحيث تجعلهم يقفون أمام العدو وكأنّهم صفوف من الملائكة ليس لهم أغراض ماديّة و يسطرون الملاحم و يدافعون عن الاسلام بعقيدتهم و أيديهم المؤيّدة من اللّه ، كما و يعلم الجميع انّ المسلمين تمكّنوا فى بعض الحروب الّتى كانوا يفتقرون فيها للعدّة والعدد من دحر الأعداء ، خاصّة و ان تشريع حكم الجهاد من جانب الشريعة الاسلاميّة المقدّسة الّذى يعتبر واجبا الهيّا يشكل تهديدا للاستكبار

العالمى .

و بديهى أنّ أعداء الاسلام لا يمكنهم الوقوف بوجه هذه القوّة العالميّة العظيمة الاّ بتفريق صفوف المسلمين ، و ايجاد الفرق التّى تقدم لها الخدمات .

ثانيا : انّ الّذين يعملون باسم الدين يحظون أكثر من غيرهم بثقة الشعوب ، و لذلك فمثل هؤلاء الأفراد يمكنهم التأثير على شعوبهم .

و من هنا يستطيع الميرزا غلام و من شاكله — ممّن يتستّرون بثوب الدّين فى أعمالهم و يحظون بثقة النّاس — التأثير على الناس وزرع بذور الخلافات بينهم .

انّ مؤسّسى مثل هذه الفرق كانوا مضطّرين (نتيجة نفوذهم وتعميقه) بضغوط من أسيادهم أن يعلنوا أنفسهم رسلا من قبل اللّه لكى يتمكّنوا بهذا الأسلوب من نسخ الأحكام و الأصول الّتى حافظت على حياة الشعوب الاسلاميّة و ذلك لتحويل أبنائها الى أموات متحرّكين ، وعلى هذا الأساس حرّم الميرزا غلام الجهاد ، و أعلن انّ اطاعة الانجليز تعنى اطاعة اللّه !!

ادعائه بانه المسيح

تعتقد بعض الفرق الاسلاميّة بأنّ السيّد المسيح (ع) سيكون الى جانب الامام المهدى (ع) عند ظهوره ، و انّ اللّه تعالى قد رفعه الى السماء ، و سينزل (ع) فى اليوم الموعود عند ظهور الامام المهدى (عج) يأخذ بأيدى الناس نحو الكمال و التوحيد .

و لكى يتمكّن الميرزا غلام من اغراء الأفراد البسطاء ، فقد ادّعى انّه المسيح الموعود مع انّ هذا الادعاء يعتبر ادّعاء فارغا ، ذلك انّ عيسى (ع) ولد قبل ميلاد الرسول (ص) بأكثر من ست مائة سنة ، كما انّ القرآن الكريم يرد على الّذين يقولون بأنّ عيسى (ع) هو ابن اللّه ، قائلا : ((انّ مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ...)) الاّ انّنا نلاحظ انّ ميرزا غلام أحمد القادياني قد نسى فى ادّعائه حتّى أبده بديهيات القرآن ، و لعلّ اللّه سبحانه و تعالى أراد فضحه ذلك انّ عيسى (ع) وكما جاء فى القرآن لم يكن له أب ، و قد ولد بواسطة نفخ الروح فى مريم (ع) مع انّ (الميرزا صاحب) يقرّ بأنّه ولد بعد أربعة عشر قرنا على هجرة الرسول (ص) .

و الّذين يعتقدون بأنّ المسيح سيظهر يقصدون بذلك المسيح الّذى ذكر فى القرآن ، و الّذى رفعه اللّه الى السّماء و الّذى يتّفق عليه أكثر العلماء .

و فى قوله عزّ و جلّ :

((بل رفعه اللّه اليه و كان اللّه عزيزا حكيما)) (النّساء / ١٥٨) .

بيان جلى صريح على أن عيسى عليه السلام قد رفع الى السّماء ، فكيف يدّعى الميرزا غلام أحمد و بعد عشرين قرنا بأنّه هو المسيح الموعود و الحال أنّه لم ينزل من السّماء و لا يمتلك علائم المسيح عيسى بن مريم (ع) ؟!

و حول ادّعائه بأنّه الامام المهدى ، فلابدّ من القول أنّ الامام المهدى (ع) هو من نسل الامام علىّ بن أبى طالب (ع) الّذى لم ينزل عليه ـ و لا على أولاده من الأئمّة بعده ـ الوحى أبدا ، بل كان وصىّ

الرسول (ص) و اماما للمسلمين ، فانّ الوحى هو من اختصـــاص الأنبياء فقط ، فكيف تجرّأ الميرزا غلام و ادّعى المهدويّة و بأنّ الوحى نزل عليـــه بينما لا يصح أىّ عالم بنزول الوحى على الامام المهدى (ع) أبدا؟ و هذا أمر واضح و بديهىّ بالنسبة للمسلمين .

ادعائه النبوة

لقد أعلن الميرزا غلام أحمد (الميرزا صاحب) فى المرحلة النهائية من ادّعاءاته بأنّه رسول من قبل اللّه ! (سفينة نوح /ص ٤٨ ، و تذكـــرة الشهادتين) .

و فيما يلى بعض عباراته :

(يا أحمدى أنت مرادى ، و معى ، سرّك سرّى ، و شأنك عجيـــب ، و أجرك قريب ، انّى أمرتك و اخترتك ، و يقولون لست مرسلا ، قل عنـــدى شهادة من اللّه فهل أنتم تؤمنون ، انّى معين من أراد اعانتك) !!

و لمزيد من الاطّلاع يراجع كتاب تذكرة الشهادتيـــن (ص ٣ ـ ٧) للتعرّف على مدى تحريف هذا الشخص للآيات القرآنيّة و خلطها بعبارات وضعها بنفسه و ادّعى بأنّها وحى من عند اللّه .

و الآن سنتطرّق الى مسألة خاتميّة الرّسول الأعظم (ص) و ردّ شبهات و عقائد فرقـــة (القـــاديانيّة) تجاه هذه المسألة .

خاتمية الرسالة المحمدية

تعتبر مسألة خاتميّة الرسول (ص) من ضرورات الدين الاسلامى الّتى يتّفق عليها مسلمو العالم، و هنا سنثبت بطلان ادّعاء "ميرزا غلام أحمد" حول مسألة الخاتميّة، وكما أشرنا سابقا، فقد جاء فى الآية (٤٠) من سورة الأحزاب:

((ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول اللّه و خاتم النّبيّين ...)).

انّ اللّه تعالى يصف رسول اللّه (ص) بأنّه خاتم النبيّين، أى أنه ختم سجلّ الأنبياء، كما أنّ كلمة "خاتم" لاتطلق على (كل حلقة توضع فى الاصبع) بل انّها تطلق على (الحلقة الّتى تحتوى على اسم و علامة و تستعمل كأداة لختم السجلّ و الدفتر)، و بشكل عام فانّ كلمة "خاتم" وغيرها مشتقّة من كلمة "ختم" أى "اكمل" و كلمة "خاتم الأنبياء" تعنى آخر الأنبياء و تمامهم و كمال عددهم.

انّ شموليّة القوانين الاسلاميّة تعتبر دليلا على خاتميّة نبيّنا محمد صلى اللّه عليه و آله و سلّم قال تبارك و تعالى:

((و ما أرسلناك الاّ كافّة للنّاس بشيرا و نذيرا ...)) (سبأ/٢٨).

من جهة أخرى فانّ ظهور الأنبياء الواحد تلو الآخر جاء لاكمال الأحكام الالهيّة الّتى كانت تشرّع حسب مصالح الأمم، و مدى تدهور أوضاعها. و كانت تلك الأحكام تبلغ على شكل برنامج لأفراد البشر، بينما

نرى انّ الاسلام هو من أشمل الأديان ، كما انّ القرآن يحتوى على أتمّ الأحكام و القوانين البشريّة ، و قد جاء فى القرآن بأنّ القرآن هو : ((هدى للعالمين)) أى : أنّ تشريعاته كاملة يمكنها هداية البشر و قيادتهم بما يضمن لهم السمو نحو التكامل بشكل تصاعدى .

اذن ما فائدة طرح الميرزا غلام لقوانين كاذبة للعالم ليفرق بها العالم ألاسلامى و يضعه تحت نفوذ الأجانب بينما ينبهر علماء العالم أمام عظمة القرآن و الدين الاسلامى و قوانينه و مقرّراته؟ ألم يكن الميرزا غلام أحمد قد ادّعى بأنه المسيح ثمّ ادّعى بعد ذلك بأنّه نبىّ مرسل ، و قال بأنّه هو أحمد الّذى ذكر فى الآية القرآنيّة .

((و اذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انّى رسول اللّه اليكم لما بين يدىّ من التّوراة و مبشّرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد...)) (الصف / ٦) .

كيف يمكن جمع هذه الادّعاءات المتناقضة؟ لابدّ انّه قد منح نفسه بنفسه لقب المسيح ، ثمّ الرسول أحمد! !

انّ أدنى قدر من الدقّة يظهر لنا بوضوح أنّ الرسول أحمد الّذى بشّر به عيسى (ع) كان رسول الاسلام العظيم محمّدا (ص) و بالاضافة الى ذلك ادّعى الميرزا غلام أحمد بأنّ روح رسول اللّه محمد (ص) قد حلّت فى جسمه ، بينما تعتبر مسألة " الحلولية " مسألة مرفوضة فى الاسلام ، و اذا ما كانت روح الرسول محمد (ص) تحلّ فى جسم انسان ما بعد أربعة عشر قرنا ، فلابدّ و أن يكون الرسول (ص) قد أخبر من قبل الله بذلك ، و انّه أعلن عن ذلك للمسلمين بعده ، ذلك أنّ مقام النبوّة مقام تعيينى ، و له قيمة عالميّة و درجه كبيرة من الخطورة و الحساسية .

انّ العقل يحكم بأن يقوم الرسول بذلك الأمر لكى يتقبّله النّاس، وليس هناك أىّ دليل قرآنى أو رواية وحديث ـ قط ـ يؤيّد حلول روح رسول اللّه محمد (ص) فى جسم انسان آخر، فهذا الأدّعاء يشبه ادّعاة عبدة الأصنام بحلوليّة اللّه فى الأصنام.

ادعاء آخر

لأجل اثبات نبوّته المزيّفة، يقول الميرزا غلام بأنّ الزمن الفاصل بين موسى وعيسى (عليهما السلام) كان أربعة عشر قرنا، لذلك فانّ الزمن الفاصل بينه وبين محمد (ص) هو أربعة عشر قرنا، حيث انّ ظهور رسول كلّ أربعة عشر قرنا أمر ضرورىّ.

واستنادا الى مقولة الميرزا غلام فانّ رسالة سيّدنا محمد (ص) ـ والعياذ باللّه ـ مشكوك فى أمرها، اذ انّ الزمن الفاصل بين عيسى (ع) ورسول اللّه (ص) هو ستّة قرون، فكيف يمكن للميرزا غلام أن يقبل بذلك، كما يدّعى فى نفس الوقت بأنّه يقبل برسالة الرسول محمد (ص) وبأنّ روح محمد (ص) قد حلّت فى جسمه، مع انّ الفاصل الزمنى بين الرسول محمد (ص) والمسيح عيسى (ع)، تقلّ عن أربعة عشر قرنا؟!

ما أسخف الدليل الّذى استند اليه الميرزا غلام أحمد.

ومن هنا ويتضح لك هنات ادعاءاته وسخافاتها.

دليل آخر على خاتمية الرسول (ص):

انّ حديث المنزلة الّذى أشرنا اليه سابقا والّذى هو:

((يا علی أنت منّی بمنزلة هارون من موسی الاّ أنّه لا نبیّ من بعدی)).

یبیّن انّ الفرق بین رسول اللّه محمد (ص) و موسی (ع) هو انّ سلسلة الأنبیاء لم تنته بعد موسی، الاّ أنها اختتمت بنبیّنا محمد (ص)، و هذا الحدیث الذی یحظی بقبول العامّة و الخاصّة و روته الشیعة و السنّة، یبیّن ـ و بشکل صریح ـ مسألة خاتمیّة رسول الاسلام.

کیف ادّعی المیرزا غلام أحمد النبوّة رغم وجود هذا الحدیث الواضح الّذی یعلن انتهاء سلسلة الأنبیاء؟

الی هنا یتّضح لنا مدی تناقض أقوال و ادّعاءات المیرزا غلام أحمد، فتارة یدّعی حلول روح نبیّنا محمد (ص) فی جسمه و هو ما یناقض الأصول و الفلسفة الاسلامیّة و لم یکن أیّ من علماء و فلاسفة الاسلام یقبل مسألة الحلول، کما و لیس هناک أیّ دلیل نقلی من القرآن و الأحادیث یدلّ علی صحّة هذه المسألة.

انّ مسألة حلول روح انسان فی انسان آخر موجودة فی العقائد الهندوسیّة، کما تقدّم فی الجبهة الهندوکیة، و تعتبر جزءاً من معتقداتهم الدینیّة، و قد یکون المیرزا غلام قد أخذ هذه الفکرة استنادا الی الفلسفة الهندوسیّة، و فی مثل هذه الحالة فانّ استدلاله یعتبر غیر اسلامی.

و هناک نماذج کثیرة من الأحادیث النبویّة تبرهن علی خاتمیّة نبیّنا محمد (ص)، و یمکن لکلّ فرد الرجوع الی المصادر المختصّة بهذا الصدد من أمثال کتب علم الکلام و الحدیث.

وکیف کان فلاشکّ انّ رسالة سیّدنا محمد (ص) المتمثّلة بالاسلام هی أکمل الرسالات السماویة وأشملها وأکثرها احاطة بالمسائل الحیاتیّة فی جمیع

جوانبها ، و انّ شريعته قد توفّرت لها من عناصر المرونة و الأصول العامّة و الاجتهاد و ما يجعلها صالحة لكلّ زمان و مكان الى أن يرث اللّه الأرض و من عليها ، و قد صح فى الأخبار عن المعصوم انّه ((ما من واقعة الّا و للّه فيها حكم)) .

اذن فهل من المعقول أن يظهر شخص كالميرزا غلام ، يدعى النبوّة و يريد تبيان برنامج و قانون أكمل من القوانين الاسلاميّة الشاملة ، فليس هناك قوانين أكمل من القوانين الاسلاميّة ، لأنّ الدّين الاسلامى أكمل الأديان الّتى سبقته ، و قد أبلغ كدين حنيف بواسطة خاتم الأنبياء محمد (ص) و نزل من السماء بصورة كاملة ، و هذا هو القرآن الكريم يقول فى ذلك :

((انّ الدّين عند اللّه الاسلام ... و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، و هو فى الآخرة من الخاسرين)) (آل عمران/١٩ـ٨٥) .

النظرة البديهيّة المستوحاة من هذه الآية تقول : اذا كان من المقرر أن يأتى بعد الاسلام دين و نبىّ جديد ، فما كان هناك داع فى أن تقول هذه الآية : بأنّ أى فرد يريد دينا غير الاسلام فلن يقبل منه و يعتبر فى الآخرة من الخاسرين ، علاوة على ذلك فانّ فى هذه الآية حصر يبيّن انّ الدين عند اللّه الاسلام فقط .

و أخيرا لابدّ من القول و بشكل صريح بأنّ كلّ ألاعيب و ادّعاءات الميرزا غلام أحمد جاءت تنفيذا لأوامر أسياده الانجليز ، و من الملفت للنظر انّ فرقتى : البهائيّة و القاديانيّة قد ظهرتا فى ايران و الهند فى آن واحد ، كما و يعتبر مؤسّسو هاتين الفرقتين انّ اطاعة الحكومة الانجليزيّة أمر واجب ، مثلا الميرزا غلام أحمد يعتبر اطاعة الحكومة

الانجليزيّة اطاعة للّه و يقول : (فى اعتقادى انّ الاسلام يضمّ جانبين : الأول اطاعة اللّه ، و الآخر ، اطاعة ـ هذه ـ الحكومة الانجليزية الّتى أقامت الأمن فى العالم و أظلّت المظلومين بظلّها ، و أخرجتهم من أيدى الظّالمين ، فاذا ما تمرّدنا على الحكومة البريطانيّة فانّ ذلك يعتبر تمرّدا على اللّه و الاسلام و رسول اللّه) هذا ما جاء نقلا عن كتاب " الارشاد " للميرزا غلام أحمد القاديانى فى رسالة تحت عنوان ((جدير بالحكومة أن تنتبه لميرزا غلام أحمد القاديانى)) .

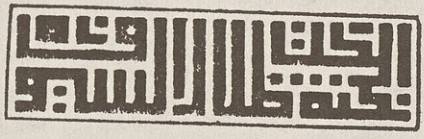

تحريم الجهاد

انّ تاريخ الأسلاف و الأمم السابقة المدوّن فى كتب التأريخ يبيّن بأنّ هناك أناسا و شعوبا وقفوا بوجه ظلم الحكّام الجائرين لكى يثبتوا للأجيال القادمة انّه ليس من شأن الانسان أن يكون انسانا و يخضع فى نفس الوقت للذلّ ، خاصّة و انّ حياة الأئمّة و القادة الصّالحين كانت

مفعمة بالثورات و الوقوف بوجه الظّالمين .

و لا يهمّنا مدى نجاح أو فشل المجاهدين و الثوريّين فى مساعيهم خلال المراحل السابقة ، كما و لسنا بصدد اثبات ذلك ، الاّ انّ الأمر الواضح هو صمود و مقاومة أغلب الأقوام و الشعوب السالفة أمام الظلم ، كما و نلاحظ فى هذه البرهة من الزمن الشعوب المظلومة الّتى تحمل الأهداف الصحيحة و الّتى تقف بوجه الفراعنة و المتجبّرين و تتحمّل الآلام والمشقّات و التعذيب و العيش فى الصحارى و الغابات لسنين طويلة ، نلاحظها لا تتخلّى عن حرّيتها وحقوقها و هذا ما نشاهده فى آسيا و فى أفريقيا ، وكثيرا ما نشاهد أنّ المناضلين و الأحرار رغم سعيهم الحثيث لتحقيق الأهداف المنشودة ، و فناء عمرهم فى هذا الطريق الاّ انّهم قد لا يتوصّلون الى تحقيقها و انجاحها ، و بذلك يدفعون بثورتهم الى الأجيال الأخرى لتتحمّل أعباء القيام بذلك .

و الظاهر انّ سلوك هذا الطريق أمر لابدّ منه بالنسبة للانسان ، أى : أنّ عقل الانسان و انسانيّته و فطرته تحكم عليه أن يدافع عن حقّه وحقّ المجتمع وكرامته و حريته .

و اذا ما أطلقنا على هذه السيرة و السنّة اسم العقليّة و الفطريّة ، فلم نبتعد عن الحقيقة ، اذن فلو سكت الفرد أو المجتمع عن الظلم ، وترك الظالم و الحكومة الباغية يعبثان دون اعتراض فانّ هذا الفرد أو المجتمع يعتبر ميّتا و منحرفا عن فطرته .

انّ قليلا من المطالعة فى باب الجهاد ـ من وجهة نظر الفقه الاسلامى ـ تظهر بوضوح انّ الاسلام يعتبر الجهاد و الدفاع دستورا و تكليفا ، كما و يعتبر المعرضين عن الجهاد اذا كان بحكم المعصوم

مرتدّين ، ذلك ان اللّه قد خلق العالم على أساس الحق و النظام . و قد جعل الجهاد ضمانا لهذين الأساسين .

و سنشير فى هذا المجال الى بعض الآيات القرآنيّة كنماذج للدلالة على قولنا :

١ ــ ((كتب عليكم القتال و هو كره لكم و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم و عسى أن تحبّوا شيئا و هو شرّ لكم و اللّه يعلم و أنتم لا تعلمون)) (البقرة / ٢١٦) .

هذه الآية الكريمة تدعو المسلمين الى الجهاد و تعتبر ذلك مبعث خير و سعادة ، و ليس هناك شكّ فى أنّ الخير و السعادة يعنيان حفظ الاسلام و المسلمين من شرّ الأعداء و غلبتهم عليهم ، كما أنّ جزاء الآخرة يعتبر من ضمن الخير الّذى وعد اللّه بمنحه لمجاهدى طريق الحق .

٢ ــ ((و جاهدوا فى اللّه حقّ جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدّين من حرج ...)) (الحج / ٧٨) .

هذه الآية ــ كسابقتها ــ تدلّ على وجوب الجهاد ، و قد جاء سياقها على شكل أمر يدلّ على الوجوب .

٣ ــ ((و قاتلوا فى سبيل اللّه الّذين يقاتلونكم و لا تعتدوا انّ اللّه لا يحبّ المعتدين)) (البقرة / ١٩٠) .

٤ ــ ((و اقتلوهم حيث ثقفتموهم و أخرجوهم من حيث أخرجوكم و الفتنة أشدّ من القتل ، و لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين)) (البقرة / ١٩١) .

يقال : انّ هذه الآية قد نزلت حول صحابى كان قد قتل أحد الكفّار فى أحد الأشهر الحرم و كان المسلمون يعترضون عليه لأنّه قتل فردا

فی ذلك الشهر ، و قد ذكرت الآية ان الفتنة أشدّ من القتـــــل ، و انّ المقتول كان يبتغی الفتنة ، وعلى أيّة حال فانّ هذه الآية تدلّ على وجوب الجهاد و تعتبر اخراج المشركين من مكّة أمرا واجبا على المسلمين .

و يظهر من خلال هذه النماذج من الآيات ان الجهاد يعتبر أمرا واجبا ، فبدونه يقوم المستكبرون و البغاة باستعباد الدنيا و المستضعفين من أهلها دون مواجهة أيّة ردود فعل و لقد كان الجهاد ـ دائما ـ يدخل الرعب و الخوف فی نفوس المستكبرين .

و لذلك سعى الأعداء الى ازالة الجهاد من بين المسلميـــــن ، و اعتبار هذا الحكم منسوخا .

و يعتبر الميرزا غلام أحمد القاديانی أحد الّذين حرموا الجهـــاد بالسيف (كان السيف أداة الجهاد فی ذلك الوقت) فقد كتب فی كتـــاب "حاشية الأربعين" ج ٤ ، ص١٥ ، يقول : ((انّ الجهاد قد أوقف فـــی عهدی الى الأبد)) .

كما ذكر فی الصفحة (٤٨) من كتاب" سفينة نوح " بعد ادّعائه النبوّة بشكل صريح بأنّ اللّه قد أرسل رسوله الصادق الى قاديان ، و هو يحـرّم الجهاد عليكم سواء أكان جهادا فی سبيل الدّين أو فی سبيل النّاس .

و تبيّن لنا بوضوح من خلال أقوال و أفعال الميرزا غلام سبب تحريمه هذا الحكم الالٰهی الواجب .

و طبيعی فانّ من يقرأ أقوال الميرزا غلام المدرجة فی الصفحة (٩٩) من كتاب" ازالة الأوهام" سوف لا يساوره أدنى شكّ فی اعراض الميرزا غـلام عن الجهاد اذ انّه يعتبر طـاعة الحكومة البريطانيّة و الخضوع لها جـزءا من الايمان و الاسلام ، كما يذكر فی "حاشية الأربعين" بأنّ التحريـــم

و النهى و النسخ الذى يدّعيه يرتبط بشريعته الكاذبة الّتى كان يطرحها على بسطاء المسلمين باسم الاسلام.

و اليوم فليس هناك أدنى شكّ فى عمالة هذا الخائن و الملحد، و اذا ما ادّعى أحد بأنّ الجهاد كان فى عهد الرسول و الأئمّة الأطهار أمرا واجبا، لكنّه يفقد هذه الخاصيّة فى زمن الغيبة، فانّنا نجيب عليه بأنّ الدفاع فى زمن الغيبة انّما هو أمر واجب و ضرورىّ ـ عقلا و نقلا ـ لكن الميرزا غلام الّذى يرى فى اطاعة بريطانيا أمرا واجبا، هذا الشخص يحرم الدفاع كذلك!!

و السؤال هو: كيف انّ شخصا يدّعى النبوّة، يسمح لنفسه السكوت أمام الظلم و الاستعمار و ناهبى ثروات المسلمين و حقوقهم؟ ثمّ انّ الّذى يحثّ الناس على السكوت أمام الظلم و الرضوخ له، انّمايقوم بعمله هذا بافساد الأمّة، لا اصلاحها كما يزعم!

و من الضرورة يمكان أن نورد هنا عبارة أخرى من عبارات الميرزا غلام أحمد، تناقض ما ذهب اليه فيما بعد، ففى الصفحة(٧) من كتاب "فلسفة الأصول" (المترجم الى اللغة العربيّة من اللغة الاردية من قبل السيّد زين العابدين ولىّ اللّه شاه) يقول تحت عنوان "حقيقة الغزوات الاسلاميّة":

((نعم، حقّ على اللّه أن لا يترك الظالمين دون عقاب، و حقّ عليه كذلك أن يعذّب الّذين أوصلوا الظلم الى أعلى مراتبه و يحاولون القضاء على الاسلام، اذ ان ترك الظالمين دون عقاب يعنى ذبح الصالحين تحت أقدام هؤلاء، كما انّ غزوات سيّد الأنبياء جاءت فى الواقع للسبب التالى و هو انّ هؤلاء الظالمين كانوا يخرجون المسلمين

من ديارهم و يقتلون الكثير منهم ظلما وعدوانا و يمنعون نموّ الاسلام و انتشاره ، و لذلك يقتضى القانون الالهى حماية المظلومين و قتل المتجبّرين بالسيف و خلاصة القول انّ حرب رسول اللّه (ص) كانت من أجل انهاء الفتن ، و اعلان الثورة ضدّ الشرك و الالحاد و انقاذ الاسلام من الأخطار الّتى تهدّده ، ولو لم يجاهد الرسول و لم يدافع ، لكان ذلك يؤدّى الى فناء الاسلام)) .

هذا هو تعليل القاديانية لغزوات الاسلام و الرسول الأكرم (ص) .

و السؤال المطروح هو : بأىّ دليل نقلى ، بل وعقلى تمكّن الميرزا غلام من تحريم الجهاد و الدفاع ، و القضاء على الكرامة الانسانيّة لأتباعه؟ هل يعتبر الأحكام القرآنيّة منسوخة ؟ أم أنّ كتابا نزل عليه من قبل اللّه سبحانه و تعالى نسخ أحكام القرآن؟

و هذا غير ممكن ، لأنّ الميرزا غلام أحمد القاديانى يستند فى أكثر بحوثه على الآيات القرآنيّة ، و يربط جميع الآيات القرآنيّة بالوحى الّذى ينزل عليه كما يزعم هو ، و لا يعتبر الكتاب الّذى جاء به الرسول الأكرم (ص) منسوخا ، و يدّعى بأنّ روح محمد (ص) محلولة فيه ((فى حين أنّ مسألة الحلول فى الفلسفة الاسلاميّة تعدّ من البحوث الفلسفيّة الباطلة ، خاصّة فيما يتعلّق بالتعليل الّذى جاء به ذلك الشخص لغزوات الرسول الكريم)) انّه يعلّل غزوات النبى بصورة استدلال عقلى (يراجع كتاب فلسفة الأصول الاسلاميّة ــ تأليف الميرزا غلام) ، فهل يعتبر استدلاله العقلى غير صحيح بحيث يعتبر الجهاد مطابقا لحكم الشرع و العقل أحيانا ، و ينهى عنه فى أحيان أخرى ؟!

و خلاصة الكلام : انّ فرقة (القاديانيّة) تأسّست بأمر من

(الحكومة البريطانيّة) و انّ مؤسّسها الميرزا غلام القاديانى استطاع من خلال الادّعاء بالنبوّة أن يقدّم خدمة كبيرة للحكومة البريطانيّة ، و فى نفس الوقت يوجّه ضربة قويّة للمسلمين(١) .

الاحمدية

انشقّ عن القاديانيّة بعد نشأتها بقليل و تفرع عنها ما يعرف باسم الأحمدية أو جماعة لاهور و تزعم هذا الشق شخصان :

١ ــ خواجه كمال الدين .

٢ ــ مولاى محمد على .

و جوهر الافتراق بين هذه الطائفة و بين القاديانية الأم انّها تنظر الى ميرزا غلام أحمد مؤسّس المذهب القاديانى على انّه مصلح دينى فقط بينما تنظر اليه القاديانية على انه نبىّ مرسل و هذا ما يظهر جليّا من خلال تصريح لميرزا بشير أحمد الخليفة القاديانى الثانى فى كتاب حقيقة النبوّة حيث قال فيه :

انّ (غلام) أفضل من بعض أولى العزم من الرسل (ص ٢٥٧) .

و فى صحيفة الفضل المجلّد الرابع عشر ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧م انّه كان أفضل بكثير من الأنبياء ، و يمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء وفى صحيفة الفضل (المجلّد الخامس) :

لم يكن فرق بين أصحاب النبى (ص) و تلاميد ميرزا غلام أحمد ، الاّ انّ أولئك رجال البعثة الأولى و هؤلاء رجال البعثة الثانية .

---

(١) التوحيد العدد الخامس عشر ــ السنة الثالثة ص ١٧٢ ــ ١٨١ .

و فى عدد ٩٢ بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩١٨ م من الفضل (المجلّد الثالث) ميرزا هو محمد (ص) و هو مصدق القرآن الكريم اسمه أحمد ٠

وعلى كلّ حال فالزعيم الثانى لهذه الطائفة ـ أعنى الأحمديّة ـ مولاى محمد على انتهى من ترجمة القرآن الكريم الى الانجليزية فى سنة ١٩٢٠ م و ألّف كتابه الاسلام فى سنة ١٩٣٦ م و يبلغ عدد الأحمديّة اليوم أكثر من نصف مليون منهم ستّون ألفا فى الهند ٠

المهدوية

الاعتقاد بظهور الامام المهدى عليه السلام ليس اعتقادا طائفيّا انحصر فى الشيعة الاماميّة الاثنى عشريّة و انّما هو ظاهرة ضرورية خطّط لها الفكر الانسانى و رسم أبعادها و حدودها منذ القديم على اختلاف نحله و مذاهبه ٠

و يكمن سر الاختلاف العقائدى فى شأنه من جهة الاستمداد التصوّرى و لفكرة مجيئه فالمسلمون يعتمدون القرآن و السنّة و يحدّدون على ضوء ما استفادوه منهما طبيعة شخصه و ارتباط دعوته بأصول الدعوة المحمديّة الأولى و كيفيّة ظهوره و بسط سلطانه و الأهداف النبيلة السامية الّتى يتولى انجاحها و تحقيق واقعيّتها فى ربوع الأرض كما أثبتوا ولادته فى منتصف القرن الثالث الهجرى و طول عمره على جهة الاعجاز و انّه يخرج بعد تهيّؤ الفرص السانحة و الظروف المناسبة ليملأ الأرض عدلا و قسطا بعد ما ملئت ظلما و جورا ٠

و أمّا باقى الملل و النحل على اختلاف عقائدها فانّهم أخذوا

الفكرة المهدويّة استنادا الى الدليل الاجتماعى الذى يحتم مجىء مصلح عبقرى فذ يأخذ بزمام قوده و يشيع فى ربوعه حالة العدل و الرفاه و السعادة و الأمن و الخير و يحقّق آماله و طموحات الضعفاء والبائسين و المحرومين و ينتصف لهم ممّن ظلمهم و سامهم سوء العذاب ، و لم يكن ذلك مقصورا على أصحاب المذاهب السماويّة بل شاركتهم فيها كافة أصحاب الديانات الوضعيّة الأرضيّة بما فيها الملحدة الكافرة الشيوعيّة الّتى تدّعى انّها تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعيّة و السعادة الانسانيّة فى المجتمع و تخليص الانسان من آلام واقعه و شقائه .

وعلى كلّ حال فالمعايشة الدائمة للفكرة المهدويّة و المكانة الّتى تحتلّها فى نفوس الملايين من المسلمين وغير المسلمين تجعل الفكرة تتصدر قائمة المخطّطات التى تقبل النفاذ و التأثير و خاصّة فى الأوساط الريفية و المناطق النائية التى يكثر فيها الجهل و تشيع فيها البدع و تغلب الأهواء فضلا عن مراكز العلم و المعرفة كما مرّ عليك فيما سبق .

الخفارة الغيبية

((انّ اللّه يدافع عن الّذين آمنوا)) (الحج / ٣٨).

((ولو لا دفع اللّه النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) (سورة البقرة / الآية ٢٥١).

((ولو لا دفع اللّه النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع و بيع)) (الحج / ٤٠).

(((انّا نحن نزّلنا الذّكر و انّا له لحافظون)) (الحجر / ٩).

على الرغم ممّا نراه من تكالب قوى البغى و الفساد و الالحاد والكفر و الزندقة و المروق و الباطل فى زماننا هذا و وقوفها صفّا واحدا فى حرب ضروس فتّاكة ضدّ المسلمين فى كلّ بقعة جمعتهم و محيط ضمّهم فى أرجاء العالم المختلفة وعلى الرغم من فظاعة الارهاب و الفتك و التشريد و المطاردة و المصادرة المستمرّة لممتلكاتهم و أموالهم و أراضيهم و تضييق الآفاق عليهم فانّه لا زال للدين الاسلامى صولته و للحقّ جولته وللمسلمين كلمتهم النافذة و وجودهم المؤثر و كيانهم الصلب الراسخ ٠

و هذه السنّة الطبيعيّة التى حاكتها القدرة الغيبيّة و نسجتها الارادة التكوينيّة و الحكمة الأزليّة غير قابلة للنقض و المصادرة لما تحتلّه من مقام و رفعة و أولويّة و أوّلية فى نظام الايجاد وعالم التكوين ٠



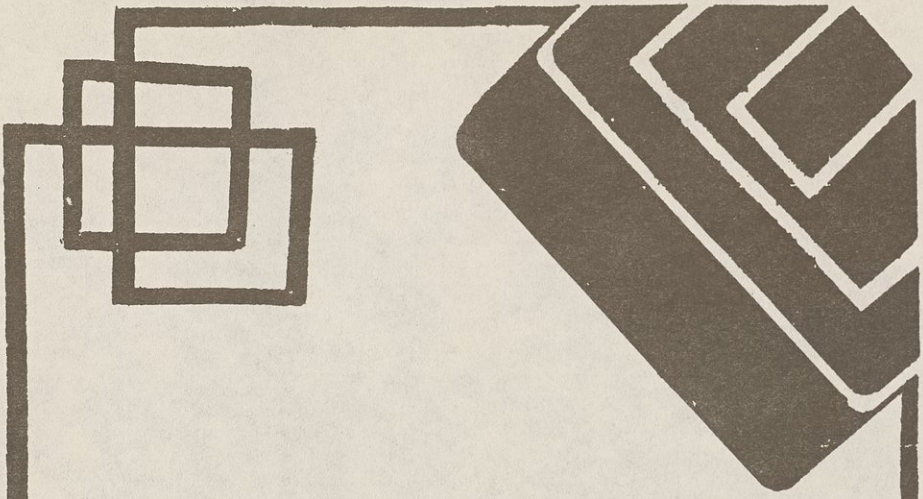

أبعاد منطلقات الفكر

في التصوّر العلمي لمفهوم الحريّة

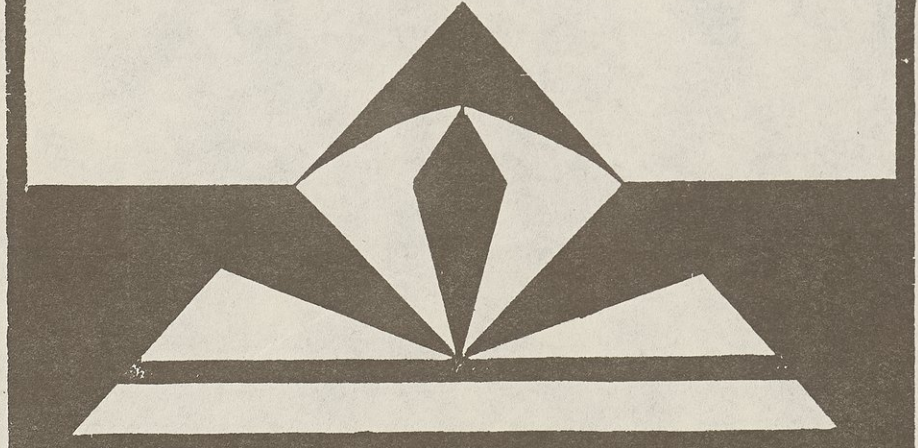

لا يسع الباحث عند ما يتناول مفهوم الحريّة بصورته العميقة والدقيقة أن يكتفى بمجرّد أسطر و يقتصر على عبارات موجزة و بحوث و مقالات مجملة ·

ولو حاولنا الاستفسار عن علّة ذلك لقابلتنا أجوبة كثيرة أهمّها غياب الفهم الصحيح لهذا المفهوم الحيوى وعدم وجود دراسات وافية بالغرض و الحاجة الّتى يعانيها الفكر الحديث بالنحو المطلوب ·

و محاولة منّا لسدّ ذلك النقص و بذل المزيد من الجهود للكشف عن واقعيّة هذا المفهوم بصورته المتوخّاة أتقدّم بهذا العرض لبعض أبعاد منطلقات الفكر فى التصوّر العلمى لمفهوم الحريّة مضافا لما سبق عرضه و لما سيأتى ان شاء اللّه تعالى :

١ ـ البعد الشعورى

(أثر الشعور فى السلوك العام)

الشعور معايشة حيّة حاضرة للفكر و حضور عملى للفكر فى حيّز الواقع و اتّصال فعلى بين النظريّة و التطبيق و تجسيد وقائعى لمنفعة العقل و ارتباطها بالحياة و آثارها و الانطباع القابل للاستوحاء من هذا الجانب و علاقته بالحريّة يستفاد من الآثار الّتى يخلقها الشعور فى عالم الادراك و الاعتماد على السلوك كترجمان مفصح عن حقيقة ما يجول فى حيّز

دائرة الشعور و نطاقه ٠

و من البديهى تصوّر طبيعة الوشائج و العلائق بين الشعور كاحساس و ساحة معايشة و حضور و بين الواقع كمسرح تمثيل و تطبيق و نعنى بذلك انّ الشعور بما يحتلّه من مكانة و أهميّة يعبّر عن حالة التفاعل و التأثّر و وجود صفة الحياة الّتى تلعب بدورها فى ساحة ميادين الحياة ٠

٢ ـ البعد النظرى

(أثر الفكر فى تحديد أنماط السلوك)

للفكر حاكميّة عليا على جميع الحواس و كافة المبادئ العلميّة الأوليّة و له المرتبة الرئيسيّة و القياديّة على توجيه السلوك وفق نظرته و اتّجاهاته المختارة ٠

و بذلك يمكننا ارجاع جميع الأفعال و التصرّفات و أنماط السلوك الى ما يمليه العقل و أجهزته على الجوارح و الأعضاء ٠

٣ ـ البعد التطبيقى

(أثر التطبيق فى صنع التجربة و تحصيل الخبرة)

ميدان التطبيق يفتقر بالأساس الى العزيمة و التصميم و الاقدام

و التردّد و القلق و الخوف من أكثر الأوبئة المثبطة للأعمال و الباعثة على الانزواء و الخمول .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

((اذا خفت من شيء فقع نفسك فيه فان شرا من الوقوع فيه شدة تلافيه)) .

و لا نعنى بذلك مطلق الاقدامات على المهام المختلفة ولو كانت من الاتّجاهات و السبل المحفوفة بالمخاطر و عوامل الفتك و الهلاك المضرّة و التالفة للنفس و المال .

و انّما المراد نفى الوسواس و حالات القلق المفرط الباعث على الخمول عن طريق تكلّف امكانيّة وقوع المخاطرة و المشاكل و البلايا .

٤ ـ البعد الايحائى

(أثر التجربة على الحركة الدائة للسلوك)

عند ما يمارس أىّ فرد خالى الفكر أى فعلّ ما أو يقدم على مواجهة أمر مشكلّ فانّه سيكتسب حالة جديدة من المعرفة تكسبه سلوكا متميّزا و مفارقا لواقعه السّابق و هذه المفارقة فى السلوك تعنى وجود تغيّر فى منهجيّته و انتقال من حالة الى حالة أخرى .

و مثال ذلك لو صادف طفل نارا ثم وضع يده فيها و تأثّر بلهيبها فانّه عند ما يواجهها ثانيا فانّه سيكون على حذر و وجل و هلع منها .

و كذلك فيما لو حدثت مشاجرة و خصومة بين صديقين فان اللّقاء

الّذى يعقب ذلك يكون مشوبا بالتوتّر و التحامل و صور القطيعة و العداء على الرغم من وجود فترة سابقة مفعمة بالمحبة و الودّ و الوئام ·

٥ ـ البعد الواقعى

(أثر العوامل البيئيّة على النّشاط السّلوكى و تأطير حدود القدرة الفعليّة و الفكريّة)

يحتلّ العامل البيئى مركزا هاما فى عمليّة التأثير على السلوك و الفكر بصورة بالغة الحساسيّة و الحيويّة ·

و الضلال و الهداية و الانحراف و الاستقامة أغلب ما تكون من عامل البيئة كما نصّ على ذلك الحديث :

((كلّ مولود يولد على الفطرة و انّما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه)) ·

و هو أمر يكاد يكون بديهيّا بالاعتبار المؤيّد بالشواهد القطعيّة و الآثار الواقعيّة و الأمثلة الحيّة و يشاطرة العامل الوراثى الّذى يحتفظ هو الآخر بنصيب وافر فى عمليّة تأطير السلوك و التأثير على طبيعته و هيكليّته العامّة ·

٦ ـ البعد الوهمى

(أثر الأوهام و الخيالات فى زلزلة مجالات الاستقامة و الانحراف بها عن اصالتها و ارتباطها بالحقيقة و الواقع)

الأوهام و الخيالات من المقدّمات القادرة على ترتيب نتائج فى عمليّة الفكر و حركته من عالم المجهولات الى عالم المعارف و المعلومات وان كانت بمعزل عن الحقيقة و عالم الوجود الخارجى ·

و كثير ما تؤدّى هذه الحالات الى انغلاق و تقوقع فى عالم غريب لا يمت الى الواقع بصلة و غربة مقيتة قاتلة ·

٧ ـ البعد المنطقى

(أثر الدراسة المتثبتة و الفاحصة للسلوك و مردوداته على تصحيحه و تأصيله و استقامته)

قال عزّ و جلّ :

((ما يلفظ من قول الاّ لديه رقيب عتيد)) ·

تحكيم سلطة العقل السليم على جميع التصرّفات و أعمال الجوارح و اخضاعها لمنطقه و رقابته أمر ضرورىّ و حيوىّ هام فى منطق العقلاء و سليمى الطبع، و يضاف لها استشعار الرقابة الالهيّة لجميع منابع الميول

و الارادة لتتكامل أبعاد التصوّر السلوكى وفق معادلاته المثالية و مساعيه التكامليّة ٠

٨ ـ البعد العشوائى

(أثر الجنون و الحمق على السلوك)

الحمق و الجنون حالتان مسيّبتان و مهوّدتان للسلوك بكافة مراحله و أبعاده و حالاته و مجالاته ذلك لأنّ الأوّل تعبير عن انعدام رقابة العقل على الكلام و الثانى انعدام حضور العقل فى مركز صنع القرار و حاكميّته على السلوك ٠

و هذا الغياب و الانعدام لأصل الاختصاص المتميّز للانسان يفقده مكانته و موقعه المتفرّد و يجعله فى مصاف البهائم و سائر الحيوانات المغايرة للانسان فى أصل الوجود و عالم الخلقة و الحكمة ٠

٩ ـ البعد الغيبى

(أثر المدد الغيبى الالهى فى تصحيح مسار السلوك و تقويم الفكر)

المشيئة و القدرة و الارادة الالهيّة تعبر عن قوى غيبيّة فاعلة لها مقام العلية و السببيّة الأولى لكلّ الموجودات و الفعل الانسانى أحد هذه

الموجودات و صورة مستمدّة منها و ان كان يتّصف بجانب الاستقلال ، الّا انّها تعمل عملها فيه انطلاقا من وجوده و انتهاء الى تجسّده فى عالم المرئيّات فالايجاد من جهة الخالق و الاختيار من جهة العبد ، لكن القوى الالهيّة قادرة على احتلال موقع يحصن السلوك من الوقوع فى الخطأ كما عليه الأنبياء و الرسل و الأئمّة المعصومون .

و هذا تعبير واقعىّ و تجسيد حىّ رائع للمدد الغيبى الالهى فى تصحيح مسار السلوك و تقويم الفكر .



الحرية وضرورة التقنين

عند ما نتتبّع التفسيرات التى أطلقها روّاد الفكر الأوربى و الّذى يسعى عن طريقها جاهدا لتحكيم سلطة الانسان المطلقة فى كافةمجالات الحياة و بناء الأسس الكفيلة برخائه و سعادته نجد مظاهر البساطة و السذاجة و القصور تلوح من أفقها و تطغى عليها و خاصّة فى مجال التصوّرات التى تتعلّق بالجوانب الروحيّة و المعانى المرهفة ، ذات الأحاسيس القلبية و الاستشعارات التصوريّة المنبثقة عن العقيدة والمبدأ الايمانى .

و ينطبق ذلك تمام الانطباق فيما نحن بصدده لأنّ مفهوم الحريّة من تلك المفاهيم الغامضة و المعقدة و البعيدة عن امكانيّة التصوير الذهنى البشرى المحدود و ذلك لأنّ الانسان عند ما يصغى للفظها يتبادر الى ذهنه المعنى البسيط المجرّد المناقض للرق بحسب طبيعته المستوحاة من آثاره و رسومه ، و لكن التفسير الواقعىللحرية و جوهرها و حدودها و متعلّقاتها و مجالاتها لا تزال سرّا يكتنفه الغموض و العمق و يجلله جهل الانسان بحدود قابلياته الّتى يمكن أن يستفيد من ايجابيّاتها و ثمراتها و جهله بسلبيّات اندفاعه العشوائى ، تجاه الأمور المصيرية .

لأجل ذلك و غيره ربما تنفجر ضحكا و سخرية عند النظر البدوى للتفسيرات التى أطلقها علماء الغرب فى ذلك المجال ، و التى تنبع من بعدهم عن السماء و العقيدة المستقيمة السليمة و انتفاء الارتباط الأصيل

بعصمة الواقع و الغربة عن معايشة الحقيقة و آثارها ، و هذا ما يبدو جليّا بحيث لا يكتنفه الريب و الشك فى صدق دعوانا من خلال ما صرح به بعض من علمائهم من أمثال مونتسكيو حيث قال : ((انّ الحريّة هى حقّ صنع جميع ما تبيحه القوانين فاذا استطاع أحد أن يصنع ما تحرمه القوانين فقد الحريّة و سلبها و ذلك لامكان قيام الآخرين بمثل ما صنع)) (١) .

و أمثال جيان نابيرت حيث قال هو الآخر :

((انّ الحرّية ليست أكثر من الاختيار الأصيل بين المتناقضات ، و انّها فى أصل معناها النظرى انّما انبثقت من أحد الحقوق العامّة و لا سيّما الطبيعيّة الأساسية منذ أقدم عهود التاريخ)) .

و قال اندريه لالاند : ((الحريّة هى حالة الكائن الانسانى الّذى يحقّق فى أفعاله طبيعته الحقيقيّة المعتبرة أساسا مجسّدة فى العقل و الخلق و بهذا المعنى فانّ كلمة الحريّة هى مصطلح معيارى محض يميز حالة مثاليّة حيث تكون الطبيعة الانسانيّة محكومة بشكل نهائى بما ينطوى فيها من عنصر متسام كما يذهب الى ذلك (اسبينوزا) و(المدرسة الرواقية) (٢) .

و قال رابع : ((الحريّة تعنى أن لا يكون أمام الانسان أىّ ملنى

---

(١) روح الشرائع ج ١ ص٢٢٦ طبع دار المعارف سنة ١٩٥٣م ترجمة عادل زعيتر .

(٢) المعجم التقنى و النقدى مطبعة الصحافة الجامعيّة سنة ١٩٦٥ فرنسا ص١٥٥٨

من التفكّر و العمل الحسن)).

و من خلال هذه التعاريف تتّضح لنا طبيعة نظرتهم الضيّقة لهذا المفهوم العظيم الواسع الذى يصوّره لنا الاسلام بتمام عظمته و شموله كما سنتبيّنه عمّا قريب.

فالحريّة بحسب اعتباراتهم لا تتبع لنظام دقيق يكفل جانبها الخير و يضمنه و انّما هى رهينة بيد الأهواء و الميول و التصوّرات فليعبر عنها أىّ فرد بما شاءت له مخيلته ما دام المجال مفتوحا له على مصراعيّه بلا قيد و لا شرط سوى الاعتبارات البسيطة للحد من عواقبها الجنونيّة و سبلها المهلكة و التى انتخبها التشكيل الديمقراطى لتعبر عن رغبة متمادية لسلوك متهاوى.

و سندرك عظمة عمق التصوير الاسلامى لهذا المبدأ الكبير فى معناه العظيم بمحتواه الخطير بمجالاته من خلال البحوث المسهبة الآتية و التى نحاول من خلالها استعراض الأسس التّى يعتمدها الاسلام لهذا المفهوم و طبيعة طرحه لموقعة فى الوجود و نهجه فى بيان العوامل المتداخلة التى لها نوع تأثير و اتّصال و ارتباط به لنخلص الى نتيجة مستنبطة من خلال ما نستفيده من معطيات تلك البحوث تعبر و تصوّر عن حقيقة هذا المفهوم فى التشريع الخاتم الّذى اختصّه اللّه عزّ و جل لعباده و أنعم به عليهم رحمة و رأفة و عطفا و كرما و جودا و منّا.


الانطباع الجاهلي
لمفهوم الحرية
٤٩٣

امتاز عصر ما قبل مجيء الاسلام بغياب الحياة المستقيمة و انعدام الاستقامة العقائدية و الروحيّة و الفكريّة و تبلبل العقائد و التصوّرات عن الكون و الحياة و أوثق مصدر تاريخى يمكننا الاعتماد عليه و الاكتفاء به عن جميع الآثار و الأدلّة المختلفة ما رواه الطبرسى فى كتاب الاحتجاج باسناده عن عبد اللّه بن الحسن ، باسناده عن آبائه عليهم السلام ، انّه لما أجمع أبو بكر و عمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا و بلغها ذلك ، لاثت خمارها على رأسها ، و اشتملت بجلبابها ، و أقبلت فى لمّة من حفدتها و نسائهومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى دخلت على أبى بكر و هو فى حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، فجلست ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء ...

فارتجّ المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتّى اذا سكن نشيج القوم و هدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد اللّه و الثناء عليه و الصلاة على رسوله ، فعاد القوم فى بكائهم ، فلمّا أمسكوا عادت فى كلامها فقالت :

الحمد للّه على ما أنعم ، و له الشكر على ما ألهم ، و الثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتداها ، و سبوغ آلاء أسداها ، و تمام منن أولاها ، جمّ عن الاحصاء عددها ، و نأى عن الجزاء أمدها ، و تفاوت عن الادراك أمدها ، و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها ، و استحمد الى الخلائق باجزالها و ثنى بالندب على أمثالها .

و أشهد أن لا لله الاّ اللّه وحده لا شريك له ، كلمة جعل الاخلاص تأويلها ، و ضمن القلوب موصولها ، و أنار فى التفكير معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، و من الألسن صفته ، و من الأوهام كيفيّته ، ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها ، و أنشأها بلا احتذاء أمثلة أمتثلها ، كوّنها بقدرته و ذرأها بمشيته ، من غير حاجة منه الى تكوينها و لا فائدة له فى تصويرها الاّ تثبيتا لحكمته ، و تنبيها على طاعته ، و اظهارا لقدرته ، تعبّدا لبريّته ، و اعزازا لدعوته ، ثمّ جعل الثواب على طاعته ، و وضع العقاب على معصيته ، زيادة لعباده من نقمته و حياشة لهم الى جنّته .

و أشهد أنّ أبى محمّدا عبده و رسوله ، اختاره قبل أن أرسله وسماه قبل أن اجتباه ، و اصطفاه قبل أن ابتعثه ، اذ االخلائق بالغيب مكنونة و بستر الأهاويل مصونة ، و بنهاية العدم مقرونة ، علما من اللّه تعالى بما يلى الأمور ، و احاطة بحوادث الدهور ، و معرفة بمواقع الأمور .

ابتعثه اللّه اتماما لأمره ، وعزيمة على امضاء حكمه ، و انفاذا لمقادير حتمه ، فرأى الأمم فرقا فى أديانها ، عكفا على نيرانها ، عابدة لأوثانها منكرة للّه مع عرفانها ، فأنار اللّه بأبى محمّد صلى اللّه عليه و آله ظلمها ، و كشف عن القلوب بهمها ، و جلّى عن الأبصار عممها ، و قام فى الناس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، و بصرهم من العماية ، و هداهم الى الدين القويم ، و دعاهم الى الطريق المستقيم .

ثمّ قبضه اللّه اليه قبض رأفة و اختيار ، و رغبة و ايثار ، فمحمّد صلّى اللّه عليه و آله من تعب هذه الدار فى راحة ، قد حفّ بالملائكة الأبرار ، و رضوان الربّ الغفّار ، و مجاورة الملك الجبّار ، صلّى اللّه على أبى ، نبيّه و أمينه ، و خيرته من الخلق و صفيّه ، و السّلام عليه و رحمة اللّه و بركاته .

ثمّ التفتت الى أهل المجلس، و قالت :

أنتم عباد اللّه نصب أمره و نهيه، و حملة دينه و وحيه، و أُمناء اللّه على أنفسكم، و بلغائه الى الأمم، زعيم حقّ له فيكم، و عهد قدمه اليكم و بقيّة استخلفها عليكم : كتاب اللّه الناطق، و القرآن الصادق، و النّور الساطع، و الضياء اللاّمع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره مغتبطة به أشياعه، قائد الى الرضوان أتباعه، مؤدّ الى النجاة استماعه.

به تنال حجج اللّه المنوّرة، و عزائمه المفسّرة، و محارمه المحذّرة، و بيّناته الجالية، و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة، و رخصه المرهوبة و شرائعه المكتوبة.

فجعل اللّه الايمان تطهيرا لكم من الشرك، و الصلاة : تنزيها لكم عن الكبر، و الزكاة : تزكية للنفس و نماء فى الرزق، و الصيام : تثبيتا للاخلاص، و الحج : تشييدا للدّين، و العدل : تنسيقا للقلوب، و طاعتنا نظاما للملّة، و امامتنا : أمانا للفرقة، و الجهاد : عزّا للاسلام، و الصبر : معونة على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف : مصلحة للعامّة، و برّ الوالدين : وقاية من السخط، و صلة الأرحام : منساة فى العمر و منماة للعدد، و القصاص : حقنا للدماء، و الوفاء بالنذر : تعريضا للمغفرة، و توفية المكاييل و الموازين : تغييرا للبخس، و النهى عن شرب الخمر : تنزيها عن الرّجس، و اجتناب القذف : حجابا عن اللّعنة، و ترك السرقة ايجابا بالعفّة.

و حرّم اللّه الشّرك اخلاصا له بالربوبيّة، فاتّقوا اللّه حقّ تقاته، و لا تموتنّ الاّ و أنتم مسلمون، و أطيعوا اللّه فيما أمركم به و نهاكم عنه، فانّه انّما يخشى اللّه من عباده العلماء.

ثمّ قالت :

أيّها النّاس ، اعلموا انّى فاطمة ، و أبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله أقول عودا و بدوا و لا أقول ما أقول غلطا ، و لا أفعل ما أفعل شططا .

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

فان تعزّوه و تعرفوه ، تجدوه أبى دون نسائكم ، و أخا ابن عمّى دون رجالكم ، و لنعم المعزى اليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

فبلغ الرسالة ، صادعا بالنذارة ، مائلا عن مدرجة المشركين ، ضاربا ثبجهم ، آخذا بأكظامهم ، داعيا الى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة يجف الأصنام ، و ينكث الهام ، حتّى انهزم الجمع و ولّوا الدّبر ، حتّى تفرى اللّيل عن صبحه ، و أسفر الحقّ عن محضه ، و نطق زعيم الدّين ، و خرست شقاشق الشّياطين ، و طاح وشيظ النّفاق ، وانحلّت عقد الكفر و الشقاق ، و فهتم بكلمة الاخلاص فى نفر من البياض الخماص ، و كنتم على شفا حفرة من النّار ، مذقة الشارب ، و نهزة الطّامع ، و قبسة للعجلان و موطىء الأقدام ، تشربون الطّرق ، و تقتاتون القدّ و الورق ، أذلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم ، فأنقذكم اللّه تبارك و تعالى بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله ، بعد اللّتيا و الّتى ، و بعد أن منى ببهم الرجال و ذؤبان العرب ، و مردة أهل الكتاب ، كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها اللّه ، أو نجم قرن الشّيطان ، أو فغرت فاغرة من المشركين ، قذف أخاه فى لهواتها ، فلا ينكفىء حتّى يطأ جناحها بأخمصه ، و يخمد لهبها بسيفه ، مكدودا فى ذات اللّه ، مجتهدا فى أمر اللّه ، قريبا من رسول اللّه ، سيّدا فى أولياء اللّه ، مشمرا ناصحا مجدّا كادحا ، لا تأخذه

فى اللّه لومة لائم ، و أنتم على رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنـون ، تتربّصون بنا الدّوائر ، و تتوكّفون الأخبار ، و تنكصون عند النّزال ، و تفرّون من القتال ·

فلمّا اختار اللّه لنبيّه دار أنبيائه ، و مأوى أصفيائه ، ظهر فيكم حسكة النّفاق ، و سمل جلباب الدّين ، و نطق كاظم الغاوين ، و نبغ خامـل الأقلّين ، و هدر فنيق المبطلين ، فخطر فى عرصاتكم ، و أطلع الشّيطـان رأسه من مغرزه هاتفا بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، و للعزّة فيـه ملاحظين ، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافا ، و أحشمكم فألفاكم غضابا فرسمتـم غير ابلكم ، و وردتم غير مشربكم ··· هذا و العهد قريب ، و الكلم رحيب ، و الجرح لمّا يندمل ، و الرّسول لمّا يقبر ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ، ألا فى الفتنة سقطوا و انّ جهنّم لمحيطة بالكافرين ·

فياهيهات فيكم ، و كيف بكم؟ و أنّى تؤفكون و كتاب اللّه بين أظهركـم ، أموره ظاهرة ، و أحكامه زاهرة ، و أعلامه باهرة ، و زواجره لائحة ، و أوامره واضحة ، و قد خلّفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون ؟ بئس للظّالمين بدلا ، و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين ·

ثمّ لم تلبثوا الآ ريث أن تسكن نفرتها ، و يسلس قيادها ، ثمّ أخذتم تورون وقدتها ، و تهيجون جمرتها ، و تستجيبون لهتاف الشّيطان الغوى و اطفاء أنوار الدّين الجلىّ ، و اهمال سنن النبىّ الصفىّ ، تشربون حسوا فى ارتغاء ، و تمشون لأهله و ولده فى الخمرة و الضّرّاء ، و يصير منكم على حزّ المدى ، و وخز السّنان فى الحشا ، و أنتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا ، أفحكم الجاهليّة تبغون؟ و من أحسن من اللّه حكما لقوم يوقنون؟ ! أفـلا

تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشّمس الضّاحية أنّى ابنته ·

أيّها المسلمون !

أأغلب على ارثى ؟!

يابن أبى قحافة ، أفى كتاب اللّه ترث أباك و لا أرث أبى ؟ لقد جئت شيئا فريّا ·

أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه و نبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول : "و ورث سليمان داود" ، و قال فيما اقتضى من خبر يحيى بن زكريّا ، اذ قال : ((فهب لى من لدنك وليّا يرثنى و يرث من آل يعقوب)) و قال : ((و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب اللّه)) و قال : ((يوصيكم اللّه فى أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين)) و قال : ((ان ترك خيرا الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقّا على المتّقين)) و زعمتم : أن لا حظوة لى و لا ارث من أبى ، و لا رحم بيننا ، أفخصّكم اللّه بآية أخرج أبى منها ؟ أم تقولون : انّ أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أولست أنا و أبى من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبى و ابن عمّى؟

فدونكها مخطومة مزحولة ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم اللّه ، و الزّعيم محمّد ، و الموعد القيامة ، وعند السّاعة يخسر المبطلون ، و لا ينفعكم اذ تندمون ، و لكلّ نبأ مستقرّ ··· و سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب عظيم ·

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار ، فقالت :

يا معشر النقيبة و أعضاد الملّة ، و حضنة الاسلام ! ما هذه الغميزة فى حقّى ، و السّنة عن ظلامتى ؟ أما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبى يقول : ((المرء يحفظ فى ولده)) ؟!

سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا اهالة ، ولكم طاقة بما أحـــاول وقوّة على ما أطلب وأزاول .

أتقولون : مات محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم؟ فخطب جليـــل استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبتـه ، وكسفت الشّمس والقمر ، وانتثرت النّجوم لمصيبته ، وأكّدت الآمـــال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته .

فتلك واللّه النّازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب اللّه جلّ ثناؤه ، فى أفنيتكم ، وفى ممساكـم ومصبحكم ، يهتف فى أفنيتكم هتافا وصراخا وتلاوة وألحانا ، ولقبله مـا حلّ بأنبياء اللّه ورسله ، حكم فصل ، وقضاء حتم ...

((وما محمّد الاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفان مات أو قتـل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئا ، وسيجـزى اللّه الشّاكرين)) .

ايها بنى قيلة !

أأهضم تراث أبى وأنتم بمرأى منّى ومسمع ، ومنتدى ومجمـع ؟ ! تلبسكم الدّعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدّة ، والأداة والقوّة ، وعندكم السّلاح والجنّة ، توافيكم الدّعـوة فلا تجيبون ، وتأتيكـم الصّرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصّلاح ، والنّخبة الّتى انتخبت ، والخيرة الّتى اختيرت لنا أهل البيت ، قتلتـم العرب ، وتحمّلتم الكدّ والتّعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم ، لا نبرح أو تبرحون ، نأمركم فتأتمرون ، حتّى اذا دارت بنا رحى الاسلام ، ودرّ حلب الأيّام ، وخضعت ثغرة الشّرك ، وسكنت فورة الافك ، وخمـــدت

نيران الكفر، و هدأت دعوة الهرج ، و استوسق نظام الدّين ، فأنّى حزتم بعد البيان؟ و أسررتم بعد الاعلان؟ و نكصتم بعد الاقدام؟ و أشركتم بعد الايمان؟ بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، و همّوا باخراج الرّسول و هم بدأوكم أوّل مرّة ، أتخشونهم فاللّه أحقّ أن تخشوه ان كنتم مؤمنين .

ألا و قد أرى أن قد أخلدتم الى الخفض ، و أبعدتم من هو أحقّ بالبسط و القبض ، و خلوتم بالدّعة ، و نجوتم بالضّيق من السّعة ، فمججتم ما دعيتم و وسعتم الّذى تسوّغتم ، فان تكفروا أنتم و من فى الأرض جميعا ، فانّ اللّه لغنىّ حميد .

ألا و قد قلت ما قلت هذا على معرفة منّى بالجذلة الّتى خامرتكم ، و الغدرة الّتى استشعرتها قلوبكم ، و لكنّها فيضة النّفس ، و نفثة الغيظ و خور القناة ، و ثبة الصدر ، و تقدمة الحجّة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظّهر ، نقبة الخف ، باقية العار ، موسومة بغضب الجبّار ، و شنار الأبد ، موصولة بنار اللّه الموقدة ، الّتى تطّلع على الأفئدة ، فبعين اللّه ما تفعلون و سيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون ، و أنا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد فاعملوا انّا عاملون ، و انتظروا انّا منتظرون)) (١) .

و بعد هذا الاستعراض الكامل لنصها الحرفى نحاول ابراز ما اشتملت عليه هذه الخطبة الشريفة من مواضيع شتى و تصويرات عجيبة دقيقة بارعة و فنية ساحرة و من اهم ما احتوت عليه امتيازها بالتصوير الدقيق للمفارقات الجوهرية بين عصر ما قبل الاسلام و بين عصر ما بعد مجيئه و يمكننا ايجاز نسق الأفكار الجاهلية اعتمادا على ضوء ما نستفيده منها

---

(١) أحمد بن علىّ الطبرسى : الاحتجاج ، ج ١ / ١٣٣ ـ ١٤١ ، مطبعة النعمان النجف الأشرف ـ ١٣٨٦ هجـ .

بالنقاط التالية :

١ــ حرية التعبد المطلقة لأى الهة متعارفة اوغير متعارفة و انها سمة مشهودة فى تاريخ ما قبل مجئ الاسلام فى الاصقاع المختلفة لبلاد العرب كما قد شاركتها غيرها من الاقوام و الملل فى هذه الظاهرة فكما و الملاك فى تحقق رسميتها هو أتصافها بطقوس العبودية و مخترعات صفات الالوهية و مقامات الربوبية و الخالقية مثل العزى و اللات و مناة و القيس و الشرح و اليفع و الذرح و الكرب و السمع و اليثع و صنتم و ود وحمم و رحبن و بعدن و قبضم وغيرها و ورود اسماؤها مجتمعة فى اثار العرب و اشعارهم و نصوصهم يؤكد و يؤيد هذه المقوله بنحو قاطع و ثابت لا يقبل الشك و الريب وعام فتح مكة على يد النبى الكريم شاهد آخر مضافا لنصوص القرآن المتعددة فى سرد بعض تلك الأسماء للالهة و شواهدها الوثنية المختلفة حيث صدر صلوات الله و سلامه عليه امره بتكسير الاصنام المنتشرة حول بيت الله الحرام الكعبة المشرفة و التى اقامتها كل قبيلة لتحج اليها كل عام و تؤدى اليها طقوس العبادة وعدم ورود مشاحنات فى اى وثيقة تاريخية بين عباد هذه الاصنام بعد نصبها فى مكة يؤكد وجود تصور عام ينبع من الحرية المطلقة و التامة لسائر الافراد فى اختيار اى منها شاء و ان كان ذلك لا ينافى وجود تعصب خاص لتابعين كل اله على حده الاّ انهم يتجنبون الطعن فى الهة الآخرين احتراما لهذا المبدأ و المفهوم الشائع الذائع و صنف مجمل هؤلاء عباد الاصنام الى طائفتين احدهما تعبدها متخذة اياها واسطة حيث تزعم انها تقربها الى الله عز و جلّ و تستغيث بها فى النوائب و النوازل و اخرى تعبدها لذاتها زاعمة انها تضر و تنفع و ان بيدها تصريف الأمور و فى قبال هؤلاء

كان هناك من يدين بدين اليهودية و النصرانية و المجوسية و دين خليل الله ابراهيم صلوات الله عليه دين الحنيفية دين التوحيد و منهم من توقف فلم يعتقد بشئ و منهم من تزندق و منهم من امن بتحكم الالهة فى الانسان فى هذه الخياة و ببطلان كل شئ بعد الموت فلا حساب و لا نشور و لاكتاب.

٦ــ شيوع ظاهره الشرك و تفشى الرذيلة و الفحشاء و المنكر وغياب الرقابة الاصلاحية العامة المتمثلة فى جهات الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر .

٧ــ شدة الاقتسام و الشقاق بين القبائل و فقدانها الأمان وقيامها بالغارةعلى بعضها البعض و ممارستها لشتى انواع الارهاب و التعدى على الحرمات و الكرامات .

٨ــ انتشار ظواهر الغش و الرشوة و التطفيف فى المكا ييل و الموازين .

٩ــ غياب قوانين الضمان الاجتماعى و ازدياد ظاهرة الفقر و الجوع و شراء الضمائر و الغدر و القتل غيلة .

١٠ــ تأصل ظاهرة النفاق فى قلوب الغالبية طمعا فى صيانه النفس فى تلك الاجواء و سلامة المال و العرض من التعدى و السلب و هذا الجانب بالذات هو الذى اصطدم به الاسلام و تأثر به أعظم الاثر فى عهده الأولى وكان له الدور الاكبر فى حرف مسار امتداد الخلافة الحقة الواقعية بعد رحيل النبى الاكرم صلى الله عليه و آله .

١١ــ تحكم الانظمة القبلية فى المجتمع و الخضوع التام من قبل افراده لاوامر رؤساء القبائل فى كل صغيرة و كبيرة .

١٢ــ انتشار ظاهره الأخذ بالثأر و تسلسلها الى مالا نهايــة له بين قاتل و مقتول ٠

١٣ــ التنافس الحرفى ميادين الأدب و القريظ و الشعرو الهجاء و الرثاء ونحوذلك ٠

١٤ــ انغلاق المجتمع على نفسه و اختصاصه بعادات و قيــــم و اخلاقية متذبذبه جمعت بين الخلال الحميدة من كرم و شهامة و شجاعــة و اباء و وفاء و بين الخلال المنحرفة والرذائل السلوكية ٠

و يكمن فى ذلك سر سلامة اللغة العربية من الاختلال و التصــدع و الضعف على امتداد الفترة الى سبقت عهدها بالاسلام و بعد مجيئه فى صدره الأول ٠

١٥ــ اعتماد المجتمع على قانون الاسترقاق و الاستعباد و السبى و انتشار تجارة الرقيق و اسواقها و هذا معنى الذل و الخسئ الــذى جاء فى الخطبة الشريفة حيث يعايش الانسان ظواهرا غريبة عن كيانــه و حقيقته من الامتهان و الاذلال لبعضه البعض و تحقير كله فى سبيــل اشباع جبروته و خبلائه و جانبه الحيوانى الشهوانى الدنئ ٠

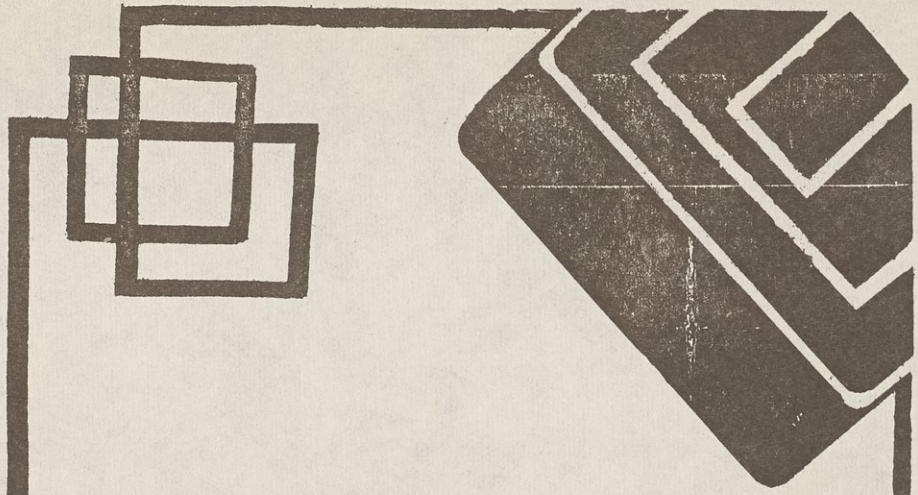

المفهوم الاسلامي للحرية

أول مفهوم يطرح لها في ساحة الفكر الانساني

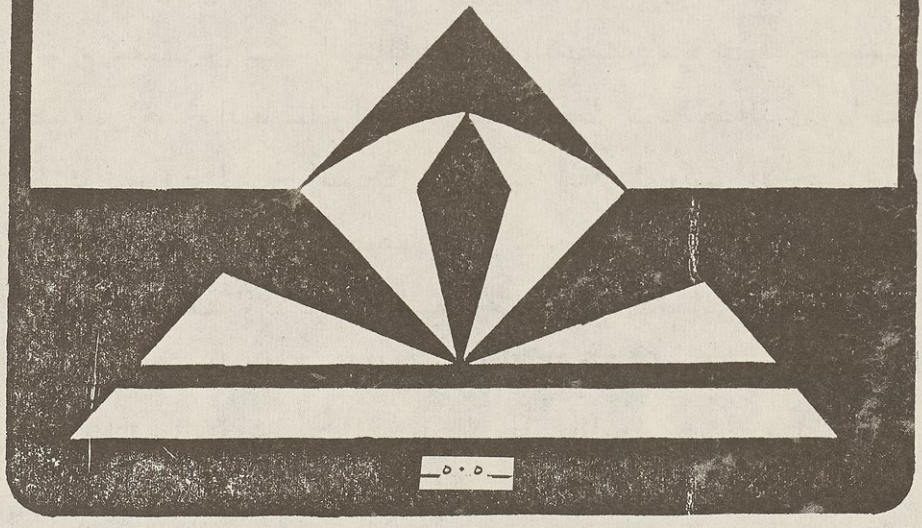

جاء الاسلام بمفاهيم لم تطرق فى سابق عهد الانسان و تاريخه المديد لعوامل تنبع من الانسان نفسه و تتّصل بطبيعة مداركه وحدودها و سعتها و ضيقها و أبعادها و لما كان الاسلام خاتمة الرسالات السماوية و ذروة سنام تكاملها التشريعى و التربوى البنّاء اتّصفت مفاهيمه بطبيعة الحال بالشمول النابع من خاتميّته تلك بنظرة أعمق و ألصق حسّا و وجدانا و أصدق ارتباطا بالانسان الذى وصل الى مراحل تكامله العليا فى الشعور و التصوّر و التعقّل و الادراك.

و نحن فى هذا اليوم حينما نقف فى حلبة الصراع العقائدى المتأزم كمعتقدين بهذه الرسالة الخاتمة و كمدينين بها ندرك حقيقة عظمته من خلال المقايسة و المقارنة حيث نلاحظ التخطيط الذى يعانيه أولئك الضالّون السذج البسطاء من أدعياء الفكر الماركسى الالحادى أو الرأسمالى الديمقراطى و نحوهما فنجد كيف يعيشون حالة الهزيمة و القهر و الضعف و الانهيار و البعد عن الواقع الانسانى و الصراع من أجل التشبّث بتلك المبادى المصطنعة الخالية من كلّ ألوان الاستقامة و الهداية و المنفعة ذات المردود الايجابى الفعلى.

نعم لقد أثرّ الاسلام فى كيان العالم برمته فى المدنيّة و السلوك و العلاقات فكل ما يمت الى حقيقة المصلحة و حسن المبادى فهو مستمدّ منه و معوّل فيه عليه لأنه بعث فى مرحلة اختنق فيها الوجود الانسانى بظاهرة التشتّت و الضياع و الاضمحلال و العناء و فقدان المبادى السامية التى يحفظ له كيانه ٠

لقد رأينا كيف كانت سيرة المسيحيّة بعد الاسلام و امتداد سلطتها بحيث عبّرت عن امتداد سلطوى عشوائى تحكّم فى مصير شعوب بأكملها و قادها الى مهاوى سحيقة و تيّارات جارفة فقد فيها الانسان نظرته الانسانيّة و كيانه الآمن و تطلّعاته الطموحة ٠

و استفادت النهضة الأوربية فى كثير من برامجها الاصلاحية من المعلومات التى ظفرت بها فى الأندلس عن مفاهيم الاسلام فى علاج مشاكل الحياة و رحلات المستشرقين التى امتدت عشرات السنين الى يومنا هذا تفتش فى كنوز الاسلام عن المنابع الفعّالة فى النهضة الانسانيّة و السبل الكفيلة بضمان تكامله و حمايته و ان كانت هذه الرحلات فى حقيقتها رحلات مستبطنة تعمل كسلاح ذى حدّين ففى الوقت الذى يستفيدون من الاسلام يبذلون جهودهم لضعضعة كيانه و الغاء وجوده من ساحة الحياة ايمانا منهم بتنافى وجوده مع تطلّعاتهم الهادفة للتسلّط على ديار المسلمين و الانتفاع بالخيرات و البركات التى أنعم الله عز و جل عليهم بها و حباهم بمصادرها الوافرة و منابعها المتجدّدة الغنيّة كما أوضحنا لك ذلك من خلال أقوالهم التى صرحوا بها فى فترات متباعدة و مناسبات مختلفة فى اطروحة العلمانية التى تقدم الكلام عليها ٠

و قد اعترف الباحثون من غير المسلمين بصفة عامة بهذا التأثير

الاسلامى على تاريخ البشريّة و حركته الاصلاحيّة التى غيّرت مجرى الحياة الانسانية و التى امتدّت خارج حدود الرقعة التى احتلها و عشعش فى قلوب أهلها ٠

و من أولئك الدكتور هيرالال تشوبرا الأستاذ بجامعة كلكوتا حيث قال فى مقال له :

((انّ مبادئ الحريّة و المساواة و الأخوّة نتاج للثورة الفرنسيّة ، و لكن أوّل شخص أعلن هذه المبادئ هو مؤسّس الاسلام الأوّل قبل أربعة عشر قرنا)) (١) ٠

و قال غوستاف لوبون فى كتاب حضارة العرب :

((انّ القوّة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن فقد ترك العرب المغلوبين على أمرهم أحرارا فى أديانهم و لم ينتشر الاسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها و بالدعوة وحدها اعتنقت الشعوب التى قهرت العرب مؤخّرا كالترك و المغول و أدرك الخلفاء السابقون انّ النظم و الأديان ليست ممّا يفرض قسرا فعاملوا أهل كلّ قطر استولوا عليه بلطف عظيم فالحق ان الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب المسلمين و لا دينا سمحا مثل دينهم)) ٠

و قال جورج برناد شو : انّى أكنّ كلّ تقدير لدين محمّد لحيويّته العجيبة فهو الدين الوحيد الّذى يبدو لى انّ له طاقة هائلة لملائمته أوجه الحياة المتغيّرة و صالحا لكلّ العصور لقد درست حياة هذا الرجل العجيب و فى رأيى انّه يجب أن يسمّى منقذ البشريّة دون أن يكون فى

(١) Illustrated Weekly of India (Bombay) April 15, 1973

ذلك عداء للمسيح و انّى لأعتقد انّه لو أتيح لرجل مثله أن يتولّى حكم هذا العالم الحديث منفردا لحالفه التوفيق فى حلّ جميع مشاكله بأسلوب يؤدّى الى السعادة و السلام اللّذين يفتقر العالم اليهما كثيرا انّى أتنبّأ بأنّ الناس سيقبلون على دين محمّد فى اوربا فى المستقبل ، و قد بدأ يلقى القبول فى اوربا اليوم .

و فى موضع آخر له قال : لقد عمد رجال الاكليروس فى العصور الوسطى الى تصوير الاسلام فى أحلك الألوان و ذلك بسبب الجهل ، أو التعصّب الذميم و الواقع انّهم كانوا يسرفون فى كراهيّة محمد و كراهيّة دينه و يعدّونه خصما للمسيح ، أمّا أنا فأرى واجبا أن يدعى محمد ((منقذ الانسانيّة)) .

و قال المفكّر الشهير تولستوى :

لا ريب انّ النبى محمّدا من عظام الرجال المصلحين الّذين خدموا الهيئة الاجتماعيّة خدمة جليلة و يكفيه فخرا انّه هدى أمّة برمتها الى نور الحق و جعلها تخضع للسكينة و السلام و منعها من سفك الدماء و فتح لها طريق المدنيّة .

و بعد أن وصل بنا الكلام الى هذا الحد نؤكد على انّ الأحداث الايجابيّة التى شهدها العالم الطبيعى و التاريخ البشرى الحديث و تتنعّم ببركتها و خيراتها هى نتائج مادّيّة للثورة التوحيدية و قد اعترف بذلك أولئك الفارّون عن الفطرة الأصيلة أنفسهم حيث نشرت فى الولايات

المتحدة الامريكية مؤخّرا دائرة معارف تسمى الانسان و الهته ، و تحتوى أبحاثا حول مختلف الأديان ، و قد كتب فى الاسلام أحد الباحثين المسيحيّين و اعترف فيه بوضوح ان ظهور الاسلام قد غيّر مسار التاريخ البشرى)) (١).

و يذكر المؤرّخ الفرنسى" فوستيل دوكولانتر" فى الفصل الثانى من كتابه(التمدن القديم) :

((لم يتدخّل المسيح عليه السلام بأىّ وجه من الوجوه فى أمور القضاء و التملك و الارث و ما يخص المدنية من الأحكام ليعلم العالم بأن ابتداء المدنية و الحياة الجديدة و التربية الصحيحة سيكون من مدنية علم الاسلام التى ستجعل العالم أهلا للعلم و المدنية)) (١).

و قال" بارثلمى سنت هيلر" :

((لقد أصلحت مفاسد أمرائنا و أشرافنا فى القرون الوسطى بمعاشرة المسلمين و تقليدهم و اقتبس أسلافنا من المسلمين الآداب الحسنة و الأخلاق و الصفات المقبولة و السجايا المحمودة)) (٣).

و يقول المؤرّخ" غوستاولوبون" :

((لقد أثر التمدّن الاسلامى على العالم تأثيرا محيّرا للعقول ونفوذ الأخلاق الاسلاميّة و تربيتها قد أدخلت الأقوام الأوربيّة الوحشية التى كانت تقلق راحة السلطنة الروحيّة فى طريق التمدن و لقد فتحت أفكار المسلمين الجبّارة أبواب العلوم و الفنون و الفلسفة التى كان الأوربيون فى جهل عنها لهم و كان المسلمون أساتذتنا طيلة ستمأة سنة)) (٤).

---

(١) Man & His Gods - p: 389

(٢،٣،٤) الايمان والعلم الحديث لمحمد حسين الأديب ص ٧٦.

و قال أيضا :

((و لقد ظهرت احساسات بسيطة فى أوربا و ذلك بين القرنين الحادى عشر و الثانى عشر و توجّه أفراد من هؤلاء المفكّرين الذين رأوا وجوب النهضة لديهم و عظم المصاب فى التأخّر عندهم الى المسلمين الذين كانوا حينذاك فى درجات من الرقى و فى سنة ٨٣٠ هـ بدأوا يترجمون الكتب العربية الى اللاتينية و ذلك فى دار الترجمة التى أسّسوها فى (طليطلة) المدينة المشهورة و بهذا توسّع نطاق أفكارهم و أخذوا يتصوّرون حياة جديدة من وراء هذه الكتب و لهذا يجب أن لا ننس ما للاسلام و المسلمين من اليد الفعّالة فى ايجاد هذه النهضات و المدنيّات الحديثة)) .

و كتب (داود اور كوهرت) فى مقدمة كتابه المسمى بـ (روح الشرق) فى المجلد الأوّل المطبوع سنة ١٨٢٩ هـ ما نصّه :

((ان الاسلام لم يكن دينا مبتدعا ولا وحيا مخترعا ليس به قوميّة و لا حكومة كنائسيّة بل سنّ شريعة للناس كافة و نظاما مدنيّا يجب على كل فرد الانقياد اليه)) .

و قد صرح بمثل هذا المضمون كثير من مفكّريهم من أمثال (بلكريف) و(فمبرى) و(رولنص) و(ليرد) و(رولند) و(ستانلى) و(الدرلى) و غيرهم .

و يقول (كارليل) الفاضل المعروف :

((ان القرآن هو التشريع الأساسى لكل زمان و مكان و معدن القضاء و قوانينه المتبعة فى أمور الحياة لتهدى و تنير الطريق لاتباعه فيلزم على كل فرد أن يفكّر فى آياته الحكيمة ليخلص بنوره من ظلمات الحياة)) .

و قال (اسحق تيلر) فى مقالة نشرت فى جريدة التايمز اللندنية فى

٧ تشرين سنة ١٨٨٧ م :

أ ـ (لقد أفاد الاسلام المدنية أكثر من النصرانية) .

ب ـ (أما الاسلام فقد أزال جميع المنكرات و الخرافات و أخلص التوحيد للّه عزّ و جل و علّم كيف يدرك أدنى الشعوب الفضائل والكمالات الانسانية كالعفاف و الطهارة و حفظ النفس و العدالة و الاحسان و الضيافة و الصدق و التسليم للقضاء و القدر فالاخاء المسيحى صورى فقط ، و امّا الاخاء الاسلامى فهو اخاء حقيقى و مما يليق بنا أن نذكره ان الآداب الاسلامية خير من آدابنا و ذلك بتسليمهم لقضاء اللّه عز وجل و قدره و اللطف و الوداعة و الصدق و الاخاء الايمانى فلا غرو أن يكون لنا بهم أسوة حسنة فقد حرم الخمر و الميسر و البغى ، و هذه من مساوئ البلاد المسيحيّة ...)) .

و قال (وليم ميود) فى كتابه المسمّى (حياة محمد) :

((ان القرآن ممتلئ بأدلّة من الكائنات المحسوسة و الدلائل العقلية على وجود اللّه تعالى و انه هو الملك القدّوس و انه سيجزى المرء بعمله ان خيرا فخيرا ، و ان شرّا فشرّا ، و انّ اتباع الفضائل و اجتناب الرذائل فرض على العالمين و ان الواجب على كل مكلّف أن يعبد اللّه تعالى و هى علّة سعادته و قس على هذا ما هو موضّح بأدلّة مؤكّدة بليغة)) .

و قال (جيون) :

((ان أوامر القرآن ليست محصورة فى الفروض الدينيّة و الأدبيّة فقط ، فانّ سكان الممالك التى هى من حدود الاقيانوس الاتلانتيكى الى الغنجس يعتبرون ان القرآن الكريم عليه مدار الأمور الأخروية

والدنيوية من الفقه والتوحيد والأحكام الحقوقية والجزائية وما به انتظام الكون وقمع النظام وصيانة الحقوق وذلك أمر الهىّ لا مرية فيه وبعبارة أخرى: ان القرآن المجيد هو الدستور العمومى لكافة العالم الاسلامى وهو دستور الدين الاسلامى فهو نظام الكون فى المعاد والمعاش وبه النجاة الأبدية وحفظ الصحّة البدنية والمطامح العمومية والشخصية وما يترتّب على ذلك من الفضائل الأدبيّة والاجراءات الجزائيّة الدنيوية والأخرويّة كل ذلك نظّم فى القرآن المجيد ...الخ)).

وقال (ثبورت اسمث) فى كتابه" حياة محمد "(صلى اللّه عليه وآله وسلّم):

((ان محمد ـ صلى اللّه عليه وآله وسلّم ـ لمؤسس أمّة ومملكة وهداية ، وهذا أمر لم يوجد له سبق مثيل ولن يوجد وهو امّىّ لا يعرف القراءة والكتابة وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات وأخبار الأمم وهو نقى العبارة من الألفاظ المستهجنة باهر الحكمة والحقائق وهو معجزة له والحق يقال انه لمعجزة)) (١).

وجاء فى موسوعة(البيبليرا الانسكلوبيديا):

ان لغة القرآن أفصح لغات العرب وأساليبه وبلاغته لسحر للألباب بحسنها ، وسيبقى غير معارض الى الأبد ، ومواعظه طاهرة وكل من يتتبعها بتدبّر يحيا حياة طيّبة)) (٢).

وقال (شاتفليد) فى كتابه المسمّى بالتصفح التاريخى :

((لو ان العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية فعلوا فى

---

(١) ص٣٤٦.

(٢) ج ٨ ص٣٢٦.

الشرق ما فعله الأوربيّون فى أهل القرآن لتلاشت المسيحيّة فى الشرق غير انّ دينهم يأبى ذلك و يخوّلهم أن يكون لهم من الحقوق ما للمسلمين)) (١)٠

و نفهم ممّا تقدّم انّ الحريّة المتصوّرة بالفطرة هى كيف حقى يطالب به كلّ انسان صحيح الطبع و سليم الفكر لأنّها تعنى تقرير الارادة المنبعثة عن قرارة النفس و صميم القدرة الذاتيّة الموهوبيّة٠

وعلى هذا فانّها تلحق بأقسام الحقوق الانسانيّة ان لم نقل بأنّها فى صدارتها وعلى رأسها٠

قال السيّد حسن القبانچى فى شرحه على رسالة الحقوق للامام زين العابدين عليه السلام:

((ترجع اهم حقوق الانسان العامّة الى حقّين رئيسيّين:

المساوات و الحريّة و قد ادّعت الأمم الديمقراطيّة الحديثة انّ العالم الانسانى مدين لها بتقرير هذين الحقّين فذهب الانكليز الى انّهم أعرق شعوب العالم فى هذا المضمار: و زعم الفرنسيون انّ هذه الاتّجاهات جميعا كانت وليدة ثورتهم وأنكرت أمم أخرى على الانكليز و الفرنسيّين هذا الفضل و ادّعته لنفسها٠

ثمّ قال: و الحقّ انّ الاسلام هو أوّل من قرّر المبادئ الخاصّة بحقوق الانسان فى أكمل صورة و أوسع نطاق و انّ الأمم الاسلاميّة فى عهد الرسول صلى اللّه عليه و آله و الخلفاء من بعده كانت أسبق الأمم فى السّير عليها)) (٢)٠

---

(١) ص ٣١١٠

(٢) شرح رسالة الحقوق ج ٢ ص ١٧٠

قال سبحانه و تعالى :

((اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون اللّه و المسيح بن مريم و ما أمروا الاّ ليعبدوا الها واحدا لا اله الاّ هو سبحانه عمّا يشركون)) (التوبة / ٣١).

((قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد الاّ اللّه و لا نشرك به شيئا و لا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دو اللّه)) (آل عمران / ٦٤).

و((و للّه العزّة و لرسوله و للمؤمنين و لكنّ المنافقين لا يعلمون)) (المنافقون / ٨).

((لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)) (آل عمران / ١٣٩).

((ليصع عنهم أصرهم و الأغلال الّتى كانت عليهم)) (الأعراف /١٥٧)

و فى معانى الأخبار بسنده عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال :

صعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم : المنبر يوم فتح مكّة ثمّ قال : أيّها النّاس انّ اللّه تبارك و تعالى قد ذهب عنكم بنخوة الجاهليّة و تفاخرها بآبائها الاّ انّكم من آدم و آدم من طين و خير عباد اللّه عنده أتقاهم انّ العربيّة ليست بأب والد و لكنّها لسان ناطق فمن قصر به عمله لم يبلغه رضوان اللّه حسبه الاّ انّ كلّ دم كان فى الجاهليّة أو احنّة (١) فهى تحت قدمىّ هاتين الى يوم القيامة .

و فى الكافى رفعه الى أمير المؤمنين عليه السلام انّه خطب ذات يوم فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال :

---

(١) الأحنّة : الحقد جمعها احن كعصمة و عصم .

أيّها النّاس انّ آدم لم يلد عبدا ولا أمة وانّ النّاس كلّهم أحرار ولكنّ اللّه خوّل بعضكم بعضا فمن كان له بلاء فصبر فى الخير فلا يمنّ به على اللّه عزّ وجل الاّ وقد حضر شيء ونحن مسوّون فيه بين الأسود والأحمر.

وفيه أيضا عنه عليه السلام انّه قال فى خطبة له:

((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حرّا))

وقال الامام زين العابدين وفخر السّاجدين علىّ بن الحسين عليهما السلام فى رسالة الحقوق المنسوبة اليه:

((وأمّا حقّ المنعم عليك بالولاء فأن تعلم انّه أنفق فيك مالهوأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته الى عزّ الحريّة وأنسها فأطلقك من أسر الملكة وفكّ عنك حلق العبوديّة وأوجدك رائحة العزّ وأخرجك من سجن القهر ودفع عنك العسر وبسط لك لسان الانصاف وأباحك الدّنيا كلّها فملّكك نفسك وحلّ أسرك وفرغك لعبادة ربّك واحتمل بذلك التقصير فى ماله فتعلم انّه أولى الخلق بك بعد أولى رحمك فى حياتك وموتك وأحقّ الخلق بنصرك ومعونتك ومكافتك فى ذات اللّه فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج اليك)).

وهناك عشرات الرّوايات المتظافرة بهذا الخصوص سيأتى نقلها والحديث عنها فى مواضعها المناسبة.



الأُسس الّتي تبتني عليها

الحُرّيّة الفرديّة الواقعيّة في الاسلام

يعد تحديد المقومات الفاعلة فى طبيعة مفهوم الحريّة من أعظم المهام الّتى عنى بها الاسلام أيما اعتناء ، و بالغ فى التأكيد عليها الاّ انّ تلك العناية لم يقدر لها أن تخرج الى حيز الواقع بصورتها المطلوبة حتى الآن بل ظلّت مهدورة مشتّتة فى مواضع متفرّقة تبحث لا بعنوانها الأصيل نفسه ، و انما مدرجة فى ضمن أبواب و عناوين أخرى قد تكون لها علاقة بالتضمّن و الالتزام معها .

و لا نذهب بعيدا فالاسلام فى مخاطبته للفطرة الانسانيّة يعتمد أسلوب المحاكاة لطبيعة المواصفات التى جبلت عليها فى أصل الخلق و التكوين بنحو لا يشذ بتاتا بين فطرة و أخرى فهو يتّصل بالفطرة فطرة الانسان اتّصالا شموليا ينبع من الميّزة التى تجعل للخالق الثقل الأوّل فى وضع لبنات حجر الأساس لمعارفه و تصوّراته و حلول العقبات التّى يواجهها .

و لذا نجد شأنه مع مفهوم الحريّة كشأنه مع سائر المفاهيم الثريّة التى اتّحف بها الوجود و غذّى بها روح الفكر البشرى فهو يتّخذ طابعا ينم عن عمق احاطة بالطبيعة الانسانيّة و دراسة مستوعبة لكافة الخصائص الذاتيّة و المواصفات الحقيقيّة للحالات الجوهريّة التى لها الأثر الأكبر فى مجالات السلوك العملى و أوجه النشاط الفكرى و هذا ما يتّضح لنا أكثر من خلال التعرّف على تلك الأسس عن طريق العرض و التحليل :

(الاساس الاول) الاختيار والاستطاعة

قال سبحانه و تعالى :

ـ ((ما أصابك من حسنة فمن اللّه و ما أصابك من سيّئة فمن نفسك)) (النساء / ٤٩).

ـ ((انّ اللّه لا يظلم مثقال ذرّة و ان تلك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما)) (النساء / ٤٠).

ـ ((ذلك بما قدّمت أيديكم و انّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد)) (النساء / ١٨٢).

ـ ((من عمل صالحا فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربّك بظلاّم للعبيد)) (السجدة / ٤٦).

ـ ((انّ اللّه لا يظلم النّاس شيئا و لكنّ الناس أنفسهم يظلمون)) (يونس / ٤٤).

ـ ((لكلّ امرئ منهم ما اكتسب من الاثم)) (النور / ١١).

ـ ((من عمل سيّئة فلا يجزى الاّ مثلها)) (المؤمن / ٤٠).

ـ ((أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار)) (ص / ٢٨).

ـ ((و للّه ما فى السّماوات و ما فى الأرض ليجزى الّذين أساؤا بما عملوا و يجزى الّذين أحسنوا بالحسنى)) (النجم / ٣١).

أم لم ينبّأ بما فى صحف موسى * و ابراهيم الّذى وفى * ألاّ تزر وازرة وزر أخرى ** و أن ليس للانسان الاّ ما سعى * و أنّ سعيه سوف يرى * ثمّ يجزيه الجزاء الأوفى)) (النجم / ٣٦ ـ ٤١).

نكتفى بنقل هذا القدر من الآيات الشريفة و نظرا لدقّة هذا المطلب

وكونه من أشدّ المباحث عمقا وخلافا ونقضا وابراما فانّنا نرجئ الكلام عنه بصورة مفصّلة الى الجزء القادم من هذه الموسوعة.

(الاساس الثانى)

حتمية انكشاف الحق وظهوره واستبانته للقلب

ففى المحاسن عن الصادق عليه السلام قال: ما من أحد الاّ وقد يرد عليه الحق حتّى يصدع قبله أم تركه وذلك انّ اللّه يقول فى كتابه ((بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون)).

ومن ذلك النص نستفيد النقاط التالية:

(الأولى) استقلاليّة الارادة الانسانية فى مجال قبول الحق، والعزوف عنه.

(الثانية) وضوح حقيقة الحق تعالى وجلاء غموضها كأصل ارتكازى ثابت فى الفطرة.

(الثالثة) التحذير من التمادى فى العزوف والانكار الى درجة التفوّه بمبلغ درجته المناهضة لدعوة الفطرة السليمة الصافية.

(الرابعة) التنبيه الى ضرورة العقاب وحتميّة انفاذه الى ذات تلك الفطرة المخالفة وانّه العلاج الأمثل لصفة المعصية وكرادع فعّال لارجاع الفطرة الى طبيعتها الأولى عن طريق تهيئة أجواء تدفع بالانسان عن اختياره الأصيل بنحو دقيق وتخطيط محكم الى التوبة بعد تطهيرة أكيدة شرّع عذاب جهنّم الاّ لذلك الغرض والهدف وذلك طبعا لغير المخلّدين فيها.

و بعد الالتفات الى تلك النقاط تزداد فهما لمعنى الآية الشريفة : لا اكراه فى الدّين قد تبيّن الرشد من الغىّ .

(الاساس الثالث)

الغلبة الذاتية للحق على الباطل وانتفاء المانع منها

قال تعالى : ((فلمّا جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين* وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)) (النمل / ١٣ ـ ١٤).

الحق ذلك الطريق المثالى التى تطمح اليه النزعة الفطرية السليمة و تسعى جاهدة بكل طاقتها و امكاناتها لتنعم فى ظلاله الوارفة .

فالاتّجاه الى الحق اتّجاه أصيل ثابت بالضرورة فى فطرة الانسان و مخلوق طبيعى مصاحب لخلق الفطرة .

و ذلك ما نستوحيه من النص المعصومى الذى رواه البرقى فى محاسنه عن الامام الصادق عليه السلام حيث قال :

ليس من باطل يقوم بازاء الحقّ الاّ غلب الحقّ الباطل و ذلك قوله ((بل نقذفه بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)) .

و لا يكون ذلك الاّ اذا مكن الانسان فطرته الأولى و جاهد للاحتفاظ بها عن طريق التهذيب و التنزيه عن المؤثرات الضارّة بها وأما اذا ناهضها و سعى سعيه لأجل الغائها و طردها فى وجوده و كيانه فذلك ما يعكس منافذ القوى فى الادراك و يسبّب التصوّرات العكسية للواقع و يؤدّى الى الضلال الحتمى .

و لهذا نجد المؤاخذة للانسان عند مخالفته للحق و انها انما

كانت لأصالته الراسخة فى الفطرة وعلّة عدم افساح المجال لاطلاق عنان الارادة الهدّامة فى الانسان ·

(الاساس الرابع)

ذاتية المعرفة واصالتها

و قبل البدء بتوضيحه نستعرض النصوص المناسبة للمقام ، و الّتى رواها البرقى فى محاسنه عن الامام الصادق عليه السلام :

(النصّ الأوّل) انّ اللّه يحتجّ على العباد بالّذى أتاهم و عرّفهم ·

(النصّ الثانى) قوله فى قول اللّه عزّ و جل : ((ما كان اللّه ليضلّ قوما بعد اذ هداهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون)) قال : حتّى يعرّفهم ما يرضيه و ما يسخطه ، و قال : ((فألهمها فجورها و تقواها)) قال : يبيّن لها ما تأتى و ما تترك ، و قال : ((انّا هديناه السّبيل امّا شاكرا و امّا كفورا)) قال : عرّفناه فامّا آخذ و امّا تارك ·

(النصّ الثالث) عن عبد الأعلى قال : قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام : هل جعل الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال : لا ، قلت : فهل كلفوا المعرفة؟ قال : لا ان على اللّه البيان لا يكلّف اللّه العباد الاّ وسعها و لا يكلّف نفسا الاّ ما آتاها ·

الكيان الانسانى كيان متميّز عن سائر كيانات مخلوقات الوجود ، فهو كيان تأثّر مستخلف له القدرة على بسط النفوذ و تسخير بقيّة تلك الكيانات لصالحه و منافعه الشخصيّة و تحت سلطته و غطرسته ، و لم يكن ذلك لعظم جسمه و افتتال عضلاته و انّما لصفة المعرفة الّتى عظّمت خطر مقامه و علّت من شأنه و سمت به الى منصّة الصدارة فى الواجهة القياديّة للعالم السفلى ·

فالانسان تكتّل رسالى يجمع بين المتناقضات مسؤول عن كلّ طرفة عين أجالها و أعمال جارحة وجهات نفاذ ها و ما دام للانسان وجود فى هذه الحياة فصراع الخير و الشرّ مستمرّ.

فمنه من يسلك طريق الخير باختياره و آخر طريق الشرّ باختياره.

و لما كان خلق الانسان قد تمّ وفق حكمة اقتضتها المصلحة الالهيّة وسعت لتحقيقها فليس من السائغ و المقبول وجود حالة عشوائيّة فى أصل الركائز التى تقوم على أسسها الحياة و لأجل ذلك تجد الاسلام يعرف بتلك الركائز و يبنى عليها الآثار و الجزاء العادل الذى لا مرية فيه كما يفرع على ذلك قبح العقاب بلا بيان و هى لفتة رائعة لعظم شأن التكليف الالهى للانسان و ابتنائه على النظم الناظرة لكيان الانسان على انّه كيان مستقلّ له الحرمة و الكرامة و لا يفسح المجال لسلبه هاتين الخصيصتين بأىّ حال من الأحوال الاّ اذا سلب الانسان نفسه منهما و حينئذ يتوجّه العقاب اليه جزاء ما اقترف و ارتكب فى حقّ ذاته و كيانه.

انّ الاسلام يخاطب التكوين الحقيقى للأجهزة المودعة فى الانسان و بلغتها و حالاتها نعم انه تشريع بليغ ينفذ الى الاعماق و يسبر اغوارها و يحتج عليها بما أتاها و شرّفها به.

و المعرفة التى تلمح اليها النصوص المتقدّمة ليست هى المبحوث عنها على السنّة المناطقة و الفلاسفة و انّما هى معرفة أصيلة جبل عليها الانسان فى فطرته و لم تتكوّن نتيجة كسب و اعمال نظر و احساس بالمؤثرات الخارجيّة عن طريق الحواسّ الخمس و انّما خلقت مع الانسان و تعتمده موطنا و مقرّا لها و يعنى ذلك انها جزء من انسانيّة الانسان و أساس له دوره الفعّال فى التوجيه و الادارة لأبعاد الفكر وحدوده.

(الاساس الخامس)

وجود الدلالات الموصلة للعلم المطلوب

العلم بالمؤثّر عن طريق الآثار و المنعم عن طريق آثار النعم وصورها هو الآخر من الأمور المركوزة فى الفطرة الانسانيّة و التى لا يمكن ادّعاء انفصالها عنه بوجه و عدم وجودها فى الأصل فكلّ شىء فى الوجود يستمدّ وجوده منه تعالى و عليه يدلّ و يسبّح بحمده حتّى الجماد و النبات، فكيف بك بالانسان الّذى حظى من ذلك بالنصيب و القدر الأوفر.

و كما يتوصّل الانسان فى حياته الى المدلولات الجزئيّة عن طريق الدوال الخمس و هى : الخط ، و العقد ، و النصب ، و الاشارة ، و اللفظ كان من باب الأولى له أن يتوصّل الى المدلولات الكلّيّة عن طريق آثارها الموصلة و الدالّة عليها و ليس هناك جهة تفتقر الى الدلالة عليه تعالى فكلّ ذرّة فى الوجود و ما تؤلفه من صور و أشكال تدلّ على الواحد القهّار الفرد الصمد المتعال و شأن وضوح هذا الأمر و جلائه كشأن الشمس فى رائعة النهار لا يمكن انكارها بحال من الأحوال.

و فى ذلك جاء فى محاسن البرقى بسنده عن زرارة رضوان اللّه تعالى عليه قال : سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ و جل ((انّا هديناه السّبيل امّا شاكرا و امّا كفورا)) قال : علّمه السّبيل فامّا آخذ فهو شاكر، و امّا تارك فهو كافر.

و عند الملاحظة لمعنى الكافر نجد انّه المكابر الّذى حجب عن قلبه

نور الحقيقة و سترعن عينه بصائر اليقين وعلامات الحقّ المبين و حرم نفسه النعيم المقيم مع المتّقين فى دار الخلد الأمين ٠

و أبلغ بيان ذكر لتقرير ذلك ما نطقت به شفتا سبط رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الآمام الحسين بن على عليهما السلام فى دعائه المعروف فى يوم عرفة حيث قال فيه :

((كيف يستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك ؟

متى غبت حتّى تحتاج الى دليل يدلّ عليك ؟ و متى بعدت حتّى تكون الآثار هى التى توصل اليك ، عميت عين لا تراك عليها رقيبا و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا)) ٠

و بعد ذلك فليس من اللائق بالانسان المخلوق أن يتجرّأ على ساحة قدس جلال ربّه الّذى أوجده من العدم ، و أفاض عليه بالنعم ، و كريم المنن فيخالف آياته و يكابر دلالاته و يرفض المعرفة الّتى أودعت فى ذاته و يعلن حربه ضدّ خالقه و منشئه و مبدعه ٠

((خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين)) (النحل / ٥٤)٠

((أو لم ير الانسان انّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين)) (يس / ٧٧)٠

((و يشهد اللّه على ما فى قلبه و هو ألدّ الخصام)) (البقرة/٢٠٤)

و هل بامكان عاقل بعد ذلك أن يقرّ هذا الاعتساف الّذى لا تحتمله موازين الانصاف و يدعى حريّة الايمان باللّه عزّ و جل و عدمها و يفسح المجال أمام التيّارات الملحدة الخارجة على تكوين الانسان و فطرته لتتّخذ كيانا فى الوجود و تحرك تيّارا يهدف الى اضلال البشريّة

و رفض خالقيّة الخالق و انكار اتّصاله بآثاره التى هى من أبده البد يهيّات و أوضح الواضحات كما علمت و ما الى هنالك من غرائب الأمور و سفاسط الفكر و سخيف القول المستهجن؟!!

و سنعقد بحثا موسعا ضافيا فى صدر مبحث الحريّة الاسلاميّة فى معالجتها لصور و أشكال و قضايا الفكر الانسانى، نلقى فيه بمزيد من الضوء على هذا الجانب المهم و يبرز حقيقة الفكرة التى يؤكّد عليها الاسلام و لا يسمح بتجاوزها و التعدّى على قدسيّة مقامها و كيانها.

(الاساس السادس)
مراعاة طبيعة القصور واعتراء الخلل في جهات السلوك

لقد حاول الاستعمار بث أنماط خاصة و تصويرات معينة عن المفاهيم الاسلامية و قلب التصوّرات الاستيحائية عنه فى عقل المسلم لكى يبعده عن حضيرة الاسلام عن طريق جهود الأقلام المأجورة و الشخصيّات المستشرقة و تسخير أجهزة الاعلام بكافة مجالاتها لترويج بضائعهم فى البلاد الاسلامية و قد كان من ضمن تلك المخطّطات ايهام المسلمين برهابة التشريع الاسلامى و انه يقيّد الحريات و يمنع الانطلاق فى الحياة ويحجر العقول و يضيق منافذ الحياة، و الواقع ان هذه التصوّرات هى تصوّرات واقعيّة دفعت الى تطبيقها الكنيسة و ألحت بتقريرها فى أذهان المسيحيّين من خلال التجربة التطبيقية لسياستها و الاسلام بعيد كل البعد عنها و منزّه عن كل سقط و خلل لا يتناسب مع الانسان فى كيانه الثائر و تصاعده نحو الحياة السعيدة و سيره التكاملى و يتّضح لنا ذلك

أكثر من خلال الرجوع الى نصوص كتابه الكريم و سنّة النبىّ الكريم و عترته الميامين ٠

فأما فى القرآن فاننا نجد أمثلة حيّة لما قلناه فى خلال أمثال هذه الآيات :

((لا يكلّف اللّه نفسا الاّ وسعها لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت ربّنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا و لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الّذين من قبلنا ، ربّنا و لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنّا و اغفر لنا و ارحمنا)) (البقرة / ٢٨٦) ٠

((لا نكلّف نفسا الاّ وسعها)) (الأنعام / ١٥٤) (الأعراف / ٤٧) ٠

و أما فى السنّة النبوية و المعصومية فاننا نجد التفسير الحىّ و التعبير للصادق الرائع من خلال النصوص التى وصلتنا فى بطون الكتب المعتبرة ٠

فقد روى الصدوق فى التوحيد و الخصال بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : رفع عن امّتى تسعة : الخطأ ، و النسيان ، و ما أكرهوا عليه ، و ما لا يعلمون ، و ما لا يطيقون ، و ما اضطرّوا اليه ، و الحسد ، و الطيرة ، و التفكّر فى الوسوسة فى الخلق ما لم ينطق بشفة(١) ٠

---

(١) قال العلاّمة المجلسى فى البحار فى تذييله لهذا الخبر ما نصّه : المراد بالرفع فى أكثرها رفع المؤاخذة و العقاب ، و فى بعضها يحتمل رفع التأثير و فى بعضها النهى أيضا ـ فأمّا اختصاص رفع الخطأ و النسيان بهذه الأمّة فلعلّه لكون سائر الأمم مؤاخذين بهما اذا كان مبادىء بهما باختيارهم على انه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع

و روى الحسين بن سعيد فى كتابه بسنده عن الصادق عليه السلام انّه قال: وضع عن هذه الأمة ستة: الخطأ، و النسيان، و ما استكرهوا عليه، و ما لا يعلمون، و ما لا يطيقون، و ما اضطرّوا عليه.

و جاء فيه أيضا عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: اللّه عفى عن امّتى ثلاثا: الخطأ، و النسيان، والاستكراه ثم قال الصادق عليه السلام: و فيها رابعا و ما لا يطيقون.

و روى الصدوق رضوان اللّه تعالى عليه فى اعتقاداته عن الصادق عليه السلام انّه قال: و اللّه ما كلّف اللّه العباد الاّ دون ما يطيقون لأنه كلّفهم فى كل يوم و ليلة خمس صلوات، و كلّفهم فى السنة صيام ثلاثين يوما، و كلّفهم فى كلّ مأتى درهم خمسة دراهم، و كلّفهم حجّة واحدة و هم يطيقون أكثر من ذلك.

→

فلا ينافى اشتراك البعض.

و أمّا ما أكرهوا عليه فلعلّه كان يلزمهم تحمّل المشاق العظيمة فيما أكرهوا عليه، و قد وسع اللّه على هذه الأمة بتوسيع دائرة التقيّة، و أما ما لا يعلمون فرفع كثير منها ظاهر كالصلاة فى الثوب والمكان المغصوبين و الثوب النجس و السجود على الموضع النجس و جهل الحكم فى كثير من المسائل و الجهل بالأحكام التى لم تصل الينا و لعلّ سائر الأمم كانوا يؤاخذون بالقضاء و الاعادة واللفظ و ان كان عامّا لكنه مختصّ بالاجماع بالموارد الخاصّة و أما ما لا يطيقون فقد مرّ بيانه.

و أما الطيرة بكسر الطاء و فتح الياء و سكونها و هو ما يتشاءم به من الفال الردى فيمكن أن يكون المراد برفعها النهى عنها بأن لا يكون منهيا عنها فى الأمم السالفة و يحتمل أن يكون المراد تأثيرها أو حرمة

و ما رواه العيّاشى فى تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام انه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم: رفعت عن أمتى أربع خصال: ما أخطأوا، و ما نسوا، و ما أكرهوا عليه، و ما لم يطيقوا، و ذلك فى كتاب اللّه تبارك و تعالى: ((ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّنا و لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الّذين من قبلنا ربّنا و لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به)) و قول اللّه: ((الاّ من أكره و قلبه مطمئنّ بالايمان)).

فأين تلك الدعايات المغرضة و السامّة من الدعوة الأصيلة الكريمة التى يخاطب اللّه عز و جل عباده بها من خلال ما صرح به فى كتابه الكريم، و يؤكّد على ما فيه رسوله العظيم صلى اللّه عليه و آله بأقواله العسجديّة و أقوال خلفائه المعصومين من بعده، و سيأتى مزيد منها فى خلال الأسس الآتية و لتذهب أقوالهم أدراج الرياح، و ليموتوا بغيظهم.

تأثر النفس بها و الاعتناء بشأنها و الأخير أظهر، و كذا الحسد يحتمل الوجهين الأولين و ثالثا و هو عدم حرمة ما لا يظهر من الحسد و هو أظهر كما ورد فى الأخبار: (ألا ان المؤمن لا يظهر الحسد).

و أما التفكّر فى الوسوسة فى الخلق و يحتمل أن يكون المعنى التفكّر فيما يوسوس الشيطان فى القلب فى الخالق و مبدئه و كيفيّة خلقه، فانها معفو عنها ما لم يعتقد خلاف الحق و ما لم ينطق بالكفر الذى يخطر بباله أو المراد التفكّر فى خلق الأعمال و مسألة القضاء و القدر أو المراد التفكّر فيما يوسوس الشيطان فى النفس من أحوال المخلوقين و سوء الظن بهم فى أعمالهم و أحوالهم و يؤيّد الأخير كثير من الأخبار.

انتهى كلامه أعلى اللّه مقامه.

(الاساس السابع)

انتفاء العسر في التكليف وبناء الاحكام الشرعية بما يتناسب مع الارادة الانسانية وطموحاتها في الحياة

قال سبحانه و تعالى :

((ما جعل عليكم فى الدّين من حرج)) (الحج / ٧٨).

امتازت الرسالة المحمديّة على الصادع بها آلاف التحيّة و الصلاة عن سابقها بكثير من الخصائص الفريدة و المبادى التكاملية الفذّة و السعة و الشمول و كثير من المثل و القيم كما مرّ بيانه فى كتاب (ديننا) حيث أشبعنا موضوعه بمزيد من التفصيل و التوسّع و الاسهاب الكاشف عن عظمة هذا الدين و رفيع شأنه و تكامله لمسايرة الانسان و الزمان و المكان على اختلافهم و تباعدهم و انه مهما تقدّم العلم و ازدهرت معالم الحضارة الانسانية ازداد غضاضة و طراوة و حيوية .

و الى ذلك يشير الحديث النبوى الشريف : ممّا أعطى اللّه أمّتى و فضّلهم به على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها الاّ نبى وذلك انّ اللّه تبارك و تعالى كان اذا بعث نبيّا قال له : اجتهد فى دينك و لا حرج عليك و ان اللّه تبارك و تعالى أعطى ذلك امّتى حيث يقول : ((و ما جعل عليكم فى الدّين من حرج)) يقول : من ضيق الخبر(١).

ففيه تأكيد على المفارقة الواسعة و الامتياز بالتكريم و التشريف البالغ و المنقطع النظير للانسان فى الاسلام .

---

(١) قرب الاسناد ص ٤١ .

فهو تشريع يدعوك لأن تأخذ نصيبك من الحياة و متعها ولذائذها بالقدر المعتدل اى شريطة أن لا يترتب عليه مفسدة و مضرّة.

((و لا تنس نصيبك من الدّنيا)) (القصص/ ٧٧).

و يأمر بالعبادة أيضا على وجه لا تتعارض فيه مع الحياة والانطلاق فى مجالاتها ينهى عن المغالاة فى الانقطاع و الترهب و التنسك : ((لا رهبانيّة فى الاسلام)) (حديث نبوى شريف).

انه دين يدعوك لأن تكون انسانا توظف غرائزك فى مواضعها و تشبعها بالنحو الصحيح و يسد الفراغ الروحى بما يمثله من مجال رحب فى تكوين الانسان.

و حقيق بنا أخيرا أن نقول انه دين الحياة و السعادة والهناءة.

(الاساس الثامن)

الرأفة واللطف والرحمة والعطف

و يجسده قول الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله فى حديث له : ((بعثت بالشريعة السمحاء)).

بمعنى ان الرسالة المحمدية تطبيق رائع لأسمى صور الإنسانية و دعوة لتجسيد المعانى السامية العظيمة كالرأفة و اللطف و الرحمة و العطف و الاحسان و التفضّل و نحوها فى الحياة لأنه الدين الذى أراده اللّه عز و جل لعباده فى مرحلتهم الأخيرة فى استيطان هذه الدنيا و لهذا امتاز بالتعبير الواقعى عن الحكمة الالهية.

و لأجل التأكيد على ذلك يصرح القرآن بنفسه و يصوّر تكامله وسموّه

المتناهى العظمة بهذه الآيات الكريمة :

((أفغير دين اللّه يبغون)) ؟ (آل عمران / ٨٣)٠

((انّ الدّين عند اللّه الاسلام)) (آل عمران / ١٩)٠

((ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون)) (الروم/ ٣٠)٠

((فأقم وجهك للدّين القيّم من قبل أن يأتى يوم لا مردّ له من اللّه)) (الروم / ٤٣)٠

((هو الّذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون)) (التوبة / ٣٣)٠

و نجد الأحاديث المعصومية هى الأخرى تؤكّد على ذلك المعنى لطبيعة امتدادها التشريعى و اتّصالها بالمنبع النبوى٠

ففى الخصال روى الصدوق بسنده عن موسى بن بكير قال : قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام : الرجل يغمى عليه اليوم و اليومين و الثلاثة و الأربعة و أكثر من ذلك كم يقضى من صلاته؟ فقال : ألا أخبرك بما يجمع لك هذا و أشباهه؟ كلّ ما غلب اللّه عزّ و جل عليه من أمر فاللّه أعذر لعبده٠

و زاد فيه غيره :

انّ أبا عبد اللّه عليه السلام قال : و هذا من الأبواب التى يفتح كلّ باب منها ألف باب ٠

و فى المحاسن روى البرقى عنه عليه السلام أيضا انه قال : ما أمروا (أراد بهم العباد) الا بدون سعتهم و كلّ شىء أمر الناس به فهم يسعون له و كلّ شىء لا يسعون له فموضوع عنهم و لكن الناس لا خير فيهم ، ثم تلا : ((ليس على الضّعفاء و لا على المرضى و لا على الّذين لا

يجدون ما ينفقون حرج)) فوضع عنهم .

((ما على المحسنين من سبيل و اللّه غفور رحيم و لا على الّذين اذا ما أتوك لتحملهم)) قال : فوضع عنهم لأنّهم لا يجدون ما ينفقون ، و قال : ((انّما السّبيل على الّذين يستأذنونك و هم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)) .

و جاء فيه أيضا عنه عليه السلام انّه قال :

الناس مأمورون و منهيّون و من كان له عذر عذره اللّه .

و ان دل ذلك على شيء فانما يدلّ على مبلغ نفوذ الرحمانية في التشريع الاسلامى و كونها من مقوماته و دعاماته الأساسية و الرئيسية .

(الاساس التاسع)

المبالغة في المسامحة و المراعاة

لا تقف سعة رحمانيّة الاسلام الى الحد المتقدّم ، بل تذهب الى أبعد من ذلك ، و هذا ما نستفيده من خلال هذه النصوص :

(الأوّل) ما رواه شيخ الطائفة فى اماليه بسنده عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم انه قال : يوحى اللّه عزّ و جل الى الحفظة الكرام لا تكتبوا على عبدى المؤمن عند ضجره شيئا .

(الثانى) ما رواه التويسركانى فى لئالى الأخبار عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا انه قال : عفى لأمّتى عمّا حدثت به أنفسها ما لم تنطق به و تعمل به ، و ذيله بقوله : لأن حركة اللسان و الجوارح مقدوران الخطرات بأضدادها و مقابلة الشهوات بكراهتها انتهى .

(الثالث) ما رواه ثقة الاسلام الكلينى فى كافيه بسنده عن علىّ بن عطيّة ، عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال : كنت عنده و سأله رجل عن رجل يجىء منه الشىء على حدّ الغضب ، يؤاخذه اللّه به؟ فقال عليه السلام : اللّه أكرم من أن يستغلق عبده (و فى نسخة : أبى الحسن الأول عليه السلام يستقلق عبده) .

قال العلاّمة المجلسى فى توضيحه : قوله من أن يستغلق عبده أى : يكلّفه و يجبره فيما لم يكن له فيه اختيار .

و قوله : و فى نسخة أبى الحسن الأول يستقلق لعلّه كان الحديث فى بعض الأصول مرويّا عن أبى الحسن عليه السلام و فيه كان " يستقلق " بالقاف من القلق بمعنى الانزعاج و الاضطراب ، انتهى .

و على كلّ حال فهذه المعانى المومأ اليها تصوير محبب الى النفوس الكريمة و الأرواح الآبية الكريمة و تعبير عن الدلال و الوداعة التى يكنها الاسلام لمعتنقيه .

فهنيئا لأولئك العقلاء الشرفاء الذين تحسّسوا وجودهم و رعوا مصلحتهم و أنفوا الانحطاط و الذلّ تحت وطأة التيارات الهوجاء و أنسوا الاتّصال بالسماء و اختاروا السلوك اليها عن طريق حملتها المنصوصين و دعاتها الشرعيّين .

(الاساس العاشر)
الحضور الدائم فى الشعور
والاطلاع على الانبعاثات الارادية

قال سبحانه و تعالى :

((من اهتدى فانّما يهتدى لنفسه ، و من ضلّ فانّما يضلّ عليها ، و لا تزر وازرة نزر أخرى ، و ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا)) (الأسراء ، الآية / ١٥) .

مسألة الميول و العواطف مسألة طبيعيّة فى حياة الانسان ، لأنها ظاهره تستمد وجودها من شعوره و احاسيسه التى يحتضنها بين جنبيه .

و الاسلام عند ما يطرح مبادئه يحاول أن يشد الانسان عن طريقها نحو السماء دائما و يفرغه من كل سلطة لا تتّصل بجهتها لأنّها تريد ايجاد حالة السعادة الحقيقيّة الأبديّة من خلال البرامج المسهمة فى تحقيقها و تمثيلها الى ساحة الواقع و لذا فهى تلزم وصايتها و مسؤوليّتها على الدوام و الاستمرار .

و وجود الجهات المنافية للمصلحة الواقعية للانسان و التى ينظر لها الاسلام نظرة مقت و رفض و عداء فى حياة الانسان يعمل على هدم تلك المصلحة و الغائها و الانحراف به عن الصراط المستقيم . و اخراجه عن البرامج التى رسمها الاسلام للوصول الى تلك النهاية المنشودة و الخلود فى نعيم أبدى .

و من الطبيعى ان خروج الانسان عن أىّ دائرة مبرمجة مقننة لابدّ و أن ينتهى به الى غير النهاية المستمدّة من المرحلية و القاعدية المبتناة عليها .

و اذا كان الأمر على ما وصفنا من الحال فكيف لا نعذر الاسلام عند ما يضع عقوبته لمن خرج عن مصلحته التى يهدف لتحقيقها له فى الوقت الذى يؤدى بنفسه الى الهلكة بربط مصيره ببرامج طرحتها الجهات

المخالفة للسماء و التى لا تملك لنفسها الشرعية و لا القدرة على مسايرة المصلحة العامة و ضمان النهاية السعيدة و الحياة المثالية و الاشراف الدقيق و المنظم على المرحلية فى خطوطها المطروحة المزخرفة .

و التوجّه بالخطاب الى الارادة الانسانية أمر لابدّ منه لأنها تحتل مقام التوجيه و العلية فى التصوّرات و التصرّفات و العواطف و الميول صورتان نابعتان منها و تؤثران على توجهات الطموح فى الفرد ، و هذا ما نجده مجسدا من خلال تأييد انسان لمثله فى أمر تصدر لأدائه و تنفيذه .

و لا يخفى ان هذا الفرد المتعاطف معه و الممنوح التأييد لا ينفك من أن يكون فردا صالحا يستمد مبادءه من السماء أو فردا عاصيا يناهض الاتّصال بالسماء و وجود سلطة للبارى تبارك و تعالى عليه و تتضح لنا طبيعة المخالفة بين التعاطف المحمود و التعاطف المذموم من خلال هذا المثال و من الطبيعى ترتب الآثار عليه بالبديهة بقسميه .

و تارة أخرى قد لا يكون ذلك التعاطف مجرّد ميل و تحبّب ، بل قد يصاحبه التأييد العملى و الفعلى .

و لا يركز الاسلام نظرته على الجانب الثانى و هو الجانب العملى ، و انما ينظر الى الأول و يجعله محورا فعليّا للمؤاخذة و المحاسبة وتوجيه اللوم على مخالفة حب الالتزام ببرنامجه التكاملى المضمون ، و لهذا قال : ((انّما الأعمال بالنيّات)) و((لكلّ امرئ ما نوى)) ولو دققنا النظر بعض الشئ لأدركنا حقيقة اطّلاعه على السرّ و تأكيده على حضوره الدائم فى الشعور و ملاحظة الانبعاثات و الدوافع الارادية و مطامحها :

((و ان تجهر بالقول فانّه يعلم السرّ و أخفى)) (طه / ٧) .

((قل أنزله الّذى يعلم السّرّ فى السّماوات و الأرض)) (الفرقان/٦)
((و نحن أقرب اليه من حبل الوريد)) (قّ / ١٦).

(الاساس الحادى عشر)
الامهال لتلافي الزلة والغفلة وعدم الاهمال فى العقوبة والمجازاة

ظاهرة العقاب بعد البيان من الأمور المتسالم عليها لدى كافة القوانين الالزامية الوضعية منها و الالهية على السواء لأن الأساس الذى تبتنى عليه و الذى استدعى الحاجة اليها هو الحيلولة دون تمادى الحريات بنحو الافراط و تفشى الجريمة و شيوع الرذيلة و اضمحلال التشكيل الاجتماعى و كيانه الانسانى بأىّ تصوّر كان.

و يجدر بنا الاشارة الى ملاحظة حَرِيَّة بالالتفات و هى ان القوانين الوضعيّة على الرغم مما هى عليه من الهنات و الارتباك و الخلل لا تتجاوز فى تشريعها الحالات الظاهرية لأفعال الانسان الواقعة تحت دائرة النظارة للجهاز الأمنى التنفيذى للنظام فلا تمتدّ سلطتها الى خلواته و حالات انفراده و هنا تكمن حقيقة القصور و التضعضع فى طبيعة نظامها المنبثقة عنه و الذى يحتم عدم صلوحه لمعالجة النقص النابع من الحاجة الملحة للافتقار الذاتى لمنابع القدرة فى الانسان.

و هذه الظاهرة تعاكس تماما الطرح الاسلامى لقوانينه و الذى أوضحنا لك جانبا منه من خلال ما تقدم و نحن هنا نستعرض لك الهيكل العام لذلك الطرح فى معالمه الرئيسية التى يعتمدها :

(الأول) نفوذ سلطانه الى داخل الانسان و اطلاعة على حيز

الشعور و الخلجات النفسية و الفكرية و مركزية القرار فى العقل و القلب ٠

(الثانى) حضور رقابته الدائم على امتداد الأزمنة و تسجيله لكافة تصرفات الانسان فى السرّ و العلانية لأنه تعبير عن الرقابة الالهية التى لم تخل من مكان أو يعتريها نقصان أو تؤثر فيها طوارق الحدثان وتطاول الزمان و تهيئة سجل الثواب و العقاب ليوم الحساب ٠

(الثالث) تخصيص العقوبة الدنيوية بأساليب تعتمد الجانب الوقائى و الامهالى فيلزم البينة لاقامة الحدود المعبرة عن العقوبة الالهية على ارتكاب الجريمة المحددة من قبل الشارع المقدّس فى أساسها التقنينى و يعنى بها شهادة أربعة رجال أو ثلاثة و امرأتين على ان فلان قد زنى بفلانة أو لاط بفلان و نحو ذلك ، و مع اختلال ذلك القيد بنقص شاهد أو شاهدة يسقط العقاب الدنيوى و يؤجّل الى يوم القيامة ، حيث يجد ذلك العاصى ما عمل حاضرا و يجزى لقاء جرمه بما يقتضيه قانون العقوبة الالهى ٠

و فى خلال تلك المدة التى تعقب ذلك الجرم فى الحياة يعطيه الاسلام متسعا للتوبة و الانابة لدفع العقوبة أو تخفيفها فى العالم الأخروى كحق طبيعى و فرصة توسيعية لكى يعود الى رشده و استقامته عن كامل اختياره و حريّته ٠

و يا ترى ، فأىّ رحمة أعظم من هذه الرحمة و التى تستدعى الاجلال و الاكبار العظيم السماحة و الحنيفية التى يتّصف بها هذا الدين العظيم؟!

و أين تلك البشاعة التى يصورها الفكر الاستعمارى لأذهان الطليعة الشابّة فى عصرنا هذا ، ويدعوهم للاستعاضة

عن القوانين الجنائيّة فى الاسلام بقوانينه السخيفة العشوائيـــــــة الوضعية؟!!

و قد روى التويسركانى فى لئالى الأخبار حديثا عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام يذكر فيه مناقب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم ، نثبته بتمامه هـهنا لمناسبته للمقام ، و ليجد فيه عشّـــاق الايمان ضالّتهم المنشودة و بغيتهم التى طالما انسوا الى سماعهـــا و سعدوا بتلقفها و اطمأنّوا فى قرارة قلوبهم و أعماق أحاسيسهم الى كريم ما هم عليه و عظيم ما متّعوا به .

قال عليه السلام : انه لما اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى مسيرة شهر و عرج به فى ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عـام فى أقلّ من ثلث ليلة حتّى انتهى الى ساق العرش فدنى بالعلم فتدلّى فدلّى له من الجنّة رفرف أخضر و غشى النور بصره فرآى عظمة ربّه عزّ و جل بفؤاده و لم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينهما و بينه أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى فكان فيما أوحى اليه الآية التى فى سورة البقرة قولـه تعالى : ((للّه ما فى السماوات و ما فى الأرض و ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه فيغفر لمن يشاء و يعذّب من يشاء ، و اللّه على كلّ شىء قدير)) و كانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم علـى نبيّنا و آله و عليه السلام الى أن بعث اللّه تبارك اسمه محمّدا و عرضـت على الأمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها ، و قبلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و عرضها على أمّته فقبلوها فلمّا رآى اللّه عزّ و جل منهم القبول علـى أنهم لا يطيقونها فلمّا أن سار الى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمـه فقال : ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربّه)) فأجاب مجيبا عنه و عن امّتـه

فقال : ((و المؤمنون كلّ آمن باللّه و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرّق بين أحد من رسله)) فقال جلّ ذكره لهم الجنّة و المغفرة على أن فعلوا ذلك .

فقال النبى صلى اللّه عليه و آله : أما اذا فعلت ذلك بنا فغفرانك ربّنا و اليك المصير يعنى المرجع فى الآخرة ، قال : فأجابه اللّه عزّ و جل ثناؤه و قد فعلت ذلك بك و بأمتك ، ثم قال عز و جل : أما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها و قد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها و قبلها امّتك فحق علىّ أن أرفعها عن امّتك و قال : ((لا يكلّف اللّه نفسا الاّ وسعها لها ما كسبت ــ من خير ــ وعليها ما اكتسبت ــ من شرّ)) .

فقال النبى صلى اللّه عليه و آله : لما سمع ذلك أما اذا فعلت ذلك بى و بأمّتى فزدنى ، قال : سل ، قال : ((ربّنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)) قال اللّه تعالى : لست أؤاخذ أمّتك بالنسيان أو الخطأ لكرامتك علىّ ، وكانت الأمم السالفة اذا نسوا ما ذكّروا به فتحت عليهم أبواب العذاب ، و قد رفعت ذلك عن امّتك و كانت الأمم السالفة اذا أخطأوا أخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه ، و قد رفعت ذلك عن أمتك لكرامتك علىّ .

فقال النبى صلى اللّه عليه و آله : اللهم اذا أعطيتنى ذلك فزدنى ، فقال اللّه تعالى له : سل ، قال : ((ربّنا و لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الّذين من قبلنا)) يعنى بالاصرار الشديد التى كانت على من كان من قبلنا ، فأجابه اللّه الى ذلك ، فقال تبارك اسمه : قد رفعت عن امّتك الآصار التى كانت على الأمم السالفة كنت لا أقبل صلاتهم الاّ فى بقاع من الأرض معلومة اخترتها لهم وان بعدت ، و قد جعلت الأرض كلّها

لأمّتك مسجدا و طهورا ، فهذه من الآصار التى كانت على الأمم قبلك ، فرفعتها عن أمّتك ، وكانت الأمم السالفة اذا أصابهم ادّ من نجاسة قرضوه من أجسادهم و قد جعلت الماء طهورا لأمّتك فهذه من الآصار التى كانت عليهم فرفعتها عن امّتك ، وكانت الأمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقهم الى بيت المقدس فمن قبلت ذلك منه أرسلت اليه نارا فأكلته فرجع مسرورا ، و من لم أقبل منه ذلك رجع مثبورا ، و قد جعلت قربان أمّتك فى بطون فقرائها و مساكينها ، فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافا مضاعفة ، و من لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا ، و قد رفعت ذلك عن امّتك و هى من الآصار التى كانت على الأمم قبلك .

وكانت الأمم السالفة صلاتها مفروضة عليها فى ظلم الليل وأنصاف النهار و هى من الشدائد التى كانت عليهم فرفعتها عن امّتك ، و فرضت عليهم صلاتهم فى أطراف الليل و النهار فى أوقات نشاطهم .

وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة فى خمسين وقتا و هى من الآصار التى كانت عليهم فرفعتها عن امّتك ، وجعلتها خمسا فى خمسة أوقات ، و هى احدى و خمسون ركعة ، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة .

وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة ، و سيّئتهم بسيّئة ، و هى من الآصار التى كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك ، وجعلت الحسنة بعشرة ، و السيّئة بواحدة .

وكانت الأمم السالفة اذا نوى أحدهم حسنة ثم لم يعملها لم نكتب له و ان عملها كتبت له حسنة ، و انّ امّتك اذا همّ أحدهم بحسنة و لم يعملها كتب له حسنة ، و ان عملها كتبت له عشرا ، و هى من الآصار التى

كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك .

وكانت الأمم السالفة اذا همّ أحدهم بسيّئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه ، وان عملها كتبت عليه سيّئة ، وانّ امّتك اذا همّ أحدهم بسيّئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، وهذه من الآصار التى كانت عليهم ، فرفعت ذلك عن أمّتك .

وكانت الأمم السالفة اذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم وجعلت توبتهم من الذنوب أن حرّمت عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام عليهم ، وقد رفعت ذلك عن أمّتك ، وجعلت ذنوبهم فيما بينى وبينهم ، وجعلت عليهم مستورا كثيفة ، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ، ولا أعاقبهم بأن أحرّم عليهم أحبّ الطعام اليهم .

وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مأة سنة أو ثمانين سنة أو خمسين سنة ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبه فى الدنيا بعقوبة ، وهى من الآصار التى كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك ، وانّ الرجل من أمّتك ليذنب عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو مأة سنة ثم يتوب ويندب طرفة عين ، فاغفر له ذلك كلّه فقال النبى : اللّهمّ اذا أعطيتنى ذلك كلّه فزدنى ، قال : سل ، قال : ((ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به)) قال تبارك اسمه : قد فعلت ذلك بك وبأمّتك ، وقد رفعت عنهم عظيم بلايا الأمم ، وذلك حكمى فى جميع الأمم أن لا أكلّف خلقا فوق طاقتهم ، قال : ((واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا)) قال اللّه عزّ وجل : قد فعلت ذلك بتائبى امّتك ، قال : ((فانصرنا على القوم الكافرين)) قال جلّ اسمه : انّ امّتك فى الأرض كالشامة البيضاء فى الثور الأسود . هم القادرون وهم القاهرون . يَسْتَخْدِمُونَ ولا يُسْتَخْدَمون

لكرامتك علىّ و حقّ علىّ أن أظهر دينك على الأديان حتّى لا يبقى فى شرق الأرض و غربها دين الاّ دينك أو يؤدّون الى أهل دينك الجزية ، الحديث .

و هناك أحاديث أخرى تضفى المزيد من صور التكريم و التشريف لهذه الأمّة المرحومة .

منها : ما رواه داود بن فرقد عن أبى عبد اللّه عليه السلام انّه قال : كان بنو اسرائيل اذا أصاب أحدهم قطرة بول قرضوا لحومهم بالمقاريض و قد وسع اللّه عليكم بأوسع ما بين السماء و الأرض و جعل لكم الماء طهورا فانظروا كيف تكونون .

قال الطبرسى فخر المفسّرين فى المجمع و لعلّ ذلك كما قيل لشدّة نجاسة البول على الدم و كان ذلك من بول يصيب أبدانهم من خارج لأنّ الاستنجاء من البول كان بذلك و الاّ لهلكوا فى مدّة يسيرة من الآصار .

و فى المنهج :كانوا اذا تنجّس ثيابهم لم يجز لهم تطهيرها بالماء بل كان يجب عليهم قطعها .

و منها ما فيه أيضا : ان اللّه أوجب عليهم الزكاة فى ربح المال .

و منها انّهم اذا أذنبوا ظهر علامة فى وجوههم .

و منها انهم اذا لم يجدوا الماء لم يجز لهم التيمّم .

و فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرا ما يقول فى خطبته : يا أيّها الناس دينكم دينكم ، فانّ السيّئة فيه خير من الحسنة فى غيره ، و السيّئة فيه تغفر ، و الحسنة فى غيره لا تقبل .

و فيه بسنده عن الفضيل بن عياض قال : سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الرجل يحسن فى الاسلام أيؤخذ بما عمل فى الجاهليّة ؟ فقال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : من أحسن فى الاسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهليّة و من أساء فى الاسلام أخذ بالأوّل و الآخر.

(الاساس الثانى عشر)

تحرير الانسان من العبوديات الزائفة

((يبدأ الاسلام عمليته فى تحرير الانسانية من المحتوى الداخلى للانسان نفسه لأنه يرى ان منح الانسان الحرية ليس أن يقال له : ((هذا هو الطريق قد أخليناه لك فسر بسلام)) و انّما يصبح الانسان حرّا حقيقة حين يستطيع أن يتحكم فى طريقه و يحتفظ لانسانيّته بالرأى فى تحديد الطريق و رسم معالمه و اتّجاهاته.

و هذا يتوقّف على تحرير الانسان قبل كل شئ من عبودية الشهوات التى تعتلج فى نفسه لتصبح الشهوات أداة تنبيه للانسان الى ما يشتهيه لا قوة دافعة تسخر ارادة الانسان دون أن يملك بأزائها حولا أو طولا لأنها اذا أصبحت كذلك خسر الانسان حريته منذ بداية الطريق و لا يغير من الواقع شيئا أن تكون يداه طليقتين ما دام عقله و كل

معانيه الانسانية التى تميزه عن مملكة الحيوان معتقلة و مجمدة عن العمل و نحن نعلم ان الشىء الأساسى الذى يميز حرية الانسان عن حرية الحيوان بشكل عام انهما و ان كانا يتصرّفان بارادتهما غير انّ ارادة الحيوان مسخرة دائما لشهواته و ايحاءاتها الغريزية و أما الانسان فقد زوّد بالقدرة التى تمكنه من السيطرة على شهواته و تحكيم منطقه العقلى فيها فسر حريته ـ بوصفه انسانا اذن ـ يكمن فى هذه القدرة فنحن اذا جمدناها فيه و اكتفينا بمنحه الحرية الظاهرية فى سلوكه العلمى و وفرنا له بذلك كل امكانات و مغريات الاستجابة لشهواته كما صنعت الحضارات الغربية الحديثة فقد قضينا بالتدريج على حريته الانسانية فى مقابل شهوات الحيوان الكامنة فى أعماقه و جعلنا منه أداة تنفيذ لتلك الشهوات حتى اذا التفت الى نفسه فى أثناء الطريق وجد نفسه محكوما لا حاكما و مغلوبا على أمره و ارادته .

وعلى العكس من ذلك اذا بدأنا بتلك القدرة التى يكمن فيها سرّ الحرية الانسانية فأنميناها وغذيناها و أنشأنا الانسان انشاء انسانيا لا حيوانيا و جعلناه يعى ان رسالته فى الحياة أرفع من هذا المصير الحيوانى المبتذل الذى تسوقه اليه تلك الشهوات و ان مثله الأعلى الذى خلق للسعى فى سبيله أسمى من هذه الغايات التافهة و المكاسب الرخيصة التى يحصل عليها فى لذائذه المادية .

أقول : اذا صنعنا ذلك كلّه حتّى جعلنا الانسان يتحرّر من عبوديّة شهواته و ينعتق من سلطانها الآسر و يمتلك ارادته فسوف يخلق الانسان الحر القادر على أن يقول لا أو نعم دون أن تكمم فاه أو تغل يديه هذه الشهوة الموقوتة أو تلك اللذّة المبتذلة .

و هذا ما صنعه القرآن حين وضع للفرد المسلم طابعه الروحي الخاص و طور من مقاييسه و مثله و انتزعه من الأرض و أهدافها المحدودة الى آفاق أرحب و أهداف أسمى .

((زيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذّهب و الفضّة و الخيل المسوّمة و الأنعام و الحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا و اللّه عنده حسن المآب ـ قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم للّذين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و أزواج مطهّرة و رضوان من اللّه و اللّه بصير بالعباد)) (آل عمران/١٤ ، ١٥) .

هذه هى معركة التحرير فى المحتوى الداخلى للانسان ، و هى فى نفس الوقت الأساس الأوّل و الرئيس لتحرير الانسانية فى نظر الاسلام و بدونها تصبح كل حرية زيفا و خداعا و بالتالى أسرا و قيدا .

و نحن نجد فى هذا الضوء القرآنى ان الطريقة التى استعان بها القرآن على انتشال الانسانية من ربقة الشهوات و عبوديات اللذّة هى الطريقة العامة التى يستعملها الاسلام دائما فى تربية الانسانيّة فى كل المجالات طريقة التوحيد فالاسلام حين يحرّر الانسان من عبوديّة الأرض و لذائذها الخاطفة يربطه بالسماء و جنانها و مثلها و رضوان من اللّه لأن التوحيد عند الاسلام هو سند الانسانية فى تحررها الداخلى من كل العبوديّات كما انه سند التحرّر الانسانى فى كل المجالات .

و يكفينا مثل واحد لنعرف النتائج الباهرة التى تمخض عنها هذا التحرير و مدى الفرق بين حرية الانسان القرآنى الحقيقية و تلك الحريّات المصطنعة التى تزعمها شعوب الحضارات الغربية الحديثة فقد

استطاعت الأمّة التى حرّرها القرآن حين دعاها فى كلمة واحدة الى اجتناب الخمر أن تقول لا و تمحو الخمر من قاموس حياتها بعد أن كان جزءا من كيانها و ضرورة من ضروراتها لأنها كانت مالكة لارادتها حرّة فى مقابل شهواتها و دوافعها الحيوانية و بكلمة مختصرة كانت تتمتّع بحرية حقيقية تسمح لها بالتحكم فى سلوكها .

و أما تلك الأمة التى أنشأتها الحضارة الحديثة و منحتها الحرية الشخصية بطريقتها الخاصة فهى بالرغم من هذا القناع الظاهرى للحرية لا تملك شيئا من ارادتها و لا تستطيع أن تتحكم فى وجودها لأنها لم تحرر المحتوى الداخلى لها و انما استسلمت الى شهواتها و لذّاتها تحت ستار من الحرية الشخصية حتى فقدت حريتها ازاء تلك الشهوات و اللذات فلم تستطع أكبر حملة للدعاية ضد الخمر جندتها حكومة الولايات المتحدة الامريكية أن تحرّر الأمة الامريكية من الخمر بالرغم من الطاقات المادية و المعنوية الهائلة التى جندتها السلطة الحاكمة و مختلف المؤسسات الاجتماعية فى هذا السبيل و ليس هذا الفشل المريع الا نتيجة فقدان الانسان الغربى للحرية الحقيقية فهو لا يستطيع أن يقول : لا كلما اقتنع عقليا بذلك كالانسان القرآنى و انما يقول الكلمة حين تفرض عليه شهوته أن يقولها و لهذا لم يستطع أن يعتق نفسه من اسم الخمر لأنه لم يكن قد ظفر فى ظل الحضارة الغربية بتحرير حقيقى فى محتواه الروحى و الفكرى .

و هذا التحرير الداخلى أو البناء الداخلى لكيان الانسان هو فى رأى الاسلام حجر الزاوية فى عملية اقامة المجتمع الحرّ السعيد

فما لم يملك الانسان ارادته و يسيطر على موقفه الداخلى و يحتفظ

لانسانيته المهذبة بالكلمة العليا فى تقرير سلوكه لا يستطيع أن يحـــرّر نفسه فى المجال الاجتماعى تحريرا حقيقيا يصمد فى وجه الاغراء ولا أن يخوض معركة التحرير الخارجى بجدارة و يسالة((انّ اللّه لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم)) (الرعد / ١١)٠

((و اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحـــقّ القول فدمّرناها تدميرا)) (الأسراء / ١٦) (١)٠

و بعد هذا الشطر المستوفى من الكلام عن الحرية الشخصية فـى الاسلام نسترعى الانتباه الى ظاهرة الاستغراب التى تستحوذ على كثيـر من المثقّفين المسلمين عند سماعهم لحديث عن الشخصية الاسلاميـــة و يتساءلون بدهشة يلوح منها الاستغراب وعلامات الذهول عما اذا كانت هناك ثمة شخصية للمسلم تنبع من الاسلام وحده شخصية مستقلة بمبادئها فريدة بأطروحاتها تستحق أن تكون موضوعا للبحث و التحليل٠

نعم انه ينتابهم ذلك و يستولى على مشاعرهم و احساسهم العميق فى قرارة أنفسهم و لا يسترعيهم الحديث عن الشخصية الرأسماليـــة أو الشيوعية أو الماركسية و نحوها و كأنّ الاسلام مجرّد اسم و دينه الـــذى يدينون به مجرّد رسم٠

و ان دلّ ذلك على شئ فانما يدل على الوباء المزمن الـــذى استشرى فى عقول شباب جيلنا المعاصر بسبب الفجوة التى خلقهـــا الاستعمار الحديث و انقطاع الصلة بيـن أولئك و بين منابع الفكر الدينى و مصادره التشريعية و أصوله القويمة و مبادئه السامية و اطروحاتـــه العالمية٠

---

(١) المدرسة الاسلامية للشهيد الصدر (ره) ص ١١٤ ــ ص ١١٨

لقد نسوا أو تناسوا بالأحرى ان عقيدتهم التى آمنوا بها عقيدة شاملة كاملة كما أثبتنا ذلك من خلال ما ذكرناه فى الفصول المتقدّمة من كتاب ديننا ولو شئنا اثبات ذلك بالمزيد من الأدلّة و البراهين و النصوص لما أسعفنا مجلد أو مجلدان بل و لا عشرة أو عشرون ، و خير شاهد على ذلك نظرة خاطفة سريعة لأحد مصادرنا التشريعية من أمثال بحار المجلسى و مستدركاته و عوالم العلوم للبحرانى و الوسائل و مستدركه و الوافى للفيض و سائر كتب الحديث المعتبرة لدى الشيعة الامامية ·

و المتمعن فيها يدرك بجلاء لا تشوبه شائبة حقيقة تلك الدعوى و رسوخها و اصالتها و امتدادها من الواقع و أحقيقه الشريعة الخاتمة ·

انّ الاسلام المجسّد فى مذهب أهل البيت عليهم أفضل الصلاة و السلام عقيدة شاملة كاملة تمثل جوهر حياة الانسان حيث تقدم الاطروحة النهائية الغير قابلة للانسلاخ و النسخ لتنظيم شؤونه و احتياجاته وفق مقتضيات المصلحة و النفع الأكمل فتنقل الانسان روحيا و نفسيا و جسديا و باطنيا و ظاهريا نقلة يشهد معها بالحالة الفريدة و الرائعة فى التناسق البديع بينه و بين الوجود ·

و لابدّ لهذا الاحساس أن يستشرى فى نفوس شبابنا و براعمنا على السواء و ينطبع فى مرآة عقولهم و أفهامهم ليعطى الضوء الأخضر للاسلام لكى يصوغ حياتهم و انطلاقتهم فى المسيرة التاريخية وفق الأسلوب الأمثل الحكيم الذى خططت رسالة ربّ العالمين و هدفت الى انبثاقه و تقريره من أجل أن تنعم الانسانية فى ظلّه وسط النظام المتكامل فى الوجود ·

فالانسان المسلم من خلال هذه الانطلاقة الخيرة يعبر عن وجوده

الخاص بالتعامل مع اللّه جلّ جلاله بما يملك من قدرة روحية و بالتفاعل مع الكون بما يملك من قدرة عقلية و فكرية و بالتفاعل مع المجتمع بما يملك من أخلاق و هذه العناصر الثلاثة الروح و العقل و الخلق عناصر أساسية فى الشخصية الاسلامية و لا يمكن أن توجد شخصية اسلامية تنفك عنها بحال من الأحوال فلابدّ من عقل حى متفتح و لابدّ من خلق و سلوك عال نموذجى و لابدّ من روح شفافة نظيفة طاهرة لأجل أن تتحقّق الشخصية الانسانية المنموذجية و هذا هو ما سعى اليه الاسلام وعنى به و جعله نصب عينيه عند ما وضع خطوطه العريضة لأجل الوصول لهذه الغاية من خلال هذه النقاط ٠

صياغة نموذج للانسان يتمتع بهذه القوى عقل يتفاعل به مع الكون المحيط به ٠

و خلق يتفاعل به مع المجتمع و روح تصله باللّه الخالق البارى المصوّر ٠

و من الواضح انّ هذه القوى الثلاث فى شخصية الانسان المسلم يكمل كل واحد منها الآخر و يعضده و يتفاعل معه ٠

و الانسان الذى استقرّ وجوده الخاص على هذه الأسس الثلاثة المتقدّمة انسان يعبربسلوكه فى الحياة اليومية و تعامله مع الآخرين عن مبادئه الأخلاقية فليس فى وجود هذا الانسان ثمة انفصال بين السلوك الواقعى و بين المبادئ كما هو المشاهد فى الانسان غير المتكامل و المتفاعل ٠

فانّ الشخصية النابعة من اعتناق عقيدة تحدّد الطريق و تضع الحلول و تدفع الى العمل تجعل لكل شخص انسانى وجودا فريدا

متميّزا يلوح منه افق الشخصية التى تجسد أبعاد التفاعل الشرعى و الحقيقى بين خلايا المجتمع و مسؤولياته و وظائفه و تكون حينئذ الشخصية اللااسلامية بادية التهافت فى قبالها تجسد العصيان والغربة و اللاشرعية و اللامسئولية ·

و لا يخفى ان عاقبة انحلال الشخصية و انعدام مقوماتها لدى الانسان الفرد هى عدم قدرته على صنع مصيره و عجزه عن المساهمة فى صنع مصير الآخرين فان الانسان الفاقد للشخصيّة النموذجية المتكاملة المتجانسة مستغرق فى العالم حوله مستعبد له مملوك للواقع المادى و البشرى الذى يحيط به ·

انه انسان مأسور بالتيار المتضعضع المتهاوى الجاهل بأصول المفاهيم المتصلة فى ذاتيّاتها بالكون و الحياة و الانسان المستخلف انه يشكل عالة على قوى زائفة غريبة عن صميم طبيعته و مسيس حاجة مطالب فطرته ·

(الاساس الثالث عشر)
تعين ورجحان امتثال أمر الخالق على امر المخلوق

بحسب الاعتبارات الوضعية المترتبة على خالقية اللّه عز و جل للانسان المخلوق يتعيّن رجوعه اليه بالبداهة و انقياده له على الأقل لأداء واجب شكره لما أنعم عليه من كمال الهيكل و جميل الخلقة و عظيم النعم الظاهرة و الخفيّة و تظافر الآلاء و بديع الاعداد و الصنع لأجهزته و أعضائه ·

و رد الجميل و الشكر على الاحسان و عرفان الجميل و الثناء على المحسن من الشيم الانسانية الطبيعية التى لا يختلف فيها اثنان من البشر، و وجود ظواهر هذه المعانى من الأمور المألوفة بين الناس بنحو لا ينكرها الاّ من خرج عن الانسانيّة و دان بشريعة الغاب و ألغى وجوده الطبيعى و انحرف عن وجدانه و احساسه الفطرى.

و لا يخفى ان ارتباط الانسان باللّه عز و جل لم ينتهى عند اكتمال خلقه له بل افتقاره اليه يتأكد كلما مرّ به الزمن و مضت عليه الأيّام فادارة أجهزة التنفّس و الغذاء و الدم و البول و الاحساس و البصر و السمع و الشم و الذوق بنحو يحفظ لها توازنها و أداء وظائفها المخصّصة لها و كذلك القدرة و القوّة الممكنة من التفكير و الاشراف على مراحل النمو و تجديد خلايا الجسم و تعويض التألف منها و بناء الأنسجة و تكوين الأجنّة و ايداعها الصفات الوراثية و خلق الجنين فى رحم المرأة و تكوينه و غيرها من الأمور الّتى يعجز الانسان عن احصائها و حصرها كلها أمور لا دخل للانسان فيها بأدنى سلطة بل حتى الحصانة التى يتمتّع بها الجسم من الأمراض لا شأن للانسان فيها و ان تمكّن أخيرا من أن يتوصل الى توفير بعض أسبابها البسيطة فى الوقت الذى أذعن عن عجزه لكثير منها كالأمراض السرطانية و نحوها و كذلك دفع البلايا والموت و عذابه و ما يجرى عليه بعده فهى أمور لا قدرة للانسان مهما أوتى من قوّة و جبروت و سلطان على دفعها و لهذا لم ينج رؤساء حكومات الدول الكبرى مما قدر و حتم و قضى عليهم فشأنهم فى ذلك شأن سائر أفراد رعيتهم.

فمن غير المعقول بعد ذلك كلّه اذا كان للانسان عقل أن يكابر

أمر ربّه و يجاهر بمعصيته على الرغم من تنعمه فى خيراته و بركاته و منّه وكرمه و قبض عطاياه و منحه :

((و اذا مسّ الانسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا الى ضرّ مسّه)) (يونس / ٢٢)٠

((و اللّه أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السّمع و الأبصار و الأفئدة لعلّكم تشكرون)) (النحل / ٧٨)٠

((اللّه الّذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثمّ يحييكم)) (الروم/ ٤٠)٠

وحينئذ فمن الطبيعى أن يدعو الى تثبيت و ترسيخ حقيقة العبودية و الالتفات الى الافتقار الذاتى و الاذعان بذلك :

((قل لا أملك لنفسى نفعا و لا ضرّا الاّ ماشاء اللّه)) (الأعراف ١٨٨)٠

((قل فمن يملك لكم من اللّه شيئا ان أراد بكم ضرّا أو أراد بكم نفعا)) (الفتح / ١١)٠

و ينبّه على ان المصلحة الحقيقية للانسان لا يمكن أن تتوفّر لدى غيره تبارك و تعالى فكل ما عداه ضلال و باطل و ضرر و خسران مبين :

((يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه)) (الحج / ١٣)٠

((أن لا تعبدوا الشيطان انّه لكم عدوّ مبين و أنى اعبدونى)) (يس / ٦١)٠

و ينتهى الى هذه النتيجة الحتميّة التى هى من الأمور القهريّة فى الواقع كالبصر بالنسبة للعين و السمع للأذن و الشم للأنف و نحو ذلك و الدعوة الى التوجّه و الاذعان بذلك و ان كانت بحسب الفطرة بديهية فطرية الاّ ان اللّه عز و جل أراد اكمال حجّته و مخاطبة الانسان من باب

انّه حرّ فى الادراك و التصوّر و الشعور و انكشاف الواقع له بعد تكثر الأدلة و البيّنات و الشواهد القاضية بأمره و الانقطاع اليه، و لذا وجه اليه خطاباته بهذا النحو ليتعرف على طاعته و انقياده له وجميله عليه:

((و اعبدوا اللّه و لا تشركوا به شيئا)) (النساء / ٣٦).

((و اليه يرجع الأمر كلّه فاعبده و توكّل عليه)) (هود / ١٢٣).

((انّ أرضى واسعة فايّاى فاعبدون)) (العنكبوت / ٥٦).

((و ما أرسلنا من قبلك رسولا الاّ نوحى اليه انّه لا اله الاّ أنا فاعبدون)) (الأنبياء / ٩٢).

و نستفيد من ذلك ان الاسلام يدعوك للاعتقاد بوحدة مصدر التشريع و اختصاصها باللّه الواحد الأحد الفرد الصمد، كما يدعوك للاذعان بضرورة الاتّصال الدائم به و لزوم شكره عن طريق أداء فرضه ونفله و طاعته و توحيده فى القصد و الاخلاص له.

((و لا تشرك بعبادة ربّك أحدا)).

و قد روى ثقة الاسلام الكلينى فى الكافى أربع روايات عن النبى صلى اللّه عليه و آله تزيد المسألة وضوحا و بيانا.

(الأولى) قال فيها صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

((من طلب رضا الناس بسخط اللّه تعالى، جعل اللّه حامده من النّاس ذامّا)).

(الثانية): قال فيها صلى اللّه عليه و آله و سلم:

((من طلب مرضاة الناس بما يسخط اللّه تعالى كان حامده من الناس ذامّا، و من أثر طاعة اللّه تعالى بما يغضب الناس كفاه اللّه تعالى عداوة كل عدوّ و حسد كل حاسد و بغى كل باغ و كان اللّه

تعالى له ناصرا و ظهيرا)) .

(الثالثة) و قال فيها صلى الله عليه و آله و سلّم :

((من أرضى سلطانا بسخط الله تعالى خرج من دين الله تعالى)) .

(الرابعة) و قال فيها صلى الله عليه و آله و سلّم :

((من أرضى سلطانا بسخط الله خرج من دين الاسلام)) .

وزاد فيه عن الباقر عليه السلام انّه قال : لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله تعالى و لا دين لمن دان بفرية باطل على الله ، و لا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله تعالى .

و جاء أيضا عن الصادق عليه السلام انه قال : كتب رجل الى الحسين عليه السلام عظنى بحرفين ، فكتب اليه من حاول أمرا بمعصية الله تعالى كان أفوت لما يرجو و أسرع لمجيء ما يحذر .

(الاساس الرابع عشر)

اليقين والتوكل والاحتساب

قال الله تبارك و تعالى : ((أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون)) (العنكبوت / ٢) .

يخضع نظام الحياة و مظاهر الحريات فيها بحسب النظرة الاسلامية الى قانون الاختبار و التمحيص كأمر طبيعى و اعتيادى فى هذه الدنيا التى تعد مزرعة للآخرة و دار امتحان و ابتلاء للكشف عن مقدار ايمان الفرد و ارتباطه بربّه فى الشدائد ليعطى من النعيم فى الآخرة

بقدر صبره و احتماله و لا يعدّ ذلك تدخلا سافر فى وجه سعادة المرء بقدر ما يهدف الى اعلاء شأنه و مقامه و درجته فى الحياة السرمدية الآبدية ، و هذا ما تصوره هذه النصوص الشريفة :

ففى الكافى روى الثقة الكلينى بسنده عن الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم انه قال : ان عظيم البلاء يكافى به عظيم الجزاء ، فاذا أحبّ اللّه عبدا ابتلاه بعظيم البلاء ، فمن رضى فله عند اللّه الرضا ، و من سخط البلاء فله السخط .

و عن الصادق عليه السلام قال : انّ عظيم الأجر لمع عظيم البلاء ، و ما أحبّ اللّه قوما الاّ ابتلاهم .

و قال : ان للّه عبادا فى الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة الى الأرض الاّ صرفها عنهم الى غيرهم ، و لا ينزل بليّة الاّ صرفها اليهم .

و عن الباقر عليه السلام قال : انّ اللّه اذا أحبّ عبدا غثّه بالبلاء غثّا (١) و ثجّه بالبلاء ثجّا (٢) فاذا دعاه قال لبيك عبدى لئن عجلت لك ما سألت انى على ذلك لقادر و لئن ادّخرت لك فما ادّخرت لك خير لك .

و عن النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم انه قال يوما لأصحابه : ملعون كل مال لا يزكّى ملعون كل جسد لا يزكى ، ولو فى كل أربعين يوما مرّة ، فقيل : يا رسول اللّه أمّا زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد؟ فقال لهم : ان تصاب بآفة قال : فتغيّرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، فلمّا رآهم قد تغيرت ألوانهم قال لهم : هل تدرون ما عنيت بقولى؟ قالوا :

---

(١) الغث : الغمس .

(٢) الثج : الصب .

لا يا رسول اللّه ، قال : بلى الرجل يخدش الخدشة و ينكب النكبة و يعثر العثرة و يمرض المرضة و يشاك الشوكة و ما أشبه هذا حتى ذكرفى حديثه اختلاج العين .

و فى الواقع انّ هذه الأمور تعد أجراس انذار و تحذير و تذكير تطبع فى النفس المؤمنة أثرها البالغ على السلوك و العقيدة فتساهم فى تحرزه عن ارتكاب المعاصى و اقتراف الذنوب و توحى له بخوار قوته عن دفع تلك الأعراض الدنيوية الطارئة على الرغم من كافة ما يمتلكه من أسباب الدفع و المقاومة كالمال و البنين و نحو ذلك ، فكيف به اذا شخص فردا وحيدا قد خلف الدنيا و ما فيها وراء ظهره و بقيت له تبعاته يحتطيها على ظهره لا يملك دفع ضرّ و جلب نفع .

و لذلك يهيب الاسلام بالمرء بأن يتسلّح بسلاح اليقين و ثبات العقيدة و رحابة الصدر و سعة النفس و يطلب منه مواجهة المصائب اذا حلّت بطيب نفس و نظرة ايجابية لا يفلّها هول وقعها و شدّة أثارها .

و هذا ما نلاحظه من خلال عرض هذه النصوص :

قال الصادق عليه السلام كما فى كتاب الكافى : ليس شىء الاّ و له حد ، فقال أبو بصير : جعلت فداك فما حدّ التوكّل؟ قال عليه السلام : اليقين ، فقال أبو بصير : فما حدّ اليقين؟ قال : الاتخاف مع اللّه شيئا .

و قال :

من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يرضى الناس بسخط اللّه ، و لا يلومهم على ما لم يؤته اللّه(١) فانّ الرزق لا يسوقه حرص حريص و لا يرده

(١) قال الفيض الكاشانى فى الوافى بعد نقل الخبر المزبور مانصّه لعلّ المراد بقوله و لا يلومهم الخ أن لا يشكوهم على ترك صلتهم ايّاه

كراهيّة كاره ، ولو ان أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت ، ثم قال :

ان اللّه بعدله و قسطه جعل الروح و الراحة فى اليقين ، و الرضا و جعل الهمّ و الحزن فى الشكّ و السخط .

و قال : انّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند اللّه من العمل الكثير على غير يقين .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال على منبر الكوفة :

لا يجد أحد طعم الايمان حتّى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطأه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

و قال لسعيد بن قيس : انه ليس من عبد الاّ و له من اللّه تعالى حافظا و واقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع فى بئر ، فاذا نزل القضاء خليّا بينه و بين كل شئ .

بالمال و نحوه فانّ ذلك شئ لم يقدر اللّه له و لم يرزقه ايّاه ، و من كان من أهل اليقين عرف ان ذلك كذلك فلا يلوم أحدا بذلك ، و عرف ان ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه و مما أوجبته حكمة اللّه تعالى فى أمره و يحتمل أن يكون المراد أن لا يلومهم على ما لم يؤته اللّه ايّاهم ، فانّ اللّه خلق كل أحد على ما هو عليه و كلّ ميسر لما خلق له و هكذا كقوله عليه السلام : لو علم الناس كيف خلق اللّه هذا الخلق لم يلم أحد أحدا ، انتهى كلامه طاب ثراه .

(الاساس الخامس عشر)

اصالة الاباحة و الحليه والطهارة

من أجل أن ينعم الانسان بارادته و يلتذّ باستنفاذ طاقاته و آثار بواعثه و خلجاته النفسية و يحكّم سلطته فى مجالات الحياة المختلفة على كافة الأصعدة و الميادين أتاح له الاسلام الفرصة الذهبية و المجال الواسع الرحب و فتح أمامه الأبواب الفسيحة على مصراعيها ليحظى بأكبر قدر من النعم المتظافرة المتظاهرة التى خلقها اللّه عز و جل خصيصا له و يسعد بقرارة البال و اطمئنان الحال و كذا الأمر بالنسبة الى الجانب الغريزى المودع فى ذاته و كيانه ، و لكى لا يتهمنا من غرته زبارج الحياة الغربية و مفاتنها بعدم الدليل على ما قلناه نسرد ههنا آيات الذكر الحكيم و نعقبها بجملة من الأحاديث المروية عن أهل العصمة عليهم أفضل الصلاة و السلام ليعيد مراجعة حساباته و أفكاره التى لم يستقها من منابعها الأصيلة و مناهلها الرويّة .

قال سبحانه و تعالى :

((يسئلونك ماذا أحلّ لهم)) (المائدة / ٤) .

((اليوم أحلّت لكم الطّيبات)) (المائدة / ٥) .

((قل من حرّم زينة اللّه الّتى أخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق)) (الأعراف / ٣٢) .

((هو الّذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا)) (البقرة / ٢٩) .

((أحلّت لكم بهيمة الأنعام)) (المائدة / ١) .

((يا أيّها النّاس كلوا ممّا فى الأرض حلالا طيّبا)) (البقرة / ١٦٨)

((و كلوا ممّا رزقكم اللّه حلالا طيّبا)) (المائدة / ٨٨) .

((أحلّ لكم صيد البحر و طعامه متاعا لكم و للسّيّارة))(المائدة/٩٦)

((فانكحوا ما طاب لكم من النّساء مثنى و ثلاث و رباع))(النساء/٣)

((أحلّ لكم ليلة الصّيام الرّفث الى نسائكم)) (البقرة / ١٨٧) .

((و قد فصّل لكم ما حرّم عليكم الاّ ما اضطررتم اليه)) (الأنعام/ ١١٩)

و رويت عن الامام الصادق عليه أفضل الصلاة و السلام روايات متعدّدة تعتبر عماد قاعدة أصالة البراءة و الاباحة .

قال عليه السلام : كل شىء مطلق حتّى يرد فيه نهى .

و قال : الأشياء مطلقة ما لم يرد عليك أمر و نهى و كلّ شىء يكون فيه حلال و حرام فهو لك حلال أبدا ما لم تعرف الحرام منه فتدعه .

و قال : كلّ شىء مطلق حتّى يرد فيه نصّ .

و قال : ما حجب اللّه علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

و قال : كلّ شىء لك حلال حتّى يجيئك شاهد ان أنّ فيه ميتة .

و ممّا يثير الانتباه و يسترعى التوجّه و الالتفات جهل كثير من معتنقى الاسلام بسماحة عقيدتهم فهم ما بين مدّ و جزر فى فهم مبادئه و قلّ من يوفق لادراك جهات التوازن المؤمأ اليها فيها و التمييز بين الحقائق الهادفة لتكامل النفس و رقيها .

و من المظاهر السيّئة التى أودت بكثير من شبابنا الى التعلّق و التشبّث بأذيال الحضارة الغربية الزهد المفرط و المغلوط لبعض الملتزمين بالآداب الدينية و اساءة تطبيق مفاهيم الورع و التقوى ونحوهما مما يخاله البعض مطلوبا عند النظر فى أحاديثها و نصوصها الواردة على

الرغم من ان هناك نصوص أخرى تؤكّد على سماحة الاسلام فى هـــذه النواحى السلوكية و تطمح فى خلق صياغة مثالية رائعة تهدف الى ايجاد أكبر قدر من السهولة و السماحة و فرص السعادة .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

انّ اللّه جميل يحبّ الجمال ، و يحبّ أن يرى أثر نعمه على عبده .

و قال الامام الصادق عليه السلام :

اذا أنعم اللّه على العبد بنعمة من نعمه فظهرت عليه سمى حبيب اللّه محدثا بنعمة اللّه ، فاذا أنعم اللّه على عبد بنعمة فلم تظهر عليه سمّى بغيض اللّه مكذّبا بنعمة اللّه .

و قال الرضا عليه السلام :

ما أعجب الى الناس من يأكل الجشب و يلبس الخشن و يتخشّع . فقال : أما علمت انّ يوسف عليه السلام نبىّ ابن نبى كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب و يجلس فى مجالس آل فرعون يحكم فلم يحتج الناس الى لباسه و انما احتاجوا الى قسطه و انما يحتاج من الامام الى أن اذا قال صدق و اذا وعد أنجز ، و اذا حكم عدل ، انّ اللّه تعالى لم يحرم طعاما و لا شرابا من حلال ، و انّما حرّم الحرام قلّ أو كثير ، و قد قال اللّه : ((قل من حرّم زينة اللّه الّتى أخرج لعباده و الطّيبات من الرّزق)) (١) .

و فى احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد ، حين لبس العباء و ترك الملاء و شكى أخوه الربيع بن زياد الى أمير المؤمنين عليه السلام انه قد غمّ أهله ، و أحزن ولده بذلك ، فقال عليه السلام :

---

(١) جامع المعارف و الأحكام ، للسيّد عبد اللّه شبّر ج ١ ص ٢٨١ .

علىّ بعاصم بن زيد ، فجىء به ، فلمّا رآه عبس فى وجهه فقال له : أما استحييت من أهلك؟! أما رحمت ولدك ؟! أترى اللّه أحلّ لك الطيّبات و هو يكره أخذك منها ، أنت أهون على اللّه من ذلك ،أو ليس يقول : ((و الأرض وضعها للأنام* فيها فاكهة و النخل ذات الأكمام)) ؟ أو ليس يقول : ((مرج البحرين يلتقيان* بينهما برزخ لا يبغيان)) ؟ الى قوله : ((يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان)) ؟ فيا للّه لا بتذال نعم اللّه بالفعال أحبّ اليه من ابتذالها بالمقال ، و قد قال سبحانه : ((و أمّا بنعمة ربّك فحدّث)) .

فقال عاصم : يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت فى مطعمك على الجشوبة ، و فى ملبسك على الخشونة؟ فقال : ويحك ، انّ اللّه فرض على أئمّة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كى لا يتبيغ بالفقير فقره ، فألقى عاصم العباء و لبس الملاءة (١) .

و مرّ سفيان الثورى فى المسجد الحرام فرأى أبا عبد اللّه عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان ، فقال : و اللّه لآتينّه و أوبّخنّه ، فدنى منه فقال : يابن رسول اللّه و اللّه ما لبس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مثل هذا اللباس ، و لا علىّ عليه السلام ، و لا أحد من آبائك ! فقال عليه السلام :

كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى زمان قتر مقتر ، و كان يأخذ لقتره و اقتاره ، و انّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها فأحقّ أهلها لها أبرارها ، ثم تلا : ((قل من حرّم زينة اللّه الّتى أخرج ــ الآية)) فنحن أحقّ من أخذها منها ما أعطاه اللّه غيرانى يا ثورى ما ترى علىّ من ثوب انما

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٢ .

لبسته للناس ثم اجتذب يد سفيان فجرّها ثم دفع الثوب الأعلى و أخرج ثوبا تحت ذلك على جلده غليظ فقال : هذا لبسته لنفسى و ما رأيته للناس ثم جذب ثوبا على سفيان أعلاه غليظ خشن و داخل ذلك ثوب ليّن فقال : لبست هذا الأعلى للناس ، و لبست هذا لنفسك تسرّها (١) .

و قيل للصادق عليه السلام : يكون للمؤمن عشرة أقمصة؟ قال : نعم ، قيل : عشرون؟ قال : نعم ، قيل : ثلاثون؟ قال : نعم ، قال : ليس هذا من السرف ، و انما السرف أن تجعل ثوب صونك ثوب بذلتك (٢) .

و سئل عليه السلام عن الرجل المؤسر يتّخذ الثياب الكثيرة الجياد و الطيالسة و القمص الكثيرة يصون بعضها بعضا يتجمّل بها يكون مسرفا؟ قال : لا ، لأنّ اللّه يقول : ((لينفق ذو سعة من سعته)) (٣) .

و عنه عليه السلام قال : ثلاثة لا يحاسب عليهنّ المؤمن ، طعام يأكله و ثوب يلبسه و زوجة صالحة تعاونه و يحصن بها فرجه (٤) .

و قال الصادق عليه السلام : ان جماعة من الصحابة كانوا حرّموا على أنفسهم النساء و الافطار بالنهار و النوم بالليل ، فأخبرت أمّ سلمة رسول اللّه فخرج الى أصحابه فقال : أترغبون عن النساء ! انّى آتى النساء ، و آكل بالنهار ، و أنام بالليل ، فمن رغب عن سنّتى فليس منّى ، و أنزل اللّه : ((لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّه لكم ، و لا تعتدوا انّ اللّه لا يحبّ المعتدين ، و كلوا ممّا رزقكم اللّه حلالا طيّبا ، و اتّقوا اللّه الّذى أنتم به مؤمنون)) .

فقالوا : يا رسول اللّه انّا قد حلفنا على ذلك ، فأنزل اللّه : ((لا يؤاخذكم اللّه باللّغو فى أيمانكم)) الى قوله : ((ذلك كفّارة أيمانكم اذا

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٣ .

حلفتم و اخفظوا ايمانكم)).

و فى رواية أخرى عنه عليه السلام قال :

انّ ثلاث نسوة أتين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم :

فقالت احداهنّ انّ زوجى لا يأكل اللحم ، و قالت الأخرى : انّ زوجى لا يشمّ الطيب ، و قالت الأخرى : انّ زوجى لا يقرب النساء ، فخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يجرّ رداءه حتّى صعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ، ثم قال : ما بال أقوام من أصحابى لا يأكلون اللحم و لا يشمّون الطيب ، و لا يأتون النساء؟ أمّا انى آكل اللحم و أشمّ الطيب و آتى النساء ، فمن رغب عن سنّتى فليس منّى(١).

و عنه عليه السلام قال : جاءت امرأة عثمان بن مظعون الى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فقالت : يا رسول اللّه انّ عثمان يصوم النهار و يقوم الليل ، فخرج رسول اللّه مغضبا يحمل نعليه حتّى جاء الى عثمان فوجده يصلّى ، فانصرف عثمان حين رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن صلاته فقال له : يا عثمان لم يرسلنى اللّه بالرهبانية ، و لكن بعثنى بالحنيفيّة السمحة أصوم و أصلّى و ألمس أهلى ، فمن أحبّ فطرتى فليستنّ بسنّتى ، و من سنّتى النكاح (٢).

و قال السيّد نعمة اللّه الجزائرى(قده) انه جاء فى الروايات :

انّ عثمان بن مظعون(ره) لمّا نظر الى الدنيا و فناها و سمع من النبى صلى اللّه عليه و آله المواعظ البالغة حمله ذلك على انّ لبس الثياب الخلقة و ترك أهله و مضى الى بعض جبال المدينة ليستخلى

---

(١) لئالى الأخبار للتويسركانى ج ٣ ص٢٢٢.

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص٢٢٢.

للعبادة ، فجاءت امرأته يوما الى بيت النبى فلمّا دخل صلى اللّه عليه و آله و سلّم عرفها ، فقال : هذه امرأة أخى عثمان ، فقالت له زوجته : نعم يا رسول اللّه ، لكن يا رسول اللّه زوجها فارقها و مال الى بعض الجبال للعبادة ، و من هذا امرأته لم تمس الطيب مدّة و لم تلبس أفخر ثيابها فلمّا سمع النبى (ص) كلامها خرج غضبانا يجر طرف ردائه على الأرض فرقى المنبر و اجتمع الناس و أمر باحضار عثمان ، فأبلغ فى الخطبة و قال : أتريدون دينا خيرا من دينى؟ و سنّة أهدى من سنّتى؟ و اللّه لو كان أخى موسى حيّا لما وسعه الا اتّباعى انظروا الى ما أفعل انّى أصوم و أفطر و أصلّى و أنام و أنكح النساء و آكل و أشرب ، ثم التفت الى عثمان و قال له : انّ سبحانه غنىّ عن ثيابك هذه الخشنة فقم و انزعها و ادخل على أهلك و خالطهم و اكتسب لهم ، فترك عثمان ما كان فيه .

فأىّ شواهد أوضح و أدلّ من هذه النصوص الشريفة التى تعتبر أساس التشريع السلوكى فى الدين الاسلامى و تحكى عن مراد اللّه عزّ و جل لخلقه كافة .

و أىّ شريعة سماوية سبقت الاسلام كما أوضحناه لك فى الأسس المتقدّمة ، قد جاءت بمثل هذه الدعوات الكريمة و أىّ قانون وضعى لدى الغرب و الشرق استطاع أن يدرك هذه الدعوة بخطوطها العريضة الشاملة و مبادئها السامية الكريمة .

و كل ما نجده من أحكام شرعية و ضوابط خلقية و أسس عقائدية قد وجهت للانسان انما كانت تتبع و تسد النقص الأصيل و الفراغ الكبير فى روحه و عقله و سلوكه و الطبيعة التى يتّصف بها ، و ما يعانيه من قلّة الاطّلاع و قصور الفهم و ضيق الاستيعاب لواقعه و أسراره الخفيّة و كثرة

المضارّ و الآلام و أسباب الشقاء و الفناء و الاضمحلال المتفشية فيه ، فكل هذه الأشياء كفيلة بأن ينصبّ اهتمام الاسلام على السبل المنظمة لحياته و سن القوانين التصدية لصلاح أمره و اسعاده و ضمان راحته من العناء و ظلمة الشقاء .

قال اللّه سبحانه و تعالى :

((قل انّما حرّم ربّى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن ، و الاثم و البغى بغير الحقّ ، و أن تشركوا باللّه ما لم ينزّل به سلطانا وأن تقولوا على اللّه ما لا تعلمون)) (الأعراف / ٣٣) .

((و يحلّ لهم الطّيبات و يحرّم عليهم الخبائث)) (الأعراف /١٥٧)

((و أحلّ اللّه البيع و حرّم الرّبا)) (البقرة / ٢٧٥) .

((أحلّت لكم الأنعام الاّ ما يتلى عليكم)) (الحج / ٣٠) .

((انّما حرّم عليكم الميتة و الدّم و لحم الخنزير و ما أهلّ به لغير اللّه)) (البقرة / ١٧٣) .

((و لا تقتلوا النّفس الّتى حرّم اللّه الاّ بالحقّ)) (الأسراء/٣٣) .

((و لا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ)) (البقرة / ٢٢١) .

((يا أيّها الّذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النّساء كرها و لا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ الاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة وعاشروهنّ بالمعروف ، فان كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئا و يجعل اللّه فيه خيرا كثيرا و ان أردتم استبدال زوج مكان زوج و أتيتم احداهنّ قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا و اثما مبينا ، و كيف تأخذونه و قد أفضى بعضكم الى بعض و أخذن منكم ميثاقا غليظا ، و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الاّ ما قد سلف انّه كان فاحشة و مقتا و ساء سبيلا ،

حرّمت عليكم امّهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عمّاتكم و خالاتكم و بنات الأخ و بنات الأخت ، و أمّهاتكم اللاّتى أرضعنكم و أخواتكم من الرّضاعة وأمّهات نسائكم و ربائبكم اللاّتى فى حجوركم من نسائكم اللاّتى دخلتم بهنّ ، فان لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم ، و حلائل أبنائكم الّذين من أصلابكم و ان تجمعوا بين الأختين الاّ ما قد سلف ان اللّه كان غفورا رحيما ، و المحصنات من النّساء الاّ ما ملكت أيمانكم كتب اللّه عليكم و أحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهنّ فأتوهنّ أجورهنّ فريضة ، و لا جناح عليكم فيما تراضيتم به منهنّ فأتوهنّ أجورهنّ فريضة و لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة انّ اللّه كان عليما حكيما)) (النساء / ١٩ ــ ٢٤) .

((و لا تقتلوا النّفس الّتى حرّم اللّه الاّ بالحقّ)) (الأسراء / ٣٣) .

و لبداهة اعتوار الخلل فى الانسان و ضعفه عن امكانيّة درك مصالحه الواقعيّة بنفسه من دون الاستعانة بربّه يحذر اللّه عزّ و جل عباده بمثل هذه الآية الكريمة :

((و لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال و هذا حرام)) (النحل / ١١٦) .

لأنه أعلم بقدراتهم و طاقاتهم و امكاناتهم على مثل ذلك فهو خالقهم الذى أودع فيهم القدرة و العلم و الآيات العجيبة الفائقة و أحاطها بكنف نعمه و منّه و فضله و لم يرد منهم على ذلك سوى اقتران التنعّم فى هذه الأمور بالتقوى و اجتناب معصيته .

((فكلوا ممّا غنمتم حلالا طيّبا و اتّقوا اللّه)) (الأنفال / ٦٩) .

و شكره على انعامه بلزوم الطاعة و اقامة فروضها كأقل ما يمكن

الالزام به .

((أذكرونى أذكركم ، و اشكروا لى و لا تكفرون)) (البقرة / ١٤٧) .

(الاساس السادس عشر)

الوداعة و الدعابة

للانسان حالات يهفو قلبه فيها لتنسم صعداء وجدانه و يرق فؤاده لهفة و شوقا لمعايشة تلك اللحظات التى يتمكن فيها من ممارسة حقه العاطفى فترتسم فى وجنات صفحة وجهه تلك الملاحم العميقة و تبدو القسمات الجميلة والصورة العاطفية الرائعة التى يستشعر الانسان معها بالذوبان فى أمواج كيانه الانسانى و يغوص فى لجج فطرته الأولى وملكاته النفسية المرهفة .

و تعد تلك اللحظات حقا من أثمن ما يسعى الانسان جاهدا لتحصيله و نيله خصوصا فى عصرنا هذا حيث طغيان المادة و الانغماس فى زخارفها و مشاكلة مشاكلها فضياع القيم و أفول الروابط الاجتماعية و الضوابط الانسانية الأصيلة وغلبة الرياء و المجاملة و التصنّع و نسيان العواطف و الوجدان و حقيقة الذات هى المظاهر الشائعة التى أودت بالانسان الى عالم غريب عن كيانه العاطفى يميل بالدرجة الأولى الى جانبه الغريزى و اشباع نهمه الحيوانى .

و الاسلام عند ما يخاطب الفطرة يلقى أضواءه بالدرجة الأولى على تلك الجوانب و يحاول تحريرها من القيود و العوارض المانعة منها و يتوجه بطلب منحها القدرة على احتلال موقعها الطبيعى فى الحياة

لتشق طريقها و تؤدى وظيفتها في كيان الانسان و هذا ما نلمسه من خلال هذه النصوص.

ففما جاء عنهم عليهم السلام قولهم: ((المؤمن فرح دعب و الكافر قطب غضب)).

و منه ما عن الصادق عليه السلام قال: ما من مؤمن الاّ و فيه دعابة.

و جاء عن يونس انه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضا؟ قلت: قليل، قال: أفلا تفعلوا فانّ المداعبة من حسن الخلق و انك لتدخل بها السرور على أخيك و لقد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم يداعب الرجل يريد أن يسره.

و فى رواية لمعمر قال: سألت أبا الحسن الكاظم عليه السلام فقلت: الرجل يكون مع القوم فيجرى بينهم كلام يمزحون و يضحكون؟ فقال: لا بأس ما لم يكن فظننت انه عنى الفحش ثم قال: انّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان يأتيه الأعرابى فيهدى له الهدية ثم يقول: مكانه اعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و كان اذا اغتم يقول: ما فعل الأعرابى ليته أتانا.

و فى جامع الأخبار جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

من أدخل السرور على أخيه المؤمن فقد أدخل السرور علينا أهل البيت، و من أدخل السرور علينا أهل البيت فقد أدخل السرور على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و من أدخل السرور على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقد سرّ اللّه، و من سرّ اللّه كان حقّا على اللّه أن يسرّه و أن يسكنه جنّته و و من زار أخاه المؤمن الى منزله لا لحاجة اليه الاّ فى اللّه كتب فى زوّار اللّه و كان حقّا على اللّه تعالى أن يكرمه.

و قال عليه السلام : التبسّم فى وجه المؤمن الغريب من كفّارة الذنوب .

و قال أيضا : من أكرم غريبا فى غربته أو نفّس غمّه أو أطعم أو سقى شربة أو ضحك فى وجهه فله الجنّة .

و فى معانى الأخبار بسنده عن الفضل بن أبى قرّة ، عن الصادق عليه السلام انه قال : ما من مؤمن الاّ و فيه دعابة ، قلت : و ما الدعابة ؟ قال : المزاح .

(الاساس السابع عشر)

المحبة و التواد و التالف و الالتحام

قال سبحانه و تعالى :

((و جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة و رحمة)) (الحديد / ٢٧) .

و قال : ((و تواصوا بالمرحمة)) (البلد / ١٧) .

و قال عزّ من قائل : ((انّ اللّه يأمر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى)) (النحل / ٩١) .

و قال : ((و أحسنوا انّ اللّه يحبّ المحسنين)) (البقرة / ١٩٥) .

(المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضاء الجسد بالسهر و الحمى) ــ حديث نبوىّ شريف ــ .

هذا هو المحور الذى تدور عليه الجامعة الاسلامية فى ترابطها و التحامها و ذوبانها فى كيانها العظيم و تتمثل فى ظاهرتها الفريدة فى تاريخ البشرية المديد .

و لمزيدمن البيان و التوضيح نقول :

يعد الانسان كتلة أحاسيس و مشاعر وجدانية تحتضن ما بين جنبيه لها آثارها على السلوك و مجمل العواطف و الميول و ما حالة البعث الروحى بعد الخمول و تأكّد العزيزة بعد خوارها و النماء الوجدانى بعد الفتور و التضعضع الا ظواهر طبيعية و حالات مترقبة من هذا الكائن الدائم التفاعل لما هو عليه من جامعية تكوينية .

فنجد أحساسه بالوضاعة و الضياع يحفز فى ذاته الشوق للعلوّ و التثبّت .

و نجد احساسه بالفقر و الحرمان يدفعه لطلب البلغة و السداد و الكفاف .

و نجد احساسه بالخضوع و الذل ينمى فى ذاته روح الحقد و الحنق و التطلع للانتقام .

و نجد احساسه بالمهانة و الانتقاص يدفعه للرد بالمثل واستثاره روح العداء فى قرارة نفسه .

وعلى العكس من ذلك لو نظرنا الى جانبه الآخر :

فنجد احساسه بالارتياح وصفاء القلب يجسد فى كيانه الانطلاق الانسانى المثالى تجاه الآخرين .

و نجد احساسه بعطف الآخرين و حنوهم عليه يعمق فى روحه حب الخير و مبادلة العواطف بمثلها .

و هكذا نجد الانسان ذاتا متفاعلة دائما تخضع لموازين مشتركة بين أفراد الجنس البشرى تدور فى نطاقات معيّنة ثابتة تسهم فى خلق الروابط و الاجتماع و الألفة .

و لكى تتأدى الحكمة التى من أجلها وجدت هذه الطبائع و الغرائز و تأتى بثمارها المطلوبة ركّز الاسلام اطروحته على معالجة شتّى الصور المحتملة لانبعاثات النفس و الارادة عبر هذه البوابة الواسعة و وضع علاجه الناجع و دواءه النافع كأبلغ ما يمكن أن يكون.

و هذا ما ندركه من خلال هذه الاطلالة السريعة و الخاطفة على بعض النصوص المعصومية.

و لخوف التطويل نكتفى بنقل بعض ما روى عن الحضرة النبويّة الشريفة على الصادع بها آلاف التحية و السلام:

(رأس العقل بعد الدين التودّد الى الناس و اصطناع الخير الى كل برّ و فاجر) (١).

(لا تزال امّتى بخير ما تحابّوا و تهادوا و أدّوا الأمانة و اجتنبوا الحرام و قرّوا الضيف و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فاذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط و السنين) (٢).

(المؤمن غرّ كريم و الفاجر خبّ لئيم، و خير المؤمنين من كان مألفه للمؤمنين و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف) (٣).

(ان اللّه بعثنى بالرحمة لا بالعقوق) (٤).

(انّ فى الجنّة درجة لا يبلغها الاّ امام عادل أو ذو رحم وصول أو

(١) البحار ج ٧٤ ص ٤٠١ عن كتاب الامامة و التبصرة.

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٩.

(٣) أمالى الطوسى ج ٢ ص ٧٧.

(٤) البحار ج ٧٤ ص ٤٧.

ذو عيال صبور) (١).

و أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله رجل فقال: يا رسول اللّه أوصنى، فكان فيما أوصاه أن قال: (ألق أخاك بوجه منبسط) (٢).

(ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه و كنيته و أن يدعى الرجل الى طعام فلا يجيب أو يجيب فلا يأكل ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة) (٣).

(أسعد الناس من خالط كرام الناس) (٤).

(الوحدة خير من قرين السوء)

و قال صلى اللّه عليه و آله:

(جاملوا الأشرار بأخلاقهم تسلموا من غوائلهم و باينوهم بأعمالكم كي لا تكونوا منهم) (٥).

و قال صلى اللّه عليه و آله مخاطبا للمؤمنين

(تزاوروا و تعاطفوا و تبادلوا و لا تكونوا بمنزلة المنافق الذى يصف ما لا يفعل!) (٦).

(النظر الى العالم عبادة، و النظر الى الامام المقسط عبادة، و النظر الى الوالدين برأفة عبادة و رحمة عبادة، و النظر الى الأخ تؤدّه

---

(١)

(٢) الكافى ج ٢ ص ١٠٣.

(٣) قرب الأسناد ص ٧٤.

(٤) أمالى الصدوق ص ١٤.

(٥) البحار ج ٧٤ ص ١٩٩ عن أعلام الدين.

(٦) البحار ج ٧٤ ص ٢٣١.

فى اللّه عزّ وجل عبادة) (١)٠

(أحبّ الأعمال الى اللّه سرور تدخله على مؤمن تطرد عنه جوعته أو تكشف عنه كربته) (٢)٠

(من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها و فرّج عنه كربته لم يزل فى ظلّ اللّه الممدود عليه الرحمة ما كان فى ذلك) (٣)٠

(لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه) (٤)٠

(خمس من أتى اللّه بهنّ أو بواحدة منهنّ وجبت له الجنّة: من سقى هامة صادية أو حمل قدما حافية أو أطعم كبدا جائعة أو كسى جلدة عارية أو أعتق رقبة عانية) (٥)٠

(كل معروف صدقة، و الدالّ على الخير كفاعله، و اللّه يحبّ اغاثة اللّهفان) (٦)٠

و فى رواية انه أمر بسبع: عيادة المريض، و اتباع الجنائز، و ابرار القسم، و تسميت العاطس، و نصرة المظلوم، و افشاء السلام، و اجابة الداعى (٧)٠

---

(١) أمالى الطوسى ج ١ ص ٦٩٠

(٢) الكافى ج ٢ ص ١٩١٠

(٣) الكافى ج ٢ ص ٢٠٦٠

(٤) الكافى ج ٢ ص ٢٠٨٠

(٥) البحار ج ٧٤ ص ٣٦٩٠

(٦) الخصال ج ١ ص ٦٦٠

(٧) قرب الأسناد ص ٣٤٠

(خير الناس من انتفع به الناس) •

(انّ أسرع الخير ثوابا البرّ، وأسرع الشرّ عقابا البغى، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه) •

(نعم وزير الايمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق اللّين) •

(الاساس الثامن عشر)

الاستقامه

قال سبحانه و تعالى :

((و هذا صراط ربّك مستقيما)) (الأنعام / ١٢٦) .

((و انّ هذا صراطى مستقيما فاتّبعوه)) (الأنعام / ١٥٣) .

((انّما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه و استغفروه)) (فصّلت / ٦) .

((ان هو الاّ ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم)) (التكوير / ٢٨)

ان أهمّ شئ يضعه الاسلام نصب عينيه و يسعى جاهدا لتطبيقه فى الوجود عمليا هو تحقيق التوازن فى الحياة بما لهذه الكلمة من معنى و اضفاء طابع التعادل بين الأسباب و المسبّبات فى هذا الكون الرحب خصوصا السلوك البشرى و طبيعة التفاعل الدائم بينه و بين الأشياء المحيطة به أو الواقعة فى مدى مرماه .

و هو بذلك يطمح من خلال هذا الهدف الى احلال تكوين مثالى نموذجى للحياة و أنماط من السلوك البالغ الكمال و نموذجيّة الثقافة و تكامليّة الطابع العام و ترابطيّة الحقيقة الجوهريّة .

قال تعالى : ((و ان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)) .

فالاستقامة كما تصوره هذه الآية سبب من أسباب افاضة الامدادات الغيبيّة و النعم الإلهية و اغداق العطاء و البذل الميمون و الخيرات المباركة لأنها تعبر عن اتّصال صحيح و سلوك متحرّر من الموانع والعوائق

و السدود التى تنجم غالبا من الانسان نفسه أو عند افساحه لسلطات شريرة خارجة عن ذاته من التمكن من منطقة القرار فى نفسه و ادراكاته .

و للمرحوم الشيخ محمد جواد مغنيّة كلمة قيّمة أحببت اثباتها هنا اتماما للفائدة ذكرها فى مقدمة تفسيره الكاشف قال (رحمة اللّه تعالى عليه) : قرأت فى جريدة الجمهورية المصرية تاريخ ٢١ نيسان سنة ١٩٦٧ كلمة قال كاتبها ضياء الريس : انه قرأ مقالا فى مجلة أدبيّة لكاتب عربى شهير قال فيه : انه ـ أى الكاتب ـ حين كان عضوا فى البعثة العلميّة بانگلترا اشتبك فى نقاش حاد مع انكليزية مثقفة حول الاسلام والمسيحيّة فقالت الانكليزية ـ متحدية جميع المسلمين بشخص الكاتب المسلم ـ انى الخص مبادى المسيحية كلها بكلمة واحدة و هى المحبة فهل تستطيع أنت أيّها المسلم ان تأتى بكلمة تجمع مبادىء الاسلام؟ فأجابها الكاتب المسلم : أجل انها كلمة التوحيد .

و بعد أن نقل الريس هذا الحوار قال : لم يكن الجواب موفّقا و ذكر أسبابا وجيهة و صحيحة تدعم حكمه على الكاتب بعدم التوفيق و بعد أن انتهى الريس من حكمه و أسبابه الموجبة قال : لو وجه الىّ هذا السؤال لأجبت بأن هذه الكلمة هى الرحمة و استدل على صحّة جوابه هذا بالعديد من الآيات و الروايات مبتدئا ببسم اللّه الرحمن الرحيم الى و ما أرسلناك الاّ رحمة للعالمين .. الخ .

ثم قال الشيخ مغنيّة (رحمه اللّه) :

و صدق الريس فى قوله : ان الكاتب لم يكن موفقا فى جوابه و لكن الريس أيضا لم يكن موفقا فى اختياره كلمة الرحمة لأنه لم يزد شيئا على ما قالته الانكليزية حيث أخذ كلمة المحبة منها و ترجمها الى كلمة الرحمة

وعلى هذا لا يكون للاسلام أية ميّزة على المسيحية ولو كنت حاضرا مع البعثة العلمية بانكلترا لأجبت بكلمة (الاستقامة) فانها الكلمة الجامعة المانعة الشاملة للاستقامة فى العقيدة بما فيها التوحيد والتنزيه عن الشبيه وأيضا تشمل الاستقامة فى الأعمال والأخلاق والأحكام وجميع التعاليم بما فيها الرحمة والمحبّة والتعاون ان الرحمة من مبادئ الاسلام وليست الاسلام بكامله كما ان التوحيد أصل من أصوله لا أصوله بأجمعها.

وبما ان الاستقامة تجمع المحبّة والرحمة والتوحيد وسائر الأصول الحقّة والأعمال الخيريّة والأخلاق الكريمة المستقيمة وبما انها المقياس الصحيح للفضيلة والكمال الذى يبلغ بالانسان الى سعادة الدنيا والآخرة لذلك كله أمرنا أن نكرر فى صلاتنا صباح مساء: ((اهدنا الصراط المستقيم)) وقال عزّ من قائل مخاطبا نبيّه الأكرم صلى اللّه عليه وآله: ((واستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير)) (هود / ١١٣).

وقال: ((ان الذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتى كنتم توعدون) (فصّلت / ٣٠).

ولا شىء أدلّ على ان الاستقامة هى الكل فى الكل من قول ابليس اللعين: ((لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم)).

وجاء فى الحديث الشريف: ((قال سفيان الثقفى: يا رسول اللّه قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بغيرك قال رسول اللّه: قل آمنت باللّه ثم استقم)).

و اختصارا ان معنى الاستقامة أن نقف عند حدود اللّه ولا ننحرف عن الحق الى الباطل وعن الهداية الى الضلال و أن نسير بعقيدتنا وعاطفتنا وجميع أقوالنا و أفعالنا على الصراط المستقيم صراط الذين أنعم اللّه عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالّين))(١٠).

و هذا الأساس يعدّ بحق عماد النظرة الاسلاميّة الواقعية للبرامج التى دشنتها فى أوامرها و قوانينها و مقرراتها و هذا ما قد لاحظناه من خلال المباحث المتقدمة و كما سيمرّ علينا بمزيد من التوسع فى مباحث الكتاب الآتية.

---

(١) التفسير الكاشف ج ١ ص٢٦ ـ ٢٧.



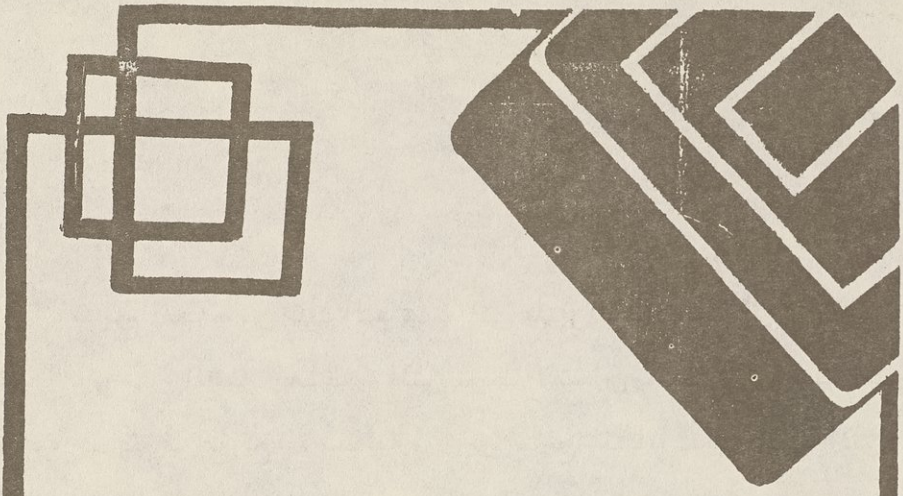

العُمق النظري للحرّية الاسلاميّة

وأثره في تكوين الصياغة المثالية لها

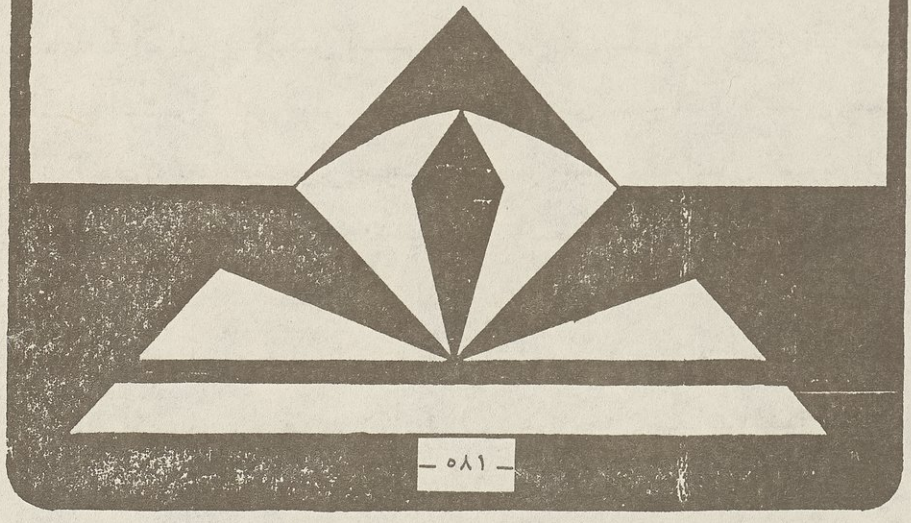

مفهوم الحريّة من تلك المفاهيم التى تلتقى عندها مشاعر الناس جميعا ، و هذه الصلة العاطفيّة التى تربط الانسان بالحرية ليست ظاهرة حديثة فى تاريخ الانسانيّة و لا من نتائج الكيانات الحضارية التى يعيشها الانسان الرأسمالى و الاشتراكى اليوم ، و قد استغلّت بعض الحضارات الحديثة عاطفة الانسان تجاه الحريّة الى أبعد حدود الاستغلال و على الرغم من ذلك فانّها لم تعط الانسان من امكانيّات التعبير عن وجوده فى الحياة بقدر ما ساهمت فى أبعاده عن مركزيّة الحياة الكريمة الشريفة الأبية العفيفة و دسّته فى ظلمات لا هوادة فيها و لا قرار لها على العكس ممّا جاء به الاسلام كما سنتبيّنه عمّا قريب و دعا اليه و هو يقود عمليّة التغيير التى قادها باعتباره دينا عالميّا .

و ان عبرت هذه الصلة عن شىء فانّما تعبر عن العلاقة العاطفيّة عن عاطفيّة أصيلة فى النفس البشريّة تشع من كل ثنايا التاريخ و خبايا الطبيعة المشتركة التى فطر عليها الانسان حتّى تبدو قصّة الانسان نفسه و كأنها معركة تحرّر و تحرير يخوضها على مرّ الزمن منذ أعماق التاريخ الى يوم الناس هذا بالرغم من اختلاف أشكال المعركة و ألوانها و أهدافها و أساليبها باختلاف القيم الفكريّة التى ترتكز عليها .

و هذه الظاهرة العاطفيّة العاملة نجد تفسيرها فى جانب ثابت من تكوين الانسان ، و هو : الارادة التى هى محل انبعاث العلّة المترتّب

على أثرها الفعل و الحركة و مظاهرهما من القيام و القعود و الذهاب و الاياب و نحو ذلك ٠

فالانسان مجهّز ضمن تركيبه العضوى و النفسى بالارادة ، و هو لذلك يحبّ الحريّة و يهواها لأنها تعبير عملىّ عن امتلاكه لارادته وامكان استخدامها لمصالحه وكما يسوء الانسان أن يعطّل أىّ جهاز من أجهزته عن العمل يسوء بطبيعة الحال أن يشل جهازه الادارى بانتزاع الحريّة منه ٠

غير انّ الانسان آمن منذ البدء بأن الحريّة المطلقة لا يمكن أن توفّر للفرد الاعتيادى الذى يعيش ضمن مجتمع مترابط لأنّ الحريّة المطلقة لكلّ فرد فى المجتمع تصطدم بحريّات الآخرين و بالتالى يستقطب التناقض فى الجهاز الاجتماعى حتّى يتفسّخ ، و تغرق سفينة الحياة فى بحر الانحلال و البهيميّة و تبرز شريعة الغاب و تشيع الفتن و تسفك الدماء و تنتهك الحرمات ٠

و يكون مثلها مثل السفينة التى ركب قوم فيها فاقتسموها فجعل لكلّ واحد منهم موضعا فأخذ أحدهم فأسا كان بيده ينقر موضعه فسئل عن ذلك فقال هو مكان أصنع به ما شئت فان أخذوا عليه نجا و نجوا وان تركوه هلك و هلكوا ٠

لأجل ذلك لا يمكن للاسلام أن يقرّ أىّ تمرّد على قاعدته الرئيسيّة التى سيأتى أيضاحها و بيانها ٠

و لكى يحتفظ كلّ فرد بنصيب من حريّته بعيداً عن تدخّلات الآخرين لابدّ له أن يتنازل عن شىء منها و ينعكس هذا التنازل على الصعيد الاجتماعى فى القوانين التى تشع لتنظيم المجتمع و ضبط

تصرّفاته . و هكذا تصبح الحريّة المطلقة فكرة خياليّة حتّى يبدأ الانسان حياته الاجتماعيّة و يصبح الشيء المهم هو تحديد النصيب الذى يجب أن يحتفظ به لكلّ فرد من الحريّة .

و قد كفل الاسلام حريّته الرحيبة المستقيمة و اطرها الاجتماعية فى أسس أربعة :

(الأوّل منها) انّ مبدأها العبوديّة المخلصة للّه تعالى لتنتهى الى التحرّر من كلّ أشكال العبودية المهينة ، قال تعالى : ((تعالوا الى كلمة سواء بيننا ألاّ نعبد الاّ اللّه و لا نشرك به شيئا و لا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه)) و انتشال الانسانيّة من ربقة الشهوات و عبوديّات اللذّة و هذه هى الطريقة العامّة التى يستعملها الاسلام دائما فى تربية الانسانيّة فى كل المجالات انها طريقة التوحيد فالاسلام يحرّر الانسان من عبوديّة الأرض و لذائذها الخاطفة بربطة السماء و جنانها و مثلها و رضوان من اللّه تعالى ، و هكذا نعرف انّ التوحيد هو سند الانسانيّة فى تحريرها الداخلى من كلّ العبوديّات .

و لمزيد من الايضاح نقول : انّ الاسلام يهتمّ قبل كلّ شيء بتحرير السلوك العملى للفرد من عبوديّة الشهوات أو عبوديّة الأصنام و يسمح بحال التصرّف للفرد كما يشاء على أن لا يخرج عن حدود اللّه ، فالقرآن يقول : ((خلق لكم ما فى الأرض جميعا)) و((سخّر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه)) و بذلك يضع الكون بأسره تحت تصرّف الانسان و حريّته و لكنّها حرية محدودة بالحدود التى تجعلها تتّفق مع تحرّره الداخلى من عبوديّة الشهوة و الالتصاق بالأرض و معانيها و التخلّى عن الحريّة الانسانيّة بمعناها الحقيقى ، و أما الحريّة العمليّة فى عبادة

الأصنام البشريّة و التقرّب لها و الانسياق وراء مصالحها و التخلّى عن الرسالة الحقيقيّة الكبرى للانسان فى الحياة فهذا ما لا يأذن به الاسلام لأنه تحطيم لأعمق معانى الحريّة فى الانسان و انّما يفهمها بوصفها جزءا من برنامج فكرى و روحى كامل يجب أن تقوم على أساسه الانسانيّة .

(الثانى) أن تبتنى على حفظ ذات الانسان و وقايته قلباً و قالباً روحاً و جسداً معناً و ذاتاً و لهذا لا يسوغ الانتحار لأىّ سبب من الأسباب و الدوافع ، قال تعالى : ((و من قتل نفسه متعمّدا فجزاؤه جهنّم خالدا فيها أبدا))

فضلا عن اتلاف بعض أجزاء البدن و نحو ذلك .

(الثالث) أن تبتنى على حفظ وجود الآخرين و رعاية حرماتهم و عدم تطرّق النقض و الايذاء لكيانهم الشعورى أو بنيانهم الهيكلى و وجودهم الاجتماعى .

(الرابع) أن تتّفق و حالة الابقاء على الممتلكات الشخصيّة و حفظ ما وقعت عليه أيدى الآخرين بالتسلّط الشرعى و بعبارة اخرى أن تتوفّر على ضمان عدم المساس بوضعيّة الممتلكات الفرديّة و الجماعيّة و خروجها عن طابع المنفعة بصورتها النوعيّة و لأجل ذلك شرع الاسلام الحدود و القصاص و أوجب الحجر على السفيه .

هذه هى الأسس الأربعة التى تتقوّم عليها مبدئيّة الحريّة فى الاسلام .

و كل ما طرح من حريّات مصطنعة حتّى الآن نجدها تتنافى مع طبيعة ارادة الانسان ، كما شهد و برهن به الوجدان فهى ما بين افراط و تفريط و ضياع و شذوذ .

حريه المقربين

و يضاف الى هذه الأسس الأربعة أساسا خامسا جعلناه بمنأى عنها للايماء و التنبيه على عدم مطلوبيّته و شرطيّته لعامّة الناس كالمتقدّمة بل هو لأهل خصوص الخصوص و الصفوة من الناس للذين امتحن اللّه عزّ و جل قلوبهم بالايمان و عمّرها بالتقوى و زيّنها بالانقطاع و جمّلها بالعبادة و تيمها بحبّه و طاعته و حباها بنوره و علمه و أغرقها فى عالم كبريائه و عظمته .

و حاصل ما فيه أن تتبنى الارادة البشريّة كلّ ما صدر من الارادة الالهيّة فى تكليف عباده و تذوب فى سبيل نيل صفات الكمال و التخلّق بأجمل الخلال .

و امكان ذلك ينبع ممّا تتّصف به حقيقة الانسان من جامعيّة و شموليّة لقوى العالم السفلى و العلوى و فى ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام :

دواؤك فيك و ما تشعر ... و داؤك منك و ما تبصر

أتحسب انّك جرم صغير ... و فيك انطوى العالم الأكبر

فالانسان كما يعبر عنه الراغب فى تفصيل النشأتين وعاء معانى العالم و طينة صوره و معدن اثاره و مجمع حقائقه و كأنّه مركّب من جمادات و نباتات و بهائم و سباع و شياطين و ملائكة و لذلك قد يظهر فى شعار كلّ واحد من ذلك فيجرى تارة مجرى الجمادات فى الكسل و قلّة التحرّك و الانبعاث و على هذا نبّه اللّه تعالى بقوله : ((ثم قست قلوبكم من بعد

ذلك فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة)) وقد يظهر فى شعار النباتات الحميدة أو الذميمة فيصير امّا كالأترج الذى يطيب حمله و زهره وعوده و ورقه أو كالنخل و الكرم فيما يؤتى من النفع أو كالكشوت (١) فى عدم الخير أو كالحنظل فى خبث المذاق وعلى هذا نبّه اللّه تعالى بقوله: ((مثل كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتى أكلها كلّ حين باذن ربّها و يضرب اللّه الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار)) (سورة ابراهيم / ٣١).

و يظهر تارة فى شعار الحيوانات المحمودة و المذمومة فيصير امّا كالنحل فى كثرة منافعه و قلّة مضارّه و فى حسن سياسته قال اللّه عزّ و جل ((و أوحى ربّك الى النّحل أن اتّخذى من الجبال بيوتا و من الشّجر و ممّا يعرشون))

أو كالطير المسمّى بأبى الوفا أو كالخنزير فى الشره أو كالذئب فى العبث أو كالكلب فى الحرص أو كالنمل فى الجمع أو كالفار فى السرقة أو كالثعلب فى المراوغة أو كالقرد فى المحاكاة أو كالحمار فى البلادة أو كالثور فى الفظاظة و حدّة المزاج وعلى هذا النحو من المشابهات دلّ اللّه سبحانه بقوله: ((و ما من دابّة فى الأرض و لا طائر يطير بجناحيه الاّ امم أمثالكم ما فرّطنا فى الكتاب من شئ ثمّ الى ربّهم يحشرون))

و يظهر تارة فى شعار الشياطين فيغوى و يضل و يسول بالباطل

---

(١) الكشوت بفتح الكاف و ضمّها: نبت يتعلّق بالأغصان لا عرق له و لا ورق و لا نسيم و لا ظلّ و لا زهر و هو يفسد الثمار و يضرّ الأشجار.

فى صورة الحق كما دلّ عليه اللّه عزّ و جل بقوله :

((شياطين الانس و الجنّ يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا))

و انّما يكون الانسان انسانا اذا وضع كلّ واحد من هذه الأشياء فى موضعه حسب ما يقتضيه العقل المرتضى المستبصر بنور الشرع الحنيف و امتثل مراد ربّه فيما أمره به و رغب اليه .

و نعنى بذلك التبنى أن تتقلد الارادة البشرية و تنبعث وفق ما وصل اليها من جهة الارادة الالهيّة المتمثلة بالتعاليم الربانيّة و نسق الأفكار و المبادئ الكونية و المسائل التشريعيّة و الآداب الخلقيّة و المفاهيم العالية عن الحياة و سبل السلوك فيها بالجهات المرضيّة .

فلا تنبعث الى غرض و جهة من الجهات الاّ الى جهة أمر بها البارى جلّ و علا أو ندب اليها أو سمح بها و أباحها بدرجة ينطبق عليها الحديث القدسى الذى جاء فيه : ((ما يتقرّب الىّ عبدى بشىء أحبّ ممّا افترضت عليه و انّه ليتقرّب الىّ بالنوافل حتّى أحبّه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق به و يده التى يبطش بها ان دعانى أجبته و ان سألنى أعطيته)) .

و اليك بعض كلمات شرّاح الحديث لدفع ما قد يتبادر الى الأذهان التى لم تستأنس بأمثال هذه الأخبار و تدرك خبايا ما فيها من الأسرار و لئلاّ تصدّ عنها بالانكار و تولّى بالأدبار و الاستكبار لما فى ظاهره من استلزام الاتّحاد الممتنع عقلا و نقلا .

قال بعض الشرّاح فى توضيح هذا الخبر الشريف :

انّ المعنى لا يسمع الاّ بحق و الى حق و لا يبطش الاّ بأذن

الحق و لا يمشى الاّ الى ما يرضى به الحق و هو الحق الموالى و المؤمن حقّا و الذى راح عنه كل باطل و صار مع الحق واقعا ٠

وعن شيخنا البهائى فى أربعينه وجه آخر حيث قال : هذا مبالغة فى القرب و بيان ستيلاء سلطان المحبّة على ظاهر العبد و باطنه و سرّه وعلانيته فالمراد و اللّه أعلم انّى اذا أحببت عبدى جذبته الى محلّ الانس و صرفته الى عالم القدس و صيرت فكره مستغرقا فى أسرار الملكوت و حواسه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت فيثبت حينئذ قدمه و يمتزج بالمحبّة لحمه و دمه الى أن يغيب عن نفسه و يذهب عن حسّه فتتلاشى الأغيار فى نظره حتى أكون بمنزلة سمعه و بصره كما قال من قال :

جنونى فيك لا يخفى و نارى فيك لا تخبو

فأنت السمع و الأبصار و الأركان و القلب انتهى كلامه (رض) ٠

و وجه ثالث عن المحدّث الكاشانى (قده) فى المحكى عنه فى بعض تعليقاته قال : و الذى يخطر بالبال القاصر ان معنى ((كنت سمعه الذى يسمع به الخ)) انّ العبد اذا ائتمر بالأوامر و انزجر بالنواهى كان بمنزلة من لا يسمع شيئا الاّ ما أمر ربّه بالسماع و لا يبصر بصره شيئا الاّ اما أمر ربّه بالرؤية و لا تأخذ يده شيئا الاّ ما أمر ربّه بالأخذ فكان العبد كالشخص المقرب عند ملك عظيم الشأن يكون فعله فعل الملك من غاية قربه و اطاعته و اللّه عزّ شأنه منزّه عن السمع و البصر و اليد و الحلول و الاتّحاد تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا فاذا كان العبد راسخا فى الاطاعة للّه سبحانه يكون سمع العبد كأنّه سمع اللّه و ما رأى كأنّه رؤية اللّه و ما بطش كأنّه بطش اللّه لغاية امتثاله و انزجاره فمثله كمثل الملك

يأمر بضرب أحد و اهانته و اعطاء أحد و كرامته و الذى يضرب و يهين غير الملك و كذا من يعطى و يكرم غيره و يقال فى العرف انّ الملك ضرب فلانا و أهانه و أعطى فلانا و أكرمه فكان فعل الضارب و المعطى فعله ، انتهى كلامه .

و غيرها من الوجوه التى يطول بها الاملاء نعرض عن ذكرها لئلاّ نخرج بها عن القصد و ما ذكرناه فيه الكفاية .

و تكون هذه الحريّة ذات مفهوم عميق و فهم واسع لا يتمكّن من نيله و استقطابه الاّ النادر من الناس كما أشرنا لك فهى حريّة فى مفهومها عبادة و عبادة فى صورتها و هيئتها حريّة ، لأنّ منبعها الارادة و معدنها المشيئة الذاتيّة و هو المعبّر عنه بالحديث المروى فى تفسير علىّ ابن ابراهيم القمى عن الكاظم عليه السلام انّه قال : انّ اللّه جعل قلوب الأئمّة موردا لارادته فاذا شاء اللّه شيئا شاؤوه و هو قوله : ((و ما تشاؤن الاّ أن يشاء اللّه ربّ العالمين)) .


مجالات حرية التكليف
في
التشريع الاسلامي
- ٥٩١ -

يصوّر كثير من الكتّاب الاسلاميّين الاسلام وكأنّه دينا كهنوتيّا فى أغلب أحكامه على غفلة من حقيقته وخطأ فى تصوّرهم وسوء فى تدبّرهم وشبهة من أمرهم حتّى صرح جملة منهم بعدم وجود أىّ مجال يتّسع للحريّة فى الاسلام وانّ على العبد الانقياد المطلق بلا تلكأ أو توانى وانه لا فسحة أو سعة له فى أخذ بعض الأحكام أو تركها ٠

وهذه النقطة بالذات هى الّتى حذت بالكثيرين من القرّاء المسلمين للحكم الخاطئ على دينهم ومن ثمّ ترتيب تلك النتائج الغريبة المستندة فى واقعها على تلك المقدّمات الفاسدة المعوّل عليها فيها ٠

ويضاف الى ذلك انّ أمثال هذه المقالات كانت الورقة الفعّالة الّتى استخدمها الاستعمار الفكرى وأخذ يضرب عليها الوتر الحسّاس ويلعب بها لتحقيق مراميه وطموحاته ومآربه ولا نغفل ذكر الأقلام المأجورة الّتى لعبت دورا بالغ الأهميّة فى هذا المضمار والّتى سعى الاستكبار الشيطانى من خلالها للتلاعب بأفكار المسلمين وخاصّة الشباب منهم وقلب معادلات الحكم لرؤاهم لصالحة ولخدمة مساعيه وأهدافه ٠

ولم يكن ذلك ليبعد عن تصوّر واطّلاع النبىّ العظيم صلى اللّه عليه وآله ويغيب عن مخيلته الكريمة ولهذا صرح قبل أربعة عشر قرنا بهذه العبارة الشريفة :

((بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا)) ٠

ويعنى بذلك أنّ الاسلام قد بدأ شعاعه بانطلاق من جوّ مشحوب

بالغيوم المتلبدة فى سمائه بين بدو رحّل وعبدة أوثان وعقول متخلّفة منحطّة وقبائل متشتّتة تعانى من حرّ الجوع وويلات النهب والسلب والقتل لم تقدر قيمته أو تستوعبه بالشكل المطلوب والمتناسب مع سعته وشموله الاّ القليل من الخواص والأصحاب والحواريّين.

وسيعود غريبا لأنّ التاريخ يعيد نفسه ولكن بصورة جديدة هذه المرّة.

تلائم عصره وأفراد جنسه وعلى أيدى المستعمرين والعملاء المأجورين ووعّاظ السلاطين حتى أصبح الحال نفسه كما كانت البداية وليس ذلك يعنى أن تقف مكتوفى الأيدى، بل انّ المسؤوليّة قد ازدادت وتفاقمت وعظم التكليف الملقى على عاتق روّاد العلم والفضيلة من حملته فى هذا العصر.

وننقل لك الآن معانى الأحكام الخمسة: الوجوب، الحرمة، الكراهة، الاستحباب، الاباحة، لتقف بنفسك عن كثب على حقيقة تلك المفاهيم الّتى يتوسّع فيها اختيار الانسان أكثر من طابع الالزام والقهر.

وبالخصوص عند ما نلقى نظرة على معنى الوجوب وأقسامه الّذى لم يخلو هو الآخر من جانب الاختيار وانّ كان بحسب الاعتبار البدوى من أعظم المفاهيم الّتى تحول دون اطلاق العنان للاختيار والارادة البشريّة.

(الواجب):

(الشريف المرتضى فى رسالة الحدود والحقائق):

الواجب أقسام: معيّن ومخيّر فيه ومضيّق وموسّع وواجب على الأعيان، وواجب على الكفاية، فالمعيّن ما للاخلال به مدخل فى استحقاق الذمّ كالصلاة والمخيّر فيه ما للاخلال به وبما يقوم مقامه مدخل

فى استحقاق الذمّ كاحدى الكفّارات الثلاث ·

و الواجب على الأعيان : الّذى لا يقف استحقاق الذمّ على الاخلال به على ظنّ اخلال الغير به كالصلاة و أمّا الواجب على الكفاية فهو الّذى يقف استحقاق الذمّ على اخلال الغير به كالجهاد و المضيّق الّذى لا يجوز تأخيره عن وقت الى وقت آخر كمعرفة اللّه تعالى ، و الموسّع الّذى يجوز تأخيره من وقت الى وقت كالصلاة فى أوّل الوقت الى وسطه أو آخره ·

و الواجب عند المتكلّمين الّذى لا بدّ من كونه و يتعذّر أن لا يكون و يدخل فى ذلك النفى و الاثبات ·

(البريدى الامامى فى الحدود و الحقائق) :

الواجب ما الاخلال به مدخل فى استحقاق الذمّ على بعض الوجوه ·

(الطريحى فى مجمع البحرين) :

الوجوب : اللزوم و أوجبه اللّه و استوجبه استحقّه ·

(الحرام) :

(الشريف المرتضى فى رسالة الحدود و الحقائق) :

الحرام : القبيح الّذى منع منه بالزجر ·

الخليل بن أحمد الفراهيدى فى كتاب العين :

أحرم الرجل فهو محرم و حرام ، و يقال : انّه حرام على من يرومه بمكروه و قوم حرم أى : محرمون ·

و الأشهر الحرم ذو القعدة و ذو الحجّة و المحرّم و رجب ثلاثة سرد و واحد فرد و المحرّم سمّى به لأنّهم لا يستحلّون فيه القتال ·

و أحرمت : دخلت فى الشهر الحرام و الحرمة : ما لا يحلّ لك انتهاكه و تقول : فلان له حرمة أى : تحرّم منا بصحبة و بحق ·

وحرم الرّجل : نساؤه وما يحمى والمحارم : ما لا يحلّ استحلاله والحريم الّذى حرم مسّه فلا يدنى منه وكانت العرب اذا حجّوا ألقوا الثّياب الّتى دخلوا بها الحرم فلا يلبسونها ما داموا فى الحرم والحرام ضدّ الحلال والجميع حرم .

الطريحى فى مجمع البحرين :

التحريم ضدّ التحليل وحرم علىّ الشّىء بالضمّ حرمة نقيض حلّ .

(المكروه) :

(الطريحى فى مجمع البحرين) :

كره الأمر كراهة فهو كريه مثل قبيح وزنا ومعنى وكراهية بالتخفيف أيضا وكرهته أكرهه من باب تعب كرها وكرها ضدّ حببته فهو مكروه .

وأكرهته على الأمر اكراها : حملته عليه كراها .

وكرّهت اليه الشىء تكريها : نقيض حببته اليه .

والكره بالفتح : الاكراه والكره بالضمّ الكراهة .

وقوله عليه السلام : ((وكلّ النوم يكره)) أى : يفسد الوضوء .

ومكروه العبادة : ما نهى عنه الشارع لرجحان تركه على فعله على بعض الوجوه كالصوم المندوب فى السفر ولبس الثياب السود فى الصلاة ونحو ذلك .

(المستحب) :

(الشريف المرتضى فى رسالة الحدود والحقائق) :

كلّ ما رغب فيه بما يستحقّ المدح ولا يستحقّ شيئا باخلاله الذمّ وكذا النفل .

(البريدى، الامامى فى رسالة الحدود والحقائق) :

ما يستحقّ المدح على فعله و لا يستحقّ الذمّ على تركه .

(المباح أو الحلال) :

قال (البريدى الامامى فى رسالة الحدود و الحقائق) :

المباح كلّ فعل حسن لا يختصّ بحكم زائد على حسنه بشـــــرط الاعلام .

و قال (الشريف المرتضى فى رسالة الحدود و الحقائق) :

ما عرف فاعله حسنه وأو دلّ عليه و لا يستحقّ عليه مدحا و لا ذمّا .

و قال (أبو هلال العسكرى فى كتاب الفروق) :

الفرق بين الحلال و المباح انّ الحلال هو المباح الّذى علم اباحته بالشرع و المباح لا يعتبر فيه ذلك تقول : المشى فى السوق مباح ، و لا تقول حلال ، و الحلال خلاف الحرام و المباح خلاف المحظور ، و هـــو الجنس الّذى لم يرغب فيه و يجوز أن يقال هو ما كان لفاعله أن يفعله و لا ينبئ عن مدح و لا ذمّ و قيل هو ما أعلم المكلّف أو دلّ على حسنه و انّـه لا ضرر عليه فى فعله و لا تركه و لذلك لا توصف أفعال اللّه تعالى بأنّهـا مباحة و لا توصف أفعال البهائم بذلك ، فمعنى قولنا انّه على الاباحـة انّ لـلمكلّف أن ينتفع به و لا ضرر عليه فى ذلك و ارادة المباح والأمر بـــه قبيح لأنّه لا فائدة فيه اذا فعله و تركه سواء فى انّه لا يستحقّ عليه ثـواب و ليس كذلك الحلال .

(الطريحى فى مجمع البحرين) :

الحلال ضدّ الحرام و منه حديث النبى صلى اللّه عليه و آله :

((من أكل من الحلال القوت صفا قلبه و رقّ و دمعت عيناه و لم يكن لدعوته حجاب .

فائـــدة

روى الصدوق (رض) فى كتاب العلل باسناده ، عن جميل بن درّاج ، عن أبى عبد اللّه عليه السلام انّه سأله عن شىء من الحلال و الحرام؟ فقال : انّه لم يجعل شىء الاّ بشىء .

قال المحقّق البارع الشيخ علىّ بن محمّد الجبعى العاملى فى الدرّ المنثور فى شرحه لهذا الحديث .

الّذى يظهر من معنى هذا الحديث انّ السؤال وقع عن التحليل و التحريم هل يكونان بمجرّد ارادته و اختياره تعالى كون هذا الشىء حلالا و هذا حراما كما هو مذهب الأشاعرة أم لا ، فأجابه عليه السلام بأنّ الحلال لا يكون حلالا و الحرام لا يكون حراما الاّ لعلّة تقتضى ذلك وغرض يتعلّق به بالمعنى المقرّر عند أهل العدل .

ففيه دلالة على اثبات الحسن و القبح العقليّين وعلى كونه تعالى انّما يفعل ما يفعل لغرض وغاية يعود نفعها على المخلوق و نحو ذلك لا لغير ذلك و قوله تعالى : ((لا يسأل عمّا يفعل)) (١) لا ينافى ذلك ، فافهم و اللّه أعلم ، انتهى كلامه .

((الى هنا يتمّ المجلّد السادس و يليه ان شاء اللّه تعالى المجلّد السابع و الحمد للّه أوّلا و آخرا و صلّى اللّه على سيّدنا محمّد و آله السادات الميامين الأطياب)) .

---

(١) الأنبياء ، الآية / ٢٣ .

فهرست ما جاء فى هذاالجزء

الموضوع	الصفحة
* الاهداء	٥
* منهجنا فى هذه الموسوعة	٦
* الأسباب الّتى دعت الى التّفكير باصدارها	١٢
* مقدمة الكتاب	١٧
* مفهوم الحرية لغة	١٨
* اهمية الحريّة فى الوجدان الانسانى	٢٤
* مفهوم الحريّة و المدارس الفكريّة	٢٥
* معيار التقييم و منهجية البحث	٢٧
* الغاية الاسلامية من بعثة الرسل	٢٨
* المعجزه و اثرها فى تحرير الانسان	٣١
* الحريّة سبب للتحدى الاول للاوامر الالهيّة	٣٢
* الانسان وصفة استقلال الارادة	٣٣
* قارون و ثروته الاسطورية	٣٤
* بلعم بن باعوراء	٣٥
* حكاية السامرى و العجل	٣٦
* آدم و حواء و الخطيئه الانسانيّة الاولى	٣٧
* قابيل و هابيل و اول صراع	٣٨
* نوح و قومه	٣٩

الموضوع	الصفحة

* طالوت و جالوت ٤٠
* يوسف و زليخا ٤١
* الحريّة عند اليهود و نظرية العنصر الأفضل ٤٤
* الحريّة فى الفكر المسيحى ٤٧
* المراحل التى مرت بها مشكلة الحريّة فى الفكر الغربى ٥٩
* الاطروحات الخاصة بمفهوم الحريّة فى عصر النهضه الاوربية ٦٨
ـ العلمانية ٦٩
ـ الديمقراطية ٨٠
ـ الرأسمالية ٨٥
ـ عبادة الذات ١١٢
* حقيقة الحضارة الغربية المزعومة ١١٧
* الحريّة فى الفكر الماركسى ١٢٤
* الحريّة عند الفلاسفة ١٣٠

تاريخ المراحل الحافلة بمصادرة الحريات الجماعية فى العصر الحديث ١٣٣

* العالم الاسلامى و بدء مرحلة مصادرة العقيدة و الحريات الفكريّة و الثقافية و الاجتماعية ١٤٤
* الغزو العسكرى و التدخل العلنى الفعلى المباشر فى شؤون المسلمين ١٨٤
* الاطروحات العلمية للاستعمار الجديد ٢٠٧
* ولاية الفقيه و الضجّة المفتعلة ٢٢٢

الموضوع	الصفحة

* عرض مفصل عن الجبهات التى تخوض غمار حرب ضروس ضد الحريّة الاسلامية ٢٤١
ـ الجبهة الماسونية ٢٤١
ـ الجبهة القيصريّة ٢٨٥
* الكشفيّة ٢٨٨
* البابيّة ٢٩٥
* القرتية ٣٠٦
* صبح الأزل ٣١٣
* البهائيّة ٣١٦
ـ الجبهة الهندوكية ٣٢٣
ـ الجبهة الشيوعيّة ٣٤٤
ـ الجبهة المسيحيّة ٣٥١
* الوهابيّة ٤٣٧
* القاديانيّة ٤٤٨
* الاحمديّة ٤٧٤
* المهدويّة ٤٧٥
ـ الحريّة و ضرورة التقنين ٤٨٩
ـ المفهوم الجاهلى للحريّة ٤٩٣
ـ المفهوم الاسلامى للحريّة بسعته و شموله اول مفهوم يطرح لها فى ساحة الفكر الانسانى ٥٠٥
ـ الاسس التى تبتنى عليها الحريّة الفردية الواقعية فى الاسلام ٥١٧

الموضوع	الصفحة

ـ العمق النظرى للحريّة الاسلاميّة و اثره فى تكوين الصياغة المثاليـــة لـها ٥٨١

* مجالات حرية التكليف فى التشريع الاسلامى ٥٩١

محتويات الجزء السابع

ـ الحرية الاسلامية مظهر الهداية الربانيّة

ـ مفهوم الحرية الاسلامية تتوع صور لوحدة مبدأ

ـ التسلسل الموضوعى لمفهوم الحريّة الاسلامية

ـ حرية واجب الوجود

أ الذات الالهية

ب صفات البارى

ج العلم الربانى

د العدل الربانى

ـ اشكال القوى الالهية الفاعلة فى الكون

* المشيئة

* البداء

* النسخ

* اللوح والقلم

* التردد

* الفعل

* الارادة

* القدرة

* القدر

* القضاء

* الحيلولة

* الاحباط
* الارجاء
ـ حرية ممكن الوجود
* حرية الوجود و النشأة (قانون الصدفة)
* حرية الجمادات
* حرية السوائل
* حرية الغازات
* حرية الحيوانات
* حرية الطيور
* حرية الحشرات
ـ حريات سبقت وجود الانسان
* حرية الملائكة
*حرية الجن و النسناس
* حرية الانسان(الارادة و المشيئة و الفعل)
ـ صياغة الاسلام لا سلوب ردع مساوى الارادة الانسانية
* الحرية يوم المبحث و الحساب
*الحرية فى عالم البرزخ
* الحرية فى الجنة

محتويات الجزء الثامن

ـ وقفة مع الحيل الشرعية

ـ الحرية الاسلامية تساير مختلف اشكال الفكر و اطواره

* الحرية المطلقة

* الحرية البرئية

* فلسفة البلوغ و اثره فى تاطير مفهوم الحرية

* حرية المرأة

* حرية الانبياء و الرسل و الأئمة و الفقهاء

* الحرية و موانع التقية

ـ الحرية بين الوجوب العينى و الوجوب الكفائى

* حرية الفعل فى القرآن

* حرية السفر

* حرية اللعب و اللهو

* حرية الرؤية و النظر

* حرية الاساءة

* حرية الموت (الانتحار)

* حرية السلوك

ـ الحرية الاسلامية و معالمها فى ساحة الزعامة الدينية

* حرية العلماء

* حرية الفقهاء فى تعيين شرائط الفقاهة

* حريّة الفقهاء فى مجال تشخيص المرجعية
* حريّة الفقيه فى تأسيس مبانى الاستباط
* حريّة الافتاء الشرعى
* حريّة التقليد
* تقليد المجتمعات الكافره فى العادات و التقاليد و الأكل و اللباس
ـ الحريّة السياسية فى الاسلام
* مبدأ قاعدة الفراغ
* مبدأ العدل
* مبدأ الشورى
* مبدأ المساواة
ـ الحريّة الاسلامية فى مجالات الدولة
* وظيفة الحاكم الشرعى تجاه تجاوز الحقوق و الحرمات و الكرامات
* حريّة تأسيس الدولة الاسلاميّة فى زمن الغيبة الكبرى ورد الشبهات حول ذلك.
* مناوءة الزعامة القيادية فى الدولة الاسلامية
* العمل عند حكام الجور
* حريّة الرأى
* حريّة الموقف
ـ الحريّة الاسلاميّة رسالة تنوير و هداية (الامر بالمعروف و النهى عن المنكر).
ـ الحريّة الاسلاميّة منطلق الى الله عز و جلّ
ـ الحريّة الاسلاميّة مبدأ يرتبط باعماق الفرد و يغوص فى لبّه و مشاعره

ـ حريّة التفاؤل و التشاؤم

ـ حريّة اللباس

ـ حرية الأكل و الشرب

ـ الحريّة الاجتماعيّة

ـ الاسلام و الاستعباد البشرى

ـ الحريّة الاسلاميّة و غريزة الجنس

ـ الحرية الاسلاميّة تهدى اليك اسرارا تسعد حياتك الزوجيّة

* التحكم فى اختيار الجنين ٠ الذكر و الانثى

* كيفية تحسين صورته و هيأته

* تسمية الطفل

* حريّة الكلام و قدسية الكلمة

ـ الحريّة الاقتصادية

ـ الحريّة الثقافية

ـ الحريّة الاسلامية تحتضن حريّات الاديان السماوية المنسوخة

محتويات الجزء التاسع

ـ الحريّة الاسلاميّة تعالج شبهات و قضايا الفكرالأنسانى

* الحرّة الفكريّة

* مراحل عملية الفكر و مقوماته

* مجالات المعرفة و ميادينها

* حجب المعرفة

ـ الاسس الفكرية التى اعتمدها الاسلام لتحقيق مبانى الفكر السليم

* التوحيد بين الميثاق و التجديد

* الايمان باللّه سبحانه و تعالى

* وجود اللّه عز و جلّ فوق الجدل و الشبهات

* شروط التفكر فى الخالق

* محاكمة الفكر الالحادى

ـ الحريّة الاسلاميّة تناهض فكرة الديمقراطية المذهبيّة

* الحريّة العقائديّة

* نظرة على حرية اختيار المذهب

* السبيل القويم لانتهاج الصراط المستقيم

ـ الحريّة العقائديّة فى الاسلام تنبع من مذهب أهل البيت عليهم السلام و تدور فى فلكه وتحت لوائه و تخضع لناموس منهجيته

ـ محاكمة مفصلة بين المذهب الشيعى الامامى و بين سائر المذاهب الاسلاميّة الاخرى

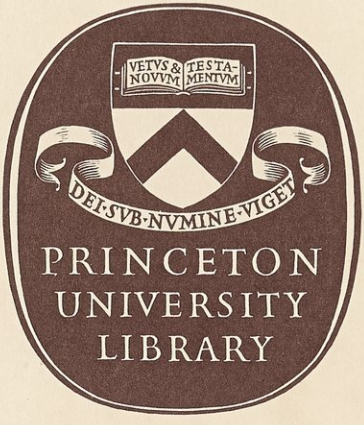
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 058321314